

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة حسيبة بن بوعلي / الشلف
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية



أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه

الشعبة: التاريخ
التخصص: الحديث والمعاصر
العنوان

تطور أشكال و صور الاستعمار البريطاني في الخليج العربي:
نشاطات شركة الهند الشرقية (1750-1850)

إشراف الأستاذ الدكتور

علي العبيدي

من إعداد الطالب

بن شرقي عبد القادر

السنة الجامعية 2019 - 2020



{اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ
وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}

صدق الله العظيم
سورة الجاثية، الآية 12

فذلكة

من بين الدول الخمس التي كانت تتنافس
على العالم الجديد، كان الفوز من نصيب الدولة
التي كانت اقل ارتباطا بالعالم القديم
سيلي في كتاب (توسع انكلترا)

التجارة تسهم بقدر كبير في السمعة الطيبة لحكومتنا ،
وقوتها ، وثروتها، وفي الحفاظ على مكانتها
السير جوزياه تشايلد
(sir Josiah Child)

الإهداء

روح ولدي الذي رباني فأحسن تربيتي

وعلمني فأحسن تعليمي.

روح أمي الراحلة من دنيانا الباقية في قلبي

الخالدة في عالمي التي بها أزهرت حياتي.

أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور علي العبيدي .

زملاء الدراسة جميعا.

كل من وقف مساندا وداعما وقاسمني مشاق البحث و أتعابه.

كل الباحثين وطلبة العلم

وكل ثابت على مبادئه ومحافظ على قيمه

إليكم جميعا اهدي هذا العمل المتواضع

عبد القادر بن شرقي

شكر وتقدير

بعد أن وفقنا الله في إنهاء هذه البحث، فإنه يطيب لي أن أتقدم بالاحترام العميق والشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور علي العبيدي، ذلك الإنسان الرائع النبيل بخلقه وأخلاقه وعلمه، فانا اعتبره القدوة والنبراس الذي اهتديت به منذ معرفتي به في سنوات دراسة في مرحلة الليسانس، وبعدها في مرحلة الماجستير- تخصص السلطة والمجتمع العربي في العصر الحديث، والآن في مرحلة الدكتوراه. وتعلمت منه الكثير الكثير، وهو لم يبخل علي وعلى الآخرين من علمه وفكره شي، فهو في العلم لا يكل ولا يمل. ومن واجب الإخلاص والوفاء، أن أقول كان لي الشرف أن تكون أنت مشرفا على بحثي في الدكتوراه، لما أبديته لي من ملاحظات علمية في مجال البحث وإرشادي إلى عناوين مصادر وبحوث الأساسية في الموضوع هذا من جانب، وما أبدية من صبر ورحابة صدر وتحمل الصعوبات الموضوعية والشخصية التي صادفتني وأملت بي خلال مرحلة البحث من جانب آخر. مما كان لتوجيهاته ان أبقى الثقة في نفسي وتأكيد العزيمة عندي على المضي في إتمام دراستي، على الرغم من كل المصاعب والمشاكل التي كانت تواجهني. كما أتوجه إليه بالشكر والعرفان على كرمه الكبير في فتح خزائن مكتبته الورقية والالكترونية - وما أروعهما- لأعرف منها ما ساعدني على تجاوز نقص المعلومات التي تعاني منه المكتبة الجزائرية.

وفي هذه المناسبة ايضا، أتوجه بالشكر الجزيل لكل من قدم لي يد العون والمساعد من داخل الجزائر وخارجها، مهما كانت بسيطة، ولكل من شجعني في بحثي ولو بكلمة طيبة. واطم بالذكر، السادة الأساتذة من عراقنا الشقيق، وفي مقدمتهم: الأستاذ الدكتور صباح نوري هادي العبيدي، والأستاذ الدكتور كاظم حسن جاسم الاسدي، فقد استفدت فائدة كبيرة في محاورتهما والاستماع إلى آرائهما في الموضوع، وإرشادهما لي على المضي في المسارات الصحيحة. ولولا الملاحظات والتوجيهات السديدة التي قدمها حيث أنارت الطريق لي للوصول إلى النهاية المأمولة- إن شاء الله-.

وكذلك أتوجه بالشكر والتقدير للأستاذ الدكتور محمد الصالح بوقشور عميد الكلية ورئيس فريق التكوين للدكتوراه، على ما قدمه لنا من دعم وتشجيع ومساعدة، فهو كان حريصا اشد الحرص على أن تكون دفعتنا- وهي الدفعة الأولى- أنموذجا لطلبة الدكتوراه، فحرص على يستقدم لنا خيرة الأساتذة المحاضرين أثناء فترة التكوين. كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى السيد رئيس قسم العلوم الإنسانية الدكتور زبير رشيد على دعمه وتشجيعه لنا، وكذلك السيد مسؤول شعبة التاريخ، وجميع أساتذة الشعبة. كما اذكر هنا، ذلك الخطاب الحماسي الذي القاه علينا الدكتور ميسوم ميلود عندما كنا طلبة في مرحلة الماجستير، وهو يحفزنا على ان الطريق اسهل مما نتوقع للانتقال الى مرحلة الدكتوراه. وها انا اقول له، اشرك ايها الاستاذ الفاضل على تشجيعك لنا ، وحرصك على ان يكون مستقبلنا زاهر من اجل جزائر الحرية والكرامة.

كما أتوجه بالامتنان للسادة أعضاء لجنة المناقشة- رئيسا وأعضاء- على قراءة الأطروحة ،
والملاحظات التي سوف تغني العمل من حسن إلى أحسن. وهم أصحاب باع وتجربة لا بد من
الاستفادة منها واستثمارها وأنا في بداية مشواري العلمي.

ولا يفوتني القول، بأني مدين بالشكر والتقدير لعمال جميع المكاتب التي زرتها أثناء فترة
جمع المعلومات على الدعم والمساعدة التي خففت من ضغط المصاعب التي واجهت البحث ،
وأسأل الله العلي القدير أن يجزي كل أولئك عني الأجر والإحسان والله خير معين ووكيل.

عبد القادر بن شرقي

المختصرات

المختصر	الاسم
تر	ترجمة
د.ت.ن	دون تاريخ نشر
د.م.ن	دون مكان نشر
د.ن	دون مؤسسة نشر
ج	جزء
ع	عدد
مج	مجلد
ص	صفحة
تح	تحقيق
تق	تقديم
تع	تعليق
ط	الطبعة

المقدمة

الكتابة- بما فيها الكتابات التاريخية- هي نشاط أنساني لا غنى عنه، بها تتطور العلوم وتمهض الأمم، وهو نشاط ضروري، ويشمل أنواع العلوم المختلفة وكل التخصصات. ولا نتصور أمة تمهض وتحقق نهضتها دون ارتقاء للبحث العلمي فيها. ويجب ان يشمل كل المساحات المتاحة ويتصف بالعلمية والموضوعية والتأثير. وبما أن التاريخ هو سجل الأمم الذي يحفظ لها ارثها الإنساني على امتداد الزمن، فبمجرد تصفح تاريخ أمة من الأمم نستشف عمق تاريخها ونلمس أثره الفاعل محليا، إقليميا وعالميا. والمتصفح للكتابات التاريخية لدى معظم طلاب الدراسات العليا والمؤرخين الجزائريين يجد - دون كبير عناء- أنها ما تزال حبيسة الرؤية التقليدية للتاريخ موضوعا ومنهجيا، على الرغم من الدعوات التجديد التي تظهر من حين لآخر. وعلى الرغم من كل الإمكانيات المتوفرة في حقل البحث التاريخي، الا أننا مازلنا متأخرين عن الركب و متلكئين عن مواكبة التغيرات العلمية والفكرية الحديثة والمعاصرة. مما كان له الأثر الجلي في عدم فهمنا للتاريخ والمغزى المراد منه، وعدم اتساع رؤيتنا لاستشراف المستقبل بالشكل الصحيح. ان المغزى من كلامي السابق، هي تلك القيود التي فرضت علينا في التزام نمط معين من الكتابات لاتتجاوز التاريخ المحلي الا بمداه الإقليمي- أي المغاربي-، وهذا ما جعل الرؤية تضيق وتنحسر في أفق ضيق. ومثال على ذلك فهمنا للمواضيع التي تتعلق بتاريخ الخليج العربي⁽¹⁾ وما شهدته من أحداث جسام كانت تعكس طبيعة القوى الكبرى وأدوارها في السياسية الدولية . فان الأبحاث و الدراسات و الكتابات التاريخية حول تاريخ منطقة الخليج العربي تمثل مجالا بحثيا مهما لا يمكن إهماله ناهيك عن الاستغناء عنه، ومن ثم يجب دفع الباحثين في هذا الاتجاه لاجراء محاكاة للدراسات والأبحاث التاريخية حول منطقة الخليج العربي لتكون أكثر عمقا، وتعم الفائدة بدراسات تاريخية أكثر موضوعية وتأثيرا .

لقد أن الأوان، لطلاب الدراسات العليا أن يطلعون على مشكلات الحاضر كمنطلق للبحث والتفكير في الماضي بغية المساهمة الفعلية في إيجاد حلول للمشكلات التي يحبل بها الوطن العربي كأمة واحدة، فالسياسة الاستعمارية لم ولن تفرق بين هذا وذاك، إنها دعوة صريحة إلى كل المهتمين بالكتابة التاريخية في الوطن العربي لتجاوز التاريخ المحلي، والعمل

1. لم يعثر الباحث خلال مرحلة جمع المادة العلمية للبحث على الرغم من سنوات الطويلة في الإنتاج البحثي التاريخي في الجامعة الجزائرية على ما له علاقة بموضوع البحث الا رسالة ماجستير لها تماس- إلى حد ما- بتاريخ الخليج العربي، في حال استثنينا ما تم مناقشته على مستوى مشروع (السلطة والمجتمع العربي في العصر الحديث) في جامعة الشلف، عندما جرى مناقشة عدد من البحوث لها علاقة بتاريخ الخليج العربي. وهذا ما يؤكد الرأي الذي ذهبنا إليه في أعلاه. وشكل عائقا أمامي في كيفية الحصول على ما له علاقة بموضوع البحث.

على تأسيس تاريخ كلي، يبحث في المشكلات الراهن للمجتمع العربي اعتمادا على مقارنة علمية ونقدية لا ترى في دراسة الماضي هدفا في حد ذاته. بل مدخلا لفهم أفضل لمشكلات الحاضر، وأداة لإعادة بناء علاقة جديدة مع الزمن التاريخي.

وفي خضم هذا الإشكال المعرفي، وجدت إن الفرصة مواتية لكسر طابوهات التقليدية في الاختيار والتخصص، وقررت أن أخوض تجربة بعيدا عن كل ما هو تقليدي، فكان الاختيار موضوع بحث يكون جديدا - ويسجل لي- أثراً في خارطة البحث التاريخي في الجزائر، فكانت الخطوة الأولى ان يكون موضوع بحثي في تاريخ الخليج العربي، ومن لي ملاذا مرشدا في هذا المجال، الا أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور علي العبيدي، الذي شجعتني وحفزني كثيرا على ولوج في هذا الميدان البكر- إن صح التعبير- ، ولأزلت أنذكر كلماته جيدا، حين قال لي: "إذا أردت أن تتميز فعليك الخروج عن التقليدي"، وكان يقصد أن لا اكرر تجارب الآخرين وانغلق في معمة الضيق والمحدود. وبمساعده تمكنت من تركيب عنوانا لأطروحتي حيث تعلق الأمر بان يكون حول تاريخ منطقة الخليج العربي ،

على العموم، لاتزال الموضوعات التي تتناول تاريخ الخليج العربي مجالا خصبا ويحتاج إلى من يكشف اللثام عنه، والتعريف على مدى تأثير تطورات في العلاقات الدولية في الماضي والحاضر، لان منطقة الخليج العربي كانت المرآة التي تعكس حالات الصراع والتصارع ما بين القوى الكبرى منذ اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح في القرن الخامس عشر الميلادي، حيث تنالت القوى الأوروبية بالوصول إلى المحيط الهندي بحث عن تجارة الشرق المربحة، فلم يعد إحكام السيطرة على المنطقة بيد من اكتشف طريقها، وإنما بيد من تكون له الكلمة العليا في السياسة الدولية- او الأوروبية بشكل ادق-. وقد تفاوتت هذه الدول الغازية في آليات التعامل والعلاقة مع سكان منطقة الخليج العربي، فمنهم من لوح بالسيف واستخدمه، ومنهم من "تمسكن حتى تمكن"- كما يقال-.

لقد تناوبت القوى الأوروبية في السيطرة والهيمنة على مدى خمسة قرون تقريبا، إلا أن العامل المشترك في هذه المسألة، كانت انكلترا- أو بريطانيا فيما بعد- ، فهي عندما مخرت سفنها مياه الخليج لأول في بداية القرن السابع عشر الميلادي، لم تخرج منه حتى منتصف القرن العشرين، فقد قاومت وصمدت أمام تعاقب القوى الأوروبية الأخرى الطامعة بالخليج العربي وخيراته وأهميته الإستراتيجية، إلا أنها وقفت بالمرصاد للجميع، بخطوات وثيقة، وبنفس طويل أجبرت به الآخرين على التعب والانسحاب. وأصبحت بريطانيا بمرور الوقت عقب خروج البرتغاليين والهولنديين والفرنسيين من ساحة التنافس، هي الأمر النهائي في

شؤون الخليج العربي، لتضع له خريطة التي هي تراها مناسبة. فهي لم تكتفي في إبعاد منافسيها الأوربيين فقط، وكذلك قضت حتى على القوى الإقليمية التي عارضت وجودها بمرور الوقت.

وحسب النسق التاريخي حيث يعمل المؤرخ على تفسير حدث لاحق بحدث سابق، والمقصود بالنسق "الاستتباع البديهي"، والذي يمكن المؤرخ النبيه من كشف علاقة الاقتضاء التي تحكم السلوك الاستعماري لجميع القوى التي ولوجت الخليج العربي. مع العلم أن هذا النوع التفسير يمكن المؤرخ من القراءة التنبؤية للمستقبل، لإعادة بناء ماضي الأحداث وفق رؤى جديدة وبأدوات معرفية مختلفة ومبتكرة أيضا. كما أن البناء التاريخي يكون دائما غير مكتمل، لذا يظهر للمؤرخ نقائصه وي طرح أسئلة جديدة بحثا عن طريق الحقيقة الممكنة، ويثير تساؤلات جديدة. إذ يشير أهل الاختصاص إلى أن منهجية التفكير التاريخي تبدأ أولا بطرح مشكلة في الحاضر والتعبير عنها بصيغة التساؤل. ثم تأتي مرحلة صياغة الفرضيات، وبعدها يعمل المؤرخ على التحقق من الفرضيات المطروحة مستعينا بالاستكشاف الوثائقي، وفي الأخير يكون خلاصة تركيبية تتضمن جوانب من الإجابة عن الإشكالية المطروحة. ومثلما ذكرت من قبل، فإن المعرفة التاريخية هي دائما معرفة نسبية تسعى إلى الإجابة عن أسئلة الراهن. فالمؤرخ يستقصي الأخبار، وهو دائما وأبدا، أمام ماضي مجهول يقتحمه باستمرار دون أن يستولي عليه، علما أن حقائق الماضي ليست مطلقة، فعنوان واقعة تاريخية واحدة يمكن للطالب أن يكتب عنها عدة مرات وبخطة مختلفة. فالطالب يدون عادة كل واقعة على وجه يستند فيه إلى ما يعرف من التفاصيل التي تتصل بتلك الواقعة.

ولهذا فإن كتابة التاريخ هي عملية متجددة ومستمرة، تتجدد بتجدد هموم ومشكلات الإنسان المعاصر. فالإنسان لا يعيش حاضره مفصولا عن ماضيه. فهو لا يفكر في تاريخه باعتباره زمن غابر تملأه الأحداث والوقائع ذات علاقة خارجية و موضوعية به فحسب، بل بوصفه صيرورة في الزمن لها كبير الأثر على حياته اليومية. إن تفسير الماضي وتأويله وتكوين معنى عنه يشكل دوما هاجسا للإنسان. وبناء عليه، من أجل الإمساك بالماضي المشترك بين الخليج العربي وبريطانيا، ومواجهة ارث شركتها التجارية التاريخي (شركة الهند الشرقية)، ولكي تكون تعاملات المستقبل مبنية على مبادئ واضحة خاصة وأن موجة العولمة وما تقتضيه من فتح للأسواق المحلية، فالعالم يتغير بسرعة هائلة، ولكنه لا يتغير في كل شيء. فالرغبة التوسعية أو الفتح أو الغزو أو الاستعمار أو الانتداب، ما يزال سارياً في كل متر مربع من كرتنا الأرضية، ولكن بصور مختلفة وبأشكال مختلفة وأدوات مختلفة أيضا، هي التي

تتغير مع تطورات العصر. وعليه، فقد تم تحديد عنوان البحث على الشكل الآتي: (تطور أشكال وصور الاستعمار الانكليزي في الخليج العربي من خلال نشاطات شركة الهند الشرقية الانكليزية (1750-1850)).

بيان أهمية الموضوع:

لقد نتج عن التغيرات الإقليمية والدولية و التحولات الاقتصادية والاجتماعية، قدوم عصر العولمة بمضامينه و أبعاده المبني على اقتصاد السوق و تقليص دور الدولة و تنامي دور الشركات متعددة الجنسيات ، أعاد إلى الأذهان إحياء الاهتمام بما قامت به شركة الهند الشرقية الانكليزية خلال العصور الأولى للتجارة العالمية ، فمؤسسوها يمتدحون على أنهم مغامرون يتمتعون بالجرأة عبروا أراضي العالم ومديروها يوصفون بأنهم متعددوا الثقافات. وإذا نظرنا إلى أحداث اليوم من وجهة نظر تاريخية، سنلاحظ بالتأكيد أن الأهداف الأساسية، والاتجاهات، والأساليب التي تتبعها الدول التي تصبوا إلى السيطرة على منطقة الخليج العربي باقية على حالها على مدى خمسة قرون على الرغم من تنوع المصالح وتعدد طرق التأثير الحديثة للإمبريالية والاستعمار.

وأهمية الخليج العربي كانت ولاتزال في موقعه الاستراتيجي ، الذي على تقاطع طرق تجارية عالمية. وبفضل موقعة الجغرافي الملائم، حيث تتلاقى أوربا وآسيا وإفريقيا، استطاعت طبقة التجار المحلية الاغتناء منذ القدم من الوساطة التجارية بين بلدان الشرق الأدنى والأوسط: جزيرة العرب، وتركيا، وفارس، والهند. وكانت أقصر الطرق بين أوربا والهند والشرق الأقصى وأفضلها في القرون الوسطى تمر من الخليج العربي. وفي عصر اكتناز رأس المال الأولى جذبت ثروات هذه المنطقة، وصلاتها التجارية الواسعة الأوربيين الباحثين عن الثروة، والناس من مختلف المهن، والوظائف، والرتب: كالتجار، والرهبان، والساسة، والعسكريين، والرحالة وغيرهم. وسرعان ما أصبح الخليج العربي، بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح من قبل البحار البرتغالي فاسكو دي غاما (Vasco de Gamma) ووصله إلى الهند، منطقة هامة للتوسع الاستعماري للدول الأوروبية في النصف الشرقي من الكرة الأرضية. وهنا- وكما في بقية أصقاع العالم- خاضت هذه الدول صراعاً من أجل الهيمنة. وكان التفوق فيه سجلاً بينها. وكان ذلك يتوقف على وضع المحطات التجارية لهذه الدول، وقواعدها العسكرية في الخليج العربي. وكان لتوسع الدول الأوروبية: البرتغال وهولندا وفرنسا وبريطانيا شركاتها التجارية وأساليبها المختلفة للتوغل في منطقة الخليج العربي، وتمكنت

بريطانيا أخيرا من توطين نفوذها وتعزيز مواقعها في المنطقة بواسطة شركة الهند الشرقية الانكليزية ومن خلال التأثير السياسي أو الاقتصادي أو العسكري.

وتجدر الإشارة إلى أن فهم علاقة شركة الهند الشرقية الانكليزية بمنطقة الخليج العربي يستوجب إبراز صراع القوى الخارجية وتأثيرها على الأوضاع المحلية والعالمية بالإضافة إلى علاقات القوى المحلية بعضها البعض وعلاقتها بالقوى المجاورة في ضوء السياسة الانكليزية منذ بداية تجسيد المشروع الاستعماري الانكليزي في المنطقة.

دواعي اختيار الموضوع:

لقد جدد طلاب الدراسات العليا كل شيء ، ورق الكتابة ، ديكور الرسائل وحتى اللغة المستخدمة؟. لكنهم نسوا تجديد الأفكار باستخدام العقل، تراهم غير معنيين بدراسة تفاعلات الأحداث المرتبطة بشعوب يشتركون معها في الآلام والأمال في وطن واحد من خلال كتابات تستوعب واقعهم، و تستدعي العلم لنشر الوعي بوحدة المصير الذي يجب أن ينال الاهتمام الواسع من ناحية البحث العلمي لتفكيك الظاهرة الاستعمارية ودراستها دراسة علمية تقف على خلفياتها وأبعادها و مآلاتها حتى تحول دون تطورها وانتشارها لتصبح يوما ما شيء مألوف ينخر في وحدة أمتنا العربية و تماسكها.

ولعل التدهور الذي أصاب وطننا العربي قديما وحديثا، يمكن إرجاعه أساسا إلى ما أصاب منطقة الخليج من غزو استعماري ، كانت ركيزته النهب الاقتصادي، والذي لم يقتصر على أقول منطقة الخليج العربي حضاريا واقتصاديا بل كان سببا في أقول الحضارة العربية الإسلامية ككل. والإسلام يحث على معرفة كل مجهول على وجه الأرض التي هي في نظره كلها وحدة واحدة ، ويحض على كشف ما هو غير معروف في هذه الأرض التي هي مسرحا للحياة البشرية، ويدعو إلى التفكير في خلق الله في السموات وعلى سطح هذه البسيطة التي فيها الحياة كتاب مفتوح: (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين)⁽²⁾.

ويقدم بحثي هذا، دراسة لنشاطات شركة الهند الشرقية الانكليزية في الخليج العربي، وهي فرصة يمكن من خلالها معرفة المخطط الانكليزي الامبريالي وأدواته للتحكم في العالم

2. سورة آل عمران: الاية 190.

كيف بدا لها ! ، وذلك من خلال الاستيلاء على هذه المنطقة والعمل على إذلال شعوبها واستغلال مواردها واستعباد أبنائها ومحي هويتها، وكشف المزيد مما من شأنه تغيير السياسة العالمية. وفي هذا المقام يمكن الإشارة إلى التحكم في العالم يقتضي ربما الاستيلاء على منطقة الخليج !.

الإطار الزمني والمكاني للموضوع:

إن مواضيع التي تتعلق بتاريخ الاستعمار طويلة ومتشعبة، ولاسيما التي تتعلق بتاريخ الاستعمار في الخليج العربي، فالصراع الاستعماري في الخليج، كانت له امتدادات زمانية ومكانية، تفرض على الباحث أن يتعامل معها من اجل إدراك واعي لماهية الأحداث التي كانت تشهدها منطقة الخليج العربي. وبخصوص الإطار الزمني للبحث ، فأني اخترت الفترة ما بين 1750-1850، ولكن ، مثلما ذكرت، فان الطبيعة المتشابكة في الأحداث جعلتني في بعض الأحيان أعود للوراء فترات من الزمن ، وذلك من اجل رسم صورة متكاملة لتطورات الأحداث للفترة التي أنا في صميم دراستها. وهنا التمس العذر من يطلع عليها، ويرى أي قد تجاوز الإطار الزمني للبحث.

أما عن الإطار المكاني، فان الجغرافية التي سيج فيها موضوع بحثي كانت في الأساس منطقة الخليج العربي فبامتداداتها البرية في مختلف الاتجاهات، ولكن اكرر مرة أخرى، بان أهمية الموضوع وترابطه مع أماكن أخرى، جعلني أعرج على فضاء أكبر هو المحيط الهندي ، بامتداداته الواسعة وكذلك القارة الأوربية، وحتى شبه الجزيرة العربية. وهذا ما جعلني اقتنع من أن الأحداث التاريخية غير منفصلة عن بعضها، ا وان الحدث هو سجين مكانه.

الإشكالية :

هناك آراء المتعددة حول موضوع الاستعمار الانكليزي لمنطقة الخليج العربي من خلال شركة الهند الشرقية الانكليزية . وهناك من يرى أن الاستعمار الانكليزي أنقذ المنطقة من الفوضى التي كانت تعيشها، وهناك من يرى أن الاستعمار الانكليزي قضى على قوة المنطقة الاقتصادية من خلال شركة الهند الشرقية الانكليزية عبر ممارستها للتجارة في البداية إلى استخدام قوة السلاح لفرض هيمنتها الاستعمارية بصور وأشكال مختلفة. فما هو الدور الذي لعبته شركة الهند الشرقية الانكليزية من خلال نشاطاتها في منطقة الخليج العربي؟. وتحت هذه الإشكالية تندرج الفرضيات التالية:

- ما هي الأوضاع العامة في منطقة الخليج قبيل الدخول الانكليزي. إلى جانب دواعي الظهور الأوربي في المنطقة . طبيعة الوضع السياسي في الخليج العربي قبيل الغزو الأوربي.
- طبيعة السياسة التي انتهجتها البرتغال في الخليج العربي وتأثيره على مستقبلها. وموقف القوى المحلية والإقليمية من البرتغاليين.
- كيف تبلور المشروع الاستعماري الانكليزي. وجهود الانكليز في ميدان الاستكشافات الجغرافية التي شكلت بواكير الاستعمار الانكليزي للعالم .
- هل مثل تأسيس شركة الهند الشرقية الانكليزية تجسيد لطموحات الانكليز الاستعمارية .
- علاقة الشركة بالقوى الإقليمية، وكيف وظفتها في صالح ترسيخ وجودها في الخليج العربي.
- دور العرب في أعاقق المشروع الاستعماري الانكليزي في الخليج العربي.
- كيف واجهت الشركة الانكليزية التحديات التي واجهتها في الخليج العربي من قبل منافسيها الأوربيين.

ولابد من الإشارة هنا، إن دور الشركة الانكليزية في الأماكن الأخرى اتصف بالبعد التجاري البحت، ولكن دورها في منطقة الخليج العربي اتصف في جوهره بالاستراتيجي التكتيكي القائم على أساس امتصاص زخم القوى المنافسة، والقضاء عليها بشكل تام. ولذلك، عندما كان على الشركة الانكليزية مواجهة منافسة الدول الأوربية الأخرى والتي مثلت فيه البرتغال طلائع الاستعمار الأوربي، وكذلك شركة الهند الشرقية الهولندية التي تمكنت من إبعاد البرتغاليين بعد تأسيس الهولنديين لشركتهم قصد المشاركة في تقاسم ثروات الشرق. حيث كان التفوق الهولندي في النشاط التجاري في منطقة الخليج في بداية الأمر في إطار التنافس الانكلو - هولندي على النفوذ في الخليج العربي كيف تمكن الانكليز من إنهاء الوجود الهولندي. وعندما أدرك الفرنسيون تأخرهم في مجال التجارة العالمية والسير على قدم مساواة مع أقرانهم الأوربيين . وتم إنشاء شركة الهند الشرقية الفرنسية بغية المشاركة في تقاسم ثروات الشرق، ولتدارك تأخرهم في جني الأرباح والفوائد من تجارة الشرق، كان لازما على فرنسا أن تواجه الانكليز في المحيط الهندي عموما، والخليج العربي تحديدا. وتميز الصراع الانكلو فرنسي بصورة قوة بحرية لها اعتبارها وهيمنتها على البحار، وهي بريطانيا، واخرى تبحث عن هوية بحرية لها، واعني فرنسا. وعليه، إن الاقتصار على دراسة نشاطات

شركة الهند الشرقية الانكليزية لوحدها من دون معرفة صراعاتها مع شركات الهند الشرقية الهولندية والفرنسية فهو بتر لموضوع البحث.

طرائق البحث والكتابة:

إن طبيعة الموضوع ، وترابط أجزائه ، و تكامل مسائله، جعلتني أتناوله كله على الرغم من سعته وتشعبه، فالأحداث كانت متشابكة ومترابطة، بالشكل الذي لا يمكن الفصل بينهما، ونتيجة هذا، ضاع من الوقت الكثير في محاولة مني للتمسك بأجزائه والتحكم به، وهو ما أرجوه وأتمناه قد تحقق بعون من الله. لأنني اطمح أن يكون هذا البحث مدخلا يحفز الآخرين على ولوج الدراسات التاريخية التي تتعلق بتاريخ منطقة الخليج العربي.

كما أن طبيعة موضوع البحث، والمعلومات المتوفرة في الوثائق والتقارير والمصادر الأخرى فضلا عن المراجع بمختلف مسمياتها، جعلتني اتبع منهجية مدمجة في طرائق البحث والكتابة، فأحيانا نحتاج الطريقة الوصفية، وهي أكثر من ضرورية للمؤرخ في كتاباته، إلى جانب الطريقة التحليلية والنقدية والإحصائية. وإذا كانت الطريقة الوصفية ضرورية، فمن الضروري أن يتحلى المؤرخ بالذهنية التحليلية، التي تمكنه من قراءة وفهم بنيوية الأحداث وتراكماتها. وعندها لا بد أن تكون له آراء نقدية في ما وصف وحلل، وبالطريقة النقدية سوف يحاول أن يعيد تركيب صورة الحدث وفق معطيات المصادر والمراجع، ومحاولة تقريبية للحقيقة. أما الطريقة الإحصائية فهي أكثر من ضرورية في الكتابات التاريخية التي تتعلق بالتاريخ الاقتصادي، فهي يمكنها أن تغني المؤرخ عن عشرات الصفحات من المعلومات والشرح والتفسير بجدول رقمي او منحني يقدم معطيات دقيقة وواضحة للمسألة المدروسة.

وبناء عليه، فإن الإشكالية المطروحة، فرضت علينا ضرورة اتباع طريقة تركيبية، لا تخلو من التحليل والنقد لكل المعلومات والآراء والمعطيات . فالدراسة التاريخية تقتضي التحليل لكل فكرة من فترة الموضوع، ونقد كل نقطة على حدة . وحاولت تصحيح بعض المفاهيم الواردة والأخطاء، التي وقع فيها بعض الكتاب الأجانب منهم بالخصوص، أما عن قصد أو دون قصد، أما لعدم فهم وقائع التي حدثت في المجتمع الخليجي واقتصاده وقوانينه وعاداته، وحضارته! كل ذلك بالرجوع إلى المصادر، والوثائق وكذا الدراسات العلمية المتخصصة ، المستندة على المنهج العلمي.

عرض مضمون البحث:

اقتضت متطلبات البحث تقسيمه إلى مقدمة وستة فصول وفضلا الخاتمة، ومجموعة من الملاحق التي توضح بعض من جزئياته . وسنحاول في السطور القادمة استعراضها بشكل مركز:

في الفصل التمهيدي الذي حمل عنوان (الخليج العربي والظهور الاستعماري الأوربي) استعرضت فيه بشكل مقتضب الأوضاع العامة في منطقة الخليج العربي قبل الغزو الانكليزي، والذي قسمته إلى مبحثين، حيث تناول المبحث الأول (الموقع الجغرافي والتسمية) دراسة الموقع الجغرافي للخليج، والطبيعية الجيولوجية فضلا عن بيان أصل الاسم . أما المبحث الثاني (الظهور الأوربي في منطقة الخليج العربي) فقد تناول فاتحة الاستعمار الأوربي-واعني هنا- الاستعمار البرتغالي، والسياسة التي سار عليها في منطقة الخليج العربي، وتأثيرها على علاقته مع أهل المنطقة، وتأثير ذلك في استغلال القوى الأوربية المنافسة لها والنجاح في أبعادها من الخليج العربي نهائيا،

بينما تناولنا في الفصل الأول الذي سطرناه تحت عنوان: (شركة الهند الشرقية الانكليزية: واجهة المشروع الاستعماري في الخليج العربي) ، تعرضنا فيه إلى الجهود الانكليزية المبذولة في ميدان الاستكشافات الجغرافية والتي سبقت مرحلة تأسيس شركة الهند الشرقية الانكليزية التي كانت واجهتها البحث عن الثراء والاستعمار، فكانت منطقة الخليج العربي ضمن مخطتها الاستعمارية بغية السيطرة على المواقع الإستراتيجية والمحافظة على الهند' درة التاج الانكليزي'، ووجدت الامتيازات العثمانية والفارسية متاحة لتجسيد أفكار مناظرها السياسيين، ضمن المخطط الانكليزي الامبريالي لحكم العالم تحت إمبراطورية عظمى الذي كانت من أدواته تأسيس شركة الهند الشرقية الانكليزية وقد تحققت الخطوة الأولى بثبات حيث نجحت الشركة الانكليزية لأول مرة تأسيس وكالتها في ميناء جاسك على الساحل الفارسي .و أنهت بذلك مرحلة الاحتكار البرتغالي التي كان يفرضها على تجارة الشرق .

وكان الفصل الثاني تحت عنوان: (التنافس الهولندي الانكليزي في الخليج العربي: بين القوة ودبلوماسية المدفع) حيث خصصته بالحديث عن مراحل الدخول الهولندي إلى منطقة الخليج العربي، ولاسيما وأن للهولنديين دور في إنهاء الوجود البرتغالي بالمنطقة حيث كان لهم السبق في التأثير في مجال التجارة والاستعمار بعد تأسيسهم لشركتهم (شركة الهند الشرقية الهولندية)، وتنافسوا مع الانكليز على النفوذ في منطقة الخليج العربي في البداية، غير أن الظروف ساعدت الشركة الانكليزية على مد نفوذها حيث تنامي في منطقة

الخليج وتحت الضغط الانكليزي المواصل تلاشى الوجود الهولندي و انهيار وكان لزعماء قبائل المنطقة دور في انهاء الوجود الهولندي وقدموا بذلك خدمة جليلة للانكليز .

وفي الفصل الثالث الذي وسم تحت عنوان: (التفوق الانكليزي في مواجهة الرغبة الفرنسية في الخليج العربي) فقد تعرضنا فيه التنافس الانكليزي الفرنسي من أوروبا حتى الخليج العربي وكيف تمكن الانكليز من التفوق على الفرنسيين في مختلف المستويات، حيث لم يكن للانكليز طموح على مستوى أوروبا وعرفوا منذ البداية أن مشروعهم في الحياة يتعلق بالتجارة البحرية والاستعمار بينما كان الاهتمام الفرنسي بالتوسع على مستوى أوروبا فقط وضيعوا على أنفسهم فرصة المشاركة في التجارة الشرقية منذ البداية غير أنهم استدرکوا الوقت وأسسوا بإصرار بعض القادة الفرنسيين على التأسيس لمشروعهم الاستعماري خارج أوروبا فأسسوا شركة الهند الشرقية الفرنسية فكان لهم صراع طويل مع عدوهم التقليدي الانكليز سواء في الهند أو في منطقة الخليج العربي (عمان ، بلاد فارس) ، فبينما كانت خطة نابليون الفرنسية ترمي للوصول إلى الهند عن طريق مصادفته للأمراء العرب في سواحل الخليج و الجزيرة العربية ، دلت الأحداث على التحكم الانكليز في الايقاع التنافسي كيفما تشاء، فالأهداف العسكرية لبعثة جون مالكولم انحصرت في إبعاد فارس وعمان عن التحالف المناوئ للانكليز، الذي أصبح قاب قوسين أو أدنى، والذي نواته الإمارات الهندية. ومثلما نجحت بريطانيا في تسويق استعمارها لعمان من خلال الاتفاقية الانكليزية -العمانية عام 1798، بصور و أشكال مختلفة لتوفير المناخ المناسب لشركة الهند الشرقية الانكليزية واستيلائها على السلطة السياسية في مسقط وبدا ذلك واضحاً من خلال فرض الحاكم الأكثر مضمونيه بالنسبة لسياسة الشركة الانكليزية في منطقة الخليج ، سارعت بريطانيا قبل ذلك، إلى تحدي القوة الفارسية التي بدت منهارة نتيجة الحروب التي استنزفت قواها السياسية والعسكرية ، في صراع مع العثمانيين الأمر الذي جعل الشاه عباس الأول يستنجد بالانكليز لصد الأعداء العثمانيين، ويمنحهم امتيازات هامة ساهمت هذه الامتيازات في البداية إلى مد يد التوسع الانكليزي وإقصاء التوسع الفرنسي في منطقة الخليج العربي.

أما الفصل الرابع فكان بعنوان: (المواجهة بين الانكليز والقواسم في الخليج العربي)، فتناولنا فيه سياسة بريطانيا تجاه الكيانات العربية في الخليج العربي، ولاسيما اتحاد القواسم. ومن ركزنا في المبحث الأول على دراسة آليات بناء اتحاد القواسم، والظروف والدوافع التي مكنتهم من أن يكون هذا الاتحاد قوة بحرية أقلقت الانكليز كثيراً في المنطقة، وخصصوا لهم الوقت الطويل من اجل إيجاد الحلول والقضاء عليهم. بينما تناول المبحث

الثاني مراحل المواجهة بين الطرفين، والتي كانت لغة السلاح هي اللغة الوحيدة التي تفاهما بها، طوال فترة المواجهة.

وأخيرا، كان الفصل الخامس الذي حمل عنوان: (الانكليز ومرحلة الرسوخ والاستقرار في الخليج العربي). ومن خلال هذا الفصل، وتحديدًا في المبحث الأول واصلنا البحث في الآليات التي أستخدمها الانكليز خلال القرن التاسع عشر لاستكمال المخطط الاستعماري الانكليزي في الخليج العربي، خاصة بعدما استحكم في النفوذ الفارسي في المنطقة، لتحويل منطقة الخليج إلى "بحيرة انكليزية" وتوطيد نفوذهم. و في سبيل تحقيق ذلك، أقام الانكليز علاقات تجارية سياسية مع إمارات المنطقة واستخدمت دبلوماسية "فرق تسد" لضرب اتجاهات القوى المحلية ضدها. متدرجة في استعمال شتى أشكال وصور الاستعمار والهيمنة في العصر الحديث. كما استخدم الانكليز منهجية للإمبراطورية في نهاية المطاف، وعلى خط موازي، سجل عرب الخليج صفحات مشرقة في تاريخ المنطقة في مقاومتهم لاستعمار.

واشفعنا هذه الفصول، بخاتمة تحليلية نقدية للنتائج التي التوصل إليها البحث، وحاولنا إبراز بعض الأفكار، وبلورة الرؤى المتعلقة بالشركات الاستعمارية عامة، وشركة الهند الشرقية الانكليزية. وأعقبنا الخاتمة بمجموعة من ملاحق التي لها علاقة - مباشرة- بموضوع البحث، تمثل المعاهدات التي وقعها الانكليز وغير ذلك.

تحليل المصادر والمراجع:

قد يصعب على الباحث أن يقدم مبررا بخصوص ما الذي دفعه لاستخدام هذا المصدر دون غير ، ولكن في بعض الأحيان، ما يحدد سلوك الباحث في هذا الاتجاه، أمور خارجة عن إرادة الباحث، تفرض عليه استخدام فئة على حساب فئة أخرى من المصادر والمراجع. وهو ما حدث لي ، وذلك نتيجة لفقرة المكتبات التي زرتها في العديد من الجامعات الوطنية وغيرها. وهذا - ربما- فرض علي تكرار الاستفادة من مصدر أو مرجع في أكثر من فصل؛ وبالإضافة إلى ذلك، هناك من المصادر والمراجع الرصينة والغنية بمعلوماتها تفرض علينا الاعتماد عليها في العديد من المواضيع التي تضمنها البحث. ولا ننسى هنا، أن هذه المصادر تتميز بأنها تمثل اتجاهات مختلفة حسب موقف مؤلفيها من الأحداث، فهناك مؤلفون مؤيدون وآخرون معارضون لنفس الفكرة، كما أن هناك من التزم الحياد دون أن يكون له موقف لصالح هذا أو ذاك. لقد وضعت في ذهني كل هذه الملاحظات أثناء جمع المادة التاريخية وصياغتها وعرضها، محاولا أن أقدم صورة واضحة للموضوع تكون أقرب إلى الحقيقة قدر المستطاع.

لقد بذلت أقصى مجهود من اجل أن لا اغفل الرجوع إلى اي معلومة تتوفر هنا او هناك، لكي أعوض نقص المصادر والمراجع، وهذا ما جعل البحث يشمل مراجعا حديثة عربية ومعربة وأجنبية مما توفر طول فترة انشغالي بجمع المادة التاريخية، وعلى الرغم من ذلك، لا يمكن أن ادع بأني أطلعت على جميع مصادر والمراجع الخاصة بالبحث، وأدركت جميع النتائج ووضع النهاية الأبدية لأنه تبقى دائما ظروف وعوامل تحول بين الباحث والحصول على مصدر أو مصادر تيسر حصولها لباحث آخر، وهذه هي طبيعة البحث التاريخي، الذي يتقدم و يتجدد في مسيرة تكاملية يستفيد منها اللاحق عن السابق ويستمر الحصول على حقائق وأفكار وإضافات جديدة.

ومن خلال قائمة المصادر والمراجع التي تخص البحث، فإننا نرى بها تنوعا في المصادر والمراجع من حيث القيمة والفائدة التي قدمت لموضوع البحث ، وهناك عدد منها كان له من الأهمية والفائدة بان فرض علي هنا، أن أقدم تصور مختصرا عن الفائدة التي يقدمها. ومن هؤلاء نذكرك:

وفي مقدمتها، المصادر الوثائقية المنشورة المستخدمة في البحث فقد زودت هذه المصادر البحث بمادة مهمة ، وغطت جوانب مختلفة منه. وضمت هذه المصادر ووثائق الشركة التي تم نشرها في أوقات مختلفة. ويأتي في مقدمتها كتاب جون بروس (John Bruce) المنشور في سنة 1808، بعنوان: (Annals of The Honor Able East India Company) ، وهو يقع بثلاث أجزاء. ويعد هذا الكتاب من المصادر الوثائقية الأساسية التي غطت نشاط الشركة الانكليزية، ويتتبع فعاليات الشركة منذ تأسيسها ، معتمداً النظام الحولي، ويعطي صورة واضحة لتأثير العلاقات الدولية الأوروبية في تطور النشاط التجاري. ومما يؤخذ على بروس عدم حسمه لكثير من المواضيع التي يناقشها ولاسيما ما يتعلق بمستوردات الشركة وصادراتها ومساهماتها وأرباحها، حيث أنه لا يعطي معلومات دقيقة عن هذه المواضيع، فكان لابد من الاعتماد على مصادر أخرى لتغطية هذه الموضوعات.

في حين يعتبر كتاب بكنغهام (J.S Buckingham) المعنون: (Travels in Assyria, Media, and Persia)، والذي يقع في جزئين، والمنشور من قبل (Henry Colburn and Richard Bentley) في مدينة لندن في سنة 1830. فانه يعتبر من اهم المصادر عن القواسم، وامتازت المعلومات الواردة فيه بالدقة ، لاسيما وانه كان شاهد عيان للأحداث بل واسهم فيها، ومن ذلك زيارته لميناء راس الخيمة في عام 1816 ولقاؤه زعيم القواسم حسن بن

رحمه، وهذا الكتاب في الأساس هو مدونات الرحلة التي زار خلالها منطقة المشرق العربي عموماً، والخليج العربي تحديداً.

وكتاب (ج.ج. لوريمر) المعنون: (دليل الخليج العربي)، بقسميه التاريخي والجغرافي، والذي قام بترجمته ديوان أمير قطر ونشر عام 1972. وهو ابرز مصدر غني بالمعلومات عن الخليج العربي منذ بداية وصول الأوروبيين حتى عام 1904. ويعتمد الكتاب أساساً على سجلات حكومة الهند الانكليزية، ولا بد لمن يبحث في تاريخ الخليج العربي من الرجوع إليه، والاستفادة من معلوماته الوفيرة والضرورية.

اما كتاب (جون ب. كيلى) الذي حمل اسم (بريطانيا والخليج العربي 1795-1870 بريطانيا والخليج العربي 1795-1870)، والذي جاء بجزأين، وعمل على ترجمته الدكتور محمد امين عبد الله. فان أهميته تبرز من كونه يعتبر من أهم وأكمل الدراسات التي تناولت تاريخ الخليج العربي وعلاقة الانكليز به منذ أواخر القرن الثامن عشر وحتى العقد الثامن من القرن التاسع عشر، أي فترة نمو التدخل الانكليزي فيه. وقيمة الكتاب تأتي من اعتماد المؤلف على السجلات الانكليزية الانكلو- هندية، بالإضافة إلى المذكرات الشخصية. وانطلاقاً من ذلك يصعب تقييم أهمية العمل الذي قدمه كيلى. ومن الأمور المهمة في كتاب كيلى التي قد لا نجدها في كتاب آخر، وجود تفاصيل عن الأحداث و الأحداث التي شهدتها منطقة الخليج. ولا بد من الإشارة هنا، ان جون كيلى يعتبر واحد من أهم من كتب في تاريخ الخليج العربي، وذلك لكونه عمل وعاش في المنطقة فضلاً عن اطلاعه على كم هائل من الوثائق الأرشيفية التي تخص شركة الهند الشرقية وتاريخ الاستعمار الانكليزي في المنطقة.

ويحتل كتاب ارنولد تابلوت. ويلسون (A.t. Wilson) الذي جاء بعنوان: (تاريخ الخليج العربي) وعنوانه الأصلي (The Persian Gulf, An Historical sketch from the Earliest Times to the Begining of the Twentieth century) وقام بترجمته الأستاذ محمد أمين عبد الله، ونشر من قبل وزارة التراث والثقافة العمانية في عام 2016. اهمية خاصة، ومصدر هذه الأهمية يأتي من الأمور الآتية: أولهما أن مؤلفه مارس في هذه المنطقة سياسة انكلترا بصورة مباشرة، وثانيهما: يعد الكتاب، حسب ما هو معروف، التعميم الاول لتاريخ منطقة الخليج العربي، وثالثهما: يعكس الكتاب وجهة نظر الانكليز حول التوسع الاستعماري في منطقة الخليج العربي حيث يلخص بعض أعمال المؤلفين الانكليز، الذين تطرقوا إلى مسألة التوسع الانكليزي في الخليج العربي كجزء من سياسة الانكليز الاستعمارية، وشمل أيضاً كتاب ويلسون معلومات حول تاريخ تغلغل الدول الأوروبية في منطقة الخليج العربي،

ولاسيما في زمن ما قبل القرن التاسع عشر الميلادي تكمن الفكرة الأساسية التي تخيم على جل عمل ويلسون في إيجاد حقوق للانكليز في الخليج العربي، وسعى الكاتب إلى إيصال القارئ إلى فكرة مفادها عدم وجود النظام المطلوب، أي الذي يروق للانكليز في هذه المنطقة من العالم، ووجود رسالة تاريخية للانكليز قضت الأقدار، دون رغبة منهم، أن يقدموا التضحيات من أجل تثبيت هذا النظام. وبغية سهولة تحليل الأفكار المطروحة لجأ ويلسون إلى تحريف مقصود للوقائع التاريخية. ويظهر التحيز في عرض المادة واضحا في بنية عمله نفسه، إذ انه خصص 200 صفحة من كتابه الذي يقع في 275 صفحة للحديث عن تاريخ هذه المنطقة قبل القرن التاسع عشر. وأسهب في الحديث عن توسع البرتغال، وهولندا دون تفويت الفرصة لإظهار دور الانكليز في هذه المرحلة بشكل نافع لهم. فمثلا ذكر في كتابه انه تم طرد البرتغاليين من هرمز من قبل جيش قليل العدد من الانكليز. وخصص الجزء الخامس من كتابه للحديث عن التوسع الانكليزي في الخليج العربي في القرن التاسع عشر الميلادي، وهو التوسع الذي حول هذه المنطقة عمليا إلى مستعمرات لبريطانيا العظمى. وفي غضون ذلك استبدل قصة التوسع الانكليزي بقصة عن كفاح الانكليز المزعوم ضد القرصنة أولا، ومن ثم ضد تجارة العبيد بدوافع نزيهة. وحاول الكاتب تصوير حملات الانكليز التأديبية على السواحل والجزر على أنها حملات هدفها إعادة النظام القانوني، في حين صور الالتزامات للصوصية التي تم إجبار شيوخ على توقيعها على أنها معاهدات صداقة، وصور ويلسون سلطة شيوخ المنطقة على أنها سلطة فعلية وأصحاب مطلقة

ومن المؤلفات الكثيرة جدا التي تناولت تاريخ الخليج العربي كتاب يحمل عنوان: (بلدان وقبائل الخليج العربي) لكاتبه س. ب. مايلز، والمؤلف شغل منصب المعتمد السياسي لبريطانيا في عمان لسنوات عديدة، ويتبين من عنوان الكتاب، الذي يقع في مجلدين انه يتسم بطابع وصفي على الأغلب أكثر من الطابع البحثي. ويعد هذا الكتاب من الكتب المهمة بمكان لاحتوائه على عدد من المعلومات المدعمة بالوقائع عن مشيخات الخليج العربي. وبالطبع لا تقتصر المراجع الانكليزية التي تناولت بشكل أو بآخر مسألة الترغيب الأوربي في منطقة الخليج العربي على الكتب التي ورد ذكرها فقط. والمؤلفون الذين ورد ذكرهم هم الذين بينوا بدقة الاتجاهات الأساسية للتوسع الأوربي. وهو مرجع اساسي، يتضمن معلومات قيمة، وهو مرجع أساسي، يتضمن معلومات قيمة، ولهذا فالكتاب مهم جدا في بعض أقسام البحث.

يعتبر كتاب (حلف القواسم وسياسة بريطانيا في الخليج العربي) مؤلفه الباحث الروسي ميخين فيكتور ليونوفيتش وترجمة سمير نجم الدين سطاتس، وهو من إصدار مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في أمارة دبي، فهو يسלט الضوء على فترة مهمة من تاريخ

الخليج العربي، كما يبحث في قضية أكثر أهمية تحتاج إلى أقلام واعية في الآن نفسه، لكي تصل إلى نتائج علمية تتمتع بقدر عال من الموثوقية التاريخية والبحثية. فتاريخ الخليج العربي يحتاج إلى تنقيته من التحريف وسوء الفهم، وإلى دراسات تنحرف فيه منحى الموضوعية التي تخدم القضايا العربية وتبرزها في إطارها الإنساني. ويعتبر الكتاب مرجعاً مفيداً للقارئ العام والمتخصص على نحو سواء، لاحتوائه على حقائق مهمة تتعلق بحقبة حاسمة من حقب تاريخ الخليج العربي. لقد ركز الكاتب في دراسته على مسألة (القرصنة) وكيف حاول الانكليز لصق هذه التهمة بالعرب عموماً - والقواسم تحديداً-، علماً بأن القواسم وغيرهم من عرب الخليج العربي أبرياء من هذا الاتهام، الذي كان غرضه تشويه صورة القواسم وتوسيع المبررات من أجل ضربهم وتدمير كياناتهم الذي شكل تهديداً لمصالحهم.

كما استخدمنا كتاب بعنوان : الدول الأوروبية في الخليج العربي من القرن السادس عشر إلى القرن العشرين لمؤلفته الروسية (نتاليا نيكولايفنا تومانوفيتش)، وهو كتاب مترجم يعكس وجهة النظر الروسية في تقييمها وتحليلها للقضايا محل الدراسة والبحث، إضافة إلى وجهة نظر عربية التي عرفناها من قبل . ومثل هذا الكتاب نعتقد أن له اثر كبير في إثراء الفكر، وتوسيع مجال التفكير والاستنباط، و التمكن من فهم الأمور بشمولية اكبر من ذي قبل ، الوصول إلى تفاصيل ما كان لها أن تظهر لولا الله ثم الرأي المعاكس. والكاتب يعتمد على وثائق متنوعة ولاسيما الروسية والفارسية منها ، عكست وجهة نظر روسية في تاريخ المنطقة مقابل وجهة النظر الغربية، مما يفيج الباحث العربي وغيره لتشكيل صورة متوازنة عن تاريخ منطقة الخليج العربي . وقد أوضحت المؤلفة تزيف الانكليز للحقائق التاريخية من خلال نفيها أسطورة القرصنة عن القواسم وأهل الخليج ، وتأكيداً أن الخليج تعرض منذ القديم إلى هجمات أجنبية، وأطماع دولية للسيطرة عليه، ولاتخاذ طريق للتجارة بين الشرق والغرب، ولما له من موقع استراتيجي مهم. وأنه من أجل ذلك روج الأوروبيون الطامعون بخيراته الشائعات المغرضة عن سكان قبائله .و كان أولها أنها قبائل لاتستطيع العيش دون سلب ونهب، حتى أنهم استبدلوا الاسم الحقيقي لساحله باسم ساحل القرصنة وكان ذلك ذريعة اتخذها المستعمرون لتجريد حملاتهم العسكرية ضد سكان الخليج. ولهطا انتشرت على شواطئه الشرقية وبعض جزره القواعد العسكرية الأجنبية البرتغالية والهولندية والانكليزية حتى كانت المقاومة من القائل العربية التي أجلت المستعمرين على ارضها ولان البحث عن الوثائق والمعلومات التاريخية يبقى هاجسا دائما يراود كل باحث ودارس في هذا الميدان، لربط الأحداث والكشف عن الحقائق والتوثيق التي جملها ذات مصادر انكليزية فقد جاء هذا لبحث ليسلط الضوء على تاريخ التوسع الاستعماري للدول الأوروبية.

أما عن الكتابات العربية، فيعد كتاب الأستاذ الدكتور محمد صالح العابد(رحمه الله) المعنون: (دور القواسم في الخليج العربي 1747-1820) مرجعا هاما وأساسيا لكل من يهتم في التاريخ العربي، ولاسيما بما يتعلق بدور القواسم في المنطقة. وهو بالأساس رسالة ماجستير نوقشت في جامعة بغداد في عام 1974، وحازت على تقدير (امتياز)، ونشرت من قبل دار ومطبعة العاني في بغداد عام 1976. وأهمية الكتاب تكمن باعتماد الكاتب على المصادر الأولية التي تاريخ منطقة الخليج العربي، والموجودة في الأرشيف الانكليزي. وهو المشهود له في الاجتهاد والعمل من اجل الوصول إلى الوثائق الأصلية التي تخص الحدث. ومن هنا، فان هذا الكتاب يعتبر مرجعا أساسيا لا يمكن الاستغناء عنه، وعليه، فأني استفدت منه معرفيا وبحثيا لما يحتويه من معلومات دقيقة وكثيرة. علما من أن للمؤلف الكثير من المؤلفات التي تخص تاريخ الخليج العربي.

أما الدكتور جمال زكريا قاسم الذي قدم مجموعة كاملة عن تاريخ الخليج العربي الحديث و المعاصر في خمسة مجلدات تناولت ما يقرب خمسة قرون من الأحداث التاريخية التي تعرض لها الخليج العربي وهذه الدراسة الموسوعية هي حصيلة سنوات عديدة قضاهها المؤلف في رصد وتحليل الأحداث التي شهدتها المنطقة من مختلف جوانبها الاجتماعية والاقتصادية و السياسية و قد اعتمدنا في دراستنا لموضوع البحث على المجلد الأول الذي يتناول تاريخ الإمارات العربية في الخليج في عصر التوسع الأوربي الأول الذي أستمله البرتغاليون في السنوات الأولى من القرن السادس عشر الميلادي ،حيث يعرض للسيطرة البرتغالية الاحتكارية على الخليج و العوامل التي أدت إلى إضعافها مع التركيز على الدور الذي قام به عرب الخليج في القضاء على النفوذ البرتغالي وما نجم عن انهيار ذلك النفوذ من نشأة الوحدات السياسية الحديثة في الخليج واعتمدنا كذلك على المجلد الثاني لمؤلفه جمال زكريا قاسم حيث يناول هذا المجلد تطور النفوذ الانكليزي في أمارات الخليج العربية والمنافسات التي تعرضت لها بريطانيا من القوى الإقليمية والدولية ، و ذلك منذ بداية تدعيم النفوذ الانكليزي في عام 1840 حتى نشوب الحرب العالمية الأولى في عام 1918.

ولا يمكننا تجاهل أهمية كتاب الدكتور علي عبد الله فارس الذي حمل عنوان: (شركة الهند الشرقية الانكليزية ودورها في تاريخ الخليج العربي 1600-1858)، لكونه يتطرق لتاريخ الشركة الانكليزية والدور الذي قامت به منذ تأسيسها وحتى تصفيتها النهائية. والكتاب من خلال عنوان انه ركز على محورين، احدهما تاريخ الشركة منذ تأسيسها ووصولها إلى المحيط الهندي واستقرارها في شبة القارة الهندية. في حين ركز الكتب في المحور الثاني على دور الشركة ونشاطها في منطقة الخليج العربي، وكان دورا جوهريا استراتيجيا

نظرا لأهمية الخليج العربي. ونظرا لطبيعة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الكتاب، فهو يحتل أهمية لا يمكن تجاهلها عند الحديث عن نشاط شركة الهند الشرقية في الخليج العربي.

ولا ننسى هنا، كتاب الدكتور محمد حسن العيدروس الذي حمل عنوان: (تاريخ الخليج العربي)، وتظهر أهمية الكتاب، بأنه من المحاولات القليلة التي كتب بها دراسة تاريخية عن منطقة الخليج العربي في القرن الماضي. وقد حاول الكاتب - مجتهدا- في تغطية جوانب عديدة من القضايا التي تخص تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر.

ومن الدراسات الأكاديمية التي اعتمد عليها البحث- وبشكل كبير، ولاسيما في الفصل الأول- وقدمت لي فائدة كبيرة، وساهمت في توسيع مداركي في هذا الموضوع، أطروحة الدكتوراه للباحث نصير احمد نور احمد المعنونة: (شركة الهند الشرقية الانجليزية) التي تم مناقشتها في قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية في جامعة أم القرى/ مكة المكرمة. وترجع أهمية هذه الأطروحة في كونها تحتوي معلومات دقيقة وقيمة أغنت البحث ، حيث اعتمد الباحث على العديد من المصادر الأرشيفية والمكتوبة ذا أهمية كبيرة في تاريخ هذه الشركة، والذي لم تتوفر لنا الفرصة في الاطلاع عليها نتيجة الصعوبات في التنقل والسفر. وكان هذا العمل الاكاديمي مهم جدا في تتبع نشاط الشركة الانكليزية في مرحلة التأسيس، والنشاطات التي قامت بها في شبه القارة الهندية.

ولم يقتصر اعتماد البحث على ما ذكر من مصادر ومراجع، ولكن بالعودة إلى قائمة المصادر والمراجع سوف نجد هناك كما منها، يتنوع ويختلف من حيث القيمة والفائدة التي قدمتها للبحث ، وهي تتوزع ما بين الكتب والبحوث المنشورة والبحوث الأكاديمية على مستوى الماجستير والدكتوراه فضلا عن معلومات موثقة ودقيقة استقينها من الشبكة العالمية للمعلومات (الانترنت). وان كان أسفي شديد إنني لم أتمكن من الوصول إلى الرصيد الأرشيفي الانكليزي، وهي احد الصعوبات التي وجهتها في عملي، ولكنني اجتهدت في تعويض ذلك بما توفر من مصادر ومراجع رصينة التي اعتمدت عليها في انجاز هذا البحث الذي بين أيديكم.

الصعوبات :

لا يوجد باحث مهما كان مستواه لا يواجه مصاعب أثناء عملية البحث عن المواد الأولية لموضوع بحثه، أو عند عملية كتابة بحثه، أما بالنسبة لي، لقد واجهتني جملة من

الصعوبات، والتي قد تبدو للبعض ثانوية، وللبعض الآخر معضلة كداء. ويمكن تحديدها بمايلي:

- هيكلة محاور الدراسة المقترحة للبحث، ومن ثم ضبطها، و التحكم فيها، كان من اكبر التحديات التي واجهتني، إذ كان من الصعب بناء خطة تكون متوازنة، متكاملة، مترابطة ومتناسقة. وهذا يرجع تداخل المواضيع والأحداث، وتنوعها، كان يسبب لي صداعا وقلق مستمرين .
- شح المادة الأولية، وعدم توفرها في مكتباتنا الجامعية والعامه، بسبب عدم الاهتمام بمثل هكذا موضوعات في البحث التاريخي، شكل عقبة كبيرة في طريق انجاز البحث، واخذ وقتا أكثر مما هو محدد لتغلب على هذه المشكلة. بيد انه بفضل الخبرة التي يتمتع بها الأستاذ المشرف تمكنا من تذليل جوانب منها، ثم تطويعها، والتغلب عليها فيما بعد .
- وجود تعقيدات وموانع في إجراءات السفر والإقامة (عدم وجود منح جامعية للطلبة الموظفين) في الجامعات المستقبلية.
- ومن المصاعب التي واجهتني - وتواجه كل الباحث الموظفين—ضيق الوقت، إذ كانت التزامات العمل تفرض علي في الكثير من الأحيان البقاء ساعات طويلة في المكتب، وكل ذلك على حساب البحث ووقته.
- رفض منح التأشيرة للسفر إلى منطقة الحدث والجزر البريطانية من اجل الاطلاع على الأرشيف.

وفي ختام، أن الجهد الذي بين أيديكم لا يخلو من الزلات والأخطاء، على الرغم من حرصي الشديد في تجنبها والابتعاد عنها. ولكن المشتغلين في حقل البحث العلمي، يدركون الصعوبات والمشاق التي يتحملها الباحث والوعورة التي يمر بها، وهم وحدهم من يغفر أخطاء الباحث وزلاته. وعلى الرغم من كل ذلك، فما لا يدرك كله لا يترك كله، واني بذلت المستطاع من اجل أن يكون البحث بأحسن صورة.

وأمل أن أكون قد وفقت فيما نويت- ولو إلى حد ما-، وأن أكون عند حسن الظن لدى أستاذي المشرف وكل من سيشرفني بقراءته لهذا البحث - واعني السادة أعضاء لجنة المناقشة الكرام. فان كان الأمر كذلك- فهو المأمول- وإلا فانا على استعداد للإصغاء إلى الملاحظات و التوجيهات التي يقدمها لي أهل الاختصاص الكرام، لتنقيته من كل شائبة من شأنها ان تشوبه، وإثرائه، مما ينحو به نحو الأفضل ونحو الاكتمال. وأخيرا، نأمل أن يسد

هذا الجهد المتواضع فراغاً في المكتبة الجزائرية، وان يكون مدخلاً لمزيد من الدراسات حول منطقة الخليج العربي وأطماع القوى الكبرى فيه.

الباحث

عبد القادر بن شرقي

أولاد فارس في 30 سبتمبر 2020

الفصل التمهيدي
الخليج العربي
والظهور الاستعماري الأوربي

المبحث الأول: الموقع الجغرافي والتسمية
المبحث الثاني: الظهور الأوربي في منطقة الخليج العربي

مقدمة:

تتمتع منطقة الخليج العربي بأهمية كبيرة في الميزان السياسي الدولي، منذ قديم الزمان. وتتميز الأهمية من إستراتيجية الموقع الجغرافية، إذ أن المنطقة تتوسط العالم القديم. وزاد أهمية المنطقة أكثر في العصور التالية، ولاسيما في العصور الإسلامية، عندما شكل مع البحر الأحمر محوري الطريق التجاري الذي يربط ما بين الشرق الأقصى والهند والقارة الأوروبية. إذ كانت غالبية ما يصل القارة الأوروبية من تجارة الشرق. وحتى بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح لم يفقد الخليج العربي الأهمية الإستراتيجية والاقتصادية، وتسابقت الدول الأوروبية منذ مطلع القرن الخامس عشر الميلادي على التنافس من اجل السيطرة عليه، والتحكم بمخرجه لأهميته الكبيرة.

وكانت الأطماع الأوروبية من اجل السيطرة على المواقع الإستراتيجية، والمضايق البحرية في العالم العربي قديمة، فهي تعود إلى عهد الأسكندر المقدوني⁽¹⁾، ولكن هذه الأطماع برزت بشكل لافت بعد هزيمة الصليبيين على يد العرب بعد الحرب التي شنوها على العالم الإسلامي، تلك الانتصارات التي أرجعها رجال الفكر والسياسة الأوروبيين إلى قوة العرب الاقتصادية القائمة أساسا على التجارة وتحكمهم فيها⁽²⁾. ومما يزيد من أهمية الخليج العربي جغرافيا وتاريخيا، انه احد نقاط الوصل ما بين الشرق والغرب، وقد قامت على شواطئه المراكز العالمية للملاحة والتجارة، وكان في حركة دائمة ونشاط لايفتر، يربط بين الطرق البحرية والسبل البرية، لا تقل أهميته الإستراتيجية عن أهمية البحر الأبيض المتوسط، بل لقد نافسه فترة غير ميسره من الزمن. ولهذا كان على مدار التاريخ، يسيل لعاب الفاتحين، ويحرك شهوات الطامعين، ويثير ما بين المستعمرين المنازعات والمنافسات، في وقائع حربية، ومغامرات سياسية، كما كانت سواحله على موعد مع كل مغامر⁽³⁾.

1. للمزيد من المعلومات عن شخصية الاسكندر المقدوني، ينظر: كارول جي توماس، عالم لاسكندر الأكبر، تر: خالد غريب علي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2007، ص 19-21.
2. محمد حسن العيدروس، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1998، ط2، ص 22.
3. قدرتي قلعي، الخليج العربي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1992، ط2، ص 25-26.

المبحث الأول: الموقع الجغرافي والتسمية

شكل الخليج العربي عبر مختلف الأزمنة منطقة إستراتيجية مهمة لنظام التجارة العالمية، وأهمية الخليج العربي تأتي من موقعة الجغرافي كمسار من مسارات طرق التجارة بين الشرق والغرب، ولهذا أدت العوامل الجغرافية دورا هاما وحاسما أحيانا في تشكيل طبيعة التجارة فيه⁽¹⁾. وقد سبق البرتغاليون غيرهم من الدول الأوروبية الأخرى في الوصول إليه واستعمار مناطق منه، والتحكم بخطوط الملاحة فيه، وذلك من خلال السيطرة على مفتاح الخليج العربي، واعني هنا مضيق هرمز⁽²⁾، والذي يعد واحد من أهم مضائق العالم كونه يتحكم بأكثر المناطق الأهمية في العالم قديما وحديثا⁽³⁾، حيث برزت أهمية الخليج العربي قبل اكتشاف البرتغاليين لطريق الرجاء الصالح في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، بموقعه الجغرافي ومركزه التجاري المتوسطين بين الشرق والغرب⁽⁴⁾.

أولا: الوصف الجغرافي:

يقع الخليج العربي بين خطي عرض 24° - 30° شمالا، وخطي طول 48° - 57° شرقا، ويبلغ طول الخليج على امتداد محور مضيق هرمز جنوبا إلى شط العرب⁽⁵⁾ شمالا الـ (1100) كم وعرضه الأقصى ما بين قسمه الشرقي الغربي 180 كم. ويبلغ عرض مضيق هرمز الذي يشكل مدخلا إلى الخليج العربي 85 كم⁽⁶⁾. ومساحة المسطح المائي 97000 ميل مربع،

1. سلطان بن محمد القاسمي، صراع القوى والتجارة في الخليج 1620-1820، منشورات القاسمي، الشارقة، 2016، ص 29.
2. للمزيد من التفصيل عن أهمية مضيق هرمز في القديم والحاضر، ينظر: حسين وحيد عزيز الكعبي، الموقع الجغرافي لمضيق هرمز واثره في رسم السياسات الدولية، مقال منشور في: مجلة كلية التربية الأساسية، ع 88، مج 21، السنة 2015، الناصرة، ص 437-470.
3. انظر خريطة رقم (2).
4. عبد العزيز عوض، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، دار الجيل، بيروت، 1991، ط1، ص7.
5. نهر ضخم يصلح للملاحة ويسمح بدخول السفن التجارية، والذي يتصل بالخليج العربي، ويعتبر المنفذ المائي الوحيد للعراق. وكان يعتبر من المناطق الحيوية في الخليج العربي وتتنافس عليه الدول الاستعمارية على هو المدخل السهل نحو وسط وشمال العراق. للتفاصيل ينظر: ج.ج. لوريمر، دليل الخليج العربي: القسم الجغرافي، ج1، تر: قسم الترجمة في مكتب امير قطر، مطابع علي بن علي، الدوحة، 1972، ص121.
6. نتاليا نيكولايفنا تومانوفيتش، الدول الأوروبية في الخليج العربي: من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، تر: سمير نجم الدين سطاتس، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، 2006، ص 59. معين الظاهر، جغرافية الوطن العربي، عمان، 2007، ص72.

أي ما يعادل قرابة (250000) كم⁽¹⁾². ويعتبر الخليج العربي من أكثر البحار ضحالة في العالم، فلا يتجاوز عمقه الـ(50) قامة⁽²⁾ إلا في أماكن قليلة منه⁽³⁾، ولهذا، تمتاز مياه الخليج العربي من أنها تنعدم فيها الأمواج العالية، ونادرا ما يتعرض للعواصف البحرية أو دوامات هوائية، ولذلك فهو يوفر بيئة بحرية ملائمة للملاحة البحرية على مدار السنة⁽⁴⁾. وتقع أعماق أعمق ممراته البحرية قرب الساحل الشرقي منه، بينما تمتد على الجانب الغربي شعاب مرجانية على عمق قليل فضلا عن انتشار مئات الجزر الصغيرة، والذي اغلها لا يصلح للحياة⁽⁵⁾.

وعندما نحلق فوق الخليج العربي، أو النظر من خلال صور الأقمار الصناعية يتجلى لنا الاختلاف بين الساحلين الشرقي والغربي للخليج العربي من حيث طبيعة التضاريس. ويحتوي الخليج العربي على عدد كبير من الجزر، والتي يتجاوز عددها الـ(130) جزيرة، وأكبرها هي جزيرة قشم (الإيرانية)، التي تقع في مدخل الخليج العربي على مقربة من مضيق هرمز، وهي تقريبا ملاصقة للساحل الشرقي. وهناك أيضا، جزيرة بوبيان، التي تقع في أقصى الشمال الغربي من الخليج العربي، وهي ملاصقة للساحل أيضا، وتبلغ مساحتها الـ(863) كم²، ثم تأتي بعدها من حيث المساحة جزيرة البحرين، وهي تقع في وسط الخليج العربي، وتتوسط شبة جزيرة قطر وساحل الأحساء على الطرف الغربي من الخليج العربي. وتبلغ مساحتها حوالي الـ(620) كم²، ويحيط بها عدد كبير من الجزر الصغيرة التي تتكون من الشعب المرجانية او ذات طابع رملي قاحل⁽⁶⁾. في حين تؤلف قطر أكبر شبة جزيرة في الخليج العربي، والتي امتداداتها على الساحل الغربي⁽⁷⁾.

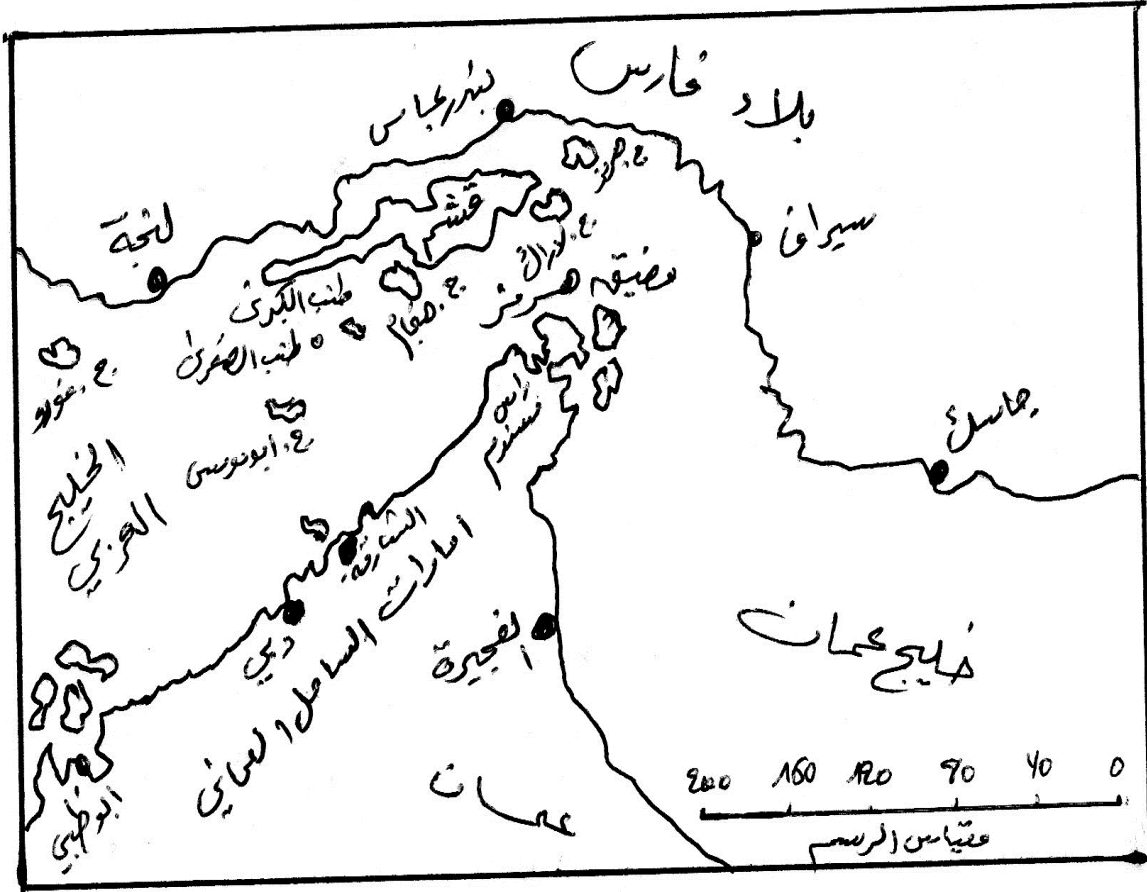
وتمتاز منطقة حوض الخليج العربي بارتفاع معدلات درجات الحرارة فيه، والتي قد تتجاوز الـ(50)%، بالإضافة إلى ارتفاع معدلات الرطوبة أيضا، والتي قد تصل في بعض

1. قدرتي قلعي، المرجع السابق، ص 26: معين الظاهر، جغرافية الوطن العربي، عمان، 2007، ص72.
2. القامة هي وحدة قياس العمق في البحار وتعاادل القامة الواحدة الـ 6 اقدام.
3. روبرت هاي، دول الخليج الفارسي، تر: يوسف الشاروني، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، 2004، ط1، ص 22-23.
4. ج.ج. لوريمر، دليل الخليج القسم الجغرافي، ج2، تر: قسم الترجمة في ديوان أمير قطر، مطابع علي بن علي، الدوحة، 1972، ص 85.
5. روبرت هاي، المصدر السابق، ص 22-23.
6. احمد العناني، جذور الحاضر الخليجي، المطبعة الوطنية الدوحة، 1982، ص 8
7. سليم طه التكريتي، المقاومة العربية في الخليج العربي، وزارة الثقافة والارشاد، بغداد، 1966، ص 11.

الأحيان إلى الـ(90)%. ويمتاز مناخ الخليج العربي بانخفاض معدلات الأمطار فيه بشكل واضح وملموس⁽¹⁾. وتكثر في مياه الخليج العربي الثروات السمكية فضلا عن مصائد اللؤلؤ⁽²⁾.

خريطة رقم (2)

مضيق هرمز بوابة الخليج العربي⁽³⁾



1. للمزيد من المعلومات عن المناخ في الخليج العربي، ينظر: سلطان بن محمد القاسمي، صراع القوى والتجارة في الخليج 1620-1820، منشورات القاسمي، الشارقة، 2016، ص 43-49.
2. روبرت هاي، المصدر السابق، ص 23.
3. الخريطة من صنع الباحث.

ثانياً: التكوين الجيولوجي:

من الناحية الجغرافية ، فان منطقة الخليج العربي مرت بمراحل تطور جيولوجي عبر تاريخها الطويل، حتى غدت إلى ما عليه الآن. وتنقسم منطقة الخليج العربي جيولوجيا إلى ثلاث أقسام متباينة، فهناك الهضبة العليا التي تطل مشارفها على الساحل الشرقي، وهناك الحوض الشمالي الذي يعتبر امتدادا لمنخفض بلاد الرافدين، والرصيف الداخلي الذي يشمل المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية⁽¹⁾. ويمكن دراستها جيولوجيا كالآتي:

1. المنطقة الشرقية:

تتألف المنطقة الشرقية من ساحل ضيق تليه سلاسل جبلية عالية نسبيا، وهي امتدادات لجبال زاكروز، وهي سلاسل جبال على شكل متوازي، وتأخذ بالارتفاع كلما تقدمنا شمالا، ويتراوح ارتفاعها ما بين 3000-5500 قدم. وسواحل هذه المنطقة اقل تعرجا منها في الساحل الغربي من الخليج العربي، ولهذا فهي تصلح لإقامة الموانئ عليه، ومن أشهرها، نذكر: بوشهر، بندرريق وبندرعباس وميناء لنجة⁽²⁾.

وعليه ، فان الطبيعة الجبلية تغلب على الساحل الشرقي من الخليج العربي، مع كثرة المنحدرات. وفي حالة وجود الشواطئ فهي ضيقة جدا لا تشكل إلا شقا ساحليا رفيعا في حالة تواجدها وتكبر قليلا لدى مصادفتها مصبات الأنهار الصغيرة على حدود الخليج العربي⁽³⁾. ولكن هذا السهل الساحلي يتسع كلما تقدمنا شمالا، انطلاقا من بوشهر - تقع ضمن حدود إيران حاليا-، ليتحد السهل بعد ذلك مع سهول دلتا نهري دجلة والفرات الواسعة⁽⁴⁾.

ولابد من الإشارة هنا، من السلاسل الجبلية التي كانت تفصل بين ساحل الخليج العربي والعمق الفارسي، كانت قد جعلت من الصعب الوصول من الساحل الى الداخل،

1. هيا علي جاسم آل ثاني، الخليج العربي في عصور ما قبل التاريخ، المكتبة العالمية، القاهرة، 1997، ط1، ص37.

2. قدرتي قلعي، المرجع السابق، ص 27-28.

3. جمال زكريا قاسم، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، مج 2: تطور نفوذ البريطاني في إمارات الخليج العربي والمنافسات الاقليمية 1840-1914، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996، ص 15.

4. المرجع نفسه ، ص 17

وبالعكس. واستحالت الأمر لوعرة المنطقة، ولم تكن هناك إلا طرق ثلاث يمكن المرور من خلالها إلى العمق الفارسي، ولكنها كانت غير آمنة وصعبة⁽¹⁾.

2. المنطقة الغربية:

وهي المنطقة التي تحدها شبة الجزيرة العربية، وتنتشر فيها سلاسل من التلال متوسطة الارتفاع على طول المنطقة، وتمتاز سواحلها بكثرة تعرجها مشكلا على طول امتداده عدة رؤوس وخلجان، ولكن معظمها لا يصلح لبناء موانئ تجارية بسبب ضحالة المياه⁽²⁾. وتنتشر قبالة المنطقة عدد من الجزر، ومن أشهرها جزيرة البحرين. كما تشتهر المنطقة الغربية بكثرة مصائد اللؤلؤ، وصيد الأسماك التي تتكاثر بأنواع عدة⁽³⁾. ويتميز الساحل الغربي للخليج بكونه مناطق منبسطة باستثناء منطقة قاعدة شبه جزيرة قطر وأقصى جنوب مضيق هرمز. ويتكون معظم الساحل الغربي بأنه ذا طبيعة رملية⁽⁴⁾.

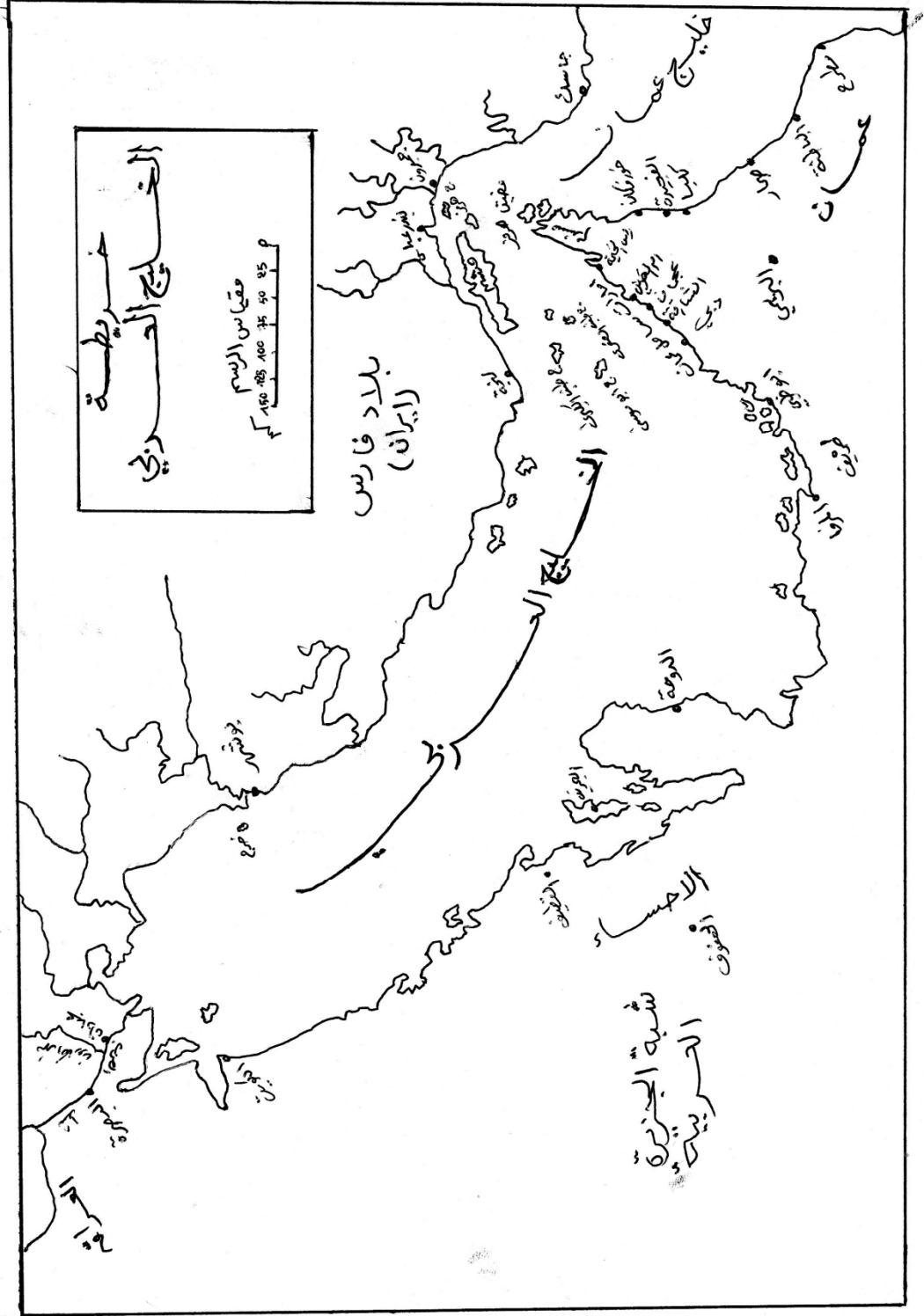
3. المنطقة الشمالية:

وهي منطقة سهوب بلاد الرافدين، جنوب العراق وغربي بلاد عربستان (الاهواز)⁽⁵⁾، وهي سهوب رسوبية حديثة التكوين، وغنية بالثروات المائية، وتنتشر فيها غابات النخيل، كما تتشكل فيها المستنقعات المائية، وكان موطن للحضارات عبر الزمن، وهي من أكثر مناطق الخليج العربي خصوبة وصلاحية للزراعة⁽⁶⁾.

1. ب. ج. سلوت ، عرب الخليج في ضوء مصادر شركة الهند الشرقية الهولندية 1602-1784، تر: عايدة خوري، مر: محمد مرسي عبد الله، المجمع الثقافي، أبوظبي، 1993 ، ط1، ص 29.
2. سلطان بن محمد القاسمي، المرجع السابق، ص 37.
3. قدرتي قلعي، المرجع السابق، ص 28-29.
4. سلطان بن محمد القاسمي، المرجع السابق، ص 38.
5. تشكل عربستان في الوقت الحالي جزءاً من إقليم خورستان وعاصمتها الأهواز، وهي ضمن حدود ابران حالياً.
6. قدرتي قلعي، المرجع السابق، ص 29.

خارطة رقم (1)

حوض الخليج العربي (1)



1. الخارطة من عمل الباحث

ثالثاً: الأهمية الإستراتيجية للخليج العربي:

يحتل الخليج العربي موقعا فريدا، إذ تؤلف سواحله الغربية المنافذ الطبيعية للأقاليم الداخلية، كما يتصل من الناحية الشمالية بنهر دجلة والفرات عبر شط العرب. لذلك كانت أهميته الإستراتيجية تتركز في كونه جسرا بين الغرب والشرق، وطريق مواصلات فريد بين أوربا والشرق. ولذلك كان موقع الخليج العربي هذا، سبب التنافس على مر العصور بين الدول الطامعة في الشرق وفي ثرواته وخيراته⁽¹⁾.

ويعتبر الخليج العربي بحر مقفل في الشمال منفذه الوحيد في اتجاه الجنوب، يمر عبر مضيق هرمز⁽²⁾، أدى تكوينه الجيولوجي إلى وجود العشرات من الجزر الصغيرة المتناثرة التي كان لها دور هام في المجال العسكري، مثلا جزيرة هرمز تعتبر مفتاح الخليج العربي الذي من دونها لا يمكن التحكم به مطلقا، مما جعلها من أكثر مناطق العالم أهمية⁽³⁾. ويرى العديد من الباحثين من أن مفهوم الخليج العربي من ناحية الجغرافية السياسية أكثر اتساعا من ناحية الجغرافية الطبيعية، إذ يضم عدد من الوحدات السياسية التي ليست لها سواحل خليجية، فيتسع الحديث عنه ليشمل اليمن وباب المندب حتى قناة السويس إضافة إلى تركيا، أفغانستان، باكستان، الهند، حيث أن هناك تواصل حضاري وديني منذ القدم كذلك ارتباطه بالمحيط الهندي⁽⁴⁾.

احتلت منطقة الخليج العربي مكانة إستراتيجية كبيرة، فقد كان معبرا لتجارة ما بين الشرق والغرب البحرية⁽⁵⁾، مما أكسب الموقع الجغرافي لهذه المنطقة أهمية قصوى، وجعلها

1. سليم طه التكريتي، المرجع السابق، ص 11.
2. انطوان متي، الخليج العربي من الاستعمار البريطاني حتى الثورة الإيرانية 1798-1978، بيروت، 1993، ط3، ص 19.
3. محمد السعيد إدريس، النظام الإقليمي للخليج العربي، بيروت، 2000، ص 25.
4. ظافر محمد العجمي، أمن الخليج العربي تطوره وإشكالياته من منظور العلاقات الإقليمية والدولية، بيروت، 2006، ط1، ص 47-48؛ انطوان متي، المرجع السابق، ص 19-20.
5. كانت السفن العربية منذ القدم تسلك في إبحارها وهي تنقل مختلف السلع والبضائع من الشرق الأقصى والهند، طريق بحر الصين في المحيط الهندي فالبحر العربي فالخليج العربي حتى رأسه الشمالي جنوب العراق، ومن هناك تنقل تلك الحمولات برا عبر العراق إلى حلب ثم إلى موانئ البحر المتوسط ليتم نقلها إلى البندقية وإلى بقية أنحاء فلهم المنطقة تأثير قوى على الأوضاع السياسية والاقتصادية في العصر الحديث ليس فقط في العالم العربي وإنما في العالم كله. للتفاصيل ينظر: فاروق عمر فوزي، تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى، الدار العربية، بغداد، 1986، ط 2، ص 63-66.

موضع منافسة بين العديد من الدول سواء المحلية منها أو الأجنبية، على أن ازدهار تجارة الخليج يعود بشكل أساسي إلى انتقال الخلافة العباسية إلى بغداد عام 762م. هذا الحدث التاريخي له أهمية في اتساع رقعة التجارة ولاسيما البحرية منها مع بلاد الشرق، إذ وصل العرب إلى مالينبار وسرنديب وجزر الهند الشرقية، وعبروا سيام ورسست سفنهم في جنوب الصين، وانتقال التجارة الإسلامية إلى منطقة الخليج أدى إلى بروز مهارات ملاحية في المنطقة قادت إلى سيطرة العرب والمسلمين على التجارة الدولية، أما طرق تجارة الخليج فكانت تتفرع إلى طريقين. أحدهما يتجه إلى شرق إفريقيا، فمن شرق إفريقيا يتم استيراد العاج والذهب وسن الفيل والرقيق، أما المواد الغذائية والملابس والخشب فيتم جلبها من الهند والصين. استمرت هيمنة العرب المسلمين شبه احتكارية على طريق التجارة الشرقية وخاصة منطقة المحيط الهندي، إلى حين مجيء البرتغاليين⁽¹⁾.

وتفوقت التجارة المنقولة عبر الخليج العربي على مثيلتها في البحر الأحمر - ذي الشعاب المرجانية والسواحل المجذبة- فبلغت ثلاثة أمثالها في معظم الأحيان على الرغم من قصر المسافة بين السويس والإسكندرية بمقارنتها بين البصرة وحلب، وعلى الرغم من شدة الحرارة خلال فصل الصيف وتعرض القوافل التجارية لغارات القبائل البدوية⁽²⁾.

رابعاً: تسمية الخليج العربي:

إن تسمية حوض الخليج العربي، بمسماها المعروف هذا نسبة إلى سكانه، بمعنى أن هذا المسطح المائي اكتسب مسماها ممن عاشوا على ضفافه لمئات السنين، واعني هنا العرب. وهذا يعني ان الخليج لم يكن فارسيا في يوم من الأيام. ومنذ القدم أطلق عليه العديد من التسميات، مثل: اسم (بحر أرض الإله) حتى الألف الثالث قبل الميلاد(بحر بلاد الكلدان) في الألف قبل الميلاد. ومن ثم عرف باسم (بحر الجنوب) خلال النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد. وسماه الآشوريون والبابليون والأكاديون:(البحر الجنوبي) أو(البحر السفلي). أما أول من أطلق عليه تسمية (الخليج العربي) فهو المؤرخ الروماني بلينيوس في

1. عبيد بن بطي، جوانب من جغرافية الخليج العربي، مقال منشور في مجلة: آفاق الثقافة والتراث،

العدد 3، السنة 1993، ابوظبي، ص 40.

2. عبد العزيز عوض، المصدر السابق، ص11؛ قدرى قلعي، المرجع السابق، ص 27-28.

القرن الأول الميلادي، وفي تلك الفترة كان حوض الخليج العربي بكل سواحلته تحت سيطرة الإمبراطورية الرومانية⁽¹⁾.

ولاشك أن هذه التسمية التي أطلقها الرومان على الخليج في ذلك الوقت إنما يرجع إلى سيطرة العرب على المراكز التجارية والملاحية على امتداد هذا الحوض المائي آنذاك. وما يؤكد ذلك أن السواحل الشرقية لهذا الخليج، تفصلها عن العمق الفارسي سلاسل جبال شاهقة ووعرة جدا، ويصعب النفاذ من خلالها من الساحل إلى العمق والعكس أيضا. باستثناء عدد محدود من الممرات الجبلية التي كانت تتصف بالوعرة وعدم الأمان⁽²⁾. وهذه الجبال عزلت سكان بلاد فارس عن حياة البحر وممارسة الأنشطة البحرية بشكل كبير، إضافة إلى ما اشتهر به الفرس منذ أقدم العصور بخوفهم من البحر وقلة أنشطتهم فيه سواء المدنية أو العسكرية⁽³⁾. ومما يؤكد صحة هذا الرأي، كانت بلاد فارس تفتقر لأسطول بحري يساعدها على مواجهة أعدائها أو تحقيق مخططاتها في الخليج العربي. وقد دفع ذلك الكثير من المؤرخين - وحتى الغربيين- إلى القول بأن الخليج ليس فيه شيء فارسي سوا اسمه فقط، وأن اسم الخليج العربي يمثل حقيقة جغرافية ثابتة⁽⁴⁾.

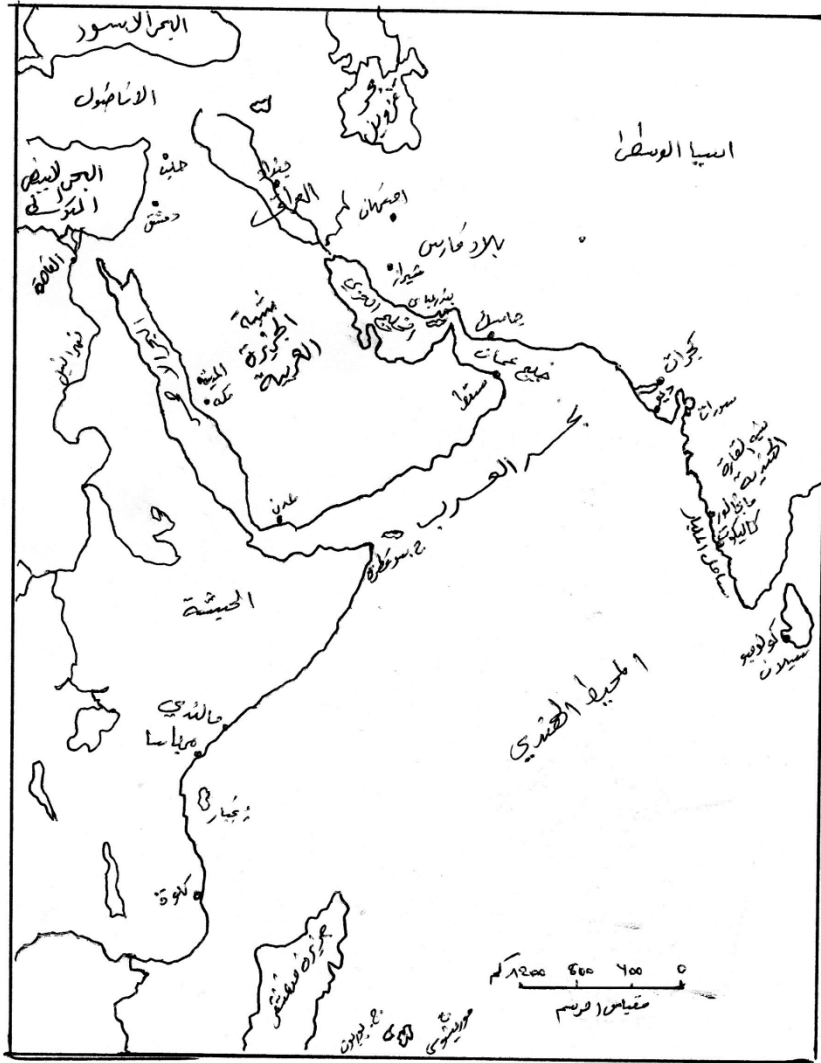
لقد مثلت الادعاءات السياسية الإيرانية في الساحل الغربي للخليج ببعض مشاكل المنطقة. وخاصة حين عملت بريطانيا خلال حقبة الخمسينيات والستينيات على استغلال هذه الادعاءات لمقاومة تيار القومية العربية الزاحف إلى تلك الأطراف. وقد برزت الادعاءات الإيرانية نتيجة لعوامل اقتصادية تمثلت في ظهور البترول وقبل ذلك بوجود مغاصات اللؤلؤ، على أنه إذا كانت إيران قد تمسكت بتسمية الخليج باسم (الفارسي) وأكدت بعض ادعاءاتها على أساس تلك التسمية فلا يعنى ذلك ان الأسماء تؤلف حقوقا. فالخليج بصفته كان موطننا للعرب، إذ سكنته قبائل عربية أصيلة، وما زالت قبائل عربية منها (بنو كعب)⁽⁵⁾ و(بنو تميم)⁽¹⁾، وأغلب سكانه من أصول عربية (حوالي 95%) وإن كان

1. جمال زكريا قاسم، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، مج 1: الامارات العربية في عصر التوسع الاول الاوربي 1507-1840، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996، ص 18.
2. ج.ب. سلوت، المصدر السابق، ص 29.
3. عبد العزيز عوض، المرجع السابق، ص 179.
4. جمال زكريا قاسم، الامارات العربية في عصر التوسع الاول الاوربي، ص 21.
5. كعب: اشتقت هذه القبيلة اسمها من إمارة كعب العربية التي كان أصلها من نجد، وقد استقرت في أواخر القرن السابع عشر في الجزء الجنوبي الغربي من حوض الكارون. للمزيد من التفاصيل عنها، ينظر: علاء موسى كاظم نورس وعماد عبد السلام رؤوف، إمارة كعب العربية في القرن الثامن عشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد.

معظمهم قد استعجم وفشت بينهم اللغة الفارسية، وإلى عهد قريب كان يطلق اسم (عربستان) على أجزاء كبيرة من ذلك الساحل، ومعناها أرض العرب، ولعل ذلك كان اعترافاً ضمناً من فارس أو من اللغة الفارسية بعروبة هذا الساحل، وليس من شك في أن استقرار تلك القبائل العربية على الساحل الشرقي قد أكد للخليج صفته العربية من جانبه⁽²⁾.

خريطة رقم (3)

توضح موقع الخليج العربي في فضاء المحيط الهندي⁽³⁾



1. تميم: قبيلة عربية كثيرة العدد، وترجع أصولها إلى الجزيرة العربية وتحديدًا في الحجاز، وقد نزحت نحو بادية الشام ومنهم من نزح نحو الخليج العربي. أنظر: محمد أمين البغدادي السويدي، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، بلا معلومات أخرى، ص 46.
2. ينتمي (بنو كعب) إلى قبيلة أرد المعروفة في الجزيرة العربية.
3. الخريطة من عمل الباحث.

المبحث الثاني : الظهور الأوربي في منطقة الخليج العربي

مما لا شك في أن نجاح البرتغاليين في اكتشاف طريق الرجاء الصالح والوصول إلى سواحل الهند الغربية ثم اتجاههم إلى احتكار تجارة الشرق بالسيطرة على المنافذ البحرية التي كانت تعبر منها : الخليج العربي والبحر الأحمر في طريقها إلى أوربا عبر موانئ البحر الأبيض المتوسط، يشكل نهاية عصر قديم وبداية عصر جديد، وذلك أن منطقة الخليج العربي التي كانت تعيش عصرا ذهبيا في الملاحة و التجارة، قبل وصول البرتغاليين إليها سنة 1507، لم تلبث أن فقدت أهميتها التجارية بتحويل التجارة إلى الطريق البحري المباشر، وانتقلت المنطقة إلى مرحلة التدهور والانكماش منذ بداية العصر الحديث بل، أن أوضاع الخليج العربي المتدهورة، لم تلبث أن أحدثت تأثيرها على بقية العالم العربي⁽¹⁾.

ومن ناحية فتح البرتغاليون بوصولهم إلى المحيط الهندي الباب أمام قوى أوربية أخرى: هولندا وانكلترا وفرنسا، لان تتحرك وتعمل بحماس من اجل الحصول على مراكز تجارية لها بالمنطقة عامة والخليج العربي خاصة، ولانكشف سرا ، إن قلنا اناي قوة إذا ما أرادت السيطرة على الخليج العربي، يجب أن تكون قوة بحرية من الدرجة الأقصى، إذ أثبتت الأحداث، إن من يريد السيطرة على منطقة الخليج العربي، يجب أن تكون قوة بحرية على مقدره لتحمل مشاق أي تهديد لها فيه. وذلك بحكم طبيعة منطقة الخليج العربي ذات النزعة البحرية، وهذا على مدى عصورها التاريخية. ومما يؤكد ذلك أن سيطرة الدول الأوربية البحرية على مقدرات منطقة الخليج العربي لم تجد مقاومة إلا من القوى البحرية المحلية التي ظهرت واستطاعت أن تنازعها البقاء فيما⁽²⁾.

أولا: الوضع السياسي في الخليج العربي قبيل الغزو الأوربي

لم يكن للصراعات والاضطرابات بين القوى المحلية- التي يشهدها الخليج العربي- تأثيرها السلبي على النشاط التجاري الذي كان يشهد تناميا مطردا عبر الوقت. حتى إننا نجد أن الخليج العربي كان بعيدا عن فضاءات الأطماع وروح الهيمنة للدول الإسلامية التي كانت

1. جمال زكريا قاسم، الامارات العربية في عصر التوسع الاول الأوربي، ص 11

2. كما حدث في صراع اليعاربة ضد البرتغاليين أو محاولة القواسم وغيرهم من القوى المحلية التصدي للقوة البحرية الانكليزية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، وتمكن الأنكليز من تدعيم نفوذهم في الخليج العربي على غرار بقية الدول الأوربية الأخرى على نحو ما .

تحيط به. ونتيجة ذلك⁽¹⁾، نعمت منطقة الخليج العربي قبل الغزو الأوربي بالرخاء الاقتصادي، فازدهرت موانئ البصرة وسيراف والبحرين ومسقط وقلهات وقيس وهرمز في حقب متفاوتة الأزمنة وقامت بدور نشط مهم وفعال في النشاط التجاري والتبادل الثقافي والتعامل الحضاري مع موانئ المحيط الهندي، طالما بقيت الملاحة العربية آمنة في المياه الشرقية، فقد كانت هرمز عاصمة لمملكة واسعة ضمت معظم السواحل الشرقية والغربية للخليج العربي وسيطرت على التجارة بين موانئ الساحل الغربي للهند وموانئ الخليج العربي، فحققت بذلك أقوى تنظيم سياسي واقتصادي عرفته منطقة الخليج العربي⁽²⁾.

ارتبطت الحالة السياسية للكيانات العربية في الخليج العربي خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين وبداية القرن السادس عشر الميلادي، بوجود مملكة هرمز وفرض سلطانها على الإمارات الممتدة من البحرين إلى القطيف إلى ساحل عمان. واستطاعت مملكة هرمز بنشاطها التجاري أن تكون من أعظم الدول التي شهدتها المنطقة عظمة وثناء، وربما يرجع سبب ذلك الازدهار إلى أن دائرة النشاط التجاري قد اتسعت في نهاية العصور الوسطى فلم تعد مقصورة على نقل التجارة بين الهند وسواحل شرق إفريقيا إلى قلب العالم الإسلامي بل أصبحت جزيرة هرمز تمثل الحلقة الهامة في نقل التجارة العالمية بين الشرق والغرب وخاصة حين دخلت المدن الإيطالية ذلك الميدان، وأصبحت هرمز مثلاً يضرب على الثراء وأن من يمتلكها يمتلك العالم بأسره⁽³⁾.

ومع بداية القرن الخامس عشر بدأ الضعف يدب في كيان هرمز⁽⁴⁾ بسبب تفاقم الصراع بين أفراد الأسرة المالكة، ولعل ذلك الصراع هو الذي شجع القبائل العربية المنتشرة على طول السواحل الشرقية للجزيرة العربية على التخلص من تبعية هرمز والأمر الذي

1. في مطلع القرن السادس عشر الميلادي تنامى نفوذ ثلاث دول تصارعت فيما بينها على مد السيطرة وفرض الهيمنة في المشرق الإسلامي، وهي الدولة العثمانية، الدولة الصفوية في بلاد فارس ودولة المماليك التي حكمت مصر وبلاد الشام وغرب الجزيرة العربية. للتفاصيل ينظر: حيدر لازم عزيز، السياسة البرتغالية تجاه البصرة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، مقال منشور في: مجلة الخليج العربي، ع 3-4، مج 46، السنة 2018، البصرة، ص 69.

2. للتفاصيل أكثر عن رقي الحياة التجارية في الخليج العربي قبل وصول البرتغاليين ينظر: ارنولد ت. ويلسون، تاريخ الخليج العربي، تر: محمد أمين عبد الله، وزارة التراث والثقافة، مسقط، 2016، ط4، ص 45-65.

3. محمد حميد سلمان، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة ما بين 1507-1525، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، 2000، ص 106-107.

4. انظر خريطة رقم (1).

لاشك فيه أن عدم وجود سلطة مركزية قوية هي التي ساعدت المناطق التابعة لهرمز على الاستقلال. ومن الطبيعي أن يؤدي تفسخ مملكة هرمز إلى إفساح المجال لظهور مجموعة من القوى السياسية خلال النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادي وقد استطاعت تلك القوى منازعة هرمز في سيادتها، وما كاد ينتصف القرن الخامس عشر حتى كان بنو جبر قد نجحوا في تسيير دفة أمورهم مستقلين تماما عن مملكة هرمز. وكان هذا التعاضم في النفوذ الذي بلغه الجبور⁽¹⁾ رافعا لاستئناف الصراع بينهم وبين ملوك هرمز، وإن كان من سوء الطالع أن يواكب ذلك الصراع وصول البرتغاليين إلى سواحل الخليج فعملوا على تعميقه تحقيقا لمصالحهم⁽²⁾.

ويتبين لنا ذلك أن الصراع الذي كان قائما بين ملوك هرمز وشيوخ الجبور كان هو الوضع السائد في الخل-يج العربي لحظة وصل البرتغاليين إلى مدخله. وعلى الرغم من أن الجبور كانوا هم القوة الصاعدة إلا أن هرمز كانت هي القوة الرسمية المتصدية لزعامة الخليج العربي، وكان عليها أن تتكفل بحماية الخليج من الغزو البرتغالي المفاجئ رغم التفكك السياسي الذي أخذت تعاني منه⁽³⁾.

ولعل مما يلفت النظر في هذه المرحلة من التهديد الأجنبي، أن الدولة الصفوية الناشئة في بلاد فارس لم تتعاون مع مملكة هرمز في هذه المهمة، بمواجهة الغزو البرتغالي للخليج العربي. وهي ملاحظة لها أهميتها الخاصة، لأنها دليل واضح على عدم تبعية هرمز للدولة الصفوية أو للدول التي سبقتها في بلاد فارس، وذلك خلافا لادعاءات بعض الكتاب الإيرانيين المعاصرين الذين تبادوا في تطبيق النظرة القومية الشوفينية على ذلك العهد إلى حد ادعائهم بان نفوذ بلاد فارس كان يمتد على طول سواحل شرق الجزيرة العربية باعتبار تبعية هرمز للسيادة الفارسية. وحقيقة الأمر إن مملكة هرمز لم تكن دولة حتى دولة مظهر قومي، فهي لم تكن عربية- بمعنى كل سكانها او غالبتهم عرب- ولم تكن فارسية لقلّة العنصر الفارسي فيها، وإنما كانت دولة إسلامية تضم مختلف القوميات المسلمة، لان الفكرة آنذاك،

1. ينسب الجبور قبليا الى مجموعة البطون ، وينحدرون من عقيل بن عامر بن عبد القيس بن ربيعة، وعرفوا (العمور او العمائر)، وينسبون الى بني خالد. ينظر: محمد حميد السلطان، المرجع السابق، ص 117.

2. نتاليا نيكولايفتا تومانوفيتش المرجع السابق، ص 69-75؛ وللتفاصيل أكثر، ينظر : عبد اللطيف الحميدان، التاريخ السياسي لإمارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية، مقال منشور في: مجلة كلية الآداب، ع 16 ، السنة 1980، البصرة.

3. محمد حميد السلطان، المرجع السابق، ص 117.

لم تكن على أساس الانتماء القومي بقدر ما هو الانتماء الروحي، ولكن العنصر الأساس الذي كان يقيم في الخليج العربي هم العرب- ولاجدال في ذلك- وتمتع فيه العرب بالنفوذ الأدبي⁽¹⁾.

ثانيا: الغزو البرتغالي

اجتمعت مجموعة من الدوافع والأسباب التي حفزت البرتغاليين لخوض غمار تحدي العرب في منطقة الخليج العربي. إذ لم يكن الغزو البرتغالي للمنطقة وليد سبب معين او بذاته، وحتى السياسة التي انتهجتها البرتغال في المنطقة كانت نتيجة للإطماع الاقتصادية وسياسية في المنطقة. ولهذا استمت سياستها تجاه القوى المحلية والإقليمية بالعنف والبطش، وذلك في محاولة لإنهاء اي نوع من أنواع المقاومة.

1. دوافع الغزو :

كان البرتغال في مقدمة الدول الأوروبية التي أمتد نفوذها إلى منطقة البحر الأحمر فقد أحدثت اكتشافاتهم الجغرافية في مطلع العصور الحديثة تغيرات جذرية في الأوضاع القائمة في البحار الشرقية⁽²⁾. وقد وصل هؤلاء نهاية القرن الخامس عشر الميلادي إلى غرب شبه القارة الهندية، وبمرور الوقت، ثبت البرتغاليون أقدامهم في أماكن إستراتيجية عديدة من المحيط الهندي سعياً وراء إحكام السيطرة على طرق التجارة القديمة التي كانت تسير من الهند إلى البحر الأبيض المتوسط عبر طريقي: الخليج العربي والبحر الأحمر. وكانت البرتغال أول دولة أوروبية تضع في طموحاتها التوسعية في منطقة الخليج العربي تحت التنفيذ⁽³⁾.

لقد تعددت دوافع الغزو البرتغالي لمنطقة الخليج العربي، فمنها: الدافع الاقتصادي والدافع السياسي والى حد ما الدافع الديني، فضلا عن الدافع الاستعماري لبناء إمبراطورية كبيرة في الشرق. ومع ذلك، يعد الدافع الاقتصادي من أهم دوافع التي حركت البرتغاليين للسيطرة على منطقة الخليج العربي، ذلك لرغبتهم في احتكار تجارة الشرق المغرية، ومن ثم

1. صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1965، ص 10-

11.

2. نصير أحمد نور أحمد، شركة الهند الشرقية الانجليزية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية/ جامعة أم القرى، مكة المكرمة،

1991، ص32

3. طارق نافع الحمداني، الخليج و الجزيرة العربية من القرن السادس عشر إلى القرن العشرين، شركة الوراق للنشر المحدودة، بغداد، 2011، ط1، ص11.

إنهاء دور العرب المسلمين وخنق اقتصادهم، بإغلاق منافذ التجارة العربية⁽¹⁾، فمنذ أقدم الأزمنة كانت التجارة بين الشرق والغرب تسلك طريقين بحريين، هما: طريق البحر الأحمر والأراضي المصرية، وطريق الخليج العربي مروراً بالعراق وبلاد الشام، وكان المستفيد الأكبر من انتقال تلك التجارة هم دولتين: المماليك والبنادقة⁽²⁾. وكان الأوروبيون عموماً يرغبون في التخلص من الضرائب والرسوم الباهظة التي فرضتها حكومة المماليك على التجارة المارة في موانئ مصر وبلاد الشام، كما سعوا إلى التخلص من سياسة الاحتكار للبضائع الشرقية- وخاصة تجارة التوابل- والتي جعلت المستفيد منها المماليك والبنادقة فقط⁽³⁾.

ومن أجل فك الاحتكار العربي والبندقية لتجارة التوابل ولأجل إضعاف الاقتصاد العربي الإسلامي توجه البرتغاليون لاكتشاف طرق تجارية جديدة تمنع التجارة الشرقية من دخولها الأراضي الإسلامية أو البحار الإسلامية فضلاً عن احتكارهم لها. فكانت البرتغال في طليعة الدول الأوروبية التي عملت على كسر ذلك الاحتكار بإيجاد طريق بديل غير طريق البحر المتوسط يوصلهم إلى الشرق مباشرة. وبعد تحقيق غايتهم، أتسع نشاطهم التجاري في الهند وجزر الهند الشرقية وسيطروا على مصادر التوابل والسلع الشرقية، وبذلك تخلصوا من الوساطة التجارية العربية والإسلامية بين آسيا وأوروبا⁽⁴⁾، وعملوا على دعم مركزهم التجاري في شمال أوروبا بتوزيع البضائع الشرقية بأنفسهم بأسعار منخفضة للإضرار بتجارة البندقية، وهكذا أصبحت البرتغال في أوائل القرن السادس عشر الميلادي أكبر ناقل للتجارة بين الشرق والغرب. وأغرقت أسواق أوروبا بالسلع الهندية وبأسعار رخيصة، مما جعل تجار أوروبا يرتادون أسواق لشبونة ويهملون اتصالهم بأسواق المدن الإيطالية ومصر وبلاد الشام⁽⁵⁾.

أما الدافع الديني فلا يقل أهمية عن الدافع الاقتصادي، ومن الصعب الفصل بينهما، أو تفضيل أحدهما على الآخر، حيث أستغل البرتغاليون العامل الديني لتحقيق هدفهم الأساس المتمثل في الاستغلال والاحتكار التجاري. وكانت فكرة محاربة المسلمين قد لاقت قبولاً عاماً في غرب أوروبا منذ الربع الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي، ففي شبه جزيرة أيبيريا، كان ملك قشتالة الفونسو السادس (Alfonso VI) يواصل ضغطه على الممالك

1. طارق نافع الحمداي، المرجع نفسه، ص 14.

2. ج.ج. لوريمر، دليل الخليج- القسم التاريخي، ج 1، (د.م.ن)، الدوحة، 1967، ص 3.

3. المصدر نفسه، ص 4.

4. كات فليت، التجارة بين أوروبا والبلدان الإسلامية في ظل الدولة العثمانية. تر: أيمن الامنازي، مكتبة العبيكان، الرياض، 2004، ط 1، ص 19.

5. ثامر عزام حمد، الغزو البرتغالي للخليج العربي دراسة في الاسباب والنتائج، مقال منشور في: مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، ع 2، السنة 2009، تكريت، ص 178.

الإسلامية للسيطرة عليها⁽¹⁾. وكذلك البرتغاليين أتوا إلى الشرق وهم مشبعون بالروح الصليبية وأثار حروبها المريعة من جهة، والصراع مع العرب المسلمين في شبه الجزيرة الايبيرية وشمال افريقيا من جهة أخرى، فكان المستكشفون البرتغاليون الأوائل متشوقين لنشر المسيحية وجعلها تهمين على العالم، إلى جانب اكتشاف البلدان التي يجلبون منها السلع الشرقية⁽²⁾.

وتدل وحشية البرتغاليين في تعاملهم مع العرب المسلمين في الشرق على قوة الروح الصليبية لديهم، وقد أستهدفوا القضاء على القوة السياسية والاقتصادية للمسلمين في الشرق واحتكار تجارتهم ونشر المسيحية. وتظهر سيطرت الروح الصليبية على سلوك ضباط البحرية البرتغالية تعاملوا بكل قسوة مع اهالي المنطقة⁽³⁾، ويجسد هذه الحقيقة الضابط البحري الفونسو دي البوكيرك (Alfonso de Albuquerque)⁽⁴⁾ الذي استهل حياته العسكرية في البحرية البرتغالية على سواحل المغرب ثم انتقل إلى ميدان الصراع البحري في

1. تامر عزام حمد ، نفس المرجع ، ص 179

2. عصام محمد علي عدوان. الصراع العثماني البرتغالي البحري في القرن السادس عشر ، مقال منشور في: مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية ، العدد 51، ديسمبر 2019، القدس، ص 45

3. عبد العزيز عوض، مصدر سابق ، ص 113

4. الفونسو دي البوكيرك: هو الابن الثاني لغونزالو دي البوكيرك ، لورد فيلا فيردي دوس فرانكوس، ولد في عام 1453 في فيلا فرانكا دي إكسيرا في البرتغال. شارك في الحرب التي دارت بين العثمانيين ومملكة نابولي عام 1480، وكان من أوائل المغامرين البرتغاليين في استكشاف طريق نحو الهند عبر الدوران حول افريقيا. وانطلق عام 1489. وفي يوم 6 أبريل 1503 ، غادر متوجهاً إلى الهند ، وشارك في العديد من المعارك في المحيط الهندي ، وبنى قلعة في كوشين . وفي عام 1506 ، استولى على أرخبيل سقطرى عند مدخل البحر الأحمر، وفي أكتوبر 1507 ، استولى على هرمز عند مدخل الخليج العربي ، وبذلك أغلق الممرات البحرية العربية على طول القرن الافريقي. وفي عام 1508 ، خلف فرانسيسكو دي ألميدا كقائد ملك لجزر الهند، وفي أكتوبر 1510 ، استولى على جوا ونهبها وجعلها عاصمة للممتلكات البرتغالية. وفي جويلية عام 1511، قاد حملة للسيطرة على ميناء ملقا ، مما سمح للبرتغاليين بالتجارة مع سيام والصين وجزر الملوك. وفي فيفري عام 1513 حاول السيطرة على مضيق باب المندب ، ولكنه فشل في ذلك. وصلت هيئته إلى ذروتها عندما وضع أسس الإمبراطورية الاستعمارية البرتغالية في الشرق وأطلق عليه لقب "العظيم". وتم تعيينه دوق جوا من قبل الملك مانويل الأول قبل وفاته بفترة وجيزة ، وكان أول دوق برتغالي ليس من العائلة المالكة وأول لقب من النبلاء من ملكية خارجية. وفي سبتمبر 1515 في هرمز ، مرض البوكيرك ووصل في 8 نوفمبر إلى غوا. هناك تنتظره أخبار استبداله من قبل لوبو سواريس دي ألبيرجاليا. مات في 16 ديسمبر عام 1515 في غوا، ونقل الى لشبونة ودفن هناك. للتفاصيل ينظر:

تاريخ الزيارة في : 20 ديسمبر 2019 https://fr.wikipedia.org/wiki/Afonso_de_Albuquerque

بحار الشرق. بالإضافة إلى ما ذكرناه ، فان هناك دافع آخر مهم وهو الهدف السياسي الذي يتضمن رغبة البرتغال في تأسيس إمبراطورية توسعية تضم شرق إفريقيا والهند والخليج العربي، والساحل الجنوبي للجزيرة العربية، والسيطرة على عدن والتسلل الى البحر الأحمر و التحكم في سواحله⁽¹⁾.

وقد كلف البوكيرك من قبل امانويل الثاني ملك البرتغال بإعداد مشروع يهدف إلى إنشاء إمبراطورية برتغالية كبيرة في الشرق ولذلك علق البوكيرك أهمية كبيرة على بناء القلاع العسكرية الحصينة وانتزاع اعتراف الحكام المحليين بالبرتغال كسلطة مهيمنة، ولتحقيق هذا المشروع اتجه إلى تدمير الأساطيل المحلية والتخلص منها، كما قام بأعمال شاذة غير إنسانية ضد البحارة المسلمين، وإلى البوكيرك ينسب بناء مجموعة من الحصون البرتغالية التي وصفت بالحصون التي لا تقهر في كل من هرمز ومسقط والبحرين، ولا تزال هذه الحصون باقية حتى يومنا هذا شاهدة على ما كان عليه البرتغاليون من غلظة وتسلط⁽²⁾.

2- السياسة البرتغالية في الخليج العربي:

ما لبث البرتغاليون بعد وصولهم إلى مصادر تجارة الشرق أن واجهوا المسلمين بعنف وقسوة واستطاعوا أن يقضوا على وساطتهم التجارية⁽³⁾، ويحتكروا التجارة لأنفسهم ويضعفوا ما كان للعرب والمسلمين فيها من نشاط ظاهر، ناهيك عما اتسم به الصراع الذي نشب بين البرتغاليين والمسلمين بنزعات غير إنسانية وتعصب ديني صارخ أعاد إلى الأذهان ذكرى الحروب الصليبية في العصور الوسطى . وكان من أبرز ما أستهدفه البرتغاليون تحطيم مملكة هرمز التي كانت تتمتع بثراء كبير طيلة العصور الوسطى. ويمكن تأريخ بداية العمليات العسكرية البرتغالية في الخليج حين تحركت ستة عشر سفينة برتغالية في عام 1507 يقودها البوكيرك بنفسه للسيطرة على هرمز لأهمية موقعها الاستراتيجي كمنفذ للخليج وباعتبارها اقوى تنظيم سياسي واقتصادي عرفته المنطقة في ذلك الوقت⁽⁴⁾.

1. عصام محمد علي عدوان، المرجع السابق ، ص 45
2. نتاليا نيكولاينتا تومانوفيتش ، المرجع السابق ، ص 74
3. تجدر الإشارة إلى أن كثيرا من الباحثين الأوربيين أطلقوا على الوساطة التجارية التي كان يقوم بها العرب الاحتكار التجاري وإن كان من المعروف ان النشاط البحري هو الذي جعل لهم دورا في تجارة الشرق وليس احتكارهم للتجارة كما فعل البرتغاليون، انظر: ج.ج لوريمر: المصدر السابق ، ص 3.
4. ارنولد ت. ويلسون، المصدر السابق، ص 77-78.

وعلى الرغم من أن البرتغاليين بدأ أول احتكاكهم بمنطقة الخليج العربي بوصولهم إلى هرمز في عام 1507، إلا أن عملياتهم العسكرية لم تظهر واضحة في هذه الفترة المبكرة من أوائل القرن السادس عشر الميلادي، إذ اضطر البرتغاليون إلى وقف عملياتهم في هرمز بهدف التفرغ لحرب المماليك في المحيط الهندي، ولم يعاود البرتغاليون اهتمامهم بإخضاع هرمز إلى بعد ذلك بعدة سنوات وعلى وجه التحديد في عام 1515⁽¹⁾. ومما يستوجب الأسف انه في خلال تلك الفترة التي انصرف فيها البرتغاليون مؤقتا عن هرمز لم تظهر تكتلات عربية في منطقة الخليج العربي بهدف مواجهة التحديات البرتغالية وإنما على العكس من ذلك أخذت منطقة الخليج تعاني قدرا كبيرا من التفكك مما سيسهل عمل البرتغاليين فيما بعد، فقد انصرفت سياسة ملوك هرمز إلى محاولة سحق النفوذ المتصاعد الذي وصل إليه بنوجبر في شرق الجزيرة العربية. ففي عام 1511، قام الوزير خوجة عطاء الذي كانت بيده مقاليد السلطة في هرمز بارسال حملة عسكرية الى البحرين نجحت في احتلالها وانتزاعها من أيدي شيوخ بني جبر الذين كانوا قد نجحوا في مد السيطرة عليها على عهد سلطانهم أجود بن زامل قبل ذلك الوقت بقليل⁽²⁾.

وعلى الرغم من نجاح هرمز في استعادة البحرين إلا أن شيوخ بني جبر أعادوا السيطرة عليها والأمر الذي لاشك فيه أن الصراع السياسي الذي حدث بين أكبر قوتين محليتين في الخليج العربي في ذلك الوقت ونعنى بهما مملكة هرمز ومشيخة الجبور قد استفاد منه البرتغاليون فائدة كبيرة، فمن الثابت لدينا ان البرتغاليين اتجهوا إلى الاستعانة ببعض القوى المحلية وتأليبها ضد الهجمات المتكررة التي كان يشنها شيوخ بنو جبر المتمركزين في بعض المقاطعات الساحلية من عمان⁽³⁾. ومنذ أن عهد إلى البوكيرك قيادة الأسطول البرتغالي في المحيط الهندي عمل بالدرجة الأولى على السيطرة على هرمز باعتبارها مفتاحا للخليج العربي يستطيع بها أن يسيطر على مياهه. ومما يذكر أن البوكيرك وقد اشتهر بعنفه وصلابته قد عمد وهو في طريقه إلى هرمز إلى إحراق وتدمير كل السفن الوطنية التي التقى بها معلنا بذلك الحرب على كل من يعارض سلطة البرتغاليين في البحر، كما عمد إلى إشعال النيران في الموانئ العربية التي مر بها مثل: قريات ومسقط وخورفكان، وهكذا كان خليج عمان أول منطقة تشهد فظاعة الغزو البرتغالي وقسوته⁽⁴⁾.

1. جلال يحيى، المرجع السابق ، ص 490.

2. جمال زكريا قاسم ، الإمارات العربية في عصر التوسع الأول الأوربي ، ص 56

3. المرجع نفسه ، ص 34

4. محمد حسن العيدروس ، المرجع السابق ، ص 23

وكان الغزو البرتغالي لمنطقة الخليج العربي سببا في التدهور الاقتصادي الذي ألم بها، وعانت الموانئ العمانية من آثار ذلك التدهور حيث كانت أول الموانئ في الخليج تعرضت لذلك الغزو بعدما كان لها من أهمية بالغة في تجارة المحيط الهندي وكان بحارتها على درجة عالية من الكفاءة. ومما يذكر أن البوكيرك قد اعتمد- كما اعتمد فاسكو دي جاما (Vasco de Gama)⁽¹⁾ من قبله- على المرشدين العمانيين من سكان المدن الساحلية العمانية التي كانت على درجة كبيرة من الازدهار، وأكد أنه يدين بفتوحاته والأحرى بتسلطه على السواحل العربية للبحر الأحمر والخليج العربي إلى خارطة بحرية متقنة من صنع أحد الربابنة العرب، وذكر في تعليقاته بصدد ذلك أن ملاحا عربيا يدعى عمر وقع في أسر البرتغاليين عند جزيرة سقطرة، وكان ربانا عظيما ذا معرفة جيدة بالسواحل العربية، وقد صحبه البوكيرك معه وأستحوذ منه على دليل للطرق البحرية مبين عليه جميع موانئ مملكة هرمز وكان ذلك المرشد الملاحى من صنع ذلك الملاح العربي⁽²⁾.

وقبل أن نعرض للعمليات العسكرية في هرمز قد يكون من المفيد الإشارة إلى أن البوكيرك رغم ما عرف عنه من تسلط وقسوة إلا أنه كان يبدي إعجابه بالازدهار الاقتصادي الذي كانت عليه المدن العمانية. وفيما يبدو أن الزراعة تركت انطبعا قويا لدى البوكيرك فكتب عن قلهات، وهي أول ميناء تصل إليه سفنه في الخليج، أن كل مؤن سكانها من القمح والشعير والذرة والتمور تأتي إليها من الداخل الذي يفيض بهذه المحاصيل، كما ذكر عن قلهات بأنها ميناء عظيم للشحن البحري إذ كانت تأتي إليها الكثير من السفن لنقل التمور

1. ولد فاسكو دا جاما حوالي عام 1469 في سينيس على الساحل الجنوبي الغربي للبرتغال، وهو ابن إستيفاو دي جاما من طبقة النبلاء، لا يُعرف سوى القليل عن شباب فاسكو دا جاما. وربما درس الرياضيات والملاحة في مدينة إيفورا . انضم للبحرية البرتغالية، وهو يعتبر من انجح مستكشفي البرتغال، وهو اول من وصل الى الهند. وفي يوم 8 جويلية عام 1497 شرع فاسكو دا جاما على رأس أربع سفن نحو الهند منطلقا من ميناء تاجوس. ولكن هذه الرحلة فشلت في تحقيق اهدافها . وياشر الرحلة الثانية في (1502-1503) بأسطول مكون من 20 سفينة . نجح في الوصول الى الهند، وهو يمثل بدايات الإمبراطورية الاستعمارية البرتغالية وجلب للتاج البرتغالي امتيازات تجارية كبيرة ومهمة بفضل التحكم بطرق المواصلات، ومنحه الملك مانويل الأول لقب كونت فيديجويرا في عام 1519 وعينه خلفه جون الثالث نائباً لملك جزر الهند في عام 1524 . راغبا في محاربة الفساد الذي يحدث في المستعمرات. ويقوم فاسكو دا جاما رحلة ثالثة لكنه يموت بعد وقت قصير من وصوله الى الهند في 24 ديسمبر 1524. دفن في دير كنيسة القديس فرنسيس في كوشين ، وأعاد أحد أبنائه رفاته إلى البرتغال في عام 1539 ودفن في دير كرملي . للتفاصيل ينظر: https://fr.wikipedia.org/wiki/Vasco_de_Gama. تاريخ الزيارة في 21 ديسمبر 2019.

2. أنور عبد العليم، الملاحة و علوم البحر عند العرب، عالم المعرفة، الكويت ، 1978 ، ص 57.

والخيول إلى الهند. أما عن مسقط فقد ذكر عنها أنها مدينة كبيرة كثيفة السكان محاطة من الداخل بسلسلة من الجبال الشاهقة، وأما على الجانب الساحلي فهي تطل على البحر ومينائها صغير محمى من جميع الجهات من العواصف، وهي المنطقة الرئيسية لمملكة هرمز ولا بد أن تمر فيها جميع السفن التي تزاوّل الملاحه في هذه المناطق وذلك بدلا من الساحل المواجه الذي تكثّر فيه المياه الضحلة. وذكر البوكيرك أن مسقط تعد جزءا من مملكة هرمزو أن كانت مقاطعها الداخلية تخضع لحكام الجبور التي تمتد سلطتهم جنوبا إلى عدن وشمالا إلى سواحل الخليج ومنها إلى نجد والحجاز⁽¹⁾.

3- موقف القوى المحلية والاقليمية من البرتغاليين

أدى الحصار الاقتصادي البرتغالي المفروض على طرق التجارة القديمة إلى توحيد الصفوف، حيث بادرت الدول الإسلامية التي كان يههما استمرار التجارة عبر الطرق البرية والبحرية القديمة بمساعدة القوى المحلية الإسلامية في صراعها ضد البرتغاليين، فقامت دولة المماليك، التي كانت تحكم مصر والشام والحجاز واليمن، بالتعاون مع تلك القوى، وكذلك مع البنادقة التي انهارت تجارتهم بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، ووحدت المصالح الاقتصادية بينهم وبين القوى الإسلامية بزعامة المماليك للتصدي للسيطرة البرتغالية. ونشط السلطان قانصوة الغوري⁽²⁾ نشاطا سياسيا وعسكريا حيث طلب من القوى الأوروبية التدخل لوقف الغزو البرتغالي ومنعهم من المضي في سياسة الاستفزاز الديني للمسلمين، وذهب في تحذيره الى حد التهديد بتدمير الأماكن المقدسة المسيحية في فلسطين ومنع الحج إلى الأراضي المقدسة المسيحية فيها⁽³⁾. وفي تحركه العسكري وجه حملة من ميناء السويس بقيادة حسين الكردي وصلت إلى الساحل الغربي للهند في منتصف عام 1508، ورايبت قبالة ميناء ديو Deo ، التابع لسلطنة كجرات الإسلامية التي استنجدت بالمماليك، ولكن الأسطول المملوكي هزم في المعركة البحرية التي دارت في عام 1509 أمام

1. محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 89؛

2. قانصوة الغوري: الأشراف أبو النصر قانصوه من بييردى الغوري الجركسي الأصل، هو من سلاطين المماليك البرجية. ولد سنة 1441. ثم امتلكه الأشراف قايتباي وأعتقه وجعله من جملة مماليكه الجمدارية ثم أصبح في حرسه الخاص وارتقى في عدة مناصب حتى ولي حجابة الحجاب في مدينة حلب. وفي دولة الأشراف جنبلط عين وزيرا. تولى حكم دولة المماليك في يوم 20 افريل عام 1501، واستمر في الحكم حتى يوم 24 اوت 1516، حيث قتل في معركة مرج دابق التي جرت بين المماليك والعثمانيين ، وكان عمره 76 سنة. للتفاصيل ينظر: <https://ar.wikipedia.org/wik>. تاريخ الزيارة في: 25 ديسمبر 2019.

3. جمال زكريا قاسم، الامارات العربية في عصر التوسع الأول الاوربي ، ص 47

البرتغاليين، وضعت نهاية للتفوق البحري الإسلامي، لتبدأ حقبة من السيطرة الاستعمارية الاحتكارية على تجارة الشرق، وخاصة بعد أن فشل المماليك في محاولتهم الوصول إلى الهند بعد معركة ديو، مما أدى إلى الإطاحة بمشروعاتهم في المحيط الهندي⁽¹⁾.

وبعد هزيمة المماليك، تسلم العثمانيون مهمة التصدي للبرتغاليين وبذلوا مجهودهم الهادف إلى إعادة الحياة للطرق التجارية القديمة التي فقدت أهميتها، وكان ذلك بعد فتحهم لأقطار المشرق العربي في بلاد الشام ومصر والحجاز واليمن والعراق إلا أن جهودهم لم يقدر لها النجاح. وكذلك فشل الصفويون في التصدي للبرتغاليين بسبب افتقارهم إلى القوة البحرية الفعالة التي كانت ضرورة حتمية لمنازلة البرتغاليين لما تميزت به إمبراطوريتهم بتفوقها في ميزان القوى العسكرية البحرية. ومما تجدر الإشارة إليه أن البرتغاليين لم يكتفوا بتحويل تجارة الشرق إلى الطريق البحري المباشر إلى غرب أوربا- طريق رأس الرجاء الصالح- وإنما عملوا على أحكام سيطرتهم على الطرق البحرية الأخرى حتى تصبح جميع منافذ التجارة في أيديهم، ومن ثم اتجهوا إلى السيطرة على الخليج العربي لمنع التجارة من النفاذ منه إلى نهر الفرات وسواحل البحر الأبيض المتوسط، أو الاستفادة من مرور هذه التجارة لصالحهم أمعانا في تطبيق سياستهم الاحتكارية⁽²⁾.

ولعل الجبور كانوا القوة العربية التي تحددت السيطرة البرتغالية في عنفوان قوتها، وعندما حاصر البوكيرك ميناء صحار وصلت إلى الميناء نجدة عربية كانت تتألف من عشرة آلاف مقاتل بزعامة شيخ من شيوخ الجبور، وحينما حاصر البرتغاليون مسقط في عام 1507 سارع أحد زعماء الجبور، إلى نجدة المدينة. وأكدت كثير من التقارير البرتغالية أن مقاطعات بني جبر كانت تمتد امتدادا كبيرا على طول سواحل الخليج وان أبناء السلطان أجود الذي حكم خلال الفترة من 1471 إلى 1496 أي قبل وصول البرتغاليين إلى منطقة الخليج بعدة سنوات كانوا يتقاسمون السلطة السياسية فيما بينهم، وكان أكبرهم يقيم في عمان ويدين له أخواه الأخران بالولاء، وقد أشتهر من بينهما محمد بن أجود الذي كان يحكم البحرين والإحساء والقطيف. والأمر الذي لاشك فيه أن هيمنة البرتغاليين على هرمز منذ عام 1515 سوف تؤدي إلى تطبيق سياسة الاستعمار الكلاسيكية أي فرق تحكم أي مواجهة قوة الجبور بقوة هرمز وبذلك تكون الاستفادة من الخلافات والنزاعات المحلية بسبب الصراعات

1. جلال يحيى، أوربا في العصور الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1981، ص 489؛
اسماعيل احمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997، ط1، ص

التي كانت قائمة بين ملوك هرمز وشيوخ الجبور. وكان من الطبيعي أن يعمد البرتغاليون إلى مساندة ملوك هرمز للتخلص من نفوذ الجبور⁽¹⁾.

ولم تخل العمليات البرتغالية العسكرية الأولى رغم ضراوتها من مقاومة عربية تصدت لها، وبعد استيلاء البوكيرك على ميناء قريات توجه إلى ميناء مسقط فوجده معززة بقوة مسلحة جئوا من جميع الجهات بعد سماعهم بالتدمير الذي حل بميناء قريات. وكانت مسقط من أقوى المعاقل العمانية حيث كانت مزودة بوسائل دفاع قوية. وعندما وصل الأسطول البرتغالي إلى ميناء مسقط حضر عرب مسقط على رأس وفد كبير من قبل شيخ بني جبر وناشدوا البوكيرك عدم تعريض المدينة لأي تدمير وأبدوا رغبتهم في التبعية للبرتغاليين ودفع ما يقروه القائد البرتغالي من ضريبة كالتي كانوا يدفعونها لملك هرمز. وفيما يبدو أن هذه المفاوضات لم تكن إلا مراوغة من شيوخ الجبور، ولذلك بادر البوكيرك، حين أحس بان عرب مسقط قد أخذوا يستعدون في الخفاء لتنظيم صفوفهم للمقاومة والدفاع عن مدينتهم، امر بقصف المدينة، وحين ناشده السكان بالألا يدمر المدينة أو يحرقها مقابل ما يطلبه من المال ، على أن يصل إليه المبلغ في اليوم التالي وعندما لم يصله المبلغ أصدر أوامره بإشعال النار في البلدة بما في ذلك مساجدها والسفن الراسية في مينائها، ولم يطلق سراح سوى بعض الشيوخ والنساء بعد أن أمر بجذع أنوفهم وأذانهم، ولم يلبث بعد ذلك أو أوقف عملياته العسكرية في مسقط متوجها إلى حصار هرمز⁽²⁾.

وفي هرمز تصدى لأسطول البوكيرك أكثر من أربعمئة سفينة منها ستون سفينة كبيرة الحجم كان قد خصصها ملك هرمز لحراسة الجزيرة والدفاع عنها، ولم يكن البوكيرك يمتلك أكثر من سبع سفن حربية كبيرة لم تتجاوز عدد بحارتها أكثر من أربعمئة وستون شخصا. غير أن البوكيرك القائد المحنك لم يجد في قلق عدد السفن والجنود ما يمنعه من نيل مأربه في الاستيلاء على الجزيرة⁽³⁾. وقد أبدى البرتغاليون استماتة في القتال حين بدءوا الهجوم وخاصة حينما أكد البوكيرك لجنوده انه لا خيار لهم بين أمرين إما الانتصار أو يقطع المسلمون رؤوسهم ويحملونها ضمن غنائمهم!. ولدينا الكثير من التفصيلات عن معركة هرمز التي تعد اقوي المعارك البحرية التي خاضها البرتغاليون في بلاد الخليج العربي، حيث ذكر فاريا سوسا انه عند وصول البوكيرك إلى هرمز كان يحكمها سيف الدين وهو فتى صغير، وكان يرأس مجلس البلاد ويدير أمور الدولة خوجة عطاء، وكان رجلا حاذقا شجاعا بدأ استعداداه للقتال عندما سمع بما فعله البوكيرك في البلدان التي مر بها والتي كانت تعد

1. نتاليا نيكولاينتا تومانوفيتش ، المرجع السابق، ص63

2. ارنولد ت. ويلسون، المصدر السابق، ص 76-77.

3. John Steven, Manual de faria Sousa The Portuguese Asia, Vol II, p. 250.

تابعة لهرمز ولذلك بادر بالاستيلاء على جميع السفن الموجودة في الميناء واستأجر بعض الجنود من الأقاليم المجاورة وخاصة من الفرس والبلوش، وهكذا عندما وصل البوكيرك إلى هرمز كان قد أحتشد في الميناء ما لا يقل عن ثلاثين الفوج ، كما كان في الميناء ما يقرب من أربعمائة سفينة مسلحة بالمدافع إلى جانب عدد لا يحصى من زوارق الشاطئ يستقلها مقاتلون خبراء في رمى الرماح والسهام⁽¹⁾.

وبالإضافة إلى ذلك عمل خوجة عطاء على استنفاار ملوك المسلمين لنصرة هرمز ولجأ إلى الشاه إسماعيل الصفوي يلتمس منه العون والمساعدة، ولكن الشاه لم يكن في وضع يسمح له بمساعدة هرمز إذ كان قد بدأ صراعه ضد السلطان سليم الأول سلطان الدولة العثمانية، وكانت استعداداته العسكرية ضد العثمانية في الشمال الغربي من بلاده تحول دون إرسال جزء من قواته إلى هرمز⁽²⁾. ومن ناحية أخرى فان الشاه إسماعيل الصفوي لم يعر حملة البوكيرك اهتماما كبيرا إذ كان يعتقد انها نوع من المناوشات التي تتلاشى بالسرعة التي بدأت بها، ولذلك لم يفعل أكثر من تهدئه رسول سيف الدين ملك هرمز مؤكدا له شدة اهتمامه بشئون إمبراطوريته وعدم سماحه لأي مغير بأن يعبث بوحدة الأراضي الفارسية.

بدأ معركة هرمز بقصف البرتغاليين لجموع المقاتلين الذين احتشدوا على شواطئ الجزيرة، وأحدث قصف المدفعية البرتغالية خسائر مروعة نظرا لتكدس المقاتلين ووقوفهم في مواجهة البرتغاليين في منطقة لا يزيد طولها عن ثلاثة أميال، وقد شعر المسلمون من أول وهلة انه لا طاقة لهم بمنازلة البرتغاليين في الوقت الذي حاول فيه البوكيرك أن يثنى ملك هرمز عن مواصلة القتال ويدخل في طاعة ملك البرتغال، ولكن الشيخ عطاء رفض أى نوع من الاستسلام وكان من رأيه مراوغة البرتغاليين وتفويت الفرصة عليهم أملا في أن تصل نجدات من المسلمين وشيوخ الخليج، ولما تكشفت للبوكيرك مراوغة الشيخ عطاء أصدر أوامره باقتحام الميناء وتدمير وإحراق جميع السفن التي أبيدت عن آخرها. وأجريت المفاوضات المسلحة بين الطرفين حين كانت مدافع الأسطول البرتغالي موجهة إلى الميناء حيث أعلن ملك هرمز ولاءه للبرتغاليين. وتضمنت نصوص المعاهدة على أن يدفع ملك هرمز للبرتغاليين جزية سنوية قدرت بخمسة عشر ألف زرافين، وعمد البرتغاليون إلى تأكيد سيادتهم على هرمز بطريقة تعسفية حيث أصدروا أوامرهم بمنع أية سفينة من ممارسة الملاحة في الخليج قبل حصولها على تصريح من السلطات البرتغالية، وبذلك كتب البرتغاليون السطر الأول في سيادتهم البحرية والتجارية على الخليج العربي. وعلى اثر استيلاء

1. ارنولد ت. ويلسون، المصدر السابق، ص 77-78.

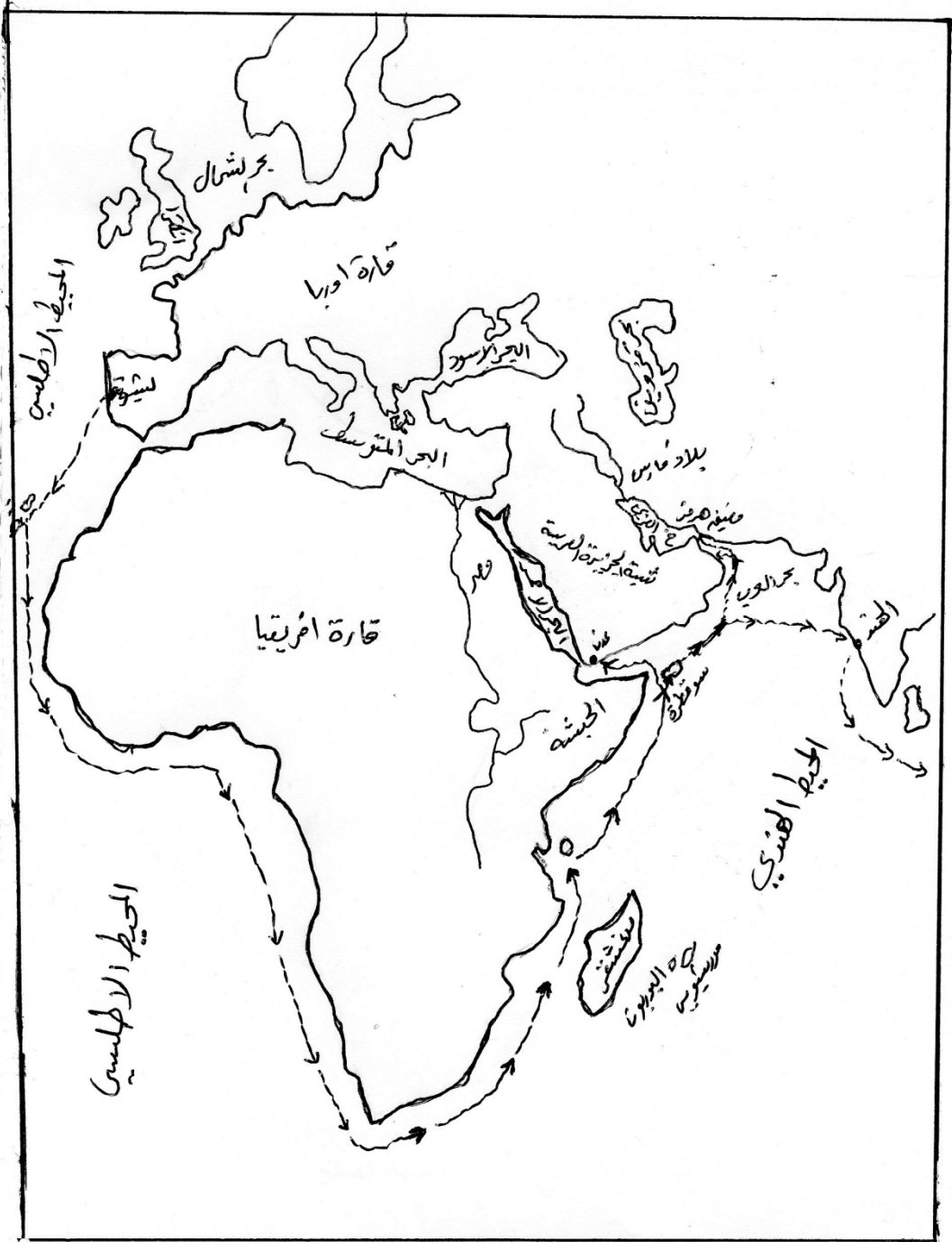
2. نتاليا نيكولاينتا تومانوفيتش ، المرجع السابق، ص 61.

البوكيرك على قلعة المدينة بدأ يستعد في بناء حصن كبير عرف فيما بعد بحصن (Visa Senhora Da Victoria) وكان ذلك الحصن هو الأول في سلسلة كبيرة من القلاع والحصون العسكرية التي شيدها البرتغاليون على سواحل البلدان المطلة على الخليج العربي والمحيط الهندي⁽¹⁾، غير أن المجال لم يترك المجال للبرتغاليين وحدهم وإنما نافس البرتغاليين العديد من القوى الأوروبية الأخرى و على الأخص هولندا وانكلترا وفرنسا التي حرصت كل واحدة منها على الحصول على مراكز تجارية لها بالمنطقة، ولا غرو في ذلك فقد أثبتت منطقة الخليج العربي بحكم طبيعتها البحرية وفي مختلف عصورها التاريخية على أن القوة البحرية هي القوة الوحيدة القادرة على السيطرة على ضفافها .

1. أرنولد ت. ويلسون، المصدر السابق ، ص 88-91؛ نتاليا نيكولاينتا تومانوفيتش، المرجع السابق، ص 70.

خريطة رقم (4)

توضح حركة الفتوحات والوصول البرتغالي إلى المحيط الهندي والخليج العربي



الفصل الأول

شركة الهند الشرقية الانكليزية: واجهة المشروع الاستعماري في الخليج العربي

المبحث الأول: الجهود البريطانية في ميدان الاستكشافات الجغرافية.
المبحث الثاني: تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية: الواجهة الاستعمارية.
المبحث الثالث الانغماس الانكليزي ونهاية الوجود البرتغالي في الخليج العربي.

مقدمة:

كانت الاستكشافات الجغرافية قد تركت تأثيرها الكبير في تطوير اقتصاديات الدول الأوروبية نظراً للمردود المالي الكبير الذي حققته، حيث أدى إلى تطوير التجارة الخارجية وفتح منافذ جديدة لها، إلى جانب اكتشاف أصقاع مجهولة من العالم وطريق جديد للوصول إلى الشرق (الهند وجزر الهند الشرقية). ولابد من الإشارة إلى أن الاستكشافات الجغرافية كانت جزءاً من التطورات التي طرأت على المجتمع الأوروبي في إطار تحوله من المجتمع الإقطاعي إلى الرأسمالي، وسيادة المذهب التجاري (الماركنتلي). حيث شهدت القارة الأوروبية في القرن السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر تغيرات اقتصادية واجتماعية عميقة تمخضت عن سلسلة تحولات سياسية مهمة هزت أوروبا ونقلتها إلى طور حضاري أكثر تقدماً.

وبعد أن تزعمت اسبانيا والبرتغال حركة الاستكشافات الجغرافية، وسيطرتا على التجارة خلال هذه المرحلة الأولى منها. إذ هيمنت الأولى على النشاط التجاري مع العالم الجديد، والثانية هيمنت على التجارة الشرقية. ولكن هذا الاحتكار لم يستمر طويلاً، فسرعان ما دخلت دول أخرى في ميدان التنافس التجاري ولاسيما هولندا وانكلترا ثم فرنسا، وتزامن ذلك مع ظهور علامات التدهور على النشاط البرتغالي في الشرق. وساعد ضعف البرتغاليين، الذي يرجع إلى عوامل مختلفة، فضلاً جاذبية الثروات التي تدفقت على اسبانيا والبرتغال من ممتلكاتهم فيما وراء البحار، إلى جانب التطورات التي حدثت في انكلترا وهولندا، على تطور المغامرات البحرية في هذين البلدين، والكشف عن مناطق جديدة أو الوصول إلى الشرق مباشرة، الذي كان حلماً لدى هاتين الأمتين.

ومن خلال هذا الفصل سوف نركز على طبيعة المشروع الاستعماري الانكليزي الذي اخذ شكلاً اقتصادياً في بداية لينتقل فيما بعد إلى هيئة استعمارية، أخذت على عاتقها تنفيذ الأجندة الاستعمارية للانكليز. ولهذا ركزنا على مسألتي الغاية واليات الاتساع.

المبحث الأول: الجهود البريطانية في ميدان الاستكشافات الجغرافية

باشرا الاستعمار الأوربي في مطلع القرن السادس عشر الميلادي غزو منطقة المحيط الهندي من أجل السيطرة ونهب ثروات المنطقة من منتجات شرقية، والتي كانت شكلت عماد التجارة العالمية آنذاك، وكان التجار العرب المسلمون هم المهيمون عليها. إذ كان التجار العرب المسلمين يتعاونون التوابل- أهم صنوف تجارة الشرق- من أهل جزر الهند الشرقية ويستوردونها للعالم العربي. وما كان يفيض من الحاجة لها هناك كان يباع لتجار دوقية البندقية الذين أثروا من بيعها واحتكار تجارتها في القارة الأوروبية البادئة بالنهوض. ومن أجل كسر احتكار العرب واحتكار تجار البندقية لتجارة التوابل، بدأ الاستعمار الأوربي بنهوض دولتي البرتغال واسبانيا أولا وبروزهما على الساحة الدولية، وعصر الاستعمار الأوربي هذا، هو نتاج عصر الاكتشافات الجغرافية الحديثة⁽¹⁾، والذي نقل التجارة العالمية من مساراتها التقليدية إلى مسارات جديدة، وغدت تحت السيادة الأوروبية، واستخدم من أجل هذا كل الوسائل الممكنة عسكرية كانت أم سياسية وحتى الاقتصادية، لتفرض الدول الأوروبية وصيتها على أطراف العالم الأخرى لقرون طويلة. لقد كان للاستكشافات الجغرافية تأثير كبير في تطوير الاقتصاد الأوربي، إذ أدت إلى تطوير التجارة الخارجية وفتح منافذ جديدة لها، إلى جانب اكتشاف أصقاع مجهولة من العالم وطريق جديد للوصول إلى الشرق⁽²⁾

وشهدت القارة الأوروبية في القرن السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر تغيرات اقتصادية واجتماعية، أهمها ظهور العلاقات الرأسمالية وما أرتبط بها من تطور وسائل الإنتاج وتقسيم العمل الجماعي، وظهور الماكينات إلى جانب التطور التجاري، الذي أدى إلى ظهور الطبقة البرجوازية⁽³⁾، ونتج عن كل هذه التغيرات، حركة النهضة

1. للتفصيل أكثر عن الاستكشافات الجغرافية، ينظر: عبد العزيز طريح شرف، الموجز في تاريخ الكشف الجغرافي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1993؛ جوزيف برجر، مكتشفوا العالم الجديد، تر: السيد يوسف نصر، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت.ن.

2. ظهرت تطورات هامة على مستوى المجتمع الأوربي الذي تحول من مجتمع إقطاعي إلى مجتمع رأسمالي، وساد المذهب التجاري (الماركنتي)، كنتائج أولية تمخضت عن الاكتشافات الجغرافية. والماركنتلية نقيض التجارة الحرة، فهي تدعو إلى سيطرة الدولة على الشؤون الاقتصادية، ينظر:

E. Lisbon, The Economic History of England, Vol. III, London, 1962, p. 3-4.

3. البرجوازية (Bourgeoisie): هي طبقة اجتماعية واقعة بين طبقة العمال وطبقة الأغنياء، ويعود أصل تسميتها إلى الكلمة اللاتينية (Burgensis). وبدأت البرجوازية بالظهور كظاهرة تاريخية منذ بدايات القرن الحادي عشر- وتحديدا عام 1007-، حيث رافق ذلك تطور مدن العصور الوسطى من خلال ظهور التجارة في وسط وغرب أوربا، وخلال عملية تطورها مرت الطبقة البرجوازية بمرحلتين: فقد

الأوروبية⁽¹⁾ وحركة الإصلاح الديني⁽²⁾، إلى جانب تقدم العلوم الطبيعية ولاسيما في مجال الطب والفلك والجغرافية. وساعد نظام الحكم المطلق، مع هذه التطورات، على دعم المشاريع التجارية وتطورها ولاسيما في دول أوروبا الغربية⁽³⁾

وبدأت محاولات الإنكليز للوصول إلى الشرق في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي لرغبتهم الشديدة للمشاركة في التجارة الشرقية، وتزامن ذلك مع ظهور علامات التدهور على النشاط البرتغالي في الشرق. وساعد ضعف البرتغاليين، الذي يرجع إلى عوامل مختلفة⁽⁴⁾ وجاذبية الثروات التي تدفقت على اسبانيا والبرتغال من ممتلكاتهم فيما وراء البحار⁽⁵⁾، إلى جانب التطورات التي حدثت في انكلترا⁽⁶⁾، على تطور المغامرات البحرية في هذا البلد بشكل خلق الحافز للجميع للعمل من اجل تحقيق المكاسب والامتيازات في هذا المجال.

ظهرت في المرحلة الأولى كطبقة داخل النظام الإقطاعي القائم على أساس رأس المال، والتداولات المالية. أما في المرحلة الثانية فظهرت بعد إسقاط النظام الإقطاعي كداعم لإقامة العلاقات الملكية للرأسمالية وتدعيمها، وتصنف البرجوازية تبعاً لوسائل الإنتاج ونوع رأس المال إلى عدة أنواع فهناك: البرجوازية الصناعية والبرجوازية التجارية والبرجوازية الزراعية وأخيرا البرجوازية المصرفية . للتفاصيل ينظر: عبد العظيم رمضان، تاريخ أوروبا والعالم، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997، ص 15-45.

1. للتفصيل أكثر عن النهضة الأوروبية من حيث أسبابها وطبيعتها ونتائجها، ينظر: علي العبيدي، صفحات من التاريخ الأوربي: النهضة الأوروبية، رضا التميمي للطباعة والنشر، بغداد، 2018.
2. للتفصيل أكثر عن حركة الإصلاح الديني في أوروبا، ينظر: عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.ن، ص 85-180.

3.E. Lisbon, Op. Cit., p.7; Marie Doas Hall, "Science", in : The New Cambridge Modern History, Vol.III, Cambridge University Press 1971, p.453-47

4. أهمها: اندماج العرشين الاسباني والبرتغالي بين 1580-1640، وكره سكان المناطق التابعة للبرتغاليين لهم بسبب سياستهم الدينية وسيطرتهم العسكرية. للتفاصيل ينظر:

John Bruce, Annals of the Honorable East India Company from Their Establishment by the Charter of Queen Elizabeth 1600, to the Union of the London and English East India Companies, Vol.1, London 1808, p. 20-21.

5. Arnold Wright, Early English Adventurers in the East, London 1914, p.18.

6. A. Newton, The British Empire to 1783, 1st ed. , London 1935, pp.45-46

أولاً: النشاط الاستكشافي الإنكليزي في العالم الجديد والشرق.

استخدم الإنكليز الطريق المار بشرق البحر المتوسط وبلاد الشام والعراق وبلاد فارس إلى الهند منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي⁽¹⁾، حيث يشير الكاتب رتشارد هكليت (Richard Hakluyt)، إلى أن الإنكليز استخدموا هذا الطريق قبل سنة 1511 بربع قرن، فكانت السفن الانكليزية تصل إلى الجزر اليونانية والموانئ السورية أحياناً⁽²⁾.

1. الإنكليز الأوائل في الهند عن طريق الليفانت :

تزامن نمو النشاط التجاري لشركة الليفانت (Levant Company) مع تدهور النشاط التجاري الخاص بشركة موسكو (The Muscovy Company)، وبعد زيارة قام بها التجار الإنكليز، وهما كل من: جون رايت (John Wright) وجوزيف كليمنتس (Joseph Clements) إلى القسطنطينية عام 1575، تم اختيار وليم هاربورن (William Harborne) في عام 1578 من قبل مجموعة من التجار الإنكليز للسفر إلى اسطنبول، عبر الأراضي البولندية، والتفاوض للحصول على إذن من السلطان مراد الثالث للسماح للسفن الإنكليزية للتجارة مع الموانئ العثمانية. وكان الفرنسيون فقط يتمتعون بهذا الامتياز من قبل، وبالفعل تم منح هاربورن هذا الامتياز في عام 1580 بعد مفاوضات مع الصدر الأعظم محمد باشا الصقلي، وجرت مراسلات بين الملكة إليزابيث الأولى (Elizabeth I)⁽³⁾ والسلطان العثماني مراد الثالث (1574-1574).

1. Richard Hakluyt, the Principal Navigations Voyages Traffiques & Discoveries of the English Nation, Vol.V, Glasgow Mc Mall, pp.62-63.

2. Boies Penrose, Travel and Discovery in the Renaissance 1420-1620, 5th ed., Harvard University Press 1967, p.197 .

3. كانت إليزابيث حذرة في الشؤون الخارجية ، وكانت تناور بين القوى الكبرى في فرنسا وإسبانيا. لقد دعمت بشكل فاطر عددًا من الحملات العسكرية غير الفعالة وذات الموارد الضعيفة في هولندا وفرنسا وأيرلندا. بحلول منتصف ثمانينيات القرن التاسع عشر ، لم يعد بإمكان إنجلترا تجنب الحرب مع إسبانيا. ربط انتصار إنجلترا على الأسطول الأسباني عام 1588 إليزابيث بأحد أعظم الانتصارات العسكرية في التاريخ الإنجليزي. واعتمدت في حكمها على مجموعة من المستشارين الموثوقين، من أمثال: ويليام سيسيل، البارون بورغلي الأول. وكان من أولى أعمالها تأسيس كنيسة بروتستانتية إنكليزية. وكانت إليزابيث حذرة في الشؤون الخارجية ، وكانت تناور بين القوى الكبرى في فرنسا وإسبانيا. لقد دعمت بشكل فاطر عددًا من الحملات العسكرية غير الفعالة وذات الموارد الضعيفة في هولندا وفرنسا وأيرلندا. بحلول منتصف ثمانينيات القرن التاسع عشر، لم يعد بإمكان إنجلترا تجنب الحرب مع إسبانيا. ربط انتصار إنجلترا على الأسطول الأسباني عام 1588 إليزابيث بأحد أعظم الانتصارات العسكرية في التاريخ الإنكليزي. توفيت في 24 مارس 1603 في قصر ريتشموند. للتفاصيل ينظر: https://en.wikipedia.org/wiki/Elizabeth_I.

تاريخ الزيارة في: 26 جوان 2020.

1595) وقبوله سفيراً لانكلترا في الدولة العثمانية، فتم تأسيس شركة تركيا للتجارة مع المناطق التابعة للإمبراطورية العثمانية عام 1581⁽¹⁾،

وبعد هذا النجاح الذي حققته شركة الليفانت في فتح المجال التجاري لنشاطها في ممتلكات الدولة العثمانية، قررت الشركة إرسال بعثة بقيادة جون نيوبيري (John Newbery)، تتألف من خمسة أعضاء⁽²⁾ إلى جانب نيوبيري، ومن أهمهم كان المستكشف والتاجر رالف فيتش (Ralph Fitch)⁽³⁾ في سنة 1583، وكانوا يحملون رسالتين إحداهما إلى إمبراطور المغول جلال الدين أكبر⁽⁴⁾، والأخرى إلى إمبراطور الصين. ومما جاء في الرسالة الأولى: "من إليزابيث (Elizabeth) بمشيئة الله إلى الإمبراطور أكبر، ملك كمباي الذي لا يقهر، نظراً للرغبة الشديدة لرعايانا في زيارة بلادكم وممارسة النشاط التجاري مع الأمم الأخرى، نرسل لجلالتكم أحد رعايانا جون نيوبيري مع مرافقيه، ونحن موقنون بأن جلالتمك ستستقبلونه بترحاب كبير"⁽⁵⁾.

1. Boies Penrose, op.cit., pp.189-199; Hakluyt, op.cit, Vol.VI, pp.58-59.
2. وهم: ووالف فيتش والجواهري وليام ليدز (William Leedes) وجون إلدريد (John Eldred) ووليام بيتس (William Bets) ووليام شالس (William Shals) والرسام جيمس ستوري (James Storie).
3. رالف فيتش (1542-1605): من مواليد مدينة ديربي كاونتي الانكليزية، ويعتبر من اشهر التجار الانكليز، فضلاً عن كونه مستكشف جغرافي وتجاري. وتعتبر الرحلة التي قام بها ضمن وفد بعثة نيوبيري من اشهر الاعمال الاستكشافية التي قام بها، اذ اكد للحكومة الانكليزية باهمية العراق التجارية في ما يخص نشاط تجارة المرور (الترانزيت). اذ كتب يوضح اهمية مدينة بغداد لانها تشكل عقد مواصلات بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية، وان مدينة البصرة مركز تجاري مهم للتوابل خاصة وتجارة الشرق عامة القادمة من الهند وجنوب شرق اسيا. عاد إلى انكلترا عام 1591، وبعد تأسيس شركة الهند الشرقية عين مستشاراً لها بالنظر لخبرته وتجربته الكبيرة. الف كتاب مهم عن رحلته التي زار فيها العراق والخليج العربي والمحيط الهندي وجنوب شرق اسيا. للتفاصيل ينظر: https://en.wikipedia.org/wiki/Ralph_Fitch. 2020 فيفري 12 تاريخ الزيارة في:
4. جلال الدين محمد اكبر ولد في قلعة اماركوت في الهند في 23 نوفمبر 1542، تولى الحكم في إمبراطورية المغول خلفاً لابيه في عام 1556، ويعتبر هو المؤسس الحقيقي للإمبراطورية المغولية في الهند، وشهدت الإمبراطورية في عهد تطورا ملموسا في مختلف الجوانب. كان أول اتصال له بالأوروبيين عام 1572، بعد ان نجح في مد حدود دولته إلى إقليم كجرات الساحلي، فأقام علاقات مع البرتغاليين. توفي في عام 1605 بعد ان اصيب بمرض عضال. للتفاصيل ينظر: رضوان عطية وردي، الهند تحت حكم الإمبراطور المغولي جلال الدين محمد اكبر (1556-1652)، مقال منشور في: مجلة آداب الفراهيدي، ع 46، مج 12، السنة 2020، تكريت، ص 74-89.
5. Jordan Ryley, Ralph Fitch English Pioneer to India and Burma, London 1899, p.25.

لقد رست المجموعة التي سافرت بواسطة سفينة تجارية على السواحل الشرقية- ميناء طرابلس تحديدا- للبحر الأبيض المتوسط، واخترقوا ممتلكات الدولة العثمانية عبر مدن: حلب وبغداد والبصرة، وت خلف كل من جون الدريد ووليام شالس عن البعثة في ميناء البصرة، بينما واصل الباقيون رحلتهم بحرا نحو هرمز، وهناك اكتشف امرهم، وتم القبض عليهم من قبل البرتغاليين وأرسلوا على متن سفينة برتغالية إلى جاوا- مقر الادارة البرتغالية في المحيط الهندي-. وتم محاكمتهم من قبل محكمة برتغالية التي امرت بسجنهم، وتدخل أحد رجال الدين الإنكليز ويدعى توماس ستيفنس (Thomas Stephens)⁽¹⁾ - الذي كان قد وصل الهند سنة 1579- لدى السلطات البرتغالية من اجل اطلاق سراحهم. وبالفعل نجح في مسعاه، واطلق سراحهم، وقاموا بزيارة عاصمة المغول أكرا ، وقابلوا الإمبراطور أكبر وسلموه رسالة الملكة إليزابيث، وعمل وليام ليدز – وهو احد أعضاء الوفد -صائغاً في البلاط المغولي، وعاد كل من نيوبري وفتش إلى انكلترا ، واثناء طريق العودة توفي نيوبري، واكمل فتش نشاطه الاستكشافي في رحلة العودة، حيث زار جزر ملقا وبيكو وسيلان وجزر الأرخبيل، ثم عاد إلى هرمز ومنها إلى ميناء البصرة و منها نحو مدينة حلب ووصل إلى انكلترا سنة 1591⁽²⁾.

تكتسب هذه البعثة أهميتها في تاريخ المغامرات البحرية الانكليزية، فهي أول رحلة تصل إلى الهند عن طريق البر- البحر. إلى جانب تقديم فتش معلومات مفصلة عن المناطق التي مر بها⁽³⁾. فحددت هذه المعلومات أسعار التوابل وبضائع الهند ونوعيتها و أماكن وجودها⁽⁴⁾. إلا أن طريق الليفانت كان محفوفاً بالمخاطر في القرن السادس عشر الميلادي، بسبب الضرائب الكثيرة في أقاليم الإمبراطورية العثمانية والمشكلات التي كان يعاني منها التجار الإنكليز عند استخدامهم لها⁽⁵⁾. ونتيجة هذه المعوقات والعراقيل التي قد تحول دون استمرار التجارة الانكليزية بالانسيابية التي تحقق الفائدة المرجوة، قررت الحكومة الانكليزية

1. يعتبر توماس ستيفنس من أوائل الانكليز الذين وطئت أقدامهم شبة القارة الهندية، ووضعوا أسس النفوذ الانكليزي هناك، فهو إلى جانب كونه راهبا أصبح مديرا لكلية الجزويت في مدينة كوا عام 1579. وتركت رسائله التي كان يبعثها إلى والده- والتي نشرت في انكلترا- حافزا للانكليز للاتصال المباشر مع الشرق. ينظر: علي عبد الله فارس، شركة الهند الشرقية البريطانية ودورها في تاريخ الخليج (1600-1858)، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، 2001.

2. Boies Penrose, op.cit., p.190-201 and 214.

3. زكي صالح، موجز تاريخ العراق منشأ النفوذ البريطاني في بلاد ما بين النهرين. بغداد 1949، ط1، ص 19-17.

4. سونيا ي . هاو: في طلب التوابل ، تر: محمد عزيز رفعت، د.م.ن، القاهرة، 1957، ص 308-312.

5. Wood, Alfred C.A, History Of The Levant Company, London , 1964, p.3-4.

والتجار المغامرين نقل نشاطهم نحو طريق رأس الرجاء الصالح من اجل الوصول إلى الهند وجنوب شرق آسيا.

2. الوصول إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح :

يعد القس توماس ستيفنس(Thomas Stephens) أول الإنكليز⁽¹⁾ الذين وصلوا إلى الهند على متن سفينة برتغالية في سنة 1579، عبر طريق رأس الرجاء الصالح. وكانت إقامته في كوا (Goa)، حيث أصبح قسيساً للجزويت وتجول في مدن الهند المختلفة وقدم وصفاً لمواقع البرتغاليين فيها ووصف المناطق التي مر بها في رسائله التي كان يبعث بها إلى والده في انجلترا⁽²⁾. فساهمت هذه الرسائل في زيادة رغبة الإنكليز في الوصول إلى الهند عن طريق الرأس الرجاء الصالح.

ومما يدل على تلك الرغبة المذكورة التي بعث بها مجموعة من التجار إلى الملكة إليزابيث سنة 1589، يطلبون فيها السماح لهم بالإبحار إلى الهند، وقدموا مسحاً للمواقع البرتغالية على ساحل مابار وساحل كورومانديل إلى جانب إشارتهم إلى جزر الهند الشرقية وغيرها من المناطق، وأكدوا القدرة على تصدير الأنسجة الصوفية الانكليزية والبضائع الأخرى للحصول على منتجات الهند والشرق، ورحبت الملكة بما ورد في المذكرة⁽³⁾، مما كان مشجعاً للقيام برحلات عبر هذا الطريق. فأبحرت رحلة مكونة من ثلاث سفن، سنة 1593 للدوران حول إفريقيا بقيادة جورج ريموند (George Raymond) وجيمس لانكستر (James Lancaster)⁽⁴⁾. واجه الأسطول بعض المصاعب، اذ تحطمت سفينة ريموند، إلا أن لانكستر واصل طريقه، فوصل إلى ساحل زنجبار ثم غادره إلى جزر الهند الشرقية، سنة 1594 وأجتاز مضائق ملقا ونهب بعض السفن البرتغالية والمحلية التي صادفها في طريقه، وبعد سلسلة من مغامرات القرصنة عاد إلى انكلترا دون تحقيق نتيجة تذكر⁽⁵⁾.

1. John Hakluyt, op.cit., Vol.vi, p.377-384.

2. European Travelers in India, London 1909, p.105; Roymand Beazley, Voyages and Travels Mainly During the 16th and 17th Centuries, Vol.I, Westminster 1903, pp.52-57

3. John Bruce, op.cit., Vol.1. , p.109 .

4. John Hakluyt, op.cit., Vol.vi, pp.387-407 .

5. A. Newton, op.cit., pp.56-57.

وتعرضت الرحلة الثانية عبر هذا الطريق بقيادة بنجامين وود (Benjamin Wood) إلى كارثة، لإصابة البحارة بالاسقربوط⁽¹⁾، وبالرغم من ذلك، كانت أول سفينة انكليزية تصل كوا في البر الهندي واتجهت من هناك إلى سيلان، ثم انسحبت إلى جزيرة مورشيوس⁽²⁾.

وبهذا وصل الإنكليز أخيراً إلى الهند بعد محاولات استكشافية بدأت بواكيرها من أواخر القرن الخامس عشر واستمرت متقطعة مدة قرن تقريباً. وهذا يعني أن الإنكليز لم يتخلفوا عن القيام بالحمولات الاستكشافية، إلا أن نجاح البرتغاليين وعدم دعم التاج الواسع في المرحلة التي سبقت عهد إليزابيث، هو الذي أعاق النشاط البحري الانكليزي فيما وراء البحار وأدى إلى تأخرهم عن منافسة الأسبان والبرتغاليين الذين تزعموا التجارة الشرقية من تاريخ مبكر.

ثانياً: بداية الظهور البريطاني على الساحة الدولية:

لقد ساعدت التطورات السياسية التي حدثت في أوروبا الإنجليز في تطوير رحلاتهم الاستكشافية ومغامراتهم التجارية وتحقيق حلمهم في الوصول إلى الشرق مباشرة، وترك الطرق السابقة التي كبدهم الكثير من الخسائر. ونتيجة لتطور القوة البحرية الانكليزية ودعم الدولة لها وتنامي الأحداث في قارة أوروبا، ولاسيما بعد أن أصاب الضعف البرتغال وانشغال اسبانيا بثورات الأراضي المنخفضة، اندفع الإنكليز بمساندة التاج لتحدي سلطة اسبانيا والبرتغال.

وقد شهدت علاقات انكلترا الخارجية، نقطة انعطاف تاريخي، لاسيما عندما تغيرت سياستها تجاه اسبانيا، بسبب تأمر ملك اسبانيا على حياة الملكة إليزابيث، والتخطيط لجعل ماري ستيوارت (Mary Stuart) الكاثوليكية (ملكة اسكتلندا) محلها، فدعمت إليزابيث ثورة الأراضي المنخفضة على الحكم الأسباني، وساعدت الهيكنوت الفرنسيين ضد الحكومة

1. الإسقربوط مرض ينجم عن نقص مأخوذ الجسم من فيتامين سي، وتشمل أعراضه الإرهاق والأنيميا وآلام المفاصل والعضلات، والكدمات المؤلمة، وضعف في الأنسجة الرابطة، وتأخر التئام الجروح، ونزيف اللثة وخلخلة الأسنان أو سقوطها. وهو مرض مميت إذا ترك دون علاج. وكان يطلق على الإسقربوط في الماضي اسم (طاعون البحر)، حيث كان يتسبب في وفاة أطقم البحارة على متن السفن بسبب عدم تناولهم فيتامين(سي) أو جرعة منه أثناء الرحلات البحرية الطويلة. ويعد ضابط البحرية البريطانية والمستكشف جيمس كوك (James Cook) أحد الرواد في مكافحة مرض الإسقربوط. للتفاصيل ينظر: <https://ar.wikipedia.org/wiki>. تاريخ الزيارة في: 20 جانفي 2020.

2. Boies Penrose, Op.Cit., p.203.

الفرنسية، فساندت فرنسا، مقابل ذلك، اسكتلندا، وتدخلت اسبانيا في شؤون ايرلندا⁽¹⁾. فقام الإنكليز بأعمال قرصنية ضد السفن الأسبانية في المحيط الأطلسي والكاربيي. وازدهرت بذلك المغامرات البحرية القرصنية والتجارية وفتحت عهد جديد، حيث تم اكتشاف الكثير من المناطق⁽²⁾.

ومن جهة أخرى تطورت علاقة انكلترا مع الأقاليم السبعة المتحدة (هولندا فيما بعد) بعد إعلان استقلالها عن التاج الأسباني سنة 1579، وأُعلنت دول أوروبا باستقلالها عن اسبانيا سنة 1581، في حين أن اعتراف الإنكليز تأخر حتى سنة 1685، عندما تعهدت بتقديم الدعم لهولندا، بموجب المعاهدة العامة التي عقدت فيما بينهما في ذات العام. واجبرت اسبانيا على الاعتراف باستقلال هولندا كدولة مستقلة عام 1648 بعد عقد معاهدة ويستفاليا (Westphalia)⁽³⁾ سنة 1648 عقب حرب حرب الثلاثين عاماً، وبقيت الأراضي المنخفضة الجنوبية الكاثوليكية (بلجيكا) تحت السيادة الأسبانية لمدة قرنين⁽⁴⁾.

وفي هذا الوقت أصدر البابا بيوس الخامس (1566-1572) قراراً كنسياً سنة 1570، أعلن فيه التحريم الكنسي على ملكة انكلترا وأتباعها وعدهم من الهرطقة، مما أثار شعوراً قومياً لدى الإنكليز وتنامى الولاء للملكة⁽⁵⁾. وعزز من حالة التوتر في العلاقات بين انكلترا واسبانيا، وفي سنة 1585، استولى ملك اسبانيا على معظم التجارة الانكليزية في اسبانيا، ووردت الأنباء بأنه يخطط لغزو انكلترا، وأعقب ذلك إعلان الحرب رسمياً بين الطرفين،

1. أ.ل. راوس : التاريخ الانكليزي، تر: محمد مصطفى زيادة، د.م.ن، القاهرة ، 1946 ، ص 89.

2. Boies Penrose, Op.Cit., p.203.

3. صلح واستفاليا عام 1648: له الأثر الكبير في إنهاء مرحلة الصراع الديني والطائفي والمذهبي، الذي أخرج عجلة التقدم والتطور في أوروبا بصورة عامة، وفسح المجال لإمام الحرية الدينية والتسامح الديني الذي فقد لفترة طويلة. وانهى حرباً دينية دموية استمرت ثلاثون عاماً، ووقع ذلك الصلح مندوبون عن الإمبراطورية الرومانية المقدسة وفرنسا واسبانيا والسويد وهولندا وممثل عن البابا. ومن أبرز بنوده: أقرار المذهب البروتستانتي كعقيدة معترف بها إلى جانب الكاثوليكية؛ والإعلان رسمياً عن استقلال هولندا وسويسرا. وعد هذا الصلح أول اتفاق دبلوماسي في العصر الحديث والذي أرسى نظاماً جديداً في أوروبا مبنياً على أساس سيادة الدول، وأصبحت مقرراته جزءاً من القوانين الدستورية للإمبراطورية الرومانية المقدسة فيما بعد. للتفاصيل ينظر: عدي محسن غافل، صلح وستفاليا وأثره في إنهاء الصراع الديني في أوروبا عام 1648، مقال منشور في: مجلة ال البيت، ع 18، السنة 2010، عمان، ص 100-117.

4. John Bruce, Op.Cit, Vol.i, p.55-56

5.S.A. Skillter, "the Organization of the First English Embassy in Istanbul in 1582", In : Asian Affairs, Vol.X, Part II , June 1979, p.159-165.

فحلت هزيمة كبرى بالأسطول الأسباني المعروف باسم الأرمادا (Armada) ⁽¹⁾ في عام 1588 في بحر الشمال عند محاولته غزو انكلترا ⁽²⁾.

إن الانتصار الانكليزي على الأرمادا الاسبانية شكل دفعا معنويا للانكليز ورفع من ثقتهم في قدرتهم في مواجهة اسبان والبرتغاليين الذين كانوا سادة البحار حتى ذلك التاريخ. وبدأ الانكليز يتجهون بانظارهم نحو راس الرجاء الصالح، بعد أن هان عليهم امر الاسطول الاسباني- كان الاسطول البرتغالي جزءا منه-، واخذ التجار الانكليز يجتهدون في ابتكار السبل والوسائل التي تساعدهم في الحول محل البرتغاليين في المحيط الهندي ⁽³⁾. ونتيجة ذلك، شهدت انكلترا حراكا كبيرا في تطوير قدراتهم البحرية التي وجدت اهتماما كبيرا من جانب الملكة اليزابيث الاولى، ونال الاسطول الحربي الانكليزي الاهتمام والدعم، بعد ان فقد الكثير من قدراته بعد وفاة الملك هنري الثامن (Henry VIII)- المؤسس الحقيقي له-. وعهدت قيادة الأسطول إلى بحارة وملاحين أكفاء من ذوي الخبرة والتجربة، مثل: جون هوكنز (John Hopkins)، وساهم هؤلاء القادة في إدخال إصلاحات وتغييرات على أداء البحرية الانكليزية. وبهذا لم يكن بإمكان الأسبان والبرتغاليين إعاقة تنامي الرغبة والتطلع الإنكليزي لمشاركتهم في تجارة ما وراء البحار. حيث تحولت البحار لى الإنكليز إلى موقع الشرف ⁽⁴⁾.

وحاولت انكلترا تعزيز انتصارها العسكري على الأسبان بالتحالف مع فرنسا، لمواجهة الخطر الأسباني، فقعدت معاهدتين بين عامي 1592 و 1593 مع فرنسا للوقوف معا ضد الأسبان. كما تم عقد معاهدة أخرى عام 1596، والتي نصت على عدم عقد أي اتفاق لأي من الطرفين مع اسبانيا دون استشارة الطرف الآخر. ولكن لم يستمر الالتزام بها طويلا، ففي عام 1598، عقد الملك الفرنسي هنري الرابع (Henri IV) ⁽⁵⁾ معاهدة صداقة مع اسبانيا من

1. هو الاسم الذي اطلقه الملك الاسباني فيليب الثاني على الاسطول البحري الذي ارسله لغزو انكلترا، والذي كان يتالف من (127) سفينة حربية.
2. تعد معركة الأرمادا احدى أهم المعارك البحرية في التاريخ الانكليزي، ونقطة تحول في تاريخ انكلترا، فساهمت في تعزيز ثقتها بنفسها للتوسع البحري. للتفاصيل يراجع: برنارد لو مونتجمري: الحرب عبر التاريخ، تر: فتحي عبد الله النمر، د.م.ن، القاهرة 1971، ص 334-341.
3. نصير أحمد نور أحمد، شركة الهند الشرقية الانكليزية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية/ جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1991، ص 31.
4. برنارد لو مونتجمري، المرجع السابق، ص 341.
5. هنري الرابع: ولد في باو الفرنسية في يوم 13 ديسمبر عام 1553، وكان أول ملك من آل بوربون، العائلة الملكية الأوروبية المشهورة، وهي فرع من سلالة الكابيتيون. والداه أنطوان دوق فندروم وجين الثالثة

دون استشارة الانكليز. وبالمقابل رد الانكليز على هذا التحالف الفرنسي الاسباني بتحسين علاقاتهم مع هولندا ، والعمل فيما بينهما ضد كل من فرنسا واسبانيا⁽¹⁾.

خلاصة القول، إن الانتصار الانكليزي في معركة الارمادا عد تنويجاً لمرحلة طويلة من العمل الحقيقي لتطوير قدراتها البحرية، وبداية الظهور الانكليزي على الساحة الدولية، فبالرغم من أن انكلترا كانت متأخرة في الحصول على المستعمرات مقارنة بالدول الأوروبية الأخرى، إلا أن الحكومة الانكليزية ساهمت ودعمت العديد من المشاريع التجارية البحرية، فأعطت بذلك دفعا جديدا لهذه المشاريع، وفتحت للانكليز منافذ جديدة على نحو آفاق جديدة خارج حدود القارة الأوروبية.

ثالثا: تنامي النشاط التجاري الانكليزي

إن عدم نجاح انكلترا في تنفيذ خطة التوسع واهتمام ملوكها بالتجارة الخارجية، مقارنة بأسبانيا والبرتغال، يرجع إلى اضطراب النظام السياسي في انكلترا خلال القرن الخامس عشر الميلادي، حيث عانت من مشكلات كثيرة طوال القرن الرابع عشر والخامس عشر، سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي، فانشغلت في حرب المائة عام (1453-1337) مع فرنسا⁽²⁾، وشهدت البلاد طاعون اسود (1348-1349)، وحرب الوردتين بين عائلي يورك ولانكستر (1455-1485)⁽³⁾ فساهم كل ذلك في إعاقة التجارة الخارجية فيما وراء البحار. ولكن حينما أستقر الموقف لآل تيودور⁽⁴⁾، وجهوا اهتماماً إلى القوة البحرية والتجارة، مما

ملكة نافارا. توج ملك لفرنسا في عام 1589 في حفل اقيم في كاتدرائية شارتر يوم 27 فيفري. اشتهر عهد بقوة فرنسا وتنامي إمكانياتها، وأنهى الحرب الدينية التي شهدتها فرنسا. تزوج مرتين، الاولى من الامير مارغريت من فالوا (1572-1599)، وماريا دي مديتشي (1600-1610)، اغتيل في يوم 14 ماي 1610 في مدينة باريس. تولى من بعد ابنه الصغير لويس الثالث عشر بوصاية امه ماريا دي مديتشي. للتفاصيل ينظر: [https://fr.wikipedia.org/wiki/Henri_IV_\(roi_de_France\)](https://fr.wikipedia.org/wiki/Henri_IV_(roi_de_France)). تاريخ الزيارة في: 30 جوان 2020.

1. John Bruce, Op.Cit, Vol.I, p.56-58.

2. للمزيد من التفاصيل عن حرب المائة عام، ينظر: عبد الامير محمد امين ومحمد توفيق حسين، التاريخ الاوربي في العصور الوسطى، جامعة بغداد، بغداد، 1978، ص 173-184.
3. للمزيد من التفاصيل عن حرب الوردتين، ينظر: حارث عبد الرحمن التكريتي وليث محمد الجنابي، انكلترا في سنوات حرب الوردتين، مقال منشور في مجلة: آداب الفراهيدي، ع 17، السنة 2013، تكريت، ص 312-334.
4. للمزيد من التفاصيل عن فترة حكم ال تيودور في انكلترا، ينظر: عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، المرجع السابق، ص 183-195.

أدى إلى ازدهار المدن وتطور الصناعات الحرفية التي أخذت تنتقل إلى المدن الساحلية لوجود المشاريع التجارية⁽¹⁾. وصاحب ذلك نمو طبقة البورجوازية التجارية التي أصبح دورها اجتماعياً، إلى جانب أثرها الاقتصادي⁽²⁾. حيث أخذت هذه الطبقة تقوض شيئاً فشيئاً قيود النظام الاقطاعي، وأسهمت في خلق أرضية صالحة للتطورات اللاحقة. إلى جانب ذلك، كان المجتمع الانكليزي يراقب ما يحدث على مستوى القارة الأوروبية، وكانت الاكتشافات الجغرافية محفزاً للانكليز للخروج من آثار العصور الوسطى. ولذا اهتم الملك هنري السابع (Henry VII)⁽³⁾ والملكة إليزابيث الأولى بالرحلات البحرية والمغامرات التجارية، التي مهدت للمشاريع التجارية، وشكلت أساس التطور اللاحق للرحلات الاستكشافية وتأسيس الشركات التجارية⁽⁴⁾.

وقد حققت انكلترا منذ أواخر القرن الخامس عشر تطوراً اقتصادياً لا بأس به، من مظاهره تزايد اهتمام الطبقات النافذة بكل ما يتعلق بالتجارة الخارجية، رافقه نشاط دبلوماسي ناجح للملك هنري السابع، حيث أقام علاقات تجارية مع الأراضي المنخفضة واسبانيا والدانيمارك، وغيرها من دول أوروبا، وأوجد منافذ لتجارة الصوف الانكليزي في أوروبا ومنطقة البحر المتوسط⁽⁵⁾.

وشهد عهد الملك هنري السابع نمو للرأسمالية وتطور المجال الزراعي وانعطف بالتالي اهتمام مالكي الأرض بشكل واسع نحو تجارة الصوف، فحول الإقطاعيون جزءاً من أراضيهم إلى مراعي لتربية الماشية⁽⁶⁾. ووجدوا أن تجارة الصوف مربحة فتوسعوا فيها، وسميت هذه

1. A.R. Myers, *England in the Late Middle Ages (1307-1536)*, Revised ed., London 1963, p.208-210.

2. *Ibid.*, p.208.

3. هنري السابع ال تيودور ملك إنكلترا، وهو أول حكام أسرة ال تيودور. من مواليد 28 جانفي 1457 في قلعة بيمبروك في انكلترا. ورث العرش عن طريق والدته عرش أسرة لانكستر الإنكليزية. تزوج من الأميرة إليزابيث أوف يورك، ووضع بذلك حدا لحرب الوردتين. تزوج من الأميرة إليزابيث آل يورك خلال الفترة ما بين 1486-1503، تولى حكم انكلترا في 22 اوت 1485، وقام بالعديد من الإصلاحات السياسية والاقتصادية، لاسيما في مجال دعم صناعة الصوف الانكليزي، كما ركز على تنظيم الضرائب من اجل زيادة مدخولات الدولة، توفي في 21 افريل 1509 بعد حكم دام (24) سنة بعد ان تمكن من ترشيح واستقرار الملكية الانكليزية، وجاء من بعده ابنه هنري الثامن. للتفاصيل ينظر:

تاريخ الزيارة في : 22 ماي 2020 https://en.wikipedia.org/wiki/Henry_VII_of_England.

4. John Bruce, *Op.Cit.*, Vol.I, p.106 .

5. E. Lisbon, *op.cit*, Vol.1, p.586-594 .

6. Innes, *op.cit*, P.50-51

العملية بالتسييج التي أدت إلى تقليل الأيدي العاملة⁽¹⁾، فاتجهت إلى المدن باحثة عن عمل، وكان من نتائج ذلك نمو المدن على حساب الإقطاعيات واهتمام بالصناعة والتجارة على حساب الزراعة. وفي محاولة لتأمين التجارة الخارجية لانكلترا، حافظ الملك هنري السابع على سلامة الطريق في بحر الشمال بسفنه التي طاردت سفن القراصنة⁽²⁾. وكانت أهم خطوة قام بها اهتمامه بالقوة البحرية، ففي عهده أصبح ميناء بورتسموث⁽³⁾ قاعدة بحرية كبيرة انشأ فيها أول حوض لبناء السفن، التي زيدت حمولتها إلى مائة طن وطورت أشرعها لتناسب الرحلات البعيدة⁽⁴⁾. وطبقاً لسياسة مرسومة، شجع طبقة جديدة من الأثرياء الذين قامت مؤسساتهم بتطوير القوة البحرية الانكليزية في الأعوام التالية⁽⁵⁾.

وعبر دبلوماسية السياسي المحنك عقد هنري السابع عدداً من المعاهدات التجارية والاتفاقيات، لتسهيل أمور التجار الإنكليز في القارة الأوروبية، منها معاهدة 1496 مع اسبانيا، هدفها دخول تجارة الأراضي المنخفضة، إلى جانب معاهداته مع الدانيمارك والعصبة الهندسية، التي استمرت تجارتها مزدهرة بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر، فهيمنت على تجارة أوروبا وتكونت من ائتلاف تجار شمال ألمانيا الذين نشطوا في تجارة البلطيق، وتجار كولون (Cologne) الذين تزعموا تجارة الأراضي المنخفضة وانكلترا. وبعد توسع تجارة هذه العصبة طيلة قرنين، انحلت بين أواخر القرن الخامس عشر والقرن السابع عشر لأسباب تتعلق بظهور دول تجارية جديدة كالإنكليز والهولنديين وكذلك بسبب انحلال المدن الألمانية⁽⁶⁾ الألمانية⁽⁶⁾ فامتدت التجارة الانكليزية إلى البلطيق، وأجبر التجار الفينديسين على إعطاء جزء

1. Innes, op.cit, p.51.

2.A. Newton, Op.Cit., p.5 .

3. بورتسموث: مدينة وميناء في المملكة المتحدة، على الساحل الإنجليزي، في مقاطعة هامبشاير. وتقع في شبه جزيرة بورتسي، وهي قاعدة بحرية. ترسانة لبناء السفن وإصلاحها. للتفاصيل ينظر:

30 https://en.wikipedia.org/wiki/Portsmouth_International_Port تاريخ الزيارة في: 30

جوان 2020

4. برنارد لو مونتجمري، المرجع السابق، ص313-332.

5. المرجع نفسه، ص332.

6. هانزه أو الرابطة الهانزية (die Hanse): هي رابطة ضمت الكثير من المدن التجارية في منطقة بحر الشمال (شمال الأراضي ألمانيا) والبلطيق، استمرت من القرن الثاني عشر حتى القرن السابع عشر الميلادي. ضمت في البداية ثلاث مدن ألمانية هي: لوبك، هامبورغ وكولونيا، ثم تزايد عدد المدن المنضوية تحت لوائها حتى بلغ الـ (80) مدينة في القرن الرابع عشر الميلادي. وشكلت هذه المدن نواة الرابطة الهانزية، أقامت لها عدة محطات تجارية في نوفغورود (روسيا)، برغن (النرويج)، لندن وبروج (بلجيكا). بدأت فترة الأفول عندما تلقت لوبك وهي المدينة التي كانت مركزا لها هزائم قاسية على يد الدانيمارك خلال الحروب الدينية ما بين 1535-1543. للتفاصيل ينظر:

Encyclopedia Britannica , Vol.II, Chicago, 1970, p.71-74.

جزء من تجارة النقل للتجار الإنكليز⁽¹⁾، فأدى ذلك إلى انفتاح انكلترا على التجارة الخارجية ووضع الأساس للتطورات اللاحقة.

وجرت محاولة تمهيدية لاختراق التجارة العالمية بحصول الإنجليز، ولاسيما بواسطة تاجر انكليزي مقيم باسبانيا، ويدعى روبرت ثورن (Robert Thorne) على خريطة ومعلومات جغرافية مهمة، سنة 1527، عن نشاط اسبانيا والبرتغال في تجارة التوابل وتجارة الهند الشرقية والغربية⁽²⁾. وكان ثورن أول من اقترح تأسيس تجارة مع الهند الشرقية عن طريق الشمال الشرقي⁽³⁾.

ووضع هنري الثامن التصميم التشريعي لقيادة البحرية حيث تم تأسيس نظام دقيق لقيادة القوة البحرية مؤلف من القائد الأعلى ومجلس البحرية ومراقب الحسابات بموجب قانون صدر سنة 1546⁽⁴⁾، وأعتبر هذا النظام النواة الأولى لقيام البحرية الملكية في عهد الملك شارل الثاني سنة 1660. أعقبت ذلك خطوة كبرى في تطوير البحرية بتسليح سفن الأسطول بالمدافع على الجانبين⁽⁵⁾، فأتاح ذلك للانكليز التغلب على مشكلة نقص القوة الضاربة للسفينة الشراعية. و جلب هنري الثامن تكنولوجيا العصر لسفنه حيث جعلها أكثر قدرة على المناورة بتحويل هيكل السفينة، الذي أصبح أكثر مرونة وانسيابية⁽⁶⁾. وساهمت الأخبار التي كان الناس يتناقلونها والإشارة إلى المثال البحري الأسباني في بلورة الاتجاه للرحلات⁽⁷⁾. إلا أن المشكلات الخارجية والداخلية في عهده⁽⁸⁾، إلى جانب تحالفه مع اسبانيا، أعاقت تطور مشاريعه للرحلات البحرية⁽⁹⁾.

1. Innes, Op.Cit., p.46 .
2. Richard Hakluyt, the Principal Navigations Voyages Traffiques & Discoveries of the English Nation, Vol.II, Glasgow Mc Mall , pp.159-163; R. Picard and (Others), Les Companies des Indes Route de la Porcelain, France 1966, p.93.
3. John Harris and (Others), A Complete collection Veyages and Travels, London 1745, p. 373-374 .
4. Richard Hakluyt, Op.Cit., Vol. XII, p.46
5. كانت السفن قبل ذلك مزودة بمدافع مركبة في مقدمة السفينة ومؤخرتها
6. Richard Hough, A History of Fighting Ships, London 1975, p.31-32, 38;
7. Richard Hakluyt, Op.Cit., Vol.XII, p.46.
8. تدخله في السياسة الأوروبية، وحربه مع فرنسا، وفصل الكنيسة الانكليزية عن البابوية، وتزعمه لها سنة 1534، وحل الاديرة ومصادرتها، للتفاصيل ينظر: أ.ل. راوس ، المرجع السابق، ص 72-85:
- George Macaulay Travelyan, History of England, London 1944, p.297-337; Hayes, Op.Cit., Vol.I, p.485-496.
9. A. Newton, Op.Cit., p.24 .

وفي عهد ادوارد السادس (Edward VI)⁽¹⁾ جرت محاولات للتوسع البحري في الساحل الساحل الأفريقي، الا أن البرتغاليين أعاقوا ذلك، وكان لاستمرار الصراع الديني أثر سلبي على نمو مشاريع الرحلات البحرية⁽²⁾.

وعند تولي الملكة ماري الحكم (1553-1558) أوقفت هذه العمليات البحرية، لزواجها من فيليب الثاني، ملك اسبانيا، لكن التجار الإنكليز استمروا بإرسال حملاتهم الاستكشافية للساحل الأفريقي سراً⁽³⁾. وكان بعض القراصنة الإنكليز قد حصلوا على خرائط ومعلومات جغرافية عند استيلائهم على بعض السفن الأسبانية⁽⁴⁾ فساهم ذلك في بناء تصورات للتطورات المستقبلية. ومن ثم تأسست في انكلترا في عام 1553 الشركة الموسكوفية " الروسية". وحصلت على براءة من الحكومة الانكليزية للتجارة مع روسيا وأرسلت الشركة الجديدة أربع سفن تجارية في عام 1557 كان في إحداها أنطوني جنكنسون (Anthony Jenkinson) الذي عبر الأراضي الروسية وتوجه منها إلى مدينة بخارى حيث اكتشف أن معظم التجارة الفارسية تمر عبر الأراضي العثمانية من خلال موانئ بلاد الشام. وتوصل جنكسون في عام 1558 إلى طريق يصله بمصادر إنتاج الحرير الخام في فارس من خلال الأراضي الروسية. ولذلك أبحر في عام 1559 نحو الجنوب بواسطة نهر الفولجا إلى نيجفورد ثم إلى قازان فاسترخان ومنها عبر بحر قزوين إلى فارس⁽⁵⁾. وعاد جنكنسون من هذه الرحلة إلى

1. الملك إدوارد السادس: ملك إنكلترا الثاني والعشرين وأيرلندا، من مواليد 12 أكتوبر 1537 في قصر هامبتون كورت في انكلترا. تولى الحكم في سن التاسعة من عمره في 28 جانفي عام 1547 خلفاً لأبيه الملك هنري الثامن، وتوج ملكاً في 20 فيفري عام 1547، وكان يحكم المملكة من قبل مجلس الوصاية لأنه قاصر. وقاد المجلس في البداية عمه إدوارد سيمور ، دوق سومرست الأول (1547-1549) ، ثم جون دادلي ، إيرل وارويك الأول (1550-1553) ، الذي كان منذ عام 1551 دوق نورثمبرلاند. تميز عهد إدوارد بالمشاكل الاقتصادية والاضطرابات الاجتماعية التي اندلعت في عام 1549 إلى أعمال شغب وتمرد. انتهت حرب باهظة الثمن مع اسكتلندا تميز عهد إدوارد بالمشاكل الاقتصادية والاضطرابات الاجتماعية التي اندلعت في عام 1549 إلى أعمال شغب وتمرد. انتهت حرب باهظة الثمن مع اسكتلندا. وفي شهر فيفري عام 1553 ، وفي سن 15 عاماً ، مرض إدوارد. عندما تم اكتشاف أن مرضه أصبح قاتلاً ، قام هو ومجلسه باختيار ابنة عمه الأولى ، السيدة جين جراي ، وريثه ، باستثناء أخواته غير الشقيقات، ماري وإليزابيث. وتم الطعن في هذا القرار بعد وفاة إدوارد . وتوفي في يوم 6 جويلية عام 1553 في قصر غرينيتش، وهو يبلغ من العمر 15 سنة. للتفاصيل ينظر:

https://en.wikipedia.org/wiki/Edward_VI_of_England . تاريخ الزيارة في: 26 جوان 2020.

2. أ.ل. راوس، المرجع السابق، ص 79-80.

3. A. Newton, Op.Cit., p.27 .

4. Scammell, op.cit., p.181 .

5. Danvers, F.C. Report On the India Office Records Relating to Persia And The Persian gulf , london, 1965 , p 12-14 .

إلى انجلترا في عام 1560. وكان جنكنسون قد التقى خلال رحلته إلى بلاد فارس بالشاه طهماسب في قزوين وسلمه رسالة من الملكة إليزابيث الأولى، ويبدو أن الشاه لم يحسن استقباله، ولكنه منح الإنكليز حق المتاجرة مع فارس؛ ولذلك فإن رحلة جنكنسون إلى فارس لم تسفر عن نتائج ذات أهمية بالنسبة للتجارة بين فارس وانجلترا⁽¹⁾.

ويبدو أن ذلك يعود إلى اقتناع جنكنسون بأن الوقت لم يحن بعد لبدء التجارة مع فارس بسبب الاضطرابات الداخلية في فارس وحروبها مع الدولة العثمانية وانتشار القراصنة في بحري قزوين، ورغم توزع نشاط جنكنسون واهتمامه بين الدولة العثمانية وفارس فقد حصل في عام 1553 على فرمان من السلطان العثماني بحرية التجارة الانكليزية في الدولة العثمانية ولكنه لم يسفر عن نتيجة أيضا.

ولكن محاولات شركة موسكو للوصول إلى أراضي بلاد فارس لم تتوقف. ففي عام 1563 أرسلت الشركة ثلاثة من وكلائها عبر الأراضي الروسية إلى البلاط الفارسي في بحر قزوين بمهمة تجارية؛ وبعدها بثلاث سنوات أرسلت الشركة في عام 1566 عددا آخر من وكلائها ومعهم منتجات انكليزية، وهي عبارة عن أقمشة صوفية انكليزية، وهناك التقى الوكلاء الإنكليز تجارا بناذقة جاءوا من مدينة حلب لمقايضة الحرير الفارسي الخام بملابس صوفية من صنع البندقية والتي كانت تلقى راجا من قبيل اهالي المنطقة. وكان تجار البندقية مسيطرون على تجارة الحرير الفارسي إلى أوربا ، فضلا عن دورهم في توزيع التوابل الشرقية أيضا⁽²⁾.

عززت الشركة الروسية في عام 1566 موقفها الساعي إلى إيجاد منفذ لها في بلاد فارس، عندما حصلت مرة أخرى من البرلمان الانكليزي على تأكيد لامتيازاتها التي منحها لها الحكومة الانكليزية في عام 1554، ومنها حق المتاجرة مع روسيا وميديا وبلاد فارس ومنطقة بحر قزوين، ولكن خلال هذه المرحلة شهد النشاط التجاري الانكليزي مع بلاد فارس عبر الأراضي الروسية تراجعا واضحا، ولكن محاولات الشركة الروسية تجددت مرة أخرى في عام 1568 عندما بدأت بتنفيذ مشروع جديد للتجارة مع الشرق عبر روسيا أستمر حتى عام 1573، وبرهن على الفائدة التي يمكن للشركة الحصول عليها من تلك التجارة الفارسية إلى

1. عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، بريطانيا وامارات الساحل العماني، مكتبة عدنان، بغداد، 1978، ص

2. عبد العزيز عوض، المرجع السابق، ص 83

أن أظهرت بعض الخلافات بين قيصر موسكو والتجار الإنكليز ووكلاء الشركة الروسية⁽¹⁾. مما اثر على مردود هذا النشاط التجاري الانكليزي.

شهد النشاط البحري والتجاري تطورات واسعة في عهد الملكة إليزابيث الأولى، التي اهتمت بتحديث البلاد في عصر سادته التعصب الديني والسياسي، وأحلت السلام في بلادها، وربطت المصالح الفردية بسياسة الدولة⁽²⁾. وكان للطبقة المتوسطة تأثير كبير في عهدها واعتمدت في إدارة الدولة على شخصيات تميزت بالكفاءة والقدرة على اتخاذ القرارات الصائبة⁽³⁾. وانتهت في بداية عهدها الحرب مع فرنسا، واستمرت صداقة اسبانيا، فوطد ذلك لحلول مشكلات العهود السابقة المتراكمة، وقامت بإصدار قانون الحرفيين سنة 1563 الذي نظم العمل بين العمال وأصحاب العمل⁽⁴⁾.

في عام 1579 جرى تنظيم بعثة أخرى برئاسة كل من: إدواردز (Edwards) وبيرو (Peru)، وفي الطريق إلى بلاد فارس توفي الأول، في حين تعرض الثاني إلى عملية سطو أثناء عودته من بلاد فارس. وبإخفاق هذه البعثة أيضا أضطر الإنكليز إلى التخلي عن فكرة تأمين طريق بري يؤدي إلى مضيق هرمز بصورة نهائية. وهكذا تبين للإنكليز أنه من غير الممكن تحقيق خططهم الرامية إلى التوغل في بلدان المشرق الإسلامي والشرق الأقصى عن طريق روسيا وبلاد فارس، وكذلك الأمر بالنسبة لاكتشاف طريق شمالي شرقي يوصلهم إلى الصين⁽⁵⁾. ويعود السبب الأساسي في إخفاق الإنكليز في محاولاتهم تلك إلى وجود سلطة روسية قوية، وقفت في طريق توسعهم الاستعماري.

عندما ضعفت السلطة المركزية الروسية في زمن الفتنة والاضطرابات الداخلية، على اثر الغزو البولندي في أوائل القرن السابع عشر الميلادي، وجد الملك الانكليزي جيمس الأول (James I)⁽⁶⁾ أنها فرصة لا بد من استغلالها. ولهذا جرى في البلاط الملكي وضع الخطة

1. Danvers.F.C. Op.Cit., p 14-15

2. بول كيندي، القوى العظمى التغيرات الاقتصادية و الصراع العسكري 1500-2000. تر: عبد الوهاب

علوب، دارسعاد الصباح، الكويت، الكويت، 1993، ط1، ص95

3. أ.ل. راوس: المرجع السابق، ص84.

4. بول كيندي، المرجع السابق، ص96

5. المرجع نفسه، ص 97.

6. جيمس الأول: هو جيمس تشارلز ستيوارت ولد في 19 جوان 1566، كان ملك اسكتلندا باسم جيمس السادس منذ عام 1567 قبل ان يتولى عرش انكلترا وايرلندا باسم (جيمس الأول) بعد اتحاد العرشين الاسكتلندي والإنكليزي في 24 مارس عام 1603 حتى وفاته عام 1625. وفي عهد انطلق المشروع الاستعماري في العالم الجديد. وفي عهده شهدت البلاد تطور حضاريا وفكريا وادبيا، وذلك يرجع إلى

للتدخل العسكري في روسيا واحتلال مدن: أرخانجيلسك، وخولما خور، واوست سيسولسك، وقازان، أسترخان، وياروسلافل، ونيجنينوفجورود وغيرها من المدن الروسية، وفرض الحكم الانكليزي فيها. وكانت الخطوة الأولى لتنفيذ مخططهم، ارسال بعثة جون ميريك (John Merrick) ووليم راسيل (William Russell) إلى روسيا. إلا أنه عندما كان الأول في طريقه إلى روسيا نجح الشعب الروسي في طرد الغزاة، وأستقرت السلطة المركزية في البلاد. ونتيجة لذلك منيت بعثته بالإخفاق⁽¹⁾.

وبهذا الشكل أيضا، وكما استطاعت روسيا القديمة قبل عدة قرون إنقاذ أوربا من الغزاة المغول، وقفت في أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر عقبة كداء في الطريق الذي ارتسمه الإنكليز لتوسعهم الاستعماري في بلدان المشرق. وفي الوقت نفسه تعد محاولات الإنكليز التوغل في الشرق مثلا لما كان يحدث على مشارف القرنين السادس عشر الميلادي. وكان هذا أسلوبهم في السياسة التي انتهجوها في القرن التاسع عشر الميلادي، عندما فرضوا سيطرتهم على الخليج العربي، واخذوا يملون شروطهم على فارس. كما أن مسألة النقل بالنسبة للإنكليز في منطقة مترامية الأطراف، سادت فيها الإقطاعيات المتشردمة، تشكل لهم عقبة حقيقية في تنظيم طريق تجارية برية تمر عبر روسيا وفارس؛ إذ كانت المخاطر تبرص بالتجار في كل خطوة في دروب القوافل. وكثيرا ما دعتهم الحاجة لنقل البضائع من السفن النهرية إلى دواب النقل وعربات الجر. وكان التجار الانكليز يصطدمون في كل دولة- صغيرة كانت أو كبيرة- بأنظمتها الخاصة وقوانينها المتعلقة بأوزان الحمولات وأحجامها، ورسومها. وهناك مسألة لا تقل أهمية عن ذلك، وهي أن الشركات التجارية الانكليزية القوية لم تكن في أوائل القرن السادس عشر الميلادي تقتنع بالأرباح البسيطة التي تجنيها من استخدام الطرق التجارية غير المباشرة، بل كانت تطالب، مع تطور الصناعة بحصة الأسد من أرباح التبادل السلعي العالمي؛ حتى وان كان الثمن لذلك خوض صراع مسلح مميت مع المنافسين⁽²⁾.

كونه كان مؤلفا موهوبا، وله العديد من الاعمال الادبية. وفي عهد ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة الانكليزية. جنب بلاده المشاركة في الحروب الدينية التي شهدتها اوربا آنذاك، ولاسيما حرب الثلاثين عام (1618-1648). والتي دمرت معظم مناطق أوروبا الوسطى. توفي في يوم 27 مارس عام 1625 بعد إصابته بمرض الزحار عن عمر ناهز ال(58) عاما. للتفاصيل ينظر:

تاريخ الزيارة في: 20 فيفري 2020 https://en.wikipedia.org/wiki/James_VI_and_I.

1. نتاليا نيكولاينتا تومانوفيتش، المرجع السابق، ص 87.

2.. المرجع نفسه، ص 88

خلاصة القول، نجد أن الانكليز، اجتهدوا كثيرا من اجل دخول ميدان الاستكشافات الجغرافية - التي سبق أن تصدرتها كل من اسبانيا والبرتغال-، وقام الانكليز بدعم ملوكهم بنشاطات متعددة من اجل تأمين طريق للوصول الهند. وكل هذا الجهد البحري ، كان محاولة منهم للوصول إلى منافذ جديدة من اجل اقتطاع جزءا من تجارة الشرق التي تدر أموالا كبيرة، والحد من هيمنة البرتغاليين لها.

المبحث الثاني: تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية:

ثمة شيء مؤكد أن المصطلحات الجغرافية تتغير في الكتابات التاريخية، فمؤرخوا القرن السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، استخدموا مصطلح الهند الشرقية على نحو عام، فقد يشير المصطلح إلى مضمونه وقد يستخدم أيضا لدلالة على الهند الغربية (العالم الجديد)، وتجاوزا لهذا الإشكال، نستخدم المصطلح ليشير إلى الجزر التي تقع شرق وجنوب شرق الهند، وسنطلق عليهما (جزر الهند الشرقية) أو (جزر الأرخبيل) وتشمل ملاكوس (molucas) أو (جزر التوابل) التي تشكل جزءها الأكبر اندونيسيا الحالية⁽¹⁾. ولكي نفهم الكيفية التي وصل بها الإنكليز إلى الهند وتمركزوا فيها، لابد من تتبع المحاولات الأولى للوصول إليها، لأنها تشكل أساساً لفهم الكثير من التطورات اللاحقة. فقد استندت شركة الهند الشرقية إلى معلومات التي جاءت على اثر هذه الرحلات عند تعاملها المبكر مع الهند.

بدأت محاولات الإنكليز للوصول إلى الشرق في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي لرغبتهم الشديدة للمشاركة في التجارة الشرقية، ولكن خوفهم من القوة البرتغالية في البحار الشرقية دفعهم إلى البحث عن طرق أخرى لا يسلكها البرتغاليون، فبدأوا بالمتاجرة مع الشرق عن طريق الطريقان الشمالي الغربي والشمالي الشرقي للوصول إلى الهند. ثم عبر الطريق الجنوبي الغربي عبر مضائق ماجلان، فطريق الليفانت البري. ولكن الذي حدث أن كل هذه البدائل لم تكن نافعة كبديل للوصول إلى تجارة الشرق مباشرة. ولم يكن الا طريق واحد يوصل الانكليز إلى الهند وجنوب شرق آسيا ، طريق رأس الرجاء الصالح⁽²⁾.

أولا- ظروف ودوافع التأسيس:

بمرور الوقت استشعر الانكليز بالثقة في مواجهة المنع البرتغالي من الوصول إلى الهند وجنوب شرق آسيا، وارتبط ذلك بالعديد من المعطيات والتطورات التي شهدتها انكلترا ، والتي تمثلت في: تنامي النشاط التجاري الانكليزي بشكل متسارع بعدما تمكنت الشركات الانكليزية من تحقيق نجاحات اقتصادية في مناطق عدة من العالم، كما هو الحال في منطقة شرق المتوسط وشرق أوروبا. فضلا عن تطور المعلومات الملاحية والفلكية، والإحساس بضرورة تقاسم الأرباح الهائلة التي تحققها كل من البرتغال واسبانيا نتيجة هيمنتها على

1. Robert Orme, Historical Fragments of the Mogul Empire of the Morattoes, and of the English Concerns in Indostan from the year M. DC. Lix (1659) , New Delhi 1974, p.295; Encyclopedia Britannica, Vol.15, Chicago 1966, p.679.

2. Penrose, Op.Cit., p.170-172 .

طرق التجارة العالمية. ونتيجة لكل هذه المعطيات والتطورات، وجدت الحكومة الانكليزية أن مسألة دعم التجار الخارجية مسألة تتعلق بالأمن القومي لها، ولهذا، فقد مهدت الحكومة لتأسيس شركة تأخذ على عاتقها مسألة تنفيذ مخططاتها بالوصول إلى التجارة الشرقية والحد من الهيمنة البرتغالية. كما شكلت بعض التطورات السياسية التي شهدتها أوروبا - في أواخر القرن السادس عشر الميلادي - ضغطاً على الانكليز ونشاطهم التجاري الخارجي بعد توقف التجارة مع ميناء أنتويرب⁽¹⁾، والذي يعد من أهم المراكز التجارية يجري فيها تبادل منتجات و سلع تجارة فيما وراء البحار، حيث كانت تأتيا البضائع الشرقية والأوروبية بالإضافة إلى بضائع العالم الجديد، في الربع الأخير من القرن السادس عشر الميلادي⁽²⁾. وارتبط سبب هذا التراجع إلى اتحاد العرشين الاسباني والبرتغالي⁽³⁾، واندلاع حروب الأراضي المنخفضة التي أثرت على سير الأعمال التجارية هناك⁽⁴⁾.

وعليه، كانت الحاجة ملحة لإنشاء شركة تجارية ذات تخويل حكومي تمثل تجارة ما وراء البحار الانكليزية، وان كان هناك نشاط تجاري انكليزي يجري من قبل شركاتها، كما هو الحال بالنسبة لنشاط شركة موسكو التي تنشط في الأراضي الروسية والفارسية وآسيا الوسطى، وشركة الليفانت التي تركز نشاطها على نحو واسع، في إعادة تصدير التوابل من أوروبا إلى أقاليم الدولة العثمانية، فضلاً عن محاولاتها الوصول إلى بلاد فارس. ولكن كل هذا

1. منذ نهاية القرن الخامس عشر الميلادي أصبحت مدينة أنتويرب تتمتع بأهمية تجارية كبيرة بعد تراجع دور مدينة بروج، وشجع هذا الوضع على انتقال البيوت التجارية الأجنبية - لاسيما الانكليزية - من بروج إلى أنتويرب، وبمرور الوقت غدت أنتويرب مركز الاقتصاد الدولي برمته. وكانت أنتويرب أغنى مدينة في أوروبا في هذا الوقت، إذ ارتبطت هذه الأهمية بأنها غدت مركزاً لتجارة ما وراء البحار التي ازدهرت نتيجة الاستكشافات الجغرافية. وخلال النصف الأول من القرن السادس عشر نمت أنتويرب لتصبح ثاني أكبر مدينة أوروبية في الشمال من جبال الألب بحلول عام 1560. وكان يقيم العديد من التجار الأجانب تمر فيها مئات السفن يوماً، وتدخل المدينة حوالي 2000 عربة نقل كل أسبوع. ولكن هذا الرخاء الاقتصادي توقف فجأة نتيجة الحروب الدينية، وبعدها الثورة الهولندية ونتيجة ذلك توقف نشاطها التجاري، وهو ما انعكس سلباً على التجار الانكليز الذين كان جل نشاطهم مع أنتويرب.

2. K.N. Chaudhuri, *The English East India Company the Study of An Early Joint-Stock Company 1600-1640*, London, 1965, p.10.

3. في عام 1580 اتحد العرش البرتغالي والعرش الاسباني بعد وفاة الملك البرتغالي هنري، ولم يترك ذكراً ليرثه في الحكم، ولما كان الملك الاسباني فيليب الثاني يترابط بعلاقة قرابة بالأسرة الحاكمة في البرتغال آل الحكم إليه، فاتحد العرشان نتيجة ذلك. ينظر: فاروق عثمان ابازة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر 1839-1918، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987، ص 66-

النشاط لم يكن كافيا للطموح الرأسمالية الانكليزية- إن صح التعبير- فهي كانت تريد مداخيل اكبر ما كان يتحقق لها آنذاك. وكان هناك حادث رفع من سقف الطموحات الانكليزية، تمثل في وقوع سفينة برتغالية تدعى (سانت فيليب) عام 1587 بيد القرصان الانكليزي دريك (Drak)، والذي اكتشف من على أرشيفها، حجم الثراء الفاحش الذي تحققه التجارة البرتغالية من احتكارها لتجارة الشرق. وهو زاد من تصميم الانكليز في فتح طريق لهم باتجاه الهند وجنوب شرق آسيا وتأمين الطرق المؤدية لها⁽¹⁾.

لم تتمكن انكلترا من استغلال الانتصار الكبير الذي تحقق نتيجة هزيمة الأسطول الاسباني في معركة الارمادا عام 1588، فعلى الرغم من ان هزيمة الارمادا كانت بداية تقهقر الهيمنة البحرية الاسبانية- البرتغالي أيضا- وتراجعها اقتصاديا وسياسيا إلى الصف الثاني في مصاف القوى الكبرى في العالم آنذاك، وأعطى الانكليز الثقة بقدراتهم، الا ان ذلك لم يفسح المجال على مصراعيه أمامهم وفرض كلمتهم في مجال تجارة ما وراء البحارة، ولاسيما تجارة الشرق، إذ تزامن ذلك ظهور هولندا - بعد اتحادها- كبديل للأسبان ومنافس للبرتغاليين في تجارة الشرق⁽²⁾. وأصبح الهولنديون المورد الأساس للتجار الانكليز، إلا أنهم كانوا يفرضون أسعار خيالية مقابل سلع ومنتجات الشرق⁽³⁾. وهذا الموقف زاد من رغبة الانكليز في ضرورة فتح قنوات مباشرة مع الشرق، ونتيجة ذلك، دعا كبار تجار مدينة لندن إلى عقد اجتماعا لتدارس الوضع، وعقد الاجتماع في يوم 22 سبتمبر 1599 وحضره (101) تاجر، وقرروا في اجتماع ترأسه رئيس البلدية اللورد ميبور (Lord Maybor) تشكيل هيئة انكليزية للتجارة المباشرة مع الهند، حملت اسم (اتحاد التجار المغامرين بهدف الاتجار مع الشرق)⁽⁴⁾. ومما زاد الحافز أكثر بالنسبة للانكليز، نشر المستكشف والتاجر الانكليزي رالف فيتش تفاصيل الرحلة التي قام بها نحو الشرق، وظهر أهمية وصول الانكليز إلى هناك، وهذا شجع بدوره تجار لندن إلى اتخاذ إجراءات الكفيلة لتأمين وصولهم إلى هناك، فكان القرار تأسيس شركة

1. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، علاقة ساحل عمان ببريطانيا، دار الملك عبد العزيز، الرياض، 1982، ص 49.

2. جورج لوفران، تاريخ التجارة منذ فجر التاريخ حتى العصر الحديث، تر: هاشم الحسيني، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.ن، ص 82

3. كان للتوابل أهميتها الكبيرة في المجتمع الانكليزي آنذاك، ومع ذلك رفع الهولنديون أهم وسطاء تجارة التوابل، سعر الفلفل- على سبيل المثال- من ثلاث شلنات إلى ثمانية للرتل الواحد في عام 1599، مما جعل التجار الانكليز يصممون على بلوغ أرض التوابل بأنفسهم مهما كلف الأمر. ينظر: عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، مصدر سابق، ص 50.

4. Roymand Beazley, Op.Cit. , p.224 : 46 ص، المرجع السابق، علي عبد الله فارس،

الهند الشرقية الانكليزية⁽¹⁾. أضف إلى ذلك، سياسة الملكة الانكليزية وحكومتها القائم على أساس دعم نشاط التجارة والبحارة الانكليز في إيجاد مكانة لهم في تجارة ما وراء البحار، وتحقيق الفائدة الاقتصادية والسياسية من وراء ذلك⁽²⁾. ويظهر من خلال ذلك، إن الأجواء كانت مثالية وحقيقية لكي تدخل انكلترا ميدان التنافس مع القوى البحرية الأوروبية الأخرى عبر تأسيس شركات تجارية متعددة، وكان من أهمها شركة الهند الشرقية الانكليزية⁽³⁾.

بعد إعلان تأسيس (اتحاد التجار المغامرين بهدف الاتجار مع الشرق) في يوم 24 شهر سبتمبر عام 1599، وبراسمال قدر ب(30.133) باوناً، اتفق المجتمعون على الشروع في تنظيم رحلة إلى الهند وجزر الهند الشرقية، وكذلك تقديم التماس إلى الملكة اليزابيث الأولى للسماح لهم بالإبحار إلى الهند وجزر الهند الشرقية والبلاد القريبة منها، وبرروا طلبهم هذا بأنهم يريدون العمل من أجل شرف بلادهم وتطوير التجارة والمشاريع التجارية. وهذا يعني أن المصالح السياسية تداخلت منذ بداية التفكير بتأسيس الشركة، إلا أن السياسة كانت لأجل خدمة المصالح التجارية وجعل موقف التجار قوياً. وشكلوا بعد ذلك (هيئة المديرين الخمسة عشر)، الذين حولوا صلاحية التحضير للرحلة التي تم التخطيط لها. وفي يوم 25 سبتمبر، تم تشكيل لجنتين، عهد إلى الأولى مهمة متابعة تقديم التماس الامتياز إلى المجلس الاستشاري للملكة، أما الثانية، فكان عليها تنظيم عملية تجهيز السفن وإعدادها للرحلة⁽⁴⁾.

استقبل هذا الالتماس على نحو حسن من قبل المجلس الاستشاري للملكة، فتم في يوم 16 ديسمبر عام 1599 موافقة الملكة على القيام بالرحلة، وتصدير السبائك للخارج، ولكن المجلس الاستشاري تريت في منح ترخيص لمواصلة الرحلات ومنح الامتيازات للاتجار مع الشرق⁽⁵⁾. وعلى ما يبدو، ان هذا التريت كان مرتبط في تردد الملكة في بادئ الأمر في إصدار لائحة الامتيازات حتى لا تقضي على بارقة الأمل للوصول إلى سلام مع اسبانيا، والتي أثرت أن لا تضيعها. ولكن تم إقناعها بالموافقة على إرسال وفد إلى الإمبراطور المغولي اكبر الأول،

1. كان رالف فيتش قد غادر انجلترا في فبراير 1583 على رأس مجموعة من التجار البريطانيين للتعرف أكثر على أوضاع التجارة الشرقية. وبعد أن قام فيتش بزيارات اكتشافية كثيرة في مناطق الهند و بورما وسيلان عاد إلى انكلترا عام 1591، حيث وضع تقريره المثير، مما جعل تجار الإنجليز يبذلون كل ما في وسعهم ليكون لهم نصيبهم من تلك التجارة الرائجة. ينظر: أحمد حمود العمري، عمان و شرق افريقية، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1980، ص 55
2. فاروق عثمان اباطة، المرجع السابق، ص 64.
3. نمير احمد نور احمد، المرجع السابق، ص 34.
4. المرجع نفسه، 35-36؛ علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 46.

فقامت بإرسال جون ملدن هال (John Milden Hull) عن طريق البر عبر اسطنبول، بينما كان الاعتراف الرسمي بالشركة موقع البحث و النقاش⁽¹⁾ .

وبعد أن يُست الملكة إليزابيث الأولى من إقرار السلام مع اسبانيا، منحت الملكة براءة(مرسوم) ملكية في 31 ديسمبر 1600 للتجار الإنكليز بموافقتها حرية التجارة والاحتكار في الهند والمناطق المجاورة لمدة (15) سنة تخضع بعدها لتقدير التاج الانكليزي، كما حظر المرسوم منح الامتيازات للآخرين في الشرق الا بموافقة الشركة، وإعفاء إيراداتها من الكمارك عن رحلاتها الأربع الأولى إلى الشرق، والتصريح لها بإخراج مبلغ قدره (30.000) جنيه نقدا او بضائع من انكلترا كل عام من اجل تغطية نفقات مشترياتها من السلع الشرقية⁽²⁾ . كما خولت الملكة بموجب موافقتها للشركة صلاحية سن القوانين الفرعية وعقاب المعتدين عليها بالغرامة أو السجن، بقدر ما لا يتعارض مع قوانين البلاد، وكذلك منحها الحق في شراء الأراضي كما حظرت على جميع رعايا الملكة التجارة داخل الحدود الجغرافية المعينة للشركة، وتقرر أن المخالف لهذا الحظر سوف يتعرض لمصادرة سفينته أو حمولتها أو الحبس أو عقاب آخر، ما لم يكن هناك تصريح صدر خصيصا لهذا الغرض من قبل الشركة⁽³⁾ . ومن بين ما جاء في المرسوم، بأنه: "من أجل كرامة أمتها و ثروة شعبيها وازدهار الملاحة في بلادها و تطور التجارة الشرعية للصالح العام تعطي هؤلاء الإذن بالإبحار لرحلة أو أكثر يستعملون فيها القوارب والسفن التي تأخذهم وبضائعهم إلى الهند الشرقية"⁽⁴⁾ .

وفيما يخص هيكلية الشركة ، فقد نص قانون التأسيس، على أن إدارة الشركة تعهد إلى الحاكم ولجنة مؤلفة من (24) عضوا عرفت باسم (لجنة المدراء) يعين أعضاؤها سنويا في شهر جويلية، وكان أول حاكم للشركة هو توماس سميث (Thomas Smith)، كما كان من ضمن أعضاء لجنة المدراء البارزين ريتشارد ستير(Richard Stier)، وهما اثنين من المؤسسين الأصليين لشركة الليفانت التي مولت الرحلات الاستكشافية التجارية في آسيا وجزر الهند الشرقية، وقامت بتحسين المشروع الانكليزي الجديد تجاه منطقة الهند الشرقية

1. عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، حكومة الهند البريطانية والادارة في الخليج العربي: دراسة وثائقية، دار المريخ للنشر، الرياض، 1981، ط1، ص13؛ نمير احمد نور احمد، المرجع السابق، ص 34-35.

2. المرجع نفسه، ص14؛ عبد العزيز عوض، المرجع السابق، ص133؛ R.Mukherje, op.cit. , p.66.

3. جورج لوفران ، المرجع السابق ، ص 72؛ نمير احمد نور احمد، المرجع السابق، ص 37-38.

4. A.V Jackson, History of india, vol.VI, New york Ams Press, New york, 1975, p. 230.

بفعالية ونشاط كبيرين⁽¹⁾، كما أخذت منها الشركة الجديدة رؤوس أموالها وعدد كبير من رجالها⁽²⁾.

وشهد رأسمال الشركة - بعد موافقة الملكة - ارتفاعا ملحوظا حيث بلغ ما مجموعه (68373) جنيه، كما ارتفع عدد المساهمين فيها ليصل إلى (217) مساهما⁽³⁾، وبتأسيس الشركة تم رسميا تحويل الملاحة الانكليزية عن طريق البحر الأبيض المتوسط إلى طريق رأس الرجاء الصالح الذي كان قد تحول قبل حوالي قرن من الزمان إلى الطريق الملاحي البحري الرئيسي في المبادلات التجارية بين أوروبا وجزر الهند الشرقية⁽⁴⁾. وبذلك جاء تأسيس (شركة الهند الشرقية) بداية مرحلة جديدة في علاقات انكلترا مع الشرق⁽⁵⁾، ولاسيما عبر شبة القارة الهندية والطريق المؤدي إليها. وهكذا، أصبحت الشركة هي المحتكر الانكليزي الوحيد للتجارة مع الهند والشرق - بما فيها منطقة الخليج العربي-، وكان هدف الشركة الانكليزية الأساسي الحصول على جزء من ثروات الشرق وتوفير التوابل والحريرو والمنسوجات الشرقية للأسواق الانكليزية⁽⁶⁾.

لقد أظهرت الرغبة في دعم وتشجيع النشاط البحري باتجاه الشرق من قبل الملكة إليزابيث الأولى أثره في إنشاء الشركة، وطبيعة الامتيازات التي تحصلت عليها، وكانت لتشجيع التجار ومتابعة نشاطاتهم في هذا الاتجاه بكل حرص ورغبة⁽⁷⁾. ومعنى هذا، أن الملكة إليزابيث الأولى كان متحمسة لمثل هذه المشروعات وداعمة لها، يدفعها في ذلك - بطبيعة الحال - العامل السياسي والاقتصادي والرغبة في أن تتبوأ انكلترا مكانة مميزة في العلاقات الدولية. وكانت مسألة كسر شوكة اسبانيا والبرتغال وحرمانهما من احتكار التجارة الشرقية ذات الأرباح الخيالية من أولويات السياسة الخارجية لانكلترا آنذاك⁽⁸⁾. كما كانت الشركة تعبر عن الذاتية القومية للانكليز الذين استشعروا بالقوة بعد هزيمتهم للأسطول الأسباني في

1. A.V Jackson , Op.Cit., p.216.

2. جلال يحيى، العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1982، ص 657 .

3. ج.ج. لوريمر، دليل الخليج: القسم التاريخي، ج1، تر: ديوان أمير قطر، مطابع علي بن علي، الدوحة، 1972، ص 23؛ وندل فيليبس، تاريخ عمان، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1974، ص 110

4 السيد رجب حراز، افريقية الشرقية والاستعمار الاوربي، د.م.ن، القاهرة، 1968، ص 4

5. يقظان سعدون العامر، نشاط شركة الهند الشرقية الانكليزية في البصرة، د.م.ن، بغداد، 1990، ص7.

6. عبد العزيز عوض، المرجع السابق، ص134

7. جورج لوفران، المرجع السابق، ص 72

8. عبد المنعم النمر، تاريخ الاسلام في الهند، دار العهد الجديد للطباعة، القاهرة، 1960، ص 59

معركة الارمادا عام 1588، وكان لاندفاع الهولندي في كسر الهيمنة الاسبانية والبرتغالية لتجارة ما وراء البحار- ولاسيما الشرقية منها - حافزا هو الآخر في تحرك الانكليز⁽¹⁾، وأصبحت انكلترا بعد ذلك أعظم دولة بروتستنتية حرة في أوروبا، وبدأت مرحلة مهمة من المغامرات والنشاط التجاري الاستعماري⁽²⁾.

ثانيا- الهند بوصلة النشاط التجاري البحري الانكليزي:

عندما تحركت اولى الرحلات الانكليزية باتجاه الشرق من الساحل الانكليزي في يوم 13 فيفري عام 1601، وعبورها فيما بعد عبر رأس الرجاء الصالح تطورا هاما لصالح التجارة الانكليزية فيما وراء البحار⁽³⁾. وبمرور السفن الانكليزية يمكن اعتبار ان شركة الهند الشرقية نجحت في تنفيذ مخطط نشاطها التجاري المنتظم نحو الهند خاصة والشرق عامة. وعدت هذه الرحلات البحرية كسبا كبيرا لانكلترا لأنها فتحت لها الطريق إلى مناطق الثراء، وساهمت في الوقت ذاته في خلق فئة من التجار ذوي خبرة في المسائل الملاحية والمضاربات التجارية، وجعلتهم على احتكاك مع الأمم البحرية التي سبقتهم في هذا الميدان، ولاسيما البحارة الايطاليون والاسبان والبرتغاليون وتجار المناطق التي وصلوا اليها. ووفرت لهم هذه الرحلات معرفة جغرافية جيدة عن مناطق قدم البرتغاليون والاسبان أوصافا غير صائبة عنها لتمويه منافسيهم. وكانت هذه النشاطات البحرية تجارب لا بد منها قبل ان تلقي بكل ثقلها في الميدان من اجل الهيمنة والسيادة⁽⁴⁾.

لقد تعامل الانكليز مع مسالة منافسة البرتغاليين في ميدانهم -الهند وجزر الهند الشرقية- بحذر، والدليل على ذلك، إن أي من الرحلتين الأوليتين ساحل الهند حيث السيطرة البرتغالية، وإنما قصدت جزيرة سومطرة وجافا وملقا⁽⁵⁾. إذ لم تزل حالة الحرب بين انكلترا

1. خرجت أول رحلات الهولنديين نحو الشرق ، باتجاه الهند وجنوب شرق آسيا في عام 1595. ينظر: عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، المرجع السابق، ص 13.
2. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ج 2، ص 33
3. من الجدير بالذكر أن النشاط الانكليزي تزامن تقريبا مع بدء النشاط البحري هولندي في أواخر القرن السادس عشر بعد استقلال هولندا عن التاج الاسباني، فوصل رحالة من امثال كورنليوس هوتمن Cornelius Hotman ونيك neck ولنشوتن Linschoten إلى الهند وجزر الهند الشرقية، ومهدوا الطريق لسطوة القوة الهولندية هناك. ينظر: Penrose, op.cit., p.2-4.
4. يقظان سعدون العامر، المرجع السابق، ص 11-12.
5. سار الانكليز على خطى الهولنديين الذين سبقوا الانكليز في تأسيس مراكز تجارية لهم، فآخذ الانكليز ينشئون مراكز قريبة من مراكز الهولنديين، وهو الأمر الذي احدث صداما مسلحا بينهما فيما بعد. ينظر: نمير احمد نور احمد، المرجع السابق، ص 41.

والتاج الموحد- الاسباني البرتغالي - في أوجها، ولم يتمكن الانكليز من الوصول إلى الهند إلا في الرحلة الثالثة التي تحركت في شهر مارس عام 1607، إذ كانت الحرب بين الطرفين قد انتهت بموجب اتفاق لندن عام 1604، لاسيما وان الانكليز تبين لهم بعد الرحلتين السابقتين مع سومطرة وجافا وملقا على أنهم لا يمتلكون شي لبيعه في تلك المناطق لتشتري بثمنه التوابل والسلع الشرقية، وإنما الطلب في تلك الجزر يشتد على السلع الهندية، مثل: المنسوجات، الأفيون، لهذا قرر الانكليز الذهاب إلى الهند وإنشاء مركزا تجاريا لهم من اجل الاتجار في هذه الأصناف السلع التجارية المطلوبة في الجزر الأخرى⁽¹⁾.

وبذلت الشركة الانكليزية جهودا مضيئة من اجل فتح وكالات لها على سواحل الهند⁽²⁾، وبالفعل نجح الانكليز في إنشاء أول وكالة تجارية لهم في سورات على الساحل الهندي الغربي في عام 1608⁽³⁾. وبمرور الوقت تحصل الانكليز على تصاريح أخرى بفتح وكالات لها مقابل أموال كانت تدفع للحكام المحليين، ولما كانت موقف الشركة ضعيف في أول الأمر، فان الانكليز لجؤا إلى الحيلة والتودد إلى الحكام المحليين، وتقديم الهدايا المختلفة لهم، فضلا عن كون هؤلاء الحكام على حالة حنق من البرتغاليين بسبب سلوكهم الخشن في التعامل مع الأهالي، فتقبلوا الانكليز وسمحوا لهم بالتجارة في اراضيهم، وربما فكر البعض في استغلالهم لضرب البرتغاليين وكسر شوكتهم⁽⁴⁾. وكانت هي نقطة الانطلاق نحو السيطرة على كامل شبة القارة الهندية.

ولابد من الإشارة هنا، من أن نشاط الشركة الانكليزية لم يقتصر على التجارة فقط وتحقيق اكبر قدر من الأرباح، وإنما كانت هناك مهام أخرى يقوم بها تجار الشركة، وتنعكس تعليمات مقر الشركة في لندن، وهي⁽⁵⁾:

أ- إثبات الوجود في منطقة المحيط الهندي، وإظهار هيبة انكلترا أمام منافسيها من

الأوربيين ودول المنطقة.

ب- مسح المنطقة جغرافيا وتثبيت الوجود الانكليزي في المنطقة مهما كان طبيعة

الاكتشاف صغير.

1. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، المرجع السابق، ص 14-15: نمير احمد نور احمد، المرجع السابق، ص42.

2. نمير احمد نور احمد، المرجع السابق، ص44.

3. عبد العزيز عوض، المرجع السابق، ص 134.

4. نمير احمد نور احمد، المرجع السابق، ص44.

5. نتاليا نيكولاينتا تومانوفيتش، المرجع السابق، ص 82-83 : R. Hakluyt , Op.Cit., p. 264-273.

ت- توثيق اواصر الصداقة والتعاون مع سكان المنطقة من اجل ترسيخ مصالح انكلترا فيها.

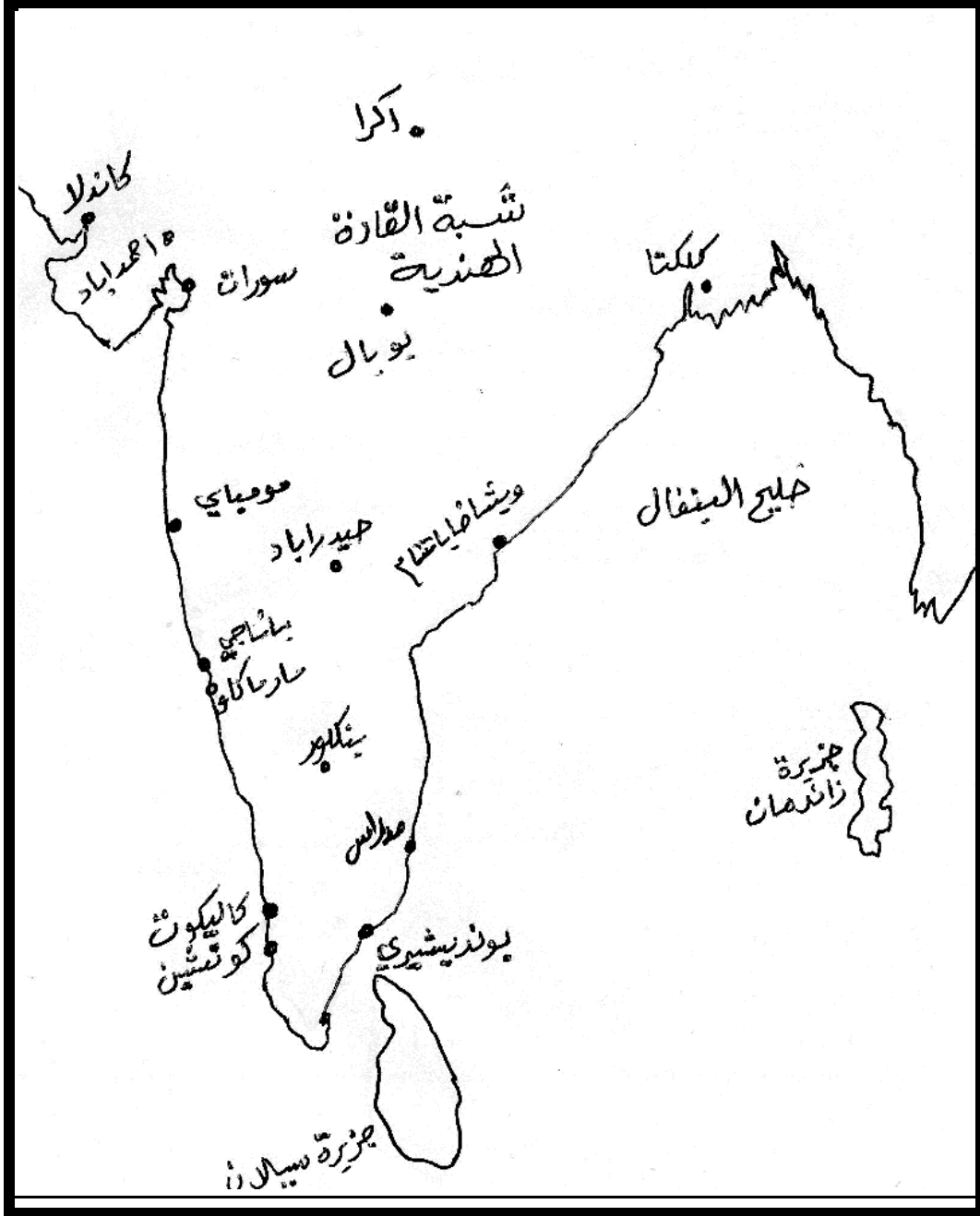
ث- جمع المعلومات بشتى السبل عن منافسي انكلترا بخصوص قدراتها البحرية والعسكرية، ومعرفة طبيعة القوى الإقليمية في المنطقة تمهيدا لأي مشروع عسكري قادم.

وهكذا، مع بداية القرن السابع عشر الميلادي، تكون انكلترا قد خطت اولى خطواتها في مجال التوسع والهيمنة التجارية والبحرية في منطقة المحيط الهندي- ولاسيما الهند-. حيث نجحت الشركة في توسيع المصالح التجارية لانكلترا إلى مناطق جديدة لم تصل إليها التجارة الانكليزية من قبل. وهذا يدل بوضوح أن شركة الهند الشرقية لم تكن إلا استمرار لنشاط بدأ بشكل مكثف منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي وامتد لما تبقى من القرن والقرن الذي تلاه. فلم تظهر الشركة من فراغ وبشكل فردي، وإنما كان ظهورها مرتبطاً فعلياً بتطور المجتمع والاقتصاد والسياسة الانكليزية، على حد سواء. وقد لخص الدكتور صالح العابد أهمية شركة الهند الشرقية في انطلاق النشاط التجاري البحري المنتظم في البحار الشرقية، بالقول: "أن النشاط التجاري البحري المنتظم لانكلترا في البحار الشرقية، بدأ فعلا على اثر قيام شركة الهند الشرقية الانكليزية، التي تأسست بموجب مرسوم ملكي صدر في 31 ديسمبر سنة 1600"⁽¹⁾.

1. صالح محمد العابد، دور القواسم في الخليج العربي 1747-1820، مطبعة العاني، بغداد، 1976، ص

خريطة رقم (5)

تبين شبة القارة الهندية واهم مدنها⁽¹⁾



1. الخريطة من عمل الباحث

ثالثا: الاهتمام الانكليزي في الخليج العربي

لم يكن التجار الانكليز نشاطهم منصب على جلب منتجات الشرق إلى بلادهم فحسب، وإنما كانت هناك مهمة أخرى تمثلت في العمل من اجل تصريف المنتجات الانكليزية- لاسيما الصوفية- من اجل تصريف المخزون المتراكم في بلادهم. ولاحظنا كيف دفعهم ذلك إلى الانتقال إلى الهند وفتح وكالات لهم، ولكن، نظرا لما كانت السوق الهندية تعاني من تراجع القدرة الشرائية، فضلا عن أن الأجواء الهندية لا تسمح باستعمال المنتجات الصوفية، فشكل ذلك قلقا للشركة الانكليزية⁽¹⁾. وقلة الصادرات الانكليزية على حساب الواردات الشرقية، فرض على الشركة إرسال كميات كبيرة من الفضة والذهب سنويا إلى الشرق لدفع مشترياتها من الأسواق الشرقية، وهو الأمر الذي عرضها للانتقاد في انكلترا⁽²⁾. وهذا الأمر فرض على الشركة البحث عن أسواق جديدة في المحيط الهندي، حتى وصل ريتشارد ستيل (Richard Steele) احد التجار الانكليز إلى مدينة سورات برا عبر بلاد فارس قادما من حلب عام 1614، واقترح على مسؤول وكالة الشركة أهمية السوق الفارسية بالنسبة إلى تصريف المنتجات الصوفية الانكليزية هناك، وذلك نظرا لبرودة الأجواء فيها فضلا عن امكانية مقايضة الحرير الفارس بالصوف الانكليزي⁽³⁾.

لقد وجدت الشركة الانكليزية في بلاد فارس مخرجا لها، فبرودة الأجواء فيها من جهة، والعادات الاجتماعية المحلية الفارسية التي كانت تتطلب الالتحاف بملابس جيدة وسميكة من جهة أخرى، جعلت بلاد فارس خير سوق للمنتجات الصوفية الانكليزية⁽⁴⁾. لذلك قررت الشركة - من خلال وكالتها في سورات - تنفيذ الفكرة، وأرسلت ريتشارد ستيل برفقة احد موظفي الشركة في سورات، ويدعى جون كروثر (John Crowther) لدراسة وضع السوق الفارسية، ومعرفة مدى احتياجه للبضائع الانكليزية، والتأكد من أهمية التجارة معها ومعرفة الموائى المناسبة لشحن البضائع وتفريغها⁽⁵⁾.

1. عبد العزيز عوض، المرجع السابق، ص 134.

2. عبد الامير محمد امين، الشركات التجارية الاحتكارية الانكليزية في منطقة الخليج العربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، مقال منشور في: مجلة المؤرخ العربي، ع 12، السنة 1980، بغداد، ص 195.

3. عبد العزيز عوض، المرجع السابق، ص 135.

4. عبد الامير محمد امين، الشركات التجارية الاحتكارية الانكليزية في منطقة الخليج العربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، ص 195.

5. عبد العزيز عوض، المرجع السابق، ص 135-136.

سافر ستيل برفقة كروثر في يوم 27 ديسمبر عام 1614 إلى اصفهان برا لتحقيق غايتين، وهما⁽¹⁾:

1. جمع المزيد من المعلومات عن التجارة الفارسية.
2. الحصول على فرمان من الشاه عباس الأول⁽²⁾ بتأمين دخول السفن والبضائع الانكليزية إلى الموانئ الفارسية التي تصل إليها والمطالبة بترتيبات خاصة في ميناء جاسك.

وقام كل من ريتشارد ستيل وجون كروثر بجولة شملت العديد من المدن والساحل الشرقي من الخليج العربي واعدوا تقارير مفصلة، وحددا ميناء جاسك كأفضل مكان ليكون مركزا للتجارة الانكليزية في الأراضي الفارسية، وذلك لكونه يقع خارج مضيق هرمز الذي يسيطر عليه البرتغاليون⁽³⁾. وهكذا، نجد القناعة تبلورت لدى الانكليز من أن بلاد فارس سوق مثالية لتصريف الأقمشة الصوفية هناك مقابل الحصول على الحرير الفارسي⁽⁴⁾.

وفي مطلع عام 1617، بمساعدة اللورد روبرت شيرلي (Robert Shirley) نجح ريتشارد ستيل وجون كروثر في مقابلة الشاه عباس الذي أحسن استقبالهم، حظي وفد الانكليزي بالكثير من الحفاوة والمساعدة، وذلك نكاية بالبرتغاليين، الذين توترت علاقته معهم⁽⁵⁾.

1. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ج1، ص 27؛ عبد العزيز عوض، المرجع السابق، ص 136.
2. الشاه عباس الكبير: هو عباس ميرزا بن محمد خدابنده بن طهماسب الأول بن اسماعيل مؤسس الدولة الصفوية، وهو خامس حكام الدولة الصفوية، وكان يعرف باسم (عباس الكبير). ولد في يوم 7 جانفي 1571 في مدينة هرات. شهد عهده الكثير من المشاكل الداخلية والخارجية، فعلى المستوى الداخلي واجه العديد من التمردات والفتن الداخلية. اما على الصعيد الخارجي، فقد دخل في صراع مسلح مع الدولة العثمانية وخان الازبك، وارتبط بعلاقات مع الدول الأوروبية مثل: انكلترا، فرنسا، الأسبان، البرتغاليين، الروس وهولندا. وتعاون مع الانكليز لإخراج البرتغاليين من جزيرة هرمز مركز وجودهم في الخليج العربي. أصيب بمرض الصفراء، وتوفي على اثرها في مدينة اشرف يوم 20 جانفي 1629، للتفاصيل ينظر: عبد الحميد الأرقط، أوضاع الدولة الصفوية وعلاقاتها الخارجية في عهد الشاه عباس الاول 1038-996 / 1629-1588، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية/ جامعة الوادي، 2015.
3. عبد العزيز عوض، المرجع السابق، ص 136.
4. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 20.
5. نصر الله فلسفي، إيران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي 1148-906 / 1736-1500، تر: محمد فتحي يوسف الريس، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1989، ص 97-98؛ عبد العزيز عوض، المرجع السابق، ص 136-137.

وتمكننا من إقناعه بالموافقة على عمل الشركة الانكليزية ضمن الأراضي الفارسية. واصدر الشاه عباس فرمان في فيفري عام 1616 إلى حكام الموانئ والمدن الساحلية التابعة له بتقديم المساعدة للسفن الانكليزية التي تصل إليها⁽¹⁾. فضلا إعطاء الشركة الانكليزية الحق في إقامة المستودعات والوكالات التجارية في بلاد فارس، إلى جانب منحهم حق الاتجار في جميع ارض بلاد فارس⁽²⁾.

وهنا يطرح سؤال التالي: لما استجاب الشاه عباس بسرعة للطلب الانكليزي؟. الإجابة على هذا السؤال يربط بقدرات الدولة الصفوية البحرية، فهي تفتقر إلى أسطول بحري قوي يحمي سواحلها، وفي ذات الوقت لم تكن علاقتها مع البرتغاليين بالودية في هذه المرحلة. وكان ترحيبه بالانكليز رغبة منه في الحصول على مساعداتهم لطرد البرتغاليين من جزيرة هرمز الإستراتيجية ومنطقة الخليج العربي، ولذلك منح شركة الهند الشرقية الانكليزية الامتيازات والتسهيلات التجارية في ميناء جاسك. وذلك لكي يجذبهم بهذه المغريات إلى المنطقة، ومن ثم الدخول بصراع مع البرتغاليين، وعندما يمكن ضرب البرتغاليين واخراجهم من الخليج العربي. وبالإضافة إلى ذلك، حاول الشاه عباس بترحيبه بالانكليز الاستفادة منهم اقتصاديا وتنشيط التجارة الفارسية التي كانت تمر عبر الأراضي العثمانية إلى اوروبا⁽³⁾.

بعد الحصول على موافقة الشاه عباس وإصداره فرمان تسهيل مهام عمل الشركة الانكليزية، أرسل الوكالة الانكليزية في سورات في يوم 1 ديسمبر عام 1616 بعثة أخرى برئاسة ادوارد كونوك (Edward Konnock) على ظهر السفينة جيمس (James) يحدوها الأمل بإيجاد سوق للأقمشة الصفوية الانكليزية. وعلى الرغم من محاولة البرتغاليين اعتراض السفينة، الا أنها نجحت في انزال حمولتها في ميناء جاسك في 4 ديسمبر⁽⁴⁾. ولكن وصول السفينة (جيمس) إلى جاسك دعا السلطات البرتغالية في جزيرة هرمز وكوا لأخذ حذرهما لكون السفن الانكليزي أخذت تقترب من منطقة الخليج العربي. وبالمقابل بادرت الشركة الانكليزية- عبر مندوبها في بلاد فارس- إلى تشجيع الشاه الصفوي بالضغط على البرتغاليين من اجل القبول بحرية التجارة في الخليج العربي⁽⁵⁾.

1. عبد العزيز عوض، المرجع السابق، ص 136-137.

2. علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 113.

3. نتاليا نيكولاينتا تومانوفيتش، المرجع السابق، ص 65.

4. عبد العزيز عوض، المرجع السابق، ص 137؛ علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 113.

5. Wright.Op.Cit.,P.246 .

وبعد وصول كونوك إلى ميناء جاسك توجه برا إلى شيراز ومنها إلى أصفهان حاملا معه رسالة من ملك انكلترا جيمس الأول دعا فيها الشاه إلى إقامة علاقة صداقة بين البلدين وحرية التجارة في بين البلدين. وكان اللقاء وديا بين الاثنين، إذ رغبة الشاه الصفوي في الحصول على أعلى ثمن لمنتجات بلاده - ولاسيما الحرير - . ومهما كانت حقيقة دوافع الشاه عباس وأهداف الإنكليز فقد تمكن كونوك من الحصول على امتيازات جديدة بموجب فرمان صدر في شهر أوت عام 1617، والذي منح الشاه عباس الأول بموجبه الشركة الانكليزية بموجبه الامتيازات التالية⁽¹⁾:

- حرية التجارة في جميع ممتلكات الدولة الصفوية، وإقامة وكالات تجارية في أصفهان وشيراز. ومنحهم ميناء جاسك أو سواه من الموانئ التي يطلبها الانكليز.
- تعيين سفير انكليزي في أصفهان، يتمتع بسلطة تعيين الوكلاء والمقيمين، وله الحق في تطبيق قوانين بلاده على رعايا دولته. وحق الرعايا الإنكليز في حمل السلاح في، وحرية ممارسة شعائرهم الدينية في بلاد فارس.
- التزام الشاه عباس بتزويد الشركة الانكليزية بكمية تتراوح بين 1000-3000 بالة من الحرير الفارسي سنويا لتصديرها بدون رسوم كمركية، وبأسعار معتدلة، ومقايضة الباقي ببضائع انكليزية وشرقية.

ولم تتوقف الرغبة الانكليزية في الحصول على اكبر قدر ممكن من الامتيازات من الدولة الصفوية عند حد معين، وإنما استمر مسعى الشركة الانكليزية في هذا الاتجاه، لاسيما وهي أخذت على عاتقها الإشراف على العلاقات الانكليزية- الفارسية من خلال وكالتها في مدينة أصفهان. وبناءا على ذلك، أرسلت الشركة الانكليزية بعثة من سورات إلى أصفهان ضمت كل من: باركر (Parker) ومونوكس (Monox) لمقابلة الشاه عباس، وتمكنا - ولو بصعوبة- من الحصول على امتيازات إضافية على التي حصل عليها كونوك في شهر أوت عام 1618. وقد استفسر الشاه عباس الأول منهما عن إمكانية التعاون عسكريا لطرد البرتغاليين من جزيرة هرمز. ويبدو، ان الشركة الانكليزية لم يكن في خططها خلال هذه المرحلة القيام بذلك، وكل ما يهمها في بلاد فارس الحصول على الحرير الفارسي وتحقيق الارباح⁽²⁾

1. William Foster. Op.Cit. , p 76.

2. عبد العزيز عوض، المرجع السابق ، ص 138-139.

وفي إطار هذه الإستراتيجية في الهيمنة والسيطرة كان الخليج العربي من الأولويات في الأجندة الاستعمارية الانكليزية، وذلك مرتبط في الأهمية الكبرى التي يتمتع بها هذا المسطح المائي في التحكم بطرق التجارة العالمية القادمة من الشرق باتجاه أوروبا. لقد شكل الاهتمام الانكليزي بالخليج العربي بداية نهاية الوجود البرتغالي، إلى جانب أسباب أخرى منطقية⁽¹⁾. كما أن حاجة الشركة إلى أسواق لتصريف منتجاتها الانكليزية شكل ضغطا عليها للوصول إلى الخليج العربي، إذ كانت ترى على سبيل المثال أن بلاد فارس سوق مثالية لتصريف الأقمشة الصوفية هناك مقابل الحصول على الحرير الفارسي⁽²⁾.

1. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 23-24.

2. المرجع نفسه، ص 20.

المبحث الثالث الانغماس الانكليزي ونهاية الوجود البرتغالي في الخليج العربي:

مع تراجع هيبة البرتغاليين في منطقة المحيط الهندي- نتيجة أسباب كثيرة داخلية وخارجية، وفي مقدمتها ظهور منافسين لهم في المنطقة-، دخل هؤلاء المنافسين في صراع محموم على المصالح فيما بينهم، ولاسيما في منطقة الخليج العربي، التي أخذت أهميتها تزداد في نظر الانكليز بعدما تبين لهم أهمية الأسواق في برد فارس لتصريف سلعهم الصوفية هناك. ونتيجة ذلك دخلت كل من انكلترا، هولندا وفرنسا في صراع قوي من اجل إقامة علاقات تجارية مباشرة مع بلاد فارس دون وساطة من التجار العثمانيين أو البرتغاليين. وشهد مطلع القرن السابع عشر الميلادي تحرك القوى الأوروبية الجديدة في المنطقة تتحرك من اجل إنهاء احتكار البرتغاليين للتجارة في منطقة الخليج العربي، وكانت أولى خطواتهم تعزيز علاقاتهم مع القوى الإقليمية في المنطقة، ولاسيما البلاط الفارسي، لذا نجد توافد العديد من الوفود الدبلوماسية إلى هذا البلاط من اجل الحصول على الامتيازات، وهذا التحرك الدبلوماسي سجل تفوق الانكليز في الحصول على العديد من الانتصارات الدبلوماسية على حساب منافسيهم⁽¹⁾.

لم يكن التفوق الانكليزي في البلاط الفارسي، وسلسلة الامتيازات التي تحصلوا عليها من الشاه عباس الاول في مطلع القرن السابع عشر الميلادي، كافية بنظرهم من اجل تحقيق غايتهم في المحافظة على السوق الفارسية، ففي نظرهم كانت العراقيل لازالت قائمة، ولاسيما الاعتراض البرتغالي على دخولهم إلى منطقة الخليج العربي، وهم هنا تحرك الشركة الانكليزية في اتجاهين من اجل توطيد وجوها في المنطقة، الأول: كسب واستقطاب القوى المحلية وفتح آفاق جديدة من النشاط التجاري معها؛ والثاني: العمل الجاد على زحزحة وأضعاف الوجود البرتغالي في الخليج العربي، بالتدريج. وهذه الإستراتيجية، تجلت في عدم استعجال الانكليز في التعاون مع الشاه عباس عندما اظهر نيته في القضاء على البرتغاليين في الخليج العربي⁽²⁾.

ولكن مسألة قرب نهاية البرتغاليين كانت تتبلور على الواقع الميداني، ومما زاد قناعة من قرب وقع هذه المسألة، هي تلك السياسة المتعجرفة التي اتبعتها الإدارة البرتغالية في المنطقة، بالإضافة إلى سوء الإدارة والتنظيم التي أصبحت عليها مراكزهم في منطقة المحيط

1. محمود علي الداود ، تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي 1630-1760 ، مقال منشور في: مجلة

كلية الآداب، ع 3 ، السنة 1961 ، بغداد، ص 239-240

2. مصطفى عقيل الخطيب، التنافس الدولي في الخليج العربي 1622-1763، المكتبة العصرية، بيروت،

د، ص 68

الهندي عامة- والخليج العربي خاصة-، كانت الفوضى ونقص الكفاءة واقع الإدارة البرتغالية، وتزامن مع ذلك- كما لاحظنا من قبل- تنامي نشاط الدول الأوروبية الأخرى، عبر- شركاتها التجارية- التي زادت من إرهاق البرتغاليين واطعفتهم من قدراتهم التي كانت تبطش بكل منافس أو رافض لوجودهم من قبل. هذا التراجع البرتغالي في القدرة والقوة على المواجهة، حفز القوى المحلية في الخليج العربي على توجيه ضربات للبرتغاليين أنهكت قواها⁽¹⁾، وشغلتهن عن منافسهم الأوروبيين، وإنما على العكس سمحت لهم بالدخول واختراق الحاجز الذي فرض البرتغاليون في منع أي منافس لهم من دخول مياه الخليج العربي⁽²⁾.

ونتيجة لما ذكرت، أصبح واضحاً أن مركز البرتغاليين في منطقة الخليج العربي لم يعد بالقوة التي تجعل الانكليز- وبقية المنافسين الأوروبيين- من التردد في التدخل والقضاء عليهم، لاسيما وان ملامح الانهيار السريع كانت تبدو واضحة. وهذا ما جعل الانكليز، يعيدوا النظر في إستراتيجيتهم، القائمة على أساس التركيز على توطيد نشاطهم التجاري وعدم الانغماس في اي صراعات مسلحة. فقررت الشركة الانكليزية العمل بكل ما تملك من اجل إنهاء الوجود البرتغالي في الخليج العربي.

أولاً: معركة جاسك:

على الرغم من حالة الضعف الذي أصاب البرتغاليين، وتنامي الرفض المحلي لهم لوجودهم في الخليج العربي، وتصاعد النشاط الأوربي في منافستهم والحد من احتكار تجارة الخليج العربي لصالحهم. الا إننا نجد أنهم لم يستلموا ببساطة لصالح منافسهم، وإنما على العكس كانت المنافسة محتدمة بينهم والقوى الأوروبية الأخرى، ولاسيما مع الإنكليز، لأنه كل واحد منهما انهمك لتحديد إحداثيات مواقعه على خريطة الخليج، والعمل من أجل فرض سيطرته على الأخر واستغلال مواطن الضعف لديه⁽³⁾. ومن أجل ذلك، أجتهد القائد البرتغالي روي فراير (Roy Fryer) في العمل من اجل وضع عراقيل لمنع التوسع الانكليزي في منطقة الخليج العربي، حيث لجأ إلى تحصين القلعة البرتغالية في جزيرة هرمز، وتقوية دفاعاتها

1. منذ مطلع القرن السابع عشر الميلادي انطلقت مواجهات مسلحة من قبل القوى المحلية في الخليج العربي ضد الوجود البرتغالي، ففي عام 1602 نجح الشاه في طرد البرتغاليين من البحرين، كما سقطت جمبرون وتبعها جلفار(رأس الخيمة) في عام 1615. ينظر: جمال زكريا قاسم، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، مج1: الإمارات العربية في عصر التوسع الأول الأوربي 1507- 1840، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997، ص 90.

2. المرجع نفسه، ص 89-90.

3. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ج1، ص 39

لمواجهة النشاط العسكري الانكليزي، وقام البرتغاليون في وضع المتاريس والسلاسل الحديدية في المياه المحيطة بالجزيرة لمنع السفن الانكليزية من الاقتراب من هرمز⁽¹⁾. وعليه، فان الرغبة لدى الطرفين في العمل على المحافظة على مصالحهما، ومنع الآخر من الانفراد والهيمنة على تجارة الخليج العربي سيفضي إلى اندلاع مواجهة مسلحة بين الطرفين.

وهذا التطور في التعامل بين الطرفين، والرؤية بضرورة منع الآخر من فرض سيطرته سرعت من حدوث الصراع المسلح بين الطرفين- الانكليزي والبرتغالي-. وبالفعل حدثت أول مواجهة مسلحة بين الطرفين في نهاية عام 1620 بالقرب من ميناء جاسك. ففي شهر نوفمبر عام 1620 وصلت اثنتين من السفن التجارية انكليزية إلى ميناء جاسك، تحملان منتجات من الصوف الانكليزي ولتحميل شحنة من خام الحرير⁽²⁾، ولكن السلطات البرتغالية أصدرت أوامر تقضي بعدم السماح للسفن الانكليزية بالرسو بل وحتى من الاقتراب من الموانئ الفارسية⁽³⁾، وعندما وصلت السفينتان قرب جاسك، وأزادت الرسو، تصدت لهما البحرية البرتغالية⁽⁴⁾ مما اضطرهما إلى العودة إلى قاعدتهما في سورات⁽⁵⁾.

وعلى الفور أصدرت شركة الهند الشرقية الانكليزية، تعليمات بمرافقة قطع حربية لحراستها ولفتح الطريق أمامهما والعودة إلى ميناء جاسك، فعندما اقتربت السفن الانكليزية من الميناء المذكور في يوم 16 ديسمبر عام 1620، هاجم البرتغاليون السفن الانكليزية لمنعها من الدخول إلى الميناء، وفق ما هو مقرر في مهامها، وجرت معركة بينهما، استمرت لعدة أيام، انتهت بهزيمة السفن البرتغالية، واسر أحداها⁽⁶⁾. وأعلنت هذه المواجهة، بداية الصراع المسلح بينهما وتمكن الأسطول الانكليزي من التفوق على البرتغاليين، ومن ثم الدخول إلى الميناء، وأفرغ الحمولة، ومن ثم شحن الحرير الفارسي والعودة إلى سورات⁽⁷⁾.

1. س. ب. مايلز، الخليج العربي بلدانه وقبائله، تر: محمد أمين عبد الله، المطبعة المركزية، عمان، 1986، ط 3، ص 187
2. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ج1، ص 39
3. مصطفى عقيل الخطيب، التنافس الدولي في الخليج العربي 1622-1763، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.ن، ص 68
4. عندما علم البرتغاليون بنوايا الانكليز في جعل ميناء جاسك مقرا لنشاطهم التجاري مع بلاد فارس، ارسل البرتغاليون اربع سفن للمرابطة امام الميناء لمنع وصول الانكليز إلى الميناء. ينظر: نصر الله فلسفي، المرجع السابق، 108.
5. أرنولد تي ويلسون، المصدر السابق، ص 111-112.
6. نصر الله فلسفي، المرجع السابق، 109.
7. ج.ج. لوريمر، المصدر سابق، ج 1، ص 42-43.

لقد صب هذا الانتصار الانكليزي على البرتغاليين في صالح الشاه عباس، واخذ يتقرب إلى الانكليز أكثر فأكثر، وهو يشعر بتنامي قوتهم وسطوتهم أمام البرتغاليين⁽¹⁾. واستقبل الشاه وفدا أرسل من قبل الشركة مطلع عام 1621، مهنئا الانكليز على الانتصار الذي حققوه على البرتغاليين، والذي ينصب في إطار توجهاته في القضاء على الوجود البرتغالي في الخليج العربي، ووعدهم بتقديم امتيازات جديدة لهم،-- بما في ذلك احتكار تجارة الحرير الفارسي-، والسماح بإنشاء وكالات تجارية لهم في جميع أنحاء بلاد فارس⁽²⁾. وعلى ما يبدو، أن الشاه عباس أراد إسالة لعاب الانكليز، من اجل تحفيزهم لاندفاع أكثر للعمل على إنهاء الوجود البرتغالي في الخليج العربي، لكونه يتحرك في إطار أجندة تقوم على أساس الهيمنة على منطقة الخليج العربي ضمن إستراتيجية الصراع مع الدولة العثمانية.

ثانيا: معركة هرمز:

بعد الانتصار الذي حققه الإنكليز في معركة جاسك، فقد البرتغاليون أهم مصدر من مصادر تموينهم بالمياه والمؤن، الأمر الذي جعل أهمية تدارك الموقف وايجاد الحلول لما هم فيه، فكان القرار احتلال جزيرة قشم القريبة من جزيرة هرمز والساحل الشرقي للخليج العربي، حيث أنشئوا حصن منيع هناك لضمان إمداد هرمز بمياه الشرب⁽³⁾. وهذا التصرف التصرف من جانب أعطى الانكليز الانطباع من ان البرتغاليين من الصعب جدا القبول بهم اولا، والاستسلام ثانيا. وان مسالة انتهاء الاحتكار البرتغالي في الخليج العربي لا يمكن ان يتحقق الا بانهاء الوجود البرتغالي في المنطقة. ولا يمكن تحقيق ذلك الا من خلال التحالف مع الشاه عباس، والذي كان بدوره هو الآخر متحفز لمثل هذا التعاون⁽⁴⁾.

ورغب الشاه عباس الأول في توظيف قوة الإنكليز لصالحه، باستغلاله للمطالب المتكررة لممثلي شركة الهند الشرقية من أجل الحصول على المزيد من الامتيازات فارس، وخاصة بعد احتلال البرتغال لجزيرة قشم، إذ جرى اتفاق بين بإعفاء الشركة البريطانية من دفع الضرائب على بضائعها الواردة إلى هرمز في حال تمكن الإنكليز من طرد البرتغاليين منها،

1. علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 115.

2. مصطفى عقيل الخطيب، المرجع السابق، ص 70.

3. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ج 1، ص 44.

4. جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص 90-91.

وسرى هذا الاتفاق بعد التخلي عن هرمز واستبدله ببندر عباس كمركز رئيس لتجارة الخليج العربي، إذ احتفظ الإنكليز بامتياز الإعفاء الضريبي في الميناء الجديد⁽¹⁾.

وتم الاتفاق بين الإنكليز والصفويين على طرد البرتغاليين من جزيرة هرمز، ووقع الاتفاق عن الإنكليز ممثل شركة الهند الشرقية الانكليزية في مدينة أصفهان السير مونكس (sir Monox) وإمام قلي خان مساعد الشاه عباس في شهر جانفي عام 1622⁽²⁾. وشمل الاتفاق عدة بنود، وفي مقدمتها: التوزيع المتساوي للغنائم الحرب بين الطرفين؛ وتسليم القلعة البرتغالية في هرمز ومحتوياتها من الأسلحة والذخائر إلى القوات الانكليزية، وتقسيم عوائد الجمارك بالتساوي بين الإنكليز والفرس؛ وإعفاء البضائع الانكليزية من الضرائب الجمركية؛ يتحمل الشاه عباس دفع نصف نفقات السفن والمواد الغذائية ورواتب الجنود الإنكليز، بالإضافة إلى توفير البارود اللازم للحملة⁽³⁾.

اعتبر الإنكليز الاتفاق المبرم مع الشاه عباس نجاح كبير وتفوق دبلوماسي لهم في إطار سياستهم القائمة على الهيمنة على النشاط التجاري في منطقة المحيط الهندي عامة، والخليج العربي خاصة. وقدر مسؤولو الشركة الجدوى الاقتصادية المربحة بالإضافة التأثير السياسي الذي يمكن أن يحدث على المستوى الإقليمي بعد السيطرة على هرمز، واذ وجدوا انه في حال السيطرة على الجزيرة ستكون قاعدة للوجود الإنكليزي في منطقة الخليج العربي⁽⁴⁾.

أرسلت إدارة الشركة الانكليزية في سورات - تطبقا للاتفاق المبرم بين الشاه عباس الأول ومسؤولي شركة الهند الشرقية الانكليزية - خمس سفن حربية وأربعة قوارب كبيرة تحت قيادة ريتشارد بليت (Richard Plett) وجون دول (John Dole) في يوم 19 جانفي عام 1622، للمشاركة في حملة غزو جزيرة هرمز وطرد البرتغاليين منها وذلك بالتعاون مع القوات البرية الصفوية⁽⁵⁾. وأخذت القوات العسكرية مواقعها تجاه ساحل هرمز في يوم 21 جانفي، وتمكنت من فرض حصار شديد على جزيرة هرمز دام أكثر من شهرين عانى خلاله البرتغاليون من فقدان المياه والتموين، أعقب فرض الحصار قيام الأسطول الإنكليزي

1. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ج 1، ص 45-46.

2. مصطفى عقيل الخطيب، المرجع نفسه، ص 72.

3. عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، ج1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1971، ص 45

4. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ج 1، ص 45.

5. ارنولد تي ويلسون، المصدر السابق، ص 112.

بقصف مدافعي للقلعة البرتغالية لمدة ثلاثة أيام⁽¹⁾. وانتهت معركة هرمز⁽²⁾ باستسلام البرتغاليين على الرغم من محاولتهم الدفاع باستماتة عن جزيرة هرمز، واضطروا في نهاية المطاف إلى الاستسلام للقوات الانكليزية. وكانت تلك المعركة بمثابة نهاية الوجود البرتغالي في الخليج العربي⁽³⁾.

وكان صدى سقوط جزيرة هرمز كبير في أوروبا، ولاسيما في البلاط الاسباني الذي كانت تتبع له البرتغال آنذاك، فقد كانت هذه الهزيمة إيذانا بانتهاء الوجود البرتغالي في الخليج العربي، وتقويض واضح لسيادتها في منطقة بحر العرب والمحيط الهندي عموماً. وأكدت أن البرتغال واسبانيا ما عادتا قادرتان على وقف مد الدول الأوروبية الطامعة الأخرى في أن يكون لها القدح المعلى في منطقة المحيط الهندي عموماً والخليج العربي خاصة⁽⁴⁾.

ونظراً لهذه الأهمية التي كانت تحتلها جزيرة هرمز في تحديد من هو المتحكم بمدخل الخليج العربي وتجارته، فقد حاول البرتغاليون استعادة جزيرة هرمز في أكثر من مناسبة، في الأعوام: 1631، 1624 و1640، إلا أن هذه المحاولات جميعها بات بالفشل، وكرس روح الهزيمة في نفوس البرتغاليين. ولم يعد نفوذهم بالقوة التي كان عليها قبل معركة هرمز، وكان تراجع نفوذهم متسارع، واخذوا يخسرون المناطق التابعة لهم الواحد بعد الأخرى. وكانت مسقط- في بحر العرب- هي آخر محطة خسرها البرتغاليون عام 1650 بعد هزيمتهم من قبل اليعاربة⁽⁵⁾. وبها خرج البرتغاليون بلا عودة⁽⁶⁾.

ومن خلال ما سبق، يظهر لنا، ان بداية العلاقات بين الانكليز والفرس كانت تبشر بالتفاؤل، ومما زاد من تفاؤل الانكليز اكثر هو انشغال الهولنديون في مناطق اخرى من المحيط الهندي، لذا نجد ان الانكليز شعروا بالحرية في العمل التجاري مع بلاد فارس. ولكن

1. Charlos Belgrave The Pirate Coast London .Oxford University Press ; 1966; P.11 .

2. للتفاصيل عن معركة هرمز ينظر: نصر الله فلسفي، المرجع السابق، ص 117-123.

3. نتاليا نيكولايفنا تومانوفيتش، المرجع السابق، ص 102؛ مصطفى عقيل الخطيب، المصدر السابق، ص

4. نتاليا نيكولايفنا تومانوفيتش، المرجع السابق، ص 102 - 103.

5. للتفاصيل عن دور عرب عمان في مقاومة الوجود البرتغالي في الخليج العربي وساحل عمان والقضاء عليه نهائياً، ينظر: سليم طه التكريتي، الصراع على الخليج العربي، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، 1966، ص 36-40.

6. نتاليا نيكولايفنا تومانوفيتش، المرجع السابق، ص 105؛ نصر الله فلسفي، المرجع السابق، ص 124.

هذا الاستقرار والحريّة لم تدم طويلا، اذ سرعان ما دس الهولنديون انفسهم في المنطقة، وشكلوا تهديدا للمصالح الانكليزية⁽¹⁾.

ثالثا: الثبات الانكليزي في الخليج العربي:

بعد هزيمة البرتغاليين في هرمز، ونجاحات التي حققتها شركة الهند الشرقية الانكليزية، في الشقين التجاري والعسكري، والتي ساهمت في تثبيت أقدامها في الهند، والخليج العربي، وأراد الانكليز استثمار هذا النجاح في التحكم بمنطقة الخليج العربي بشكل تام وكامل، والهيمنة على كل النشاط التجاري فيه. ولما وجدت بان النفوذ الصفوي في المنطقة اخذ بالتنامي والتصاعد، والذي دفعها من قبل إلى التعاون مع الشاه عباس الأول، فاستثمرت الانتصار في هرمز، وحاجة الشاه عباس الأول إلى الحماية البحرية التي يفتقر إليها. ونتيجة ذلك، عقدت اتفاقا معه في منتصف عام 1622، يقوم بمقتضاه الانكليز بحماية السفن التجارية والمحطات والموانئ الممتدة على طول السواحل الشرقية والغربية في الخليج العربي⁽²⁾.

كما قام الانكليز بنقل مركز نشاطهم من ميناء جاسك إلى ميناء جمبرون (بندر عباس)، ووجودهم في هذا الموقع إعطاهم ميزة التحكم بالأمر والتأثير بحركة التجارة في الخليج العربي، وحمايته⁽³⁾. ونتيجة ذلك، جرى تأهيل الموانئ في الخليج العربي من اجل استقبال السفن الانكليزية الكبيرة. وكما جهزت الشركة الانكليزية سفينتين حربيتين للقيام بواجبات الدورية لحماية التجارة في الخليج العربي من أي تهديد⁽⁴⁾.

لقد تمكن الانكليز بالتدريج من تثبيت أقدامهم في الخليج العربي، وان كانت هولندا تحاول عرقلة هذا التوجه الانكليزي في المنطقة. فلا احد يمكن ينكر إن الانكليز حققوا مكاسب لا يستهان بها بعد أخراج البرتغاليين من جزيرة هرمز، والتي يمكن تحديدها بمايلي:

1. فتح الانتصار في هرمز الباب أمام الانكليز للتحرك في مياه الخليج العربي دخولا وخروجا. وهذا لم يكن ممكنا من قبل عندما كانت الحامية البرتغالية تتحكم بالممر المؤدي من وإلى الخليج العربي.

1. ب. ج. سلوت ، المصدر السابق، ص 76.

2. عبد الفتاح إبراهيم ، على طريق الهند ، مطبعة الأهالي، بغداد، 1935، ص 26.

3. عبد الأمير محمد أمين، الشركات التجارية الاحتكارية الانكليزية في منطقة الخليج العربي، ص 196.

4. هنري فوستر، نشأة العراق الحديث، تر: عبد المسيح جويده، مطبعة الأهالي، بغداد، 1934، ص 58

2. كانت المصالح الانكليزية في منطقة الخليج العربي في خطر دائم ومستمر نتيجة الوجود البرتغالي في هرمز، ولم يكن في مقدور الانكليز منافسة المركز البرتغالي المتفوق.
3. حصلت الشركة الانكليزية بعد سقوط هرمز على العديد من الامتيازات والتسهيلات التجارية من جانب الشاه عباس الأول. وهو الأمر الذي عاد للانكليز بمردود تجاري كبيرة.
4. فتح سقوط الحامية البرتغالية في جزيرة هرمز أبواب الخليج أمام الأسطول الحربي الانكليزي. وأصبح هناك تواجد عسكري بحري منتظم للرد على أي تهديد انتقامي من البرتغاليين.
5. تراجع الدور البرتغالي في الخليج العربي، وتنامي بوادر التنافس بين كل من انكلترا وهولندا على تكريس المصالح وحمايتها، وهو الذي ادخل المنطقة في صفحة جديدة من الصراع المسلح بين القوى الأوروبية.

خلاصة القول، لقد فرض واقع الحال على الانكليز ضرورة الانغماس في احداث وتطورات منطقة الخليج، والعمل على اثبات الوجود، وان مسألة الانتظار لحين تراجع دور البرتغاليين في المنطقة، سلاح ذو حدين ، قد يكون ذلك الانتظار قبرا لمصالحهم في الخليج العربي، لاسيما وان منافسا جديدا قد اطل براسة- وهو متحفز ومستعد- لفاعل اي شي من اجل تدمير البرتغاليين، والقضاء على اي منافس اخر من اجل السيطرة والهيمنة على تجارة المنطقة، واعني هنا شركة الهند الهولندية، وهي واجهة الهولنديين الاقتصادية الاستعمارية في المحيط الهندي .

وفي نهاية الفصل، نلاحظ ارتباط الريح بالقوة، وأصبحت فكرة التضافر القوي بين الريح والقوة أمرا مفروغا منه عند الانكليز في هذه المرحلة. لان الحديث عن وجود استخدام القوة القسرية سوف يساهم في زيادة الثروات التي كانت قد أسست من اجلها الشركة الانكليزية، ولهذا، إذا ما أراد الانكليز بناء قدراتهم الاقتصادية واكتساح الأسواق إن كانت في المحيط الهندي او في أوروبا، فعليها استخدام القوة بما يؤمن لها تنفيذ مخططاتها⁽¹⁾. ولكن الذي حدث أن الانكليز قد أصابهم التردد في هذا الجانب إلى حد ما، ولم تكن مسألة

1. جون إ. ويلز جونيور، العالم من 1450 إلى 1700، تر: خلود الخطيب، مر: احمد خريس، هيئة ابوظبي للسياحة والثقافة، ابوظبي، 2013، ط1، ص 103.

استخدام القوة لحماية مشروعهم التجاري في الخليج العربي بالمستوى المؤثر والفاعل، على العكس من الهولنديين ، الذين جاءوا مندفعين بكل قوة - يحفزهم النجاحات التي حققوها في جزر الهند الشرقية-، ولهذا كانت مسالة استخدام العنف والقوة لحماية مصالحهم الاقتصادية لا تردد فيها، وحتى حينما شعر الانكليز أنهم اخطئوا في رؤيتهم، فأنهم لم يتمكنوا من اللحاق بالهولنديين في هذه المسالة، لأنهم افتقروا إلى الوسائل اللازمة في الخليج العربي⁽¹⁾. ولهذا حسبما أرى، إن هذه الأسبقية الهولندية في مسالة استخدام القوة فتحت الطريقة لهم في الهيمنة والتحكم طوال القرن السابع عشر الميلادي. كما سنرى في الفصل القادم من البحث.

1. ب . ج . سلوت ، المرجع السابق، ص 75-76.

الفصل الثاني
التنافس الهولندي الانكليزي
في الخليج العربي:
القوة والسياسة

المبحث الأول: الدخول الهولندي للخليج العربي
المبحث الثاني: الاسترجاع الانكليزي ونهاية الهولنديين في الخليج العربي.

مقدمة:

يظهر أن طموح الهولنديين كان كبيراً جداً منذ البداية، ولأجله كانوا مستعدين للمخاطرة بعكس الانكليز الذين كانوا حذرين جداً في سياستهم استعداداً للمخاطرة. وهذا الاستعداد والاندفاع من جانب الهولنديين جاء كرد فعل للإجراءات الإسبانية بإغلاق أسواق المنتجات الشرقية في وجههم، إذ كان الهولنديين يتاجرون مع لشبونة التي هي أكبر مركز لتجارة الشرق في أوروبا. ولكن إعلان الثورة عام 1566 بقيادة النبيل وليم اورنج (William Orange)⁽¹⁾، ونيل الاستقلال وإعلان الجمهورية وضع الهولنديين أمام محك الاستسلام أو الرفض لسياسة الإسبانية- التي تخضع لها البرتغال- . وحينما كان الرفض، كان الانطلاق نحو حوض تجربة كان فيها من المصاعب والمتاعب الكثير، ولكن في حال نجاحها يعني الفوائد ستكون كثير وكثيرة جداً.

ولجت السفن الهولندية مياه بحار الشرق، لتعلن نهاية الهيمنة والاحتكار البرتغالي لموارد الشرق، وبدء مرحلة جديدة من التنافس بين الطرفين، ويضاف لهما طرف ثالث- واعني هنا انكلترا- . وعمل الهولنديون خلال العشرين سنة الأولى من نشاطهم على إضعاف البرتغاليين في مياه أفريقيا والهند، في الوقت الذي كان الإنكليز يعملون على إضعافهم أيضاً في مياه الخليج العربي، ولذلك فقد كانت العلاقات بين الهولنديين والإنكليز في حوض الخليج العربي حسنة من أجل القضاء على العدو المشترك. أحرز الهولنديون انتصارات مهمة في الربع الأول من القرن السابع عشر فضلاً عما أوقعه من ضرر كبير للبرتغاليين في أفريقيا والهند، فقد أصبح للهولنديين في بلاد الهند سبعة وثلاثون مركزاً وعشرون حصناً وقلعة، ولم تمضي عشرون عاماً. وقد رحب الإنكليز في بادئ الأمر بمجيء السفن الهولندية إلى مياه الخليج العربي لما توقعوه من مؤازرة القادم الجديد لهم في مواجهة البرتغاليين. ولكن هذا الترحيب سرعان ما تحول إلى تنافس وصراع مسلح في منطقة المحيط الهندي عامة، والخليج العربي خاصة. ومن خلال هذا الفصل سوف سنسلط الضوء على سير الهولنديين

1. وليم اورنج: من مواليد 24 افريل 1533 في ديانبورغ في الاراضي الالمانية. قاد الثورة الهولندية ضد الاحتلال الاسباني، والتي استمرت ثمانين عاماً، وانتهت باستقلال هولندا عام 1648، وكان يلقب ب(وليام الصامت) وهو سليل بيت عائلة ناساو، وولد حاملاً لقب كونت ولاية ناساو ديليمورخ. وفي عام 1544 م تولى إمارة أورانج وبهذا أصبح كبير بيت آل ناسو البرتغاليين، ومؤسس الملكية في هولندا. ضاق ذرعاً باستئثار النبلاء الإسبان بثروات بلاده، وكذلك الاضطهاد الديني للبروتستانت على يد عائلة ال هابسبورغ فانضم إثر ذلك للصحة الهولندية، وبدأ كفاحاً ضد الوجود الإسباني، مما جعل الاسبان يعملوا على التخلص منه، اغتيل من احد اتباع الاسبان في يوم 10 جويلية 1584 في مدينة دلفت. للتفاصيل ينظر: https://en.wikipedia.org/wiki/William_the_Silent. تاريخ الزيارة في: 28 جوان 2020.

انطلاقاً من أراضيهم ووصولهم للشرق ومنطقة الخليج العربي، والتنافس والصراع الذي شهدته المنطقة بينهم والانكليز على المصالح والنفوذ.

المبحث الأول: الدخول الهولندي للخليج العربي :

تعرضت الإمبراطورية البرتغالية في الشرق منذ أواخر القرن السادس عشر الميلادي لضربات متتالية وجهت إليها من قبل القوى الأوروبية المنافسة لها- الإنكليز والهولنديين والفرنسيين- تمثل بدءاً في تأسيس شركات تجارية لهم، وإعلانهم رفض سياسة الاحتكار التي تنتهجها البرتغال على تجارة الشرق⁽¹⁾. وعلى الرغم من توافق هذه الدول في كسر هيمنة كل من البرتغال وإسبانيا في تجارة ما وراء البحار، إلا أنها كانت في حالة خلاف وتنافس فيما بينها: أخذت كل واحدة منها تضع العراقيل في طريق المشروع الاستعماري للدولة الأخرى، وتتطلع للاستيلاء على كل ما تمتلكه الدول الأخرى. وبعد القضاء على النفوذ البرتغالي، شهدت منطقة الخليج العربي تنافساً محموماً بين كل من انكلترا وهولندا على النفوذ والهيمنة التجارية، وقد مال التنافس في بدايته لصالح هولندا⁽²⁾.

أولاً: تأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية

عندما تولى الملك فيليب الثاني (Philip II)⁽³⁾ عرش إسبانيا خلفاً لوالده الإمبراطور شارل الخامس (Charles V)⁽⁴⁾ - الذي اعتزل الحكم-، حيث نجح في توسيع ممتلكاته لتشمل

1. جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص144.

2. نتاليا نكولايفنا تومافيتش، المرجع السابق، ص 107-108.

3. فيليب الثاني: من مواليد 21 ماي عام 1527 في بلد الوليد في إسبانيا، وهو ملك إسبانيا، وملك نابولي وصقلية، ملك انكلترا القرنين بين عامي 1554 - 1558، حاكم المقاطعات السبعة عشر من 1556 حتى 1581، ملك البرتغال ما بين (1580-1598). وكان معروف بـ(فيليب الحكيم). خلال فترة حكمه، بلغت الممالك الإسبانية ذروة نفوذها وقوتها. يطلق على هذا أحياناً العصر الذهبي الإسباني. ساند الكنيسة الكاثوليكية في محاربة البروتستانت، كما أرسل أسطولاً لغزو إنجلترا في عام 1588، وكانت هزيمة الأرمادا. وتزوج أربع مرات. توفي 13 سبتمبر 1598. للتفاصيل ينظر:

https://en.wikipedia.org/wiki/Philip_II_of_Spain تاريخ الدخول في : 2 جويلية 2020

4. شارل الخامس: ويعرف أيضاً بـ(شارلكان) من مواليد 24 فيفري 1500 في مقاطعة فلاندرز، وهو ملك إسبانيا وإمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة. أحد أعظم الشخصيات في التاريخ الأوروبي، توج ملكاً لإسبانيا باسم كارلوس الأول وملك إيطاليا وأرشيدوق النمسا ورأس الإمبراطورية الرومانية المقدسة، حكم إمبراطورية مترامية الأطراف وموزعة على ثلاث قارات، وأعاد شارل الخامس إحياء مفهوم القرون الوسطى للملكية العالمية وأمضى معظم حياته في الدفاع عن سلامة الإمبراطورية

البرتغال بالوراثة عام 1580، والأراضي المنخفضة (هولندا وبلجيكا) وإمارة برجنديا الحرة. وكان فيليب الثاني كاثوليكيًا متعصبًا يساند الكنيسة الكاثوليكية، وقد أخذ على عاتقه قيادة الحركة الكاثوليكية المضادة وإعادة الهيبة لكنيسة روما والباب ليس في أملاكه وإنما في العالم كله. وهذا ما أدخل غرب أوروبا في دوامة الصراع الديني بين الكاثوليك والبروتستانت، وشهدت أوروبا حروبًا دينية من منتصف القرن السادس عشر حتى الثلث الأخير من القرن السابع عشر⁽¹⁾.

وكانت الأراضي المنخفضة من الأراضي التي اندلعت فيها الثورات التي اختلط فيها النضال الديني بالسياسي. وكانت ثورتهم أعظم كارثة حدثت للأسبان في عهد فيليب الثاني، فقد أفضت بعد حروب طاحنة إلى تكبيدها خسائر فادحة في الأرواح والمعدات⁽²⁾. إذ أعلنت الأراضي المنخفضة ثورتها على الحكم الإسباني في عام 1566 بقيادة وليم أورنج، نتيجة الاضطهاد الديني ونشاط محاكم التفتيش فضلًا عن المعاملة السيئة للسفن الهولندية في الموانئ الإسبانية. وانتشرت الثورة مثل النار في الهشيم، وعمت جميع المدن، ولم تتمكن القوات الإسبانية وحلفائها من القضاء على الثورة، حتى تمكن الهولنديون من نيل الاستقلال عام 1581، وإعلان الجمهورية. ولكن إسبانيا لم تعلن اعترافها بهذه الدولة الجديدة. وفي إطار محاربتها وإضعافها اقتصاديًا لهولندا، أمر الملك الإسباني إغلاق أسواق لشبونة وموانئ شبه الجزيرة الأيبيرية في وجه السفن الهولندية وحرّم عليها نقل البضائع الشرقية من لشبونة والتي كانت في القرن السادس عشر الميلادي المركز الرئيسي للتجارة الشرقية، حيث كان الموزعون الهولنديون يأخذون منه ما تحتاج إليه أسواقهم من البضائع الشرقية المفضلة عند الأوروبيين الذين تنافسوا فيما بينهم على احتكار تجارة التوابل والمهارات ذات الإرباح العالية⁽³⁾. ونتيجة لقرار الملك فيليب الثاني، ولما كانت الحرب الإسبانية - الهولندية قد منحت بعض الازدهار للمصانع الهولندية ووسعت نطاق التبادل التجاري بين هولندا والدول الأخرى، شكل ذلك دافع لهم لخوض تجربة البحار والحصول على السلع والمنتجات الشرقية من مصادرها مباشرة والتطلع إلى السيطرة والحلول محل الإمبراطورية

الرومانية المقدسة من الإصلاح البروتستانتي، وتوسع الإمبراطورية العثمانية، وسلسلة من الحروب مع فرنسا، توفي في 21 سبتمبر 1558 في دير يوستي في إسبانيا. للتفاصيل ينظر: تاريخ الزيارة في 2 جويلية https://en.wikipedia.org/wiki/Charles_V,_Holy_Roman_Emperor.2020

1. عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، المرجع السابق، ص 119-120.

2. المرجع نفسه، ص 120.

3. عبد العزيز عوض، المرجع السابق، ص 181.

البرتغالية- التي كانت جزء من اسبانيا آنذاك- ليحرموهم من مصدر ثروتهم. وذلك في أواخر القرن السادس عشر الميلادي⁽¹⁾.

لم يهتم الهولنديون للقيود التي وضعها البرتغاليون منذ اكتشاف طريق الهند عبر رأس الرجاء الصالح، وحرصهم بالمحافظة بما سموه حقوقهم الخاصة في هذا الطريق ومحاربتهم ومنع أي دولة تحاول تهديد احتكارهم هذا. ومن هنا، قاموا بتحصين الموانئ الواقعة على هذا الطريق وكانت سفنهم تجوب المياه لمراقبة أية نشاطات بحرية قد تهدد استمرارية احتكارهم للخطر، ولكن الهولنديين و الانكليز تحدوا هذا الاحتكار وبذلوا محاولات مستمرة من أجل الوصول إلى التجارة المباشرة مع الهند و الجزر الأخرى والموانئ الشرقية⁽²⁾.

ومن اجل تحقيق تطلعاتهم الاقتصادي ورغبتهم في الوصول إلى منابع تجارة الشرق، عقد التجار الهولنديون اجتماعا في مدينة أمستردام في عام 1592، وتقرر خلاله إنشاء شركة هولندية للتجارة مع الهند، ورغبة منهم في جمع المعلومات الضرورية للرحلة البحرية الأولى إلى الشرق، ولأن البرتغاليين جعلوا سر البحار والطرق⁽³⁾ التي اكتشفوها حكرا عليهم لايقرب منها غيرهم⁽⁴⁾. فتقرر إرسال بعثات استطلاعية من اجل جمع المعلومات والخرائط اللازمة المتعلقة بالطريق إلى الهند، وفي هذا الإطار أرسلوا كورنيلوس دي هوتمان (Cornelius de Houtman) إلى لشبونة متنكرا لجمع المعلومات، وكذلك استفادة الشركة من المعلومات التي جمعها جان هيوجن لنشوتن (Jan Heugen Linschoten)- أمين سر كبير أساقفة جزيرة جاوه، والذي أتاح له منصبه فرصة الاطلاع عن كثب على عناصر القوة والضعف في مركز إدارة البرتغاليين في الشرق⁽⁵⁾، حيث توجه لنشوتن إلى الهند في عام 1583 في معية رئيس

1. محمود شاكر، موسوعة تاريخ الخليج العربي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2005، ص 180.

2. R. Mukherjee , Op.Cit., p 60 .

3. والجدير بالذكر أن البرتغاليين كانوا قد اتخذوا إجراءات صارمة للاحتفاظ بسرية الطريق إلى الهند، وأصدروا في عام 1504 مرسوما يحظر فيه أن توضع على الخرائط أية إشارات تدل على الطريق بعد منطقة الكونغو وجمعت جميع الخرائط التي وضعت عليها قبل ذلك إشارات إلى مختلف الأماكن الواقعة بعد الكونغو، ومحيت منها الإشارات، وكانت الحكومة البرتغالية تحيط مسالة إعداد ورسم الخرائط الرسمية بكتمان وسرية شديدين، وكان لهذه السرية أثرها الكبير في تأسيس الشركتين الهولندية والانكليزية للتجارة مع الشرق . ينظر: خالد العزي، الخليج العربي في ماضيه وحاضره، مطبعة الجاحظ، بغداد، 1972، ص 59: 59 . R. Mukherjee, Op.Cit., p.

4. فاروق عثمان أباطة، المرجع السابق، ص 59؛ زينب عصمت راشد تاريخ أوروبا الحديث، ج1، القاهرة، دار الفكر العربي، 1986، ص 153.

5. بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج1، ذات السلاسل، الكويت، 1984، ط3، ص 35

أساقفة جاوه، وعاش هناك حوالي عشرة أعوام جمع خلالها قدرا كبيرا من المعلومات حول السلع والمنتجات ذات القيمة التجارية التي كانت تشكل مصدرا عظيما للتجارة البرتغالية، وفي عام 1592 أصدر لنشوتن كتابا قيما دون فيه المعلومات الجغرافية والتجارية التي حصل عليها أثناء إقامته في جاوه. فأضاف إليه دليلا عمليا للملاحة، وصف فيه الطريق من لشبونة إلى الهند، كما أعطى وصفا دقيقا للتيارات البحرية والرياح التجارية والمرافئ والجزر القائمة على طول الطريق، ووضع الكتاب تحت تصرف الشركة الهولندية⁽¹⁾،

وبعد ثلاث سنوات من تأسيس الشركة الهولندية الجديدة خرج أول أسطول هولندي من أربع سفن تقل 259 بحارا بقيادة هوتمان للتجارة مع الشرق في عام 1595، فبلغ الجزر الاندونيسية مصدر التوابل والمهارات ومركز تجارة الافاويه. وعاد هوتمان إلى هولندا في عام 1597 بعد سنتين ونصف بثلاث سقن بعد أن فقد واحدة من سفنه، ولم يعد من البحارة سوى 89 رجلا، ولكن الحمولات التي جاءت بها البعثة، حققت أرباحا بلغت حوالي 80000 فلورين⁽²⁾. ولعل أهم نتيجته لرحلة هوتمان ظهور مؤسسات تجارية جديدة توحدت في عام 1597 تحت مسمى: (جمعية التجارة مع البلاد البعيدة)⁽³⁾.

واستمرت الرحلات البحرية الهولندية إلى الشرق حتى بلغ عددها (1598 – 1601) حوالي خمس عشرة رحلة⁽⁴⁾. ثم اندمجت ست شركات هولندية صغيرة مما أدى إلى تأسيس (شركة الهند الشرقية الهولندية) التي تم تنظيمها بإيحاء من اولدن بارتفلت (Olden Bartevelt) وفق مرسوم صدر في يوم 20 مارس عام 1602 عندما منح مجلس الأمة الهولندي الشركة الجديدة احتكار التجارة الشرقية لمدة عشرين سنة، وخولها سلطات السيادة الواسعة لعقد المعاهدات مع الدول الآسيوية، وفوضها القيام باحتلال الأراضي و بناء

1.. عبد العزيز عوض، المرجع السابق، ص 182

2. أن أول من اصدر عملة في هولندا هي الملكة فلورين الأولى (Florin first). وسميت العملة باسمها. واصل هذه العملة من ايطاليا، وكانت عملة ذهبية تصنع في مدينة فلورنسا الايطالية فسميت نسبة إلى مدينة فلورنسا. ويقال إن اسم فلورين باللغة الهولندية يعنى (الفضة الصافية)، وأول عملة سكت في هولندا كانت من الفضة، ونسبه الفضة فيها 97%. فسميت العملة فلورين اى (الفضى النقية الصافية)، و12 فلورن يعادل جنية استيرليني واحدا. ينظر:

<https://www.almsdar.net/vb/showthread.php?t=20508> تاريخ الزيارة في 12 جوان 2020.

3. محمود علي الداود، مصدر سابق، ص 263

4. اصدر ملك البرتغال الدوم مانويل مرسوما في عام 1504 حظر فيه بموجبه وضع الاشارات على الخرائط و التي من شأنها ان ترشد على الطريق البحري بعد منطقة الكونغو. ينظر: بانيكار، ك.م، اسيا و السيطرة الغربية، تر: عبد العزيز توفيق جاويد، د.م.ن، القاهرة، 1962، ص 55-56.

الحصون والقلاع و تجهيز الجيوش وحق اعلان الحرب لتتمكن من منافسة الشركات الأوروبية الأخرى في الشرق. وبذلك أصبحت شركة قومية⁽¹⁾، وهكذا تشكلت الشركة الهولندية من ائتلاف جماعات المصالح المهتمة بالتجارة مع الشرق وتمتعت بإمكانيات ومصادر قوة اكبر من تلك التي تمتعت بها منافستها الشركة الانكليزية. فهي لم تكن شركة تجارية فحسب، وإنما كانت تمثل كل المقاطعات الهولندية، فالشركات الست المندمجة هي تمثل ست مقاطعات تجارية رئيسية⁽²⁾ في البلاد، وكان يدير الشركة مجلس يتألف من (17) عضواً، ويدعى هذا المجلس باسم (مجلس السبعة عشر)، ويجتمع ثلاث مرات في السنة اثنان منها قبل انطلاق قوافل السفن، والثالثة بعد عودة تلك الأساطيل⁽³⁾.

و كانت أول معاهدة للشركة الهولندية في الشرق مع الزامورين- حاكم المالابار- في عام 1604 لطرد البرتغاليين من ساحل مالابار وسائر بلاد الهند ، وهكذا دخل الهولنديون في صراع مرير مع البرتغاليين بعيد وصولهم إلى الشرق على الرغم من حرصهم في البداية على تجنب المواجهة مع السفن البرتغالية بإقامة تجارتهم في المناطق النائية والبعيدة عن النفوذ البرتغالي. ولكن البرتغاليين وقفوا منذ البداية ضد النشاط الهولندي في الشرق، ورفضوا وجود الهولنديين- وغيرهم- في مناطق نفوذهم، وبدأوا هجماتهم على السفن الهولندية منذ عام 1603 بشكل عنيف ومركز. ولذلك شرع الهولنديون في احتلال المستوطنات البرتغالية. فحاصروا جاوه المركز الرئيسي للبرتغال في المحيط الهندي بدون جدوى خلال الفترة (1604-1608) قبل ان تتمكن هولندا واسبانيا - التي تبعتها البرتغال- من الاتفاق على عقد هدنة بينهما لمدة اثني عشر سنة في عام 1609، والتي بموجبها سمحت اسبانيا للهولنديين بحرية التجارة في المحيط الهندي مما منحهم الإمكانيات لبناء إمبراطورتهم التجارية في الشرق . ولكن البرتغاليين في الشرق رفضوا الامتثال للاتفاق وكانت سياسة هولندا تقوم على التجارة اولا ثم الاعتماد على القوة الحربية لحماية تجارتها ثانيا⁽⁴⁾.

وخلال الربع الأول من القرن السابع عشر الميلادي تمكن الهولنديون من بدء عملية ترسيخ أقدامهم، وتأسيس مراكز قوية لهم في الشرق. وبدأت أولى المعارك البحرية بينهما في عام 1605، عندما هوجم الأسطول البرتغالي في يوم 17 أوت من قبل الأسطول الهولندي مؤلف من (11) سفينة حربية، وجرت بينهما معركة استمرت عدة ايام ، وبسبب كون السفن

1. ارنولد ت. ويلسون، المصدر السابق، ص 157.

2. المقاطعات هي: امستردام، ميدلبرج، دلفت، روتردام، هورن واخيرا وانكهويرين.

3. ب. ج. سلوت ، المرجع السابق، ص 77-78.

4. السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص 26-27.

الهولندية متطورة من حيث النوعية والتسليح، فقد أوقعت خسائر كبيرة بالأسطول البرتغالي، وهذا جعل البرتغاليون يقرروا إرسال تعزيزات بحرية إضافية من لشبونة لمواجهة التطورات الحادثة في المحيط الهندي، كما قرر البرتغاليون تعزيز عدد السفن الحربية لمرافقة السفن التجارية البرتغالية في المنطقة. وفي عام 1605 أسس الهولنديون أول مستوطنة في (امبويانا)⁽¹⁾ بعد طرد البرتغاليين منها. ومن الأمور التي تؤثر إلى اختلال الهيمنة البرتغالية في المنطقة، نجد إن القوة البرتغالية انسحبت حتى قبل مجيء الأسطول الهولندي إلى امبويانا. والفرار من مواجهة الهولنديين، غدت ظاهر على سلوك البحرية البرتغالية، وذلك يعود لقوة الأسطول الهولندي⁽²⁾.

لقد ساهم النشاط العسكري الهولندي في إرباك البرتغاليين والإجراءات المتخذة للحد من تنامي الوجود الهولندي. وبعد أن علم الهولنديون أن الأسطول البرتغالي قد تم تقسيمه من أجل الانتشار في المنطقة لمواجهة أي تهديد لمصالحهم من قبل الهولنديين. نجد أن الهولنديين استغلوا ذلك، تقدموا نحو مضيق ملقا وهاجموا الأسطول البرتغالي المرابط هناك في يوم 22 أكتوبر عام 1606. وبعد معركة عنيفة تمكنوا من تدمير الأسطول البرتغالي المرابط هناك بالكامل، ثم تراجعوا إلى مقرهم، وبعد الهزيمة توفي نائب الملك البرتغالي في ملقا حزنا على الخسائر التي مني بها أسطوله. وبعدها بمدة التقى الأسطول الهولندي بالسفن البرتغالية الحربية المرابطة في خليج بولوبوتوم وتمكن من هزيمته أيضا، واجبروه على التراجع بعد أن خسر ثلاثة سفن من السفن الحربية الخمسة⁽³⁾. وهكذا فرض الهولنديون سيطرتهم منذ عام 1606 على جزر التوابل، وأقاموا الحصار على المضائق، وأسسوا لهم وكالة تجارية معتمدين أسلوب القرصنة والتهريب لتحقيق أهدافهم⁽⁴⁾.

وبالتدريج تمكن الهولنديون من ترسيخ وجودهم في المنطقة، وبناء على ذلك، أرسلت الشركة الهولندية في عام 1611 حاكما عاما لهم إلى بنتام⁽⁵⁾، وكان أول حاكم هولندي يصل إلى الهند الشرقية آنذاك، ومن ذلك التاريخ، بدأت الشركة تحاول فرض سيطرتها السياسية

1. امبويانا: تقع في جزيرة امبون، وهي إحدى جزر الملوك، أو جزر التوابل، وهي حاليا تقع ضمن أراضي اندونيسيا حاليا.
2. عادل محمد حسين، الصراع البرتغالي الهولندي في المحيط الهندي، بحث منشور في: مجلة سامراء، ع 3، مج 2، السنة 2006، سامراء، ص 85.
3. عادل محمد حسين، المرجع السابق، ص 86.
4. هيفاء عبد العزيز الربيعي، غزاة في الخليج: الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية... دراسة تاريخية، جامعة الموصل، الموصل، 1989، ص 27.
5. هي إحدى جزر التوابل المهمة، وهي تقع ضمن ممتلكات اندونيسيا حاليا.

على المنطقة. ولكن مركز الشركة الهولندية لم يتوطد تماما في جزر الهند الشرقية إلا بعد استيلائها على باتافيا (جاكرتا) في 1619. وبعد ذلك حصل الهولنديون على المراكز الإستراتيجية المهمة التي كانت للبرتغاليين. وسبق الهولنديون بذلك الانكليز في الوصول إلى الأماكن الإستراتيجية في البحار الجنوبية، ومن ثم أرغموا البرتغاليين على تسليم المراكز المهمة في الهند. وقامت الشركة خلال هذه الفترة باستثمارات ضخمة حققت من ورائها أرباح هائلة بلغت في عام 1610 نسبة 132.5%⁽¹⁾. وكان للشركة الهولندية وكالة تجارية في سورات في الهند كما تحصلت على ترخيص من السلطات العثمانية بالتجارة مع موانئ اليمن في عام 1618. كما أخذت الشركة الهولندية توطد مركزها بقوة و ثبات في جزر الهند الشرقية وتبحث عن التجارة في كل مكان وتحشد عدد هائلا من السفن الحربية و التجارية في المياه الشرقية كما تمكنت من تدمير عدد من السفن البرتغالية .

وهكذا فتحت أمام الهولنديين الطريق نحو الشرق والاتصال المباشر بمصادر التوابل في جزر الهند الشرقية، وكانت تجري رحلات منتظمة، حيث نجد أنه في الفترة الممتدة ما بين 1598-1701 أرسل الهولنديون سفن عديدة كما اشرنا، إلى مياه المحيط الهندي وجزر التوابل لا للتجار فقط وإنما وبتفويض رسمي من الحكومة، للعمل الحربي والسياسي كذلك، وكان من نتيجة هذه الرحلات تشكيل شركة الهند الشرقية الهولندية⁽²⁾، قبل تأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية، كان الهولنديون قد أسسوا عددا من الجمعيات والاتحادات التجارية التي اندمجت في الجمعية التجارية مع الأقطار النائية⁽³⁾، وأخذت الشركات الهولندية تتنافس بعضها البعض، مما قلل من أرباح هذه الشركات بسبب ازدياد الطلب في جو تنافسي وارتفاع سعر الأفاويه في الجزر المنتجة لها، حيث أخذ حكام تلك المناطق يرفعون الأسعار شهرا بعد شهر فرأت الدولة الهولندية أن تتدارك الأمر ليس من أجل وضع حد لذلك التنافس الذي لم يكن لصالح التجارة الهولندية فحسب، بل وكذلك من اجل مقاومة خطر القرصان والمحافظة على حقوق التجار، إذ لم يكن هناك قناصل يحافظون على حقوقهم، وكانت التجمعات التجارية الصغيرة المتصارعة، أعجز أن تفعل ذلك، فقررت الدولة إدماج مؤسساتها التجارية العديدة، في شركة واحدة كبيرة، قادرة على مواجهة التحديات والمحافظة على مصالح هولندا التجارية⁽⁴⁾، برأس مال قدره 6,500,000

1. Birdwood ,Sir George .Report On The Old Records Of India Office London 1891 p.183 .

2. عبد العزيز عوض، المرجع السابق، ص193؛ بنكار، ك، م، المرجع السابق :ص65.

3. بدر عباس الخصوصي، المرجع السابق، ص36.

4. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، المرجع السابق ، ص 43-44 .

فلورن، وهو يعادل الـ (541.000) جنية استرليني تقريبا. وهذا يشير إلى أن رأس مال شركة الهند الشرقية الهولندية وقت تأسيسها كان أكثر بحوالي عشر مرات من نظيرتها الإنجليزية التي تأسست قبل هذا التاريخ بسنة ونصف سنة تقريبا⁽¹⁾.

ومن خلال ما سبق، تعتبر شركة الهند الشرقية المتحدة للأراضي الواطنة The United East India Company Of the Netherlands والتي اشتهرت باسم شركة الهند الشرقية الهولندية (The Dutch East India Company) قاعدة استعمار هولندا لجزر الهند الشرقية، وكانت تتمتع بحق احتكار التجارة لمدة عشرين عاما بين هولندا والبحار الشرقية التي تمتد من رأس الرجاء الصالح، في الطرف الجنوبي لإفريقيا، إلى مضيق ماجلان (Magellan) في الطرف الجنوبي لأمريكا الجنوبية، وبذلك كان يشمل الهند وسيلان وجزر الهند الشرقية، وأستراليا، وكانت الشركة الهولندية شركة مساهمة، وبلغ رأسمالها أكثر من ألفي سهم، وكان سعر السهم الواحد (3000) فلورين⁽²⁾، وكانت رؤوس الأموال تتراكم في هولندا نتيجة الموارد المتزايدة من الشرق، وفي عام 1609، تأسس بنك أمستردام الذي تحول إلى خزانة عامة للهولنديين، وأصبح أكبر مركز مالي في أوروبا في ذلك الوقت، وكان البنك يمول الشركات التي نشأت عن طريق إصدار الأسهم، وعلى الأخص شركات التجارة والاستعمار⁽³⁾.

وعلى العكس من النظام الإسباني والبرتغالي الموجه للتجارة والاستعمار، فإن تركيبة الشركة الهولندية تعتمد على القدرات الذاتية للتجار ورجال الأعمال، والذين اجتهدوا بلا كلل أو ملل لتطوير قدراتهم وإمكانياتهم من أجل تحقيق الغاية المرجوة من عمل الشركة. ولم يكن للدولة أي تدخل في شؤون التجارة إلا في أوقات عملت على اتحاد الشركات الهولندية المتصارعة فيما بينها تحت مظلة شركة واحدة وهي (شركة الهند الشرقية)، كما كانت الدولة تكتفي بعائد قدره 3% على الصادرات من دون أي شيء على الاستيراد⁽⁴⁾، كما كانت لشركة الهند الشرقية الهولندية مجلس إدارة يشرف على الشؤون العامة لها، وعلى إبرام المعاهدات وإقامة الحصون لحماية التجارة الهولندية، وكان مقر المجلس في أمستردام⁽⁵⁾.

1. رياض زاهر، استعمار إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965، ص 38-39:

R. Mulcherjee: Op.Cit., p.61.

2. جورج لوفران، المرجع السابق، ص 84.

3. جلال يحيى، المرجع السابق، ص 145

4. جلال يحيى، المرجع السابق، ص 146.

5. رياض زاهر، المرجع السابق، ص 59

على الرغم من انتصار الإنكليز على الأرمادا الإسبانية عام 1588، إلا أنهم لم يتمكنوا من الاستفادة المباشرة من ذلك الانتصار في السيطرة على البحار ومزاحمة الأسبان والبرتغاليين في مواردهم. في حين تمكن الهولنديون من تجير الوضع في صالحهم، واستغلال تراجع هيبة الأسبان، والعمل الجاد لاختراق الحاجز الحديدي- ان صح التعبير- الذي كانت قد وضعت اسبانيا والبرتغال في منع الدول الأوروبية من ولوج ميدان تجارة ما وراء البحار. وهذا، انعكس إيجابا على الهولنديين الذين ثبتوا أقدامهم في المحيط الهندي، وكانوا الرقم واحد طوال القرن السابع عشر الميلادي، ولاسيما النصف الأول من هذا القرن. ونتيجة ذلك، تفوق الهولنديون خلال هذه الفترة في مجال الملاحة البحرية ونقل المنتجات الشرقية إلى أوروبا والتحكم بأسعارها، وذلك بسبب امتلاكهم أسطولا تجاريا كبيرا بلغ سنة 1650 قرابة (16000) قطعة بحرية على متنها قرابة الـ(163.000) بحارا، ويرجع فضل ذلك، إلى ابتكارهم نوعا جديدا من السفن القادرة على نقل حمولات كبيرة على عكس السفن البرتغالية، وكانت سفنهم تذهب إلى أي مكان وفي أي زمان حسبما يطلب الزبون، وهي ميزة لم تكن عند غيرهم، وفي مقارنة بسيطة، كان لدى الإنكليز في ذات الفترة أسطول يتألف من 3000-4000 سفينة، في حين يمتلك الفرنسيون حوالي 500 سفينة فقط⁽¹⁾. وهذا هو الذي مكن الهولنديين من التفوق على الجميع، والتحكم بمفاتيح تجارة الشرق، ومنافسة الآخرين بتفوق في الاحتكار والسيطرة.

ولابد من الإشارة هنا، من أن الشركة الهولندية كانت تمتلك جيشا يتراوح عدد أفرادها ما بين 12-20 ألف جندي، وبهم حافظت على مراكزها التجارية المنتشرة من رأس الرجاء الصالح حتى اليابان، وكان دور هؤلاء لا يتوقف على القتال فقط، وإنما إنشاء الحصون والاستحكامات العسكرية للدفاع عن مراكز الشركة التجارية وحماية عملية نقل المواد والسلع التجارية، أخذت الشركة طابعا عسكريا بالإضافة إلى طابعها التجاري، وفيما بعد حفزت النشاط الزراعي، عندما شجعت الرعايا الهولنديين على ممارسة العمل الفلاحي في بعض مراكزها، وبهذه الطريقة- على سبيل المثال- تحولت القاعدة البحرية في رأس الرجاء الصالح إلى مستعمرة استوطنها البوير الهولنديون⁽²⁾. وكذلك انتقل إليها الهيكلونوت الفرنسيون هربا من الاضطهاد الذي مورس ضدهم في اواخر ثمانينيات القرن السابع عشر الميلادي، ليستقروا تحت وصاية وسلطة شركة الهند الشرقية الهولندية. وكان لهؤلاء دور

1. جورج لوفران، المرجع السابق، ص 82-84

2. جلال يحيى، المرجع السابق، ص 138.

كبير في دعم نشاط الشركة من خلال الخدمات التي يقدمونها لسفن الشركة الذهاب إلى المحيط الهندي والعودة منه، وتمثل في تمويل السفن باحتياجاتها اثناء السفر⁽¹⁾.

واستخدم الهولنديون باتجاه تأمين مصالحهم التجارية شتى الوسائل، إذ فضلا عن تفوقهم البحري وفرض إرادتهم بالقوة العسكرية، فهم عقدوا العديد من التحالفات مع بعض الحكام المحليين لطرد البرتغاليين العدو المشترك للهولنديين ولهؤلاء الحكام، وأول معاهدة من هذا النوع، عقدتها شركة الهولندية مع السامري (Samuri) حاكم كاليكوت في عام 1604، ووقعت من قبل ممثل الشركة الأدميرال س. فان دراجن (S. Van Der Hagen)، ومن بين ماجاء فيها أن الهدف من المعاهدة هو طرد البرتغاليين من أرض السامري وسائر أرجاء شبه القارة الهندية⁽²⁾، ويبدو ان الدافع من وراء هذه المعاهدة بالنسبة للهولنديين هو انهاء الوجود البرتغالي في المنطقة بشتى السبل لضمان الهيمنة التجارية في المنطقة⁽³⁾، وحاول الهولنديون تفادي أخطاء البرتغاليين في التعامل مع السكان، إذ لم يفرضوا معتقداتهم الدينية على أهل البلاد مما جنهم كراهية هؤلاء، واجتهدوا في استرضاء الأمراء ومصادقتهم، على عكس البرتغاليين الذين حاولوا نشر الديانة المسيحية (الكاثوليكية) والتعامل بقسوة مع الاهالي⁽⁴⁾.

واشتد نشاط الهولنديين خلال الربع الثاني من القرن السابع عشر الميلادي في تنفيذ مخططهم لطرد البرتغاليين من البحار الشرقية، وركزوا جهودهم في جنوب شرق آسيا حيث كان الوجود البرتغالي هناك أضعف من وجودهم في المياه الهندية، وفي عام 1641 تمكنوا من طرد البرتغاليين من ملقا، وكانت من أهم المراكز البرتغالية في الشرق ومزقت بذلك نظام الدفاع البرتغالي الذي وضعه أساسه الفونسو دي البوكيرك (Alfonso de Albuquerque)، وبالاستيلاء على تلك القاعدة البحرية أصبح باستطاعة الهولنديين التحرك بكل حرية في المياه الشرقية، ليوجهوا اهتمامهم نحو تجارة الهند والوجود البرتغالي هناك⁽⁵⁾. وانطلاقا من ملقا بدأ الهولنديون في تقديم المساعدات لحكام سيلان في حروبهم ضد البرتغاليين، حيث نجحوا في طردهم منها بعد استيلائهم على مدينة كولمبو في عام 1645 بعد حصار طويل لها، واحتلوا كوتشين أول مركز برتغالي في الشرق في عام 1660، ثم سقطت المراكز البرتغالية

1. جون إ. ويلز جونيور، المرجع السابق، ص 136-137.

2. بانيكار، ك. م.، المرجع السابق، ص 56

3. جورج لوفران، المرجع السابق، ص 83، محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 37

4. نتاليا نيكولايفنا تومانوفيتش، المرجع السابق، ص 88

5. Hamilton, C.J, The Trade Relation Between England And India 1600-1896
Delhi 1975, P13 .

الصغيرة في قبضة الهولنديين واحدة تلو الأخرى كما استقر الهولنديون في فرموزا و أقاموا حصنا فيها واتخذها مركزا لتطوير تجارتهم مع اليابان⁽¹⁾.

واستمر الهولنديون في حملاتهم المنظمة الموجهة من كولمبو إلى أن تم القضاء على نفوذ البرتغاليين في الهند وتجارتهما، ولم يبق لهم من المراكز إلا جاوه في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي، إلى جانب جزيرتي زامان وديو الصغيرتين، وبعد تنازل ملك البرتغال لملك انكلترا عن بومباي في عام 1665. وبذلك كانت هولندا أكثر القوى الأوروبية إسهما في تصفية الوجود البرتغالي ووراثته في البحار الشرقية⁽²⁾. وبهذا، انتقلت تجارة الهند والجزر الشرقية إلى الهولنديين في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي. وذلك بعد أن سيطروا على القسم الساحلي من سيلان وأصبحت تجارة الملايو في قبضتهم و أقاموا في جزر الهند الشرقية إمبراطورية تجارية مزدهرة .

لقد اظهر الهولنديون تفوقا واضحا على باقي الدول الأوروبية، اذ ابتكروا طرأقا فعالة جدا في التوسع الاستعماري والنشاط التجاري ، وهو الذي مكّهم من ربط مستعمراتهم ومراكز التجارية ببعضها البعض في جزر الهند الهولندية منذ القرن السابع عشر الميلادي، وأصبح " الحزام الزمردني الذي يتلوى على طول خط الاستواء " حسب قول الكاتب مارك فيرو - الذي يعرف الآن باسم اندونيسيا-، وترصعه جواهر ثمينة، مثل: جاوا، سومطرة، بورينو (كاليمانتان)، سولاويزي، إيريان جايا، وجزر الملوك وبالي⁽³⁾. وليس هذا فحسب، وانما نجحتشركة الهند الشرقية الهولندية في خلق حالة من التعاضد والتماسك والحرص بين الوطن الام وممتلكاتها الاستعمارية، نظرا للفائدة التي عمت الجميع ، وجعلت الجميع على العمل بحرص لاستمرارية هذا المشروع المريح لهم. وهو ما جعل هولندا تستقطب رؤوس الاموال من الخارج، وهذا ما عزز من زخم وسرعة المشروع الهولندي في البحار الشرقية. والدليل على ذلك، كانت هناك ثلاث قوافل تنطلق في السنة من المدن الهولندية متجهة إلى الهند وجزر الهند الشرقية، والتي كانت تصل بأوقات قياسية لاتتجاوز الستة أشهر من الملاحظة، وتعود إلى هولندا محملة بمنتجات ما وراء البحار⁽⁴⁾. والتي كانت مردودها النقدي كبير جدا، فالأرباح التي كانت تدرها نشاطات الشركة كبيرة جدا، فالنشاط التجاري لم يكن بين البلد

1. عبد العزيز عوض، المرجع السابق، ص186، بانيكار،ك، م، المرجع السابق، ص74-75

Mukherjee,Ramkrishna.:Op.Cit.,P.106 -107 .

2. مارك فيرو، الكتاب الاسود للاستعمار من الابداءة إلى التوبة ، تر: محمد احمد صبح ، ج2، شركة

القدس للنشر والتوزيع،بيروت، 2009، ص 44-45.

3. المرجع نفسه، ص25 .

4. المرجع نفسه، ص 45؛ جلال يحيى، المرجع السابق، ص 133-137 .

الأم والمستعمرات، وإنما أيضا بين المستعمرات ذاتها، وهذا ما كان يدر أرباح إضافية⁽¹⁾. وهكذا، كسب التجار الهولنديون الرهان في تجارتهم الشرقية حتى أن أرباحهم وصلت إلى ثلاثة أضعاف رأس المال⁽²⁾، حيث كانت تباع بضائعها بأضعاف ثمن شرائها، فكانت تباع السكر في أوروبا - على سبيل المثال- بخمسة أضعاف ثمن شرائه، وكذلك كانت تباع الفلفل بستة أضعاف⁽³⁾. ولهذا لم تتردد المؤسسات التجارية الهولندية في تمويل تأسيس الشركة، إذ اخلتطت الرخاء المادي بروح الانتقام من الأسباب في مشروع تأسيس الشركة⁽⁴⁾.

وبمرور الوقت، نجح الهولنديون في تدني حجم النشاط التجاري للبرتغاليين، وفرض وجود الهولنديين في المحيط الهندي اثر سلبيًا على الواردات البرتغالية من المنتجات الشرقية إلى لشبونة، إذ لم يتمكنوا من تمرير الحملات التي كانت من قبل عبر راتس الرجاء الصالح، حتى وصل معدل ما يتم مروره من هناك عشر ما كان يمر قبل مجئ الهولنديين إلى المنطقة، حيث كان معدل حملات السفن البرتغالية تتجاوز الـ(30000) قنطار سنويا من التوابل انخفضت لتصل إلى معدلات متدنية لم تتجاوز الـ(3000) قنطار سنويا⁽⁵⁾. والأرقام السابقة تعبر بشكل واضح حجم التدهور الذي أصاب البرتغاليين نتيجة قدوم منافسين لهم في المحيط الهندي.

1. جلال يحيى، المرجع السابق، ص 137-138

2. محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 36

3. جلال يحيى، المرجع السابق، ص 139

4. انظر جدول رقم (1).

5. عادل محمد حسين، المرجع السابق، ص 86.

جدول رقم (1)

يوضح مساهمة المؤسسات التجارية الهولندية
في رأسمال الشركة الهولندية⁽¹⁾

الهيئة	مقدار المساهمة بالكيلدار ⁽²⁾
غرفة تجارة امستردام	3674315.0
غرفة تجارة زيلاندا	1300405.4
غرفة تجارة دلفت	469400.0
غرفة تجارة روتردام	173000.0
غرفة تجارة هورن	266868.0
غرفة تجارة اينخويزن	540000.0
حصصة برلمان الدولة	25000.0
المجموع	6.429.588.4

ثانياً: الهولنديين والتواجد في الخليج العربي:

وفق مبدأ الميكافيلية الذي يقوم على أساس (الغاية تبرر الوسيلة)، لم يكن أمام الهولنديين عائق يحول دون التعاون مع أي قوة أوروبية لضرب البرتغاليين في المحيط الهندي وإبعادهم نهائياً بأي وسيلة كانت. وهذا لم يمنع الهولنديون من التعاون مع الانكليز للقضاء على الوجود البرتغالي. ولكنها في ذات الوقت لم تسمح هولندا أن تحل قوة أخرى غير البرتغال في المنطقة تنافسهم على موارد تجارة الشرق حتى لو كانت انكلترا، وسرعان ما أثبتت الأحداث هذا التوجه الهولندي في منع الانكليز من التمدد في المناطق مهما كانت النتائج، وبالفعل اخذ الأسطول الهولندي يعترض طريق السفن الانكليزية ومنع تحركاتها⁽³⁾. ولكن هذا لم يمنع الهولنديين من التحالف مع الانكليز في حملة بحرية في عام 1619 ضد البرتغاليين، حيث

1. عادل محمد حسين، المرجع السابق، ص 84.

2. كيلدر: هي عملة هولندية كانت تتداول من قبل الهولنديين، وهي تساوي شلنين انكليزيين وعشرين شلنا تساوي باون واحد في ذلك الوقت. للتفاصيل ينظر: عبد الأمير محمد الأمين، دراسات في النشاط التجاري والسياسي الأوروبي في آسيا 1600-1800، د.م.ن، عمان، 1987، ص 50.

3. س.ب. مايلز، المرجع السابق، ص 105.

دارت معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة جديدة للاسطول البرتغالي، وتقاسم الهولنديين والانكليز غنائم المعركة بالتساوي⁽¹⁾.

على العموم، أدرك الهولنديون من ان تجارة التوابل على الرغم من أرباحها لا تكفي في المحافظة على وجودهم في المنطقة، وإنما يمكن ممارسة نشاط التوزيع التجاري بين مختلف مناطق المحيط الهندي، وان هذا النوع من النشاط التجاري يدر أرباحا كبيرة هو الآخر، ومن هنا اجتمعت الشركة الهولندية في التغلغل في كل الاتجاهات من اجل فرض وجودها وإظهار قوتها. بالإضافة إلى الاستمرار في ملاحقة البرتغاليين أينما كانوا في المحيط الهندي، ولما كان البرتغاليون مازالوا محافظين على قوتهم النسبية في الخليج العربي اتجه الهولنديون بأنظارهم نحو منطقة الخليج العربي من اجل اختراقها وتدمير النفوذ والتجارة البرتغالية هناك. بالمقابل لم يكن وضع البرتغاليين في منطقة الخليج العربي مستقر، وإنما على العكس كانت التجارة البرتغالية تعاني من نقص التجهيزات والإمدادات من موانئ الساحل الشرقي للخليج، فيما كان الشاه عباس الاول ينفذ عمليات عسكرية باستمرار ضد مراكز الوجود البرتغالي على الساحل الشرقي، وسرعان ما تعاون الانكليز معه ضد البرتغاليين⁽²⁾. فيما تمكن عرب عمان من اعلان ثورتهم ضد البرتغاليين لتحرير مناطقهم من الوجود البرتغالي⁽³⁾. ومما جعل البرتغال غير قادرة على المحافظة على مستعمراتها في المنطقة.

وحاول الملك البرتغالي الفونسو السادس (Alfonso VI)⁽⁴⁾ تدارك الامور- وبعد التقارب السياسي مع الانكليز نتيجة زواج الملك الانكليزي من اخت الملك- ومساعدته للحد من حالة التدهور التي اصابه المصالح البرتغالية في المحيط الهندي، وتراجع مركزها نتيجة الضغط الهولندي، وقد اثمر هذا التقارب نتيجة زواج الاميرة كاثرين- اخت الملك الفونسو

1. هيفاء عبد العزيز الربيعي، المرجع السابق، ص 29؛ عادل محمد حسين، المرجع السابق، ص 87.

2. Wilson: Op.Cit., P.141.

3. عبد العزيز عوض، المرجع السابق، ص 74.

4. الفونسو السادس: ولد في لشبونة يوم 21 اوت 1634، وفي طفولته اصابه بمرض شلل الاطفال، خلف اباه في حكم البرتغال هو في سن الثالثة عشر من عمره. قاد الحرب ضد اسبانيا قرابة عقد من الزمن حتى اجبرها على الاعتراف بسيادة اسرة براغانزا بحكم البرتغال بموجب معاهدة لشبونة في 13 فيفري 1668، ولكن في عهد اخذت البرتغال تخسر ممتلكاتها الاستعمارية، ومن اشهر جزيرة سيلان لصالح هولندا. تزوج من ماريا فرانسيسكا عام 1666 الا الان زواجة لم يدم الا عاما واحدا. انقلب عليه شقيقه بيدرو وتولى الحكم بدلا عنه، ونفي إلى جزيرة تيرسييرا، وبعد سبع سنوات اعيد إلى لشبونة التي توفي فيها يوم 12 سبتمبر 1683. للتفاصيل ينظر: <https://ar.wikipedia.org/wiki>، تاريخ الزيارة في: 21 فيفري 2020.

السادس- من الملك الانكليزي تشارلز الثاني (Charles II)⁽¹⁾ في عام 1661. ولكن قراءة دقيقة لهذا الزواج السياسي لم يكن الا تأكيد على احتضار الوجود البرتغالي في منطقة المحيط الهندي وتراجع دورها السياسي في أوروبا والعالم في الصف الثاني، إذ تنازلت البرتغال لانكلترا عن مدينة بومباي في الهند ومدينة طنجة في المغرب في وفق معاهدة وقعت يوم 23 جوان 1661، واعتبرت كهدية زواج لشقيقة الملك الفونسو. إذ أكدت المادة (11) على ما يلي: "من أجل تمكين ملك انكلترا من الدفاع عن رعايا ملك البرتغال و مساعدتهم وحمايتهم في تلك الأنحاء، فان ملك البرتغال ينقل إلى ملك انكلترا وورثته إلى الأبد، ميناء وجزيرة بومباي بجميع حقوقها وثرواتها ومقاطعاتها"⁽²⁾. ولم يكن تنازل البرتغال عن بومباي لصالح انكلترا، الا دلالة على أن مستوى ضعف البرتغالي كدولة بحرية، كانت تتحكم بطرق الملاحة ومواطن التجارة الشرقية، كما أنها عكست حالة التراجع السياسي لها على مستوى العلاقات الدولية آنذاك.

وفي ذات العام- أي عام 1661- توصلت الوساطة الإنكليزية لحل الخلافات بين البرتغاليين والهولنديين إلى تسوية نصت على: اعتراف هولندا بالسيطرة البرتغالية على البرازيل (في أمريكا الجنوبية) مقابل اعتراف البرتغال بسيطرة هولندا على جزيرة سيلان⁽³⁾ التي كانت تخضع للاستعمار البرتغالي⁽⁴⁾.

1. تشارلز الثاني: ولد في 29 ماي عام في لندن، تولى حكم بريطانيا الفعلي عام 1660، اذ كان قد هرب إلى فرنسا نتيجة اعلان الجمهورية بقيادة اوليفر كرومويل في عهد حكم ابيه تشارلز الاول. وبعد وفاة كرومويل دخلت بريطانيا في ازمة سياسية، فتقرر عودة الملكية ودعوة تشارلز للعودة إلى بريطانيا من جديد في عام 1660 وتولى حكمها من جديد. وفي عهده سن البرلمان الإنكليزي قانون كلارندون، لدعم مكانة الكنيسة الراسخة من جديد. على الرغم من أنه كان يحبذ سياسة التسامح الديني كانت الحروب الإنكليزية الهولندية هي المسألة السياسية الخارجية الرئيسية في بداية حكمه. في عام 1670، دخل الملك تشارلز الثاني في معاهدة دوفير السرية؛ وهي عبارة عن تحالف الملك لويس الرابع عشر ملك فرنسا، توفي في 6 فيفري عام 1685 في لندن. للتفاصيل ينظر:

2. عادل محمد حسين، المرجع السابق، ص87.

3. يرجع أول وجود للبرتغاليين في جزيرة سيلان إلى عام 1505، واستمر الوجود البرتغالي حتى عام 1658 بعد تعاون الهولنديين مع احد الملك دارما حاكم مملكة كاندي، وعقد معاهدة بينهما في عام 1638، والذي أسفر عن طرد البرتغاليين من الجزيرة عام 1658. ينظر: خلود عبد اللطيف عبد الوهاب وسفيان عبد الفتاح، التدخل الأوربي في سريلانكا منذ 1505 وحتى الاستقلال 1948، مقال منشور في: مجلة دراسات تاريخية، ع 15، السنة 2013، البصرة، ص 189-192.

4. عادل محمد حسين، المرجع السابق، ص87: علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 60.

ثالثا : تفوق النشاط التجاري الهولندي في منطقة الخليج

لم يكن تأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية من اجل تحقيق أهداف محددة في منطقة الخليج العربي، وإنما كان الهدف الأساس من تأسيسها هو تجارة الشرق ، وعلى وجه التحديد المتاجرة في توابل جزر الهند الشرقية، إلى جانب القضاء على الإمبراطورية البرتغالية- التي كانت تابعة للأسبان- نتيجة الخلافات القائمة بين الأسبان والهولنديين. أما اتجاه نشاط الشركة الهولندية نحو الخليج العربي فلم يحدث إلا استكمال في ملاحقة البرتغاليين والقضاء عليهم، إلى جانب أن عيونهم كانت تتبع منافس آخر يتحرك بهدوء في الخليج العربي، واعني بذلك الشركة الانكليزية، والتي كانت تحقق نجاحات تجارية متتالية. وهذا ما حفز الهولنديون على تتبع الانكليز نحو الخليج العربي. على الرغم من ان الشركة الهولندية تمكنت من تأسيس عشرات المراكز التجارية في جنوب شرق آسيا والهند، في الوقت الذي لم تكن الشركة الانكليزية تملك مراكز تجارية اقل بكثير منهم . فقد كان الهولنديون يمتلكون حتى أواخر عام 1613 عدد كبير من المحطات والحصون، اذ بلغ عدد المحطات التجارية بـ (24) محطة وعدد الحصون بلغ (15) حصنا في جنوب شرق آسيا والهند، في حين كانت الشركة الإنكليزية حتى ذلك التاريخ تبذل جهودا حثيثة عند امبراطور المغول وترسل مبعوثا تلو مبعوث من اجل الحصول على إذن بفتح محطات تجارية في شبة القارة الهندية⁽¹⁾.

إن الإستراتيجية التي اتبعتها الشركة الهولندية بخصوص التنافس على تجارة الشركة تقوم على أساس منع أي قوة أوروبية من العمل في منطقة المحيط الهندي، ولهذا اعتبر الهولنديون أي نجاح لمنافسيهم يعني تهديد لمصالحها. ولهذا لم يكن ممكنا ان تترك الشركة الانكليزية تعمل في الخليج بكل حرية وتأمين وجودها التجاري من دون ان يكون لهم نصيب بما كانت تحقق. إلى كون الهولنديون أرادوا تعويض فشلهم في احتكار التجارة في الموانئ العربية في جنوب الجزيرة العربية في حضرموت واليمن والصعوبة التي واجهتها السفن الهولندية في التحرك في البحر الأحمر، نتيجة نجاح العثمانيون في منع السفن المسيحية- باختلاف جنسياتها- بعدما حولها العثمانيون إلى بحيرة إسلامية خوفا على الأماكن المقدسة بعد التهديد المسيحي البرتغالي⁽²⁾.

ولأن مصلحة الهولنديين في منطقة الخليج العربي كانت مرتبطة مع الشركة الانكليزية، والتي تتمثل في القضاء على البرتغاليين وإضعاف نفوذهم، ولذا فأنهم قدموا

1. نصير أحمد نور أحمد، المرجع السابق ، ص 67-70.

2. أحمد زكريا الشلق، المرجع السابق ، ص 37؛ محمد حسن العيدروس، المرجع السابق ، ص 40

للانكليز مساعدات عسكرية وقاموا بتسليح السفن البريطانية بموجب اتفاق عام 1619، مما كان له دورا كبيرا في طرد البريطانيين للبرتغاليين من هرمز عام 1619. ولكن ما كادت تترنح سيطرة البرتغاليين في الخليج العربي حتى بدأ الحليفان- الإنكليز والهولنديون- يعملان على تصفية نفوذ كل واحد للأخر من اجل الاستئثار بتجارة بلاد فارس والخليج العربي. وهذا ما دفع الهولنديون لان يتجهوا إلى الخليج العربي. وبعثوا هاربرت فينش (Harbert Finch) ممثلا عن الشركة الهولندية إلى أصفهان حيث وجد استقبالا وترحيب فارسي، حيث كانت الشاه الفارسي يرحب بأية قوة مسيحية تقدم له المساعدة ضد الأعداء العثمانيين والعرب في الخليج العربي⁽¹⁾.

وكانت الغاية من الترحيب الفارسي بالهولنديين هو كسب حليف جديد ضد البرتغاليين والحيولة دون استعادتهم جزيرة هرمز، وخلال فترة قصيرة أصبحت التجارة الهولندية اكثر ازدهار من التجارة الانكليزية⁽²⁾، حيث حصل الهولنديون على امتيازات كبيرة عندما منح الشاه الفارسي فرمانا شمل امتيازات واسعة رغم معارضة كثير من المسؤولين في دولته والانكليز، وتضمن فرمان ثلاثة وعشرين بندا⁽³⁾، اذ منح فرمان تسهيلات تجارية للشركة الهولندية في البيع والشراء في جميع أنحاء بلاد فارس دون أن يلتزموا بشراء نوع معين من المنتجات الفارسية، وتم إعفائهم من دفع الرسوم الجمركية نقدا، وكذلك يحق لهم استخدام الأوزان والمقاييس الهولندية الرسمية في معاملات البيع والشراء، إلى جانب تمتع الوكالات التجارية الهولندية بالحرية في نشاطاتها، كما أعطى فرمان الحق للشركة الهولندية باستخدام القوة إذا دعت الضرورة ذلك، كما تعهد الشاه شخصا بدفع كل الخسائر التي قد تلحق بهم نتيجة السرقة والسطو على وكالتهم في جمبرون (بندر عباس)، وسمح بممارسة شعائهم الدينية وإقامة الكنائس والأديرة وحياسة الأسلحة وشراء العبيد وعدم ارتباطهم بالمحاكم المحلية. كما طلب الشاه من رعاياه تقديم كافة التسهيلات للشركة الهولندية من توفير القوافل والمأكل والمشرب إذا ما دعت الضرورة لذلك. ومما جاء في فرمان بأنه إذا ما اعتنق احد الهولنديين ديانة الإسلام للشركة الحق في نفيه خارج فارس ومصادرة أمواله. ثم أعفى شركة الهند الشرقية الهولندية من الضرائب الكمركية المستحقة عليها ابتداء من عام 1623⁽⁴⁾.

1. عبد العزيز عوض، المرجع السابق، ص 195

2. صالح زكي، المرجع السابق، ص 39-41 .

3. عبد العزيز عوض، المرجع السابق، ص 195

4. محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 41، مصطفى عقيل الخطيب، المرجع السابق، ص 149

أخذ النفوذ الهولندي يتنامى في الخليج العربي وبلاد فارس بعد ان سمح الشاه عباس الأول بإقامة وكالة تجارية لهم في جمبرون (بندر عباس). ومنها كان منطلق الهولنديون في تحدي ومنافسة المركز التجاري للانكليز في بلاد فارس، وسعوا بكل الوسائل لإلحاق الأذى بالانكليز ومنعهم من احتكار تجارة التوابل بين جزر الهند الشرقية وفارس. ونادرا ما ابدوا تسامحا مع الانكليز في الخليج العربي والمحيط الهندي. ثم قامت البعثات الهولندية بزيارات كثيرة لأصفهان حيث منحها الشاه عباس الأول حق شراء الحرير الفارسي من أي مكان في فارس وحرصا منه في إيجاد منافسة بين الراغبين في شراء الحرير الفارسي ليحقق أرباحا أكثر⁽¹⁾. وبذلك أصبحت الشركة الهولندية منافسة تجارية قوية للشركة الانكليزية في منطقة الخليج العربي وفارس. وقد حقق الهولنديون منذ بداية اتصالهم بالخليج العربي فوائد تجارية مهمة بسبب الكميات الكبيرة من التوابل التي تم بيعها في عام 1623 بأرباح عالية. كذلك احضر الهولنديون معهم الذهب وهو المعدن المفضل لدى الفرس في التعامل التجاري خلال عمليات بيع البضائع الفارسية. كما استفاد الهولنديون من عمليات نقل بضائع التجار الفرس والأرمن والهنود في سفنهم من وإلى الخليج العربي⁽²⁾

ويرجع سبب موافقة الشاه عباس على جميع مطالب شركة الهند الشرقية الهولندية من اجل الحصول على الدعم العسكري الهولندي في مشاريعه الاستعمارية في العراق والخليج العربي، بعدما أن رفض ذلك البريطانيين والهولنديون ولم يستجيبوا لطموحات شاه فارس التوسعية تجاه العراق وعمان، إذ لم يكن في نيتهم الدخول في المعارك العسكرية بجانب فارس ضد أية قوة، وكان هدف الهولنديين احتكار تجارة فارس وخاصة الحرير وضرب المصالح التجارية البريطانية فيها.

وأرتبط الصراع التنافسي بين هولندا وإنكلترا في هذه المنطقة بسعي كل منهما لان تكون الرسوم الكمركية في جمبرون (بندر عباس) من حقها. وبعد أن كسب الإنكليز الحق بجباية نصف الرسوم الكمركية انتزع الفرس منهم هذا الحق فيما بعد. وفي عام 1626 رفض الشاه عباس الأول السماح للإنكليز بإنشاء قلعة في هرمز. وفي عام 1627 حصل الهولنديون على حق التجارة بالحرير الفارسي ضمن بتسهيلات كبيرة للهولنديين أكثر من الشروط الممنوحة للإنكليز⁽³⁾. ولم يؤثر ظهور طرف أوربي ثالث في بلاد فارس- اعني الفرنسيين- في تغيير

1. بديع جمعة ، تاريخ الصفويين و حضارتهم ، ج1، (د.م.ن)، القاهرة، 1986 ، ص 218

2. عبد العزيز عوض، المرجع السابق ، ص 194

3. نتاليا نيكولايفنا تومانوفيتش، المرجع السابق ، ص106

توازنت القوى في الخليج العربي؛ إذ بقي اللاعبين الأساسيين في الخليج العربي هما هولندا وانكلترا. إلا أن الثانية أخذت تفقد من نفوذها تدريجياً تحت ضغوط منافستها هولندا⁽¹⁾.

وهكذا، اقلق تنامي النفوذ الهولندي في الخليج العربي وبلاد فارس الانكليز، وازداد هذا القلق عندما استطاع الهولنديون الحصول على امتيازات تجارية جديدة تفوق ما حصل عليه الانكليز من قبل، وذلك على اثر تولى الشاه صفي⁽²⁾ حكم الدولة الصفوية عام 1629 عقب وفاة الشاه عباس الاول. لاسيما وان جميع الاتفاقيات والمعاهدات والامتيازات التي يمنحها الشاه ملغاة ما لم يثبتها خلفه، وبما أن ذلك استغرق كثيراً من الوقت منذ وفاة الشاه عباس الاول فقد عانت التجارة الانكليزية من تدهور حقيقي؛ ونتيجة ذلك انتهى الاحتكار الانكليزي لتجارة الحرير الفارسي، واخذ مكانة الهولنديين التجارية تفوق نظيرتها الانكليزية نتيجة الامتيازات الكثيرة التي منحت للهولنديين. ونشطت الوكالة التجارية الهولندية في بندر عباس بشكل كبير، مما مكن الهولنديون من الاستئثار بتجارة الخليج العربي خلال الشطر الأعظم من القرن السابع عشر الميلادي⁽³⁾.

وعلى الرغم من كساد أعمال شركة الهند الشرقية الانكليزية إلى درجة كان الانكليز يفكرون في إغلاق وكالاتهم التجارية في بلاد فارس نتيجة إفلاسها، إلا أن الانكليز سرعان ما الغوا هذه الفكرة، وذلك خوفاً من أن يهمن الهولنديون على مجمل النشاط التجاري في منطقة الخليج العربي وبلاد فارس. لاسيما وان الانكليز كانوا يلاحظون، كيف يدعم الهولنديون مركزهم في بلاد فارس بمختلف السبل والوسائل، مثل: الرشوة وبيع بضائعهم بأسعار لا يمكن منافستها من قبل الانكليز، كما عملوا في إطار سعيهم لاحتكار تجارة صادرات بلاد فارس، دفعوا أثماناً مرتفعة لشراء الحرير الفارسي عام 1641، على سبيل المثال. وكل

1. Bruce. Op,Cit. P.498.

2. الشاه صفي: هو حفيد الشاه عباس الاول ويدعى سامي ميرزا، تولى الحكم من بعد وفاته في 14 فيفري 1629، وكان عمره 18 عاماً، واخذ لقب الشاه صفي. ومثلما هو معتاد واجه كل المعارضين اليه بالبطش والتنكيل وتخلص من العديد من ابناء اسرته لقناعته تهديدهم لعرشه. وفي عهد استمرت العلاقات المتوترة التي تصل إلى حالة الحرب مع الازبك والعثمانيين. وفي عهد ايضاً احتد المطامع الفارسية في الخليج العربي، ووصل التنافس بين الانكليز والهولنديين إلى اقصى درجاته على النفو والمصالح في بلاده. توفي على اثر جلسة شراب اسرف فيها إلى اقصى الحدود، وذلك في يوم 12 ماي 1642 في مدينة قاشان ونقل إلى مدينة قم ودفن فيمت. للتفاصيل ينظر: محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية (في ايران)، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2009، 213-110.

3. Bruce.Op,Cit. P. 499 .

ذلك من اجل تحطيم قدرات الانكليز الاقتصادية، ونتيجة ذلك، حققوا تفوقا واضحا عليهم⁽¹⁾.

ولم تتوقف محاولات الهولنديين في إضعاف الانكليز، وإجبارهم على ترك أسواق الخليج العربي وبلاد فارس. وإنما مارسوا ضغطا على الشاه صفي من اجل منحهم المزيد من الامتيازات والتسهيلات التجارية، ولما فشلوا في ضغوطهم السياسية، لجوا إلى ممارسة ضغطا عسكريا، عندما هاجموا جزيرة قشم في مدخل الخليج العربي من اجل الاستيلاء عليها، غير أن الظروف المناخية القاسية، هي التي أفشلت الهجوم الهولندي⁽²⁾. ولكن فشل هذه الحملة العسكرية، لم يوقف الهولنديين عند حد معين، وإنما بوجود أسطولهم القوي في الخليج عزز من موقفهم. واخذ الأسطول الهولندي بقيادة الكوماندير بلوك (Blog) في مهاجمة المدن الساحلية على الساحل الشرقي للخليج العربي، ولاسيما ميناء جمبرون (بندر عباس) حيث المصالح الفارسية من اجل التأثير على الشاه الفارسي عام 1645، ولما كان الشاه صفي لا يمتلك أسطولا قادر على مواجهة الهولنديين، ولم يجد العون من الانكليز، وجد نفسه مجبرا على التنازل أمامهم والإذعان لمطالبهم. وبالفعل حصل الهولنديون من الشاه صفي على امتيازات كثيرة في مقدمتها: حق احتكار تصدير الحرير من أي ميناء فارسي مع إعفائهم من الرسوم الكمركية⁽³⁾. واعتبر هذا الامتياز بمثابة ضربة قاصمة وجهت للوكالات الانكليزية في بلاد فارس، وترك ذلك أثره على الخليج العربي حيث اضطر الإنكليز تحت ضغط منافسهم إلى تقليص عملياتهم التجارية في مدينة أصفهان إلى حد كبير جدا. كما اضطروا في عام 1645 إلى نقل وكالتهم التجارية الأساسية من ميناء بندر عباس إلى ميناء البصرة في شمال الخليج العربي التي كانت تخضع لحكم إمارة افراسياب العربية⁽⁴⁾ هربا من الضغط الهولندي عليهم⁽⁵⁾.

ولم يتوقف الهولنديون عن مزاحمة الانكليز في نشاطهم التجاري حتى بعد تركهم ميناء بندر عباس، بتوسيع رقعة حريمهم التجارية ضد الانكليز ومحاولة منعهم من استعادة

1. نتاليا نيكولايفنا تومانوفيتش، المرجع السابق، ص 110

2. محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 42

3. نتاليا نيكولايفنا تومانوفيتش، المرجع السابق، ص 110

4. للمزيد من المعلومات حول امارت افراسياب العربية ينظر: عدنان محسن صالح، امارت افراسياب ودورها السياسي في البصرة (1596-1668)، مقال منشور في مجلة: الكلية الإسلامية الجامعة، ع 35، السنة 2015، الكوفة، ص 749-769.

5. نتاليا نيكولايفنا تومانوفيتش، المرجع السابق، ص 109؛ محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص

قوتهم في الخليج العربي، فجاء القرار ومدوها إلى العراق بان ارسلوا إلى البصرة في عام 1649 اسطولاً مؤلفاً من ثماني سفن. ودخل شط العرب، وقام بقصف الوكالة التجارية الإنكليزية في البصرة، وألحق خسائر جسيمة بها. وبدأ واضحاً أنهم أصبحوا قادرين على انتزاع مزيد من الامتيازات من الشاه عباس الثاني⁽¹⁾ التي أصبحت تخشى من بأسهم.

ومما لاشك فيه، إن طرد البرتغاليين من مسقط على أيدي اليعاربة في عام 1650 كان من ابرز العوامل التي زادت من ميل الكفة لصالح الهولنديين⁽²⁾. ولعل تفوق النفوذ التجاري الهولندي هذا، دفع الانكليز في عهد جمهورية اوليفر كرومويل (Oliver Cromwell)⁽³⁾ لإصدار قانون الملاحة والتجارة⁽⁴⁾ في عام 1651، والذي نص على نقل واردات التجارة الانكليز من

1. الشاه عباس الثاني: جاء إلى سدة الحكم بعد وفاة والده الشاه صفي في 12 ماي 1642، وهو يبلغ من العمر تسع سنوات، وأصبح تحت وصاية الصدر الأعظم ميرزا تقي . ويعتبر من أفضل حكام الأسرة الصفوية، ودخل في صراع مسلح مع مغول الهند بسبب أطماعه في منطقة قندهار، بينما كانت علاقته مع العثمانية سليمة وصداقة. توفي في مدينة خسرو اباد يوم 23 سبتمبر 1666، وكان عمر (34) سنة فقط ، ودفن في جوار أبيه في مدينة قم، وقد حكم 25 عاماً. للتفاصيل ينظر: محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 221-225.

2. جمال قاسم زكريا، المرجع السابق، ص 149؛ عبد العزيز عوض، المرجع السابق، ص 205.

3. أوليفر كرومويل: قائد عسكري وسياسي إنجليزي، تمكن من إلحاق الهزيمة بحلف الملكيين في الحرب الأهلية الإنكليزية. وبعد انتصار في معركة وورستر تولى الحكم في إنكلترا، وحولها إلى جمهورية، وقاد كومونولث إنكلترا. واصب حالاً المطلق في البلاد. ولد في مقاطعة هونتينغدون في إنكلترا في يوم 25 أفريل عام 1599. التحف في الدراسة الجامعية في جامعة كمبردج، ولكنه لم يكمل دراسته بسبب وفاة والده في عام 1617، وذلك من اجل التفرغ لإدارة مزرعة العائلة. تزوج من إليزابيث كرومويل في عام 1620. دخل معترك السياسة ، واصبح عضواً في البرلمان الانكليزي لفترتين (1628-1629 / 1640-1642)، كما شارك في اصدار عريضة الحقوق عام 1629. توفي في يوم 3 سبتمبر عام 1658 في قصر وايت هول في العاصمة لندن. للتفاصيل ينظر: <https://www.marefa.org>، تاريخ الزيارة في : 20 جوان 2020.

4. هي سلسلة من القوانين الإنكليزية التي حصرت التجارة الاستعمارية في إنكلترا. تم سنها لأول مرة في عام 1651 وتم تجديدها بموجب القوانين 1660 و 1663 و 1670 و 673. مع تعديلات طفيفة. وتم إلغاؤها في عام 1849. وقد عكست هذه السياسة التجارية، التي سعت إلى الحفاظ على جميع مزايا التجارة داخل الإمبراطورية وتقليل فقدان الذهب والفضة للأجانب. كما تضمنت منع المستعمرات من التداول مباشرة مع هولندا وإسبانيا وفرنسا ومستعمراتهم. وشكلت الأفعال الأساس للتجارة الخارجية الإنكليزية لما يقرب من 200 عام. بالإضافة إلى ذلك ، حصرت القوانين توظيف البحارة غير الإنكليز في ربع طاقم السفينة العائدة لسفن شركة الهند الشرقية. وكان الدافع الرئيسي لقوانين الملاحة هو التدهور المدمر للتجارة الإنكليزية في أعقاب حرب الثمانين عاماً، وما ترافق ذلك من رفع الحظر الإسباني على التجارة بين الإمبراطورية الإسبانية والجمهورية الهولندية. للتفاصيل ينظر: قوانين الملاحة في الموسوعة العربية في: <https://mimirbook.com/ar/289597a6138>، في 20 جوان 2020

المستعمرات إلى انكلترا على متن السفن الانكليزية حصراً⁽¹⁾، وكان هذا القانون يهدف أساساً إلى حماية التجارة الانكليزية والقضاء على تجارة هولندا البحرية، ومساعدة الشركة الانكليزية في منافستها للشركة الهولندية في أسواق المحيط الهندي وشرق آسيا. ولم يكتف الدعم الحكومي للشركة البريطانية- على من طابعها الخاص-، ففي العام التالي- اي عام 1652- أعلن اوليفر كرومويل الحرب ضد هولندا، واستمر حتى عام 1654⁽²⁾. وعلى الرغم من الإجراءات التي اتخذتها انكلترا إلا أنها لم تثمر عن شيء في مسالة إضعاف النفوذ الهولندي في المحيط الهندي عامة، والخليج العربي خاصة، وفي عام 1654 نشبت معركة بين الأسطولين الهولندي والإنكليزي على مقربة من بندر عباس حيث نجح الهولنديون في الاستيلاء على بعض السفن الانكليزية وإغراق بعضها الآخر وأصبح الخليج في يد الهولنديين بشكل مطلق إلى درجة توقف النشاط الانكليزي توقفاً تاماً⁽³⁾.

وهكذا أصبح الهولنديون منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي متفوقين تاماً على المستوى العسكري والتجاري على الانكليز، وبدأوا يعملون على تقوية نفوذهم في الخليج العربي، ففي عام 1670 استأجرت شركة الهند الشرقية الهولندية إحدى الأبنية في مسقط واتخذت منها مكتبا لتسهيل أمور البريد الخاص بها، وكان الهولنديون على وشك القضاء على التجارة الانكليزية في الخليج العربي ضمن نطاق المنافسة الانكليزي- الهولندية على التجارة الدولية، وقد بذلوا ما في وسعهم لترويع خصومهم الانكليز في منطقة الخليج العربي، وبذلك بلغت قوة الهولنديين في الخليج لاحقاً. وفي عام 1672 نجح الهولنديون في توطيد مركزهم في كل من البصرة وبندر عباس⁽⁴⁾، وفشل الإنكليز رغم محاولتهم التحالف مع اليعاربة في عمان في إقصاء الهولنديين عن تلك الأماكن التي أصبحت تحت نفوذهم⁽⁵⁾. وأخذ النفوذ الهولندي يتجه إلى التصاعد في عام 1677 كما يفهم ذلك مما ذكره جون فريير (John Freer) عند زيارته للخليج في ذلك العام⁽⁶⁾.

1. ميلاد أ. المقرحي، تاريخ أوروبا الحديث 1453-1848، جامعة قارونوس، بنغازي، 1996، ط1، ص 162.

2. ج.ج. لوريمر، المرجع السابق، ص 70-110.

3. ارنولد ت. ويلسون، المصدر السابق، ص 135.

4. المصدر نفسه، ص 135.

5. دونالد هولي، المرجع السابق، ص 33.

6. Fryer, John. A. New Account of East India and Persia being Nine Years, London, 1912, vol II, p. 163-164.

المبحث الثاني: الاسترجاع الانكليزي ونهاية الهولنديين في الخليج العربي.

شهد النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي تغييرات كثيرة بخصوص توازنات القوى بين الدول الأوروبية التي كانت تتنافس في الخليج العربي وبلاد فارس على المصالح والنفوذ. إذ تعاقبت ثلاث دول على الريادة والتحكم والاحتكار. وإذا كانت البرتغال هي أول من فرضت إرادتها السياسية والاقتصادية على المنطقة، فأنها بعد قرن من الزمن تعرض إلى ضغط دولي وآخر إقليمي لوضع حد لنهايتها في الخليج العربي، وتمثل في النشاط الانكليزي والهولندي دولياً، والدولة الصفوية إقليمياً إلى جانب القوى العربية، مثل اليعاربة. وهو ما أدى إلى نهاية البرتغاليين في عام 1650، وطرحهم شرطرده. ولكن الذي حدث، إن الهولنديون استثمروا الجهود التي بذلها الانكليز والفرس والعرب، وعملوا على فرض سيطرتهم واحتكارهم للتجارة في الخليج العربي وبلاد فارس، مستخدمين في ذلك جميع الوسائل من تهريب وترغيب. وهذا الحال استمر قرابة قرن من الزمان، وجعل الانكليز في وضعية يحسدون عليها، ولم تجدي كل الإجراءات التي قاموا بها في الحد من الهيمنة الهولندية طوال القرن السابع عشر وبداية الثامن عشر الميلاديين.

على العموم، نبه التفوق الهولندي في الخليج العربي والمحيط الهندي الانكليز بضرورة الصبر والمقاومة ووضع الخطط اللازمة لإضعاف الوجود البرتغالي، والا كان هذا الوجود سيسهل نهاية الانكليز. وبالفعل عمل الانكليز بشتى السبل لإضعاف الهولنديين على الصعيد الأوروبي⁽¹⁾ أو على صعيد المحيط الهندي عموماً والخليج العربي تحديداً.

1. على الرغم التفوق الهولندي في العالم، ولاسيما في المحيط الهندي والخليج العربي الا انها لم تكن بالقوة المؤثرة في الساحة الأوروبية، كما انها كانت على خلاف مع العديد من الدول الأوروبية، بسبب تبني المذهب البروتستانتى أو دورها في بعض الحروب. فعلى سبيل المثال كانت على خلاف كبير مع الفرنسيين، الذين وجدا انها- أي هولندا- تعرقل مشاريعهم التوسعية، اذ بعد الفشل الفرنسي في حرب الوراثة (1667-1668) نتيجة التحالف الثلاثي. اعتبر لويس الرابع عشر ان الموقف الهولندي كان السبب في توقف الزحف الفرنسي في الأراضي المنخفضة (بلجيكا)، ووجد من الضروري تاديب هولندا، ونشب على اثر ذلك حرباً بين الدولتين خلال الفترة (1672-1678)، اذ رأى الملك لويس الرابع عشر ان القضاء على هولندا يعني إمكانية وراثة ممتلكاتها في ما وراء البحار، واستغل الفرنسيون العداوة الانكليزية الهولندية في المحيط الهندي في التحالف مع انكلترا، وتوقيع معاهدة دوفر السرية مع الملك شارل الثاني في 1670 والتي تعهدت بموجها انكلترا في عدم دعم هولندا اذا ما وقعت الحرب بين فرنسا وهولندا. تمكن الفرنسيون في اول الحرب من تحقيق الانتصارات ضد الهولنديين، الا انهم لم يتمكنوا من حسم الامور في صالحهم في النهاية، وتوقفت الحرب بينهما على اثر توقيع صلح تمويجن عام 1678 لانهاء الحرب بينهما. للتفاصيل ينظر: عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، التاريخ

أولاً: عودة الانكليز وتنامي نفوذهم في منطقة الخليج العربي:

لا نشي سرا إن قلنا، أن غاية الدول الأوروبية في المحيط الهندي يستهدف السيطرة على تجارة الشرق التي لها الأسواق الواعدة في أوربا وباقي مناطق العالم. والصورة تكررت مع البرتغاليين والانكليز والهولنديين ومن بعد الفرنسيين. وإذا كانت البرتغال تحكمت بالخليج العربي فقد اندمج في هذه الرغبة أسباب كثيرة تتعلق في روح التعصب والهيمنة التي كان عليها البرتغاليون. وما كان مجئ انكلترا إلى الخليج العربي الا ضرورة اقتصادية فرضتها طبيعة البضائع الانكليزية التي لم تجد لها رواجاً الا في بلاد فارس فضلاً عن الرغبة في إضعاف الاحتكار البرتغالي، ولكننا وجدنا ان الانكليز وضعوا نصب أعينهم في هذه المرحلة المصالح الاقتصادية فقط والبقاء الأبدي- وقبل كل شيء-⁽¹⁾، ولم يكن للقوة المسلحة وجود في تحركاتهم الا للضرورة القصوى. وهذا كان على العكس من الهولنديين، الذين استخدموا لغة القوة بخط مواز مع رغبة التجارة، وكانوا مدفوعين برغبة الانتقام من الأسبان والبرتغاليين، وذلك لأسباب تتعلق بتاريخهم الأوربي. وهذا جعلهم يفرضوا قبضة حديدية على التجارة في الخليج العربي، أزهق كاهل القوى الأوروبية والإقليمية، وأفقدتها القدرة على مجاراتها لفترة من الزمن.

1. انكلترا والخليج العربي في القرن السابع عشر الميلادي:

لقد اظهر الأحداث التي شهدتها الخليج العربي خلال القرن السابع عشر الميلادي، انه فعلاً، لا يمكن الركون إلى مفهوم العدو الدائم والصديق الدائم في السياسية. فهذا الشاة عباس كان صديقاً لجميع الدول الأوروبية وعدواً لها أيضاً، ومؤشر العداوة والصداقة كان يتحرك وفق منظور المصلحة التي كان يسعى إليها عند هذه الدولة أو تلك. فهو حينما أراد التخلص من البرتغاليين فرش الأرض وروداً للانكليز، عبر المغريات التي تمثلت في التسهيلات والامتيازات التجارية، والتي أسالت لعاب الانكليز- وأغرقت الهولنديين فيما بعد- وهي ذات الطريقة التي اراد من الهولنديين تحجيم النفوذ الانكليزي المتنامي على حساب مخططاته وطموحاته. وهذا ما جعل الهولنديين يستعجلون الإحكام والتحكم بمنطقة الخليج العربي ومصادر الامتيازات البرتغالية والانكليزية وحتى الفارسية في سلة واحدة⁽²⁾. وفي اعتقادي ان

الأوربي الحديث في عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، ص 176-179.

1. عبد العزيز عوض، المرجع السابق، ص 167

2. عبد العزيز سليمان نوار، التاريخ الحديث للشعوب الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، 1973، ص 256.

السياسة التي انتهجها الشاه الصفويين ساهم في خلق هذا الجو المستمر في الخليج العربي طوال القرن السابع عشر.

إن المسألة الأهم في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي، والتي شغلت السياسة الانكليزي في لندن، هو كيف تستعيد شركة الهند الشرقية مكانتها بعد أن تدهورت نتيجة للجشع الهولندي ورغبته الجارفة في سحق أي منافسة له في منطقة المحيط الهندي. وبناء على ذلك، توصل هؤلاء الساسة إلى رؤية تهدف إلى مساعدة الشركة الانكليزية أن تخطو خطوات ذاتية من دون الاعتماد على السلطات الانكليزية في لندن في تسيير شؤونها، عبر حرية اتخاذ القرار وتنفيذه⁽¹⁾.

ولم يختلف إن كان الحكم جمهوريا أو ملكيا في لندن في موقفه من دعم الشركة الانكليزية، وفي هذا الاتجاه، صدر قرار في عام 1657 من قبل اوليفر كرومويل في اعادة تنظيم الشركة بوصفها مشروعاً وطنياً وبرأسمال مشترك بين الحكومة والمستثمرين⁽²⁾. وبعد عودة الملكية إلى انكلترا، اصدر الملك شارل الثاني (Charles II) في عام 1661 مرسوماً فوض الشركة الانكليزية بموجبه حق إعلان الحرب وعقد الصلح مع حكام الشرق غير المسيحيين باسم التاج البريطاني. كما منحها الحق في سن القوانين وتجهيز الجيوش وإقامة القلاع وتأسيس المستعمرات⁽³⁾. ويظهر هذا المرسوم الملكي مدى المرونة التي ستمتتع بها الشركة الانكليزية من اجل أن تعمل على مبدأ تأسيسها هو المحافظة على المصالح الانكليزية في تجارة الشرق، وهذا المرسوم هو الذي سيجعل الشركة الانكليزية دولة داخل دولة ان صح التعبير. وفي مرسوم لاحق في صدر عام 1667 حصلت الشركة الانكليزية على حق صك العملة في المناطق البعيدة عن انكلترا⁽⁴⁾، وفي يوم 27 مارس عام 1668 حصلت الشركة على حق الولاية الكاملة على جزيرة بومباي التي انتقلت ملكيتها إلى التاج الانكليزي في عام 1661 كجزء من مهر شقيقة ملك البرتغال ائترزواجها من الملك شارل الثاني. ولذلك نقلت الشركة الانكليزية مركزها من سورات إلى بومباي في عام 1687. وبذلك أصبح المقر الرئيس للشركة الانكليزية هو بومباي ويشرف على شؤون الشركة ومصالحها في المناطق الواقعة إلى الغرب من الهند والتي شملت منطقة الخليج العربي والبحر الأحمر⁽⁵⁾. وسبب هذا الاهتمام الحكومي بالشركة الانكليزية حسب ما ارى، ان انكلترا اعتبرت الشركة من اهم العوامل التي سترتقي بالاقتصاد الانكليزي،

1. ميلاد أ. المقرحي، المرجع السابق، ص 162.

2. المرجع نفسه، ص 162.

3. عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، المرجع السابق، ص 63؛ Hawley, Donald, Op.cit p. 77.

4. المرجع نفسه، ص 63

5. Hawley, Donald, Op.cit p. 77.

ويعزز من مكانتها على الساحة الدولية. وبناء عليه، لم تتوان السلطات الانكليزية من استصدار اي قانون يصب في مصلحة الشركة وحمايتها من اجل هذا الغرض.

إن أهم ما يميز مسيرة الشركة الانكليزية في الخليج العربي خلال القرن السابع عشر هو قدرتها على تحمل الضغوط التي تعرضت لها، ويلاحظ إن ثقافة الاستسلام لم تكن في حسبا القائمين عليها، وكانت فكرة الخسارة بعدها الأدنى أفضل من خسارة كل شي، وهذا - ما ظهر لنا- عندما ترك الانكليز ميناء بندر عباس وانتقلوا إلى ميناء البصرة بعد اختلال التوازن بينهم وبين الهولنديين في بلاد فارس. وكذلك تقبلوا مسالة خسارة جانب من الأرباح التي كانوا يتحصلون عليها من رسوم الكمارك في الميناء لصالح الهولنديين- كما اشرفنا من قبل-⁽¹⁾. والأكثر من هذا، فان الشركة الانكليزية لم تستسلم - بالرغم من خسائرها تلك- وتدهورت تجارتها في بلاد فارس وصعوبة تحصيل ديونها و خسارتها للعديد من الامتيازات التي كانت تتمتع بها. وفي مقدمتها إلغاء الشاه عباس الثاني امتياز إعفاء البضائع الانكليزية من الرسوم الكمركية⁽²⁾. وقد أدرك مسئولو الشركة الانكليزية، أن جرأة الفرس في هذه الجانب دلالة على شعورهم بتراجع الانكليز إلى الصف الثاني بعد الهولنديين. واستنادهم على الهولنديين في مواجهتهم في حال الاعتراض.

على الرغم من كل المتاعب التي مرت بها الشركة الانكليزية، إلا أن أهدافها في الخليج العربي كانت أهداف تجارية إلى حد كبير وتتعلق بالمكاسب الاقتصادية في المقام الأول. ويتجلى هذا في رفض مسؤولو الشركة في سورات نقل وكالتها من بندر عباس إلى البصرة في أكثر من مناسبة، ولكن عندما برزت أخطار تهدد الوجود والمصالح الانكليزية في المنطقة. عندما تعرضت مصالح الشركة البريطانية التجارية، ومن ثم الاقتصادية إلى الانهيار. نجدها تسارع إلى نقل مقر وكالتها إلى البصرة عام 1645، حتى تتفادى الأخطار والخسائر الناجمة عن الظروف الخارجية والداخلية التي كانت تواجهها⁽³⁾. ولم يعني لهم إن كانت بندر عباس تمثل مركز متقدم للهند، واستفادت منه الشركة الانكليزية في تتبع و رصد حركات المنافسات الأوروبية، فان موقع البصرة الاستراتيجي قدم خدمة كبيرة للانكليز في تأمين اتصال سريع وامن

1. علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص115

2. ج. ج. لوريمر، المرجع السابق ، ص2661.

3. عبد العزيز عوض، المرجع السابق ، ص167

بين العاصمة الانكليزية لندن و مقر الشركة في بومباي لمواجهة الفرنسيين خلال حرب السنوات السبع⁽¹⁾ التي شهد المحيط الهندي صفحات منها⁽²⁾.

وهكذا، نجد إن الصورة لم تتغير طوال القرن السابع عشر الميلادي، والتي كانت في صالح هولندا، والتي كانت تتحرك بكل حرية فارضة إرادتها وتتحكم بالأحداث في الخليج العربي، بينما نجد بريطانيا⁽³⁾ تجتهد من اجل الحد من الخسائر الاقتصادية التي تتعرض لها، ومحاولة المحافظة على مصالحها ووجودها في منطقة الخليج العربي، والوقوف في وجه التماذي الهولندي في المنطقة. ولكن هذه الصورة تغيرت كثيرا في القرن الثامن عشر، إذ أخذت بريطانيا تعيد بناء قدراتها وإمكانياتها لكي تعود وتبوء الصدارة من جديد في الخليج العربي. وذلك بعد أن تجاوزت مشاكلها الداخلية⁽⁴⁾، واستعادت قوتها الأوروبية. إذ أهم ما ميز أوروبا بعد عام 1660، هو نضج نظام تعدد الأقطاب السياسية الدولية، واتجهت كل قوة من القوى الأوروبية إلى النظر في قراراتها في الحرب والسلام على أساس مصالحها القومية، وليس

1. حرب السنوات السبع هي حرب جرت خلال الفترة 1756 - 1763. وقد شاركت فيها بريطانيا وبروسيا وامارة هانوفر ضد كل من فرنسا والنمسا وروسيا والسويد وسكسونيا. ودخلت إسبانيا والبرتغال طرفا في الحرب بعد فترة من بدايتها. وهناك سببان لهذه الحرب وهما: المنافسة الاستعمارية بين بريطانيا وفرنسا في أمريكا: الصراع من اجل السيطرة والنفوذ في ألمانيا التي لم تكن دولة موحدة آنذاك. وانتهت الحرب بعقد معاهدة باريس عام 1763 حيث ثبتت الحرب مركز بروسيا الجديد كدولة عظمى وجعلت بريطانيا الدولة الاستعمارية الكبرى في العالم على حساب فرنسا. للتفاصيل ينظر: هيرت فيشر، أصول التاريخ الأوربي الحديث: من عصر النهضة إلى الثورة الفرنسية، تر: زينب عصمت هاشم واحمد عبد الرحيم مصطفى، مر: احمد عزت عبد الكريم، دار المعارف، القاهرة، د.ت.ن، ط 3، ص 413-418.

2. علي عبدالله فارس، المرجع السابق، ص 133

3. في عام 1707 أعلن عن تأسيس مملكة بريطانيا العظمى (بريطانيا العظمى). وجاء هذا التأسيس في أعقاب توقيع معاهدة الاتحاد في عام 1706. والتي ضمت كل من: انكلترا؛ ويلز واسكتلندا. وفي الأول من ماي عام 1707 بدأ العمل بها. واستمرت (مملكة بريطانيا العظمى) بهذا المسمى حتى الأول من جانفي 1801، عندما تحول الاسم إلى المملكة المتحدة العظمى وايرلندا بموجب قانون الاتحاد عام 1800.

4. بعد وفاة اوليفر كرومويل، لم يكن خليفته في حكم الجمهورية بالقوة التي تساعده على احكام الامور بقبضة حديدية، ونتيجة ذلك قدم ابنه ريتشارد كرومويل (Richard Cromwell) استقالته في 25 ماي 1659، واستلم البرلمان ادارة الدولة حتى قرر اعادة الملكية والغاء الجمهورية في 8 ماي 1660، وتعين شارل الثاني ملكا على انكلترا وهو ابن الملك شارل الاول. للتفصيل ينظر:

Ashley Maurice, England in the seventeenth century, penguin books, London,1975,p.91-107.

القضايا الدينية، مثلما كان يحدث من قبل⁽¹⁾. ولهذا كانت انكلترا تجتهد في الساحة الأوروبية من اجل إضعاف هولندا اقتصاديا حفاظا على مصالحها في المحيط الهندي، إلى جانب تعزيز وجودها السياسي على مستوى الساحة الأوروبية أيضا.

2. وضع بريطانيا في الخليج العربي خلال القرن الثامن عشر:

في مطلع القرن الثامن عشر الميلادي شهدت منطقة الخليج العربي أحداثا أشرت ملامح مرحلة جديدة من توازنات القوى في منطقة الخليج العربي على مستوى القوى الإقليمية والدولية. إذ بدأت الدلائل تشير إلى تراجع الدور الهولندي بالمقابل إمكانية استعادة الانكليز نفوذهم ومكانتهم التي خسروها لصالح الهولنديين في المنطقة، فعلى الصعيد الإقليمي التطورات الداخلية التي شهدتها بلاد فارس والتي تمثلت بالغزو الأفغاني لها والصراع الداخلي على العرش الصفوي أفضت في نهاية المطاف إلى انهيار حكم الأسرة الصفوية⁽²⁾ على يد نادر خان الافشاري⁽³⁾، وبداية حكم أسرة جديدة.

1. بول كنيدي، القوى العظمى، التغيرات الاقتصادية والصراع العسكري من 1600 إلى 2000، تر: عبد الوهاب علوب، دارسعاد الصباح، الكويت، 1993، ط1، ص 119.
2. شهدت الدولة الصفوية في اواخر عهدها حالة من الفوضى وعدم الاستقرار، حتى ظهر نادر رشاه الرجل القوي وتدخل لاعادة الشاه طهماسب الثاني إلى الحكم . ولكن بعد هزيمة طهماسب امام العثمانيين في سبتمبر 1731، وهروبه من المعركة، ومن ثم طلب الصلح، اثار غضب نادر شاه، وقرر خلع من الحكم وعين مكانه ابنه الرضيع عباس ميرزا باسم (عباس الثالث) في يوم 7 جويلية 1732، وعين نفسه وصيا عليه. وبعد ان وطد الامور في صالحه دعاة اعيان الدولة إلى اجتماع في عام 1735 لمناقشة احوال الدولة، والذي قرر خلع الشاه عباس الثالث وتعيينه حاكما للدولة الفارسية. وتظاهر نادر شاه بترده في قبول الحكم حتى وافق وتوج في 9 مارس 1736، منهيا بذلك حكم الدولة الصفوية واعلان الدولة الصفوية. للتفاصيل ينظر: محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 243-252.
3. نادر خان: ولد في شمال بلاد فارس في يوم 22 اكتوبر 1688، من أسرة تمارس الرعي، وعندما كان في ال(18) من عمره وقع اسيرا بيد قوات الاوزبك بعد احتلال شمال بلاد فارس، وتمكن من الهرب بعد اربع سنوات. وحينما عاد عاني من الفقر والعوز حتى تمكن من الالتحاق احد زعماء قبيلته (الافشار) مقاتلا، وبمرور الوقت جمع حشد من الرجال حوله بالغ قرابة ال(500) رجل، وقام بأعمال السلب والنهب، ظهر نادر خان على مسرح الأحداث السياسية في عام 1726 عندما ساند الأمير طهماسب في سعيه للحكم، ونجح في تحقيق ذلك، وتمكن من إنهاء الاحتلال الأفغاني لبلادده، اخذ تأثيره يتزايد في أمور البلاد حتى أصبح هو الأمر النهائي، فعزل طهماسب الثاني من الحكم بعد فشل الأخير في حربه مع العثمانيين وجاء بابنه الرضيع عباس ميرزا وعينه حاكما تحت اسم (عباس الثالث) عام 1732، وحينما تمكن من ترتيب الامور لصالح في بلاد فارس تمكن من اعتلاء عرش بلاد فارس في عام 1736، ليؤسس حكم الاسرة الافشارية، واستمر في الحكم حتى مقتله في يوم 20 جوان 1748. للتفاصيل

وبالرغم من نجاح نادرشاه في إعادة الهيبة للسلطة في بلاد فارس، إلا أنه لم يمنحها الاستقرار والرخاء المنتظر بسبب الحروب الكثيرة التي خاضها في مختلف الاتجاهات. وتوج الوضع الضبابي في بلاد فارس باغتيال نادرشاه في عام 1747. وهو الذي ادخل البلاد من جديد في دوامة حرب أهلية استمر حتى عام 1750، عندما تمكن كريم خان الزند⁽¹⁾ الصعود إلى الحكم بعد انتصاره على جميع المتنافسين على العرش الفارسي.

وساهمت حالة عدم الاستقرار في بلاد فارس⁽²⁾ في تنامي دور إمارات عربية أخذ نفوذها ينمو ويتعاظم في منطقة الخليج العربي- في شماله تحديداً، وأصبح لها تأثير، وشكلت تهديداً للمطامع الفارسية في الخليج العربي وعلاقتها بالدول الأوروبية. ومع مجيء كريم خان الزند إلى الحكم في بلاد فارس. حاول استعادة الدور الفارسي في الخليج، سعياً إلى إحياء فكرة السيطرة الكاملة على جميع سواحل الخليج العربي التي سعى إليها من قبله نادرشاه. ولكن هذه الأطماع، اصطدمت بعراقيل إقليمية. عندما من فرض إرادته على الإمارات العربية الموجود في الشمال الشرقي للخليج العربي، مثل: إمارة كعب، وإمارة بندر ريق، إذ شكلت هذه الإمارات العربية العقدة في المنشار بالنسبة لطموحات كريم خان الزند⁽³⁾. فعلى سبيل المثال تصدى مير مهنا لمطالب كريم خان الزند الذي ظل ينازعه على ممتلكاته ويطالبه بدفع الجزية⁽⁴⁾.

- ينظر: رضا زادة شفيق، نادر شاه افشار مؤسس الدولة الافشارية في نظر المستشرقين، تروتق وتغ: احمد الخولي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010، ط1.
1. كريم خان الزند: ولد في قرية يري في عام 1701، وهو من أصول كردية، انضم نديا في جيش نادرشاه، لم يكن له شأن يذكر إلا بعد مقتل نادرشاه، إذ شغل العديد من المناصب العسكرية العليا في عهد عادل شاه، اختلف مع عادل شاه واستقال من عمله، والحق بأسرته في اقليم ملير، وعندما تمرد ابراهيم خان على اخيه عادل شاه استدعائه إلى صفوفه، ومنحه لقب (خان)، وذاع صيته لقائد عسكري حتى تمكن من الوصول إلى السلطة في عام 1757، واتخذ من مدينة شيراز عاصمة للأسرة الزندية. أصيب بمرض السل، وتوفي على اثره في يوم 2 مارس 1779. للتفاصيل ينظر: حسن الجاف، الوجيز في تاريخ ايران، ج3، دارالأصيل، بغداد، 2005، ص135-150.
 2. فقد الموانئ الفارسية أهميتها التجارية بسبب الفوضى، وهو الامر الذي جعل جميع الشركات الأوروبية تنسحب منها إلى موانئ أخرى أكثر أمناً.
 3. عبد الأمير محمد أمين، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر، مطبعة أسعد، بغداد، 1966، ص27.
 4. علاء الدين نورس، السياسة الإيرانية في الخليج العربي ابان عهد كريم خان (1757-1779)، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1982، ص43.

وهذا العجز دفعه إلى طلب المساعدة من الشركة البريطانية لإخضاعهما، عبر إغرائها بالمزيد من التسهيلات والامتيازات التجارية في بلاده. وحينما لم تكثر الشركة البريطانية للمطلب الفارسي، دفع كريم خان الزند إلى التهديد بإلغاء الامتيازات البريطانية. وعلى ما يبدو إن التردد البريطاني كان يرجع إلى فقدان الموائى الفارسية لأهميتها نتيجة حالة عدم الاستقرار⁽¹⁾، اذ كثيرا ما كانت تتعرض لهجمات داخلية أو خارجية، ولاسيما ميناء بندر عباس، مما كان يعرض مصالح الشركات الأجنبية للخطر. إلى جانب تعرض الوكالة البريطانية في بندر عباس لمهاجمة الأسطول الفرنسي 1759، وبسبب ضغوط من حاكم لرستان. ونتيجة ذلك قررت الشركة البريطانية الانسحاب من جديد من ميناء بندر عباس في عام 1761⁽²⁾. وفي ذات الوقت كلفت الشركة البريطانية مسؤول الوكالة كلايف دوغلاس (Clive Douglas) بالبحث عن مقر جديد للوكالة، وبعد عملية بحث واستطلاع وقع الاختيار على ميناء بوشهر في شمال الخليج العربي على الساحل الشرقي⁽³⁾.

ولم يكن الاختيار البريطاني بعيدا عن نفوذ الفارسي، اذ وقع الاختيار على ميناء بوشهر، وكان كريم خان الزند متحمسا لرؤية تجارتهم قائمة في بوشهر، مما يعني توفير موارد مالية هو بأمس الحاجة إليها من جراء الرسوم الكمركية⁽⁴⁾. وفي ذات الوقت، حاول الزند إغراء البريطانيين بان وعدهم بالمزيد من الامتيازات والتسهيلات التجارية، المباشرة الفعلية لوكالتهم في بوشهر، ومساعدة في محاربة أعدائه من الإمارات العربية في شمال الخليج العربي، ولاسيما مساعدته ضد امير بندر بريق مير مهنا⁽⁵⁾.

أرسل الشركة البريطانية عام 1763 وفد رفيع المستوى إلى بوشهر بقيادة وليم اندرو برايس (Andrew Price)، الذ كان يشغل منصب الممثل السياسي للشرك في الخليج العربي، وبعد جولات من المفاوضات السريعة حصل البريطانيون على موافقة الشيخ سعدون حاكم بوشهر بفتح وكالة تجارية لهم⁽⁶⁾ في يوم 12 افريل 1763، وتم افتتاح الوكالة. وعين برايس بي

1. كما قامت هولندا هي الاخرى بالانسحاب من بندر عباس وانتقل مقر نشاطها إلى شمال الخليج، وتحديدا في جزيرة خرج، حيث لديها وكالة تجارية هناك.

2. عهد عباس احمد، كريم خان الزند، مقال منشور في : مجلة دراسات تاريخية، ع 6، السنة 2009، البصرة، ص 145.

3. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، 2635-2636.

4. عهد عباس احمد، المرجع السابق، ص 146.

5. محمد. حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 55.

6. مرتضى عبد الحسين مفتن، تدهور العلاقات الخارجية الإيرانية البريطانية في عهد كريم خان الزند 1776-1763، مقال منشور في : مجلة جامعة ذي قار، ع 1، مج 13، السنة 2018، الناصرية، ص 133.

جيرفس (Price B Jerves) لتولي مسؤولية الوكالة البريطانية في بوشهر⁽¹⁾. وبعد ثلاث اشهر من ذلك، وتحديد في شهر جويلية، تمكن البريطانيون من الحصول على فرمان من الزند تضمن عدد من الامتيازات والتسهيلات التجارية، كان الغرض منها تشجيع البريطانيين على الاستمرار وتنمية نشاطهم على الساحل الشرقي من الخليج. ومن جملة الامتيازات والتسهيلات التي تحصل عليها الانكليز نذكر⁽²⁾:

- أ- تحويل الوكالة البريطانية إلى مقيمة. وبذلك يكون برايس اول مقيم بريطاني في بوشهر.
- ب- يحق للبريطانيين شغل ما تشاء من الاراضي التي تحتاجها في مدينة بوشهر، او في أي مدينة أخرى في بلاد فارس.
- ت- إعفاء السلع والبضائع البريطانية من الضرائب والرسوم الكمركية
- ث- لا يحق للدول الاوربية الاتجار بالمنتجات الصوفية في ايران عدا بريطانيا.
- ج- للبريطانيين الحق في بيع بضائعهم وأمتعتهم إلى أي شخص او جهة يشاؤون ، ويمنع تدخل الحكام المحليين في تلك المعاملات.
- ح- الزام الحكام المحليين في تحمل دفع القروض التي يفترضها التجار من البريطانيين.
- خ- حرية ممارسة الطقوس الدينية .

سمحت الامتيازات التي منحها كريم خان الزند إلى تعزيز العلاقات بين الطرفين، وفتح افاق جديدة في النشاط التجاري للبريطانيين في بلاد فارس . ويمكننا استنتاج بعض الامور من هذا التقارب بين البريطانيين والزند، وهي:

- أ- العودة إلى الأراضي الفارسية أكثر من ضرورة وملحة في سياق التنافس القائم بينهم والهولنديين، وطبيعة الامتيازات تؤكد ان البريطانيين قد حسموا الصراع مع الهولنديون بحصولهم على حقوق حصرية في النشاط التجاري. اي سجل بداية نهاية الوجود الهولندي في الخليج العربي.
- ب- يتيح الاتفاق إمكانية افتتاح مثل هذه الوكالات التجارية، سواء في منطقة الخليج العربي، أو في أي مدينة في فارسية أخرى.
- ت- عودة نشاط الشركة البريطانية في بلاد فارس في سياق المسعى البريطاني للعودة إلى بلاد فارس من جديد، لانها تمثل سوق جيدة للمنتجات الصوفية البريطانية.

1. عهد عباس احمد، المرجع السابق، ص 146.

2. مرتضى عبد الحسين مفتن، المرجع السابق، ص 134: •نتاليا نيكولايفنا تومانوفيتش، المرجع السابق، ص117.

ث- موقع بوشهر جاء تعويضاً لميناء البصرة الذي فقد الكثير من أهميته التجارية وذلك نتيجة ما تعرض له من هجمات فارسية خلال السنوات السابقة، وكذلك ميناء بندر عباس الذي لم يعد آمناً بما يشجع التجارة فيه.

ج- حاجة كريم خان الزند إلى الأسطول البريطاني في الخليج ليتمكن من التخلص من القوى العربية المعارضة له.

وبعد ان تحولت الوكالة البريطانية في بوشهر إلى مقيمة، ومن أجل تعزيز وترسيخ النفوذ البريطاني في الخليج العربي، أوفدت إدارة الشركة في بومباي اندرو برايس (Andrew Price) كمقيم سياسي لتولي مهام مقيميه في بوشهر، وبإنشاء تلك المقيمة يمكن أن نصل إلى مرحلة جديدة من مراحل تطور النفوذ البريطاني في الخليج والتي يمكن أن نطلق عليها مرحلة بوشهر التي استمرت قاعدة للنفوذ البريطاني السياسي في الخليج العربي⁽¹⁾. ونظراً لأهمية المقيمة في بوشهر، تمكن برايس من الحصول على موافقة حاكم بوشهر على منح الانكليز قطعة أرض لإنشاء حديقة ومقبرة خاصة بهم، والسماح لهم برفع العلم البريطاني فوق المباني الخاصة بالمقيمة وباقي المنشآت البريطاني⁽²⁾.

لقد اظهر البريطانيون أن مصالحهم أولوية وغاية يجب ادراكها، وان محاولات كريم خان الزند في الحصول على الدعم العسكري البريطاني، ولاسيما البحري، لايمكن مجاراته فيه. وتبلور ذلك في مماطلة البريطانيون في دعمه أثناء هجومه على إمارة كعب في عام 1765، عندما فشل الزند فشلاً ذريعاً في تحقيق الانتصار على إمارة كعب بسبب تأخر الدعم البريطاني لهم. ولكن البريطانيون لم يتوان في تجهيز حملة بحرية هاجمت إمارة كعب بعد أن قاموا بالاستيلاء على سفينتين تابعة للشركة البريطانية (سال وفورت ولیم) في عام 1766. وحتى بعد وصول الأسطول البريطاني إلى المنطقة، تجاهل مقترح كريم خان الزند بخصوص مساعدتهم في حملتهم على إمارة كعب مقابل مساعدته للتخلص من إمارة بندر ريق وأميرها ميرمهنا⁽³⁾.

ويبدو أن كريم خان الزند بعد أن اقتنع بأنه الشركة البريطانية لها مخططاتها وأهدافها التي تعمل من أجلها في الخليج العربي، وان مسالة تحقيق ما كان يسعى اليه مجرد ضرب من الأحلام- وهذه هي الحقيقة-، لذا حاول الضغط على الشركة البريطانية من اجل إجبارها على الاستجابة لرغباته في القضاء على أعدائه. وهنا لعب على وتر الامتيازات التي

1. جمال زكريا قاسم ، المرجع السابق ، ص 155

2. ارنولد ت. ويلسون، المصدر السابق، ص 177

3. عهود عباس احمد، المرجع السابق، ص 147-148.

قدمها للبريطانيين، اذ قام بتعديل بعضها منها، مثل: حظر على البريطانيين اخراج العملة من البلاد؛ واوجب على الإنكليز بيع السلع إلى كبار التجار الفرس (عند التحديد الاحتكاري للأسعار وجدت الشركة البريطانية نفسها أمام واقع ان التجار المحليين هم الذين حددوا أسعار الشراء الاحتكارية)؛ كما أوجب عليهم رعاياه باحترام⁽¹⁾. وعندما تمكن كريم خان الزند من الاستيلاء على جزيرة خرج⁽²⁾، وإرغام مير مهنا على الفرار منها في عام 1769 طلبت شركة الهند الشرقية البريطانية منه التنازل لهم عنها. إلا أنه رفض ذلك. مما زاد من توتر العلاقات بين الطرفين، لاسيما وان السلطات الفارسية اخذت تضيق الخناق على التجارة البريطانيين مما كبدهم الكثير من الخسائر المادية، فضلا عن تغاضيه عن نشاط القرصنة في المناطق التابعة له. وهو الامر الذي دفع المقيم البريطاني في ميناء بوشهر في عام 1771 الطلب من إدارة الشركة في بومباي ارسال حملة عسكرية لمعاقبة كريم خان الزند⁽³⁾.

ومن هنا نرى ان الشركة الانكليزية بمظاهرتها و مسيرتها في دولة ذات سيادة ، باتت تمارس السياسة التي هي من اختصاص الدول اي أن شركة الهند الشرقية البريطانية أصبحت دولة داخل دولة الفرس، وكما نرى كذلك ، ان الإنكليز اخذوا يبحثون عن ذريعة لادخال سفنهم الحربية إلى الخليج العربي، ولأن للشركة البريطانية جناح مسلح مستعدة لتنفيذ المخططات الاستعمارية الخيالية تجاه بلدان المشرق بثلاثة عقود. ومن أجل تهيئة الرأي العام لصالح شركة الهند الشرقية واكتساب شرعية القيام بأعمال اعتدائية اتجاه دول ذات سيادة، صاغوا مصطلح مكافحة القرصنة، وان كان الانكليز هم أهل السبق في عالم أعمال القرصنة البحرية في البحار الشرقية.

ثانيا: الضغط الانكليزي و بداية الانهيار الهولندي:

في منتصف القرن السابع عشر الميلادي أخذت وتيرة الصراع على المصالح والنفوذ بين إنكلترا وهولندا تتصاعد، وأصبح كل واحد منهما يعتبر خطرا على مصالح و نفوذ الآخر. و من حينها اندلع صراعا مريرا بينهما شمل فضاءات واسعة من العالم، وكانت منطقة الخليج

1. مرتضى عبد الحسين مفتن، المرجع السابق، ص 134-138.

2. ارنولد ت. ويلسون، المصدر السابق، ص 185

3. المصدر نفسه، ص 185

العربي واحدة منها. وفي الحرب الإنكليزية- الهولندية (1652-1654) ⁽¹⁾ - على سبيل المثال- منيت البحرية الانكليزية بهزيمتين متتاليتين: قرب رأس جاسك في عام 1653 حيث أغرقت لها ثلاث سفن؛ وقرب ميناء بندر عباس في عام 1654، حيث أغرقت لها سفينتان ⁽²⁾. وعلى الرغم من النجاحات التي حققتها هولندا من خلال حروبها المتتابة ضد انكلترا الا أن هذه الحروب ⁽³⁾ نتج عنها استنزاف شديد لقوة الهولنديين البحرية والعسكرية، على العكس من الانكليز، الذين كانوا في حالة نمو وبناء سريع في مجال الصناعة والتجارة. وهذا راجع إلى طبيعة الفلسفة الاقتصادية المتبعة في كلا البلدين، اذ نلاحظ ان سيطرة هولندا التجارية في القرن السابع عشر الميلادي- حتى في مستعمراتها- التي ضمنت أسواق ترويج منتجاتها النسيجية المتزايدة، وتكديس رأس المال الأولي السريع، أساس تطورها الصناعي. إلا ان معامل النسيج الإنكليزية في بداية القرن الثامن عشر استطاعت التفوق على نظيرتها الهولندية. وبذلك انتهى تفوق هولندا سواء في الصناعة، او في التجارة ⁽⁴⁾.

أنعكس ازدياد قوة إنكلترا وانتصارها النهائي في الحرب الانكلو- هولندية على الأوضاع في الخليج العربي. وفي أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر تعززت مواقع الانكليز على حساب الهولنديين. وجدير بالذكر إن الإنكليز لم يكونوا بعد قد أظهروا جوهر سياستهم الاستعمارية وحقيقتها بصورة فعلية، وفي الوقت نفسه فقدوا هيبتهم في أعين سكان المنطقة. أما الهولنديون فقد اظهروا نظامهم الاستعماري الذي يُظهر "صورة لا مثيل لها في الغدر والخيانة والرشوة والقتل والدناءة. الأمر الذي اوغر الحقد والكراهية في صدور

1. يرجع سبب هذه الحرب بين البلدين إلى إصدار انكلترا قانون الملاحة عام 1651، والذي منع السفن الغير انكليزية من نقل المنتجات القادمة آسيا وإفريقيا والعالم الجديد. واعتبرت هولندا أن هذا القانون موجه ضدها، لان سفنها كانت تعمل في النقل البحري. ينظر: ميلاد أ. المقرحي ، المرجع السابق، ص 160.

2. عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، المرجع السابق ، ص 78.

3. شهد الصراع الانكليزي الهولندي اندلاع اربعة حروب بينهما الاولى في (1652-1654)، والثانية في (1665-1667)، والثالثة في (1672-1674)، والرابعة في (1781-1784). للتفاصيل ينظر: حيدر صبري شاکر الخيفاني، حروب بريطانيا الخارجية واثرها على توسعها الاستعماري، مقال منشور في: مجلة الباحث، ع 30، السنة 2019، كربلاء، ص 364-372.

4. جون إ. ويلز جونيور، المرجع السابق، ص 163-164.

جميع طبقات المجتمع، وحثهم على المقاومة. حتى إن الأوساط الحاكمة في بلاد فارس ناضلت ضد نفوذ الهولنديين المتناهي في التطرف، وسعت لمواجهتهم بالإنكليز⁽¹⁾.

وبعد انتهاء الحروب الانكليزية - الهولندية في عام 1674 اهتمت الشركة الانكليزية بتوطيد مركزها في منطقة الخليج الغربي، فطلب الملك شارل الثاني من شاه سليمان (هذا وين يخدم وشو يخدم... افندينا) إصدار فرمان جديد يؤكد فيه الامتيازات الانكليزية السابقة. وتماشيا مع سياسة القوة البحرية وحرية التجارة، قررت الشركة الانكليزية في عام 1675 تسليح سفنها التجارية، ونفذت قرارها في العام التالي بارسال سفينتين مسلحتين محملتين بالبضائع إلى الخليج العربي. وهكذا شهد النصف الثاني من القرن السابع عشر تغيرا تدريجيا بطيئا في أهداف الشركة الانكليزية وربما يعود ذلك إلى طبيعة الأحداث التي واجهتها الشركة الانكليزية، وإلى الخبرة التي اكتسبتها بعد عقود من تأسيسها، ونتيجة لخطط التغيير التي اقترحتها مجلس مديري الشركة في لندن بدلا من الاستمرار في نهجها السابق الذي حتم عليها التقيد بالشؤون التجارية⁽²⁾.

بينما ترك التعاون الانكليزي- الهولندي خلال الفترة (1674-1677) لمواجهة العدو الفرنسي المشترك اثره على المصالح الهولندية في الغرب والشرق على حد سواء، فمنذ عام 1688 اخذ النفوذ الهولندي في الخليج العربي يتراجع ويضعف، وبدأت هولندا تفقد مراكزها. وادرك الشاه الفارسي ان الأمور أصبحت في صالح الانكليز فانحاز لجانبهم واشتد الصراع بين التجار الانكليز والهولنديين لاحتكار المنتجات الهندية. ولكن الانكليز تمكنوا من التغلب على منافسيهم وحصلوا على احتكار تجارة صوف كارمان من بلاد فارس. وعلى الرغم من هذه المنافسة الشديدة فقد وقف الانكليز والهولنديون ضد فرنسا التي ألحقت الهزيمة بأسطولهم المشترك⁽³⁾.

ومع نهاية القرن السابع عشر الميلادي تحسن مركز الانكليز في الخليج العربي عن ذي قبل في عدة مجالات، ثم اخذ النفوذ الانكليزي يشتد ويقوي على الرغم مما لحق بالدولة الصفوية من ضعف في أواخر عهدها نتيجة حروبها مع الدولة العثمانية و المشايخ العربية في

1. نتاليا نيكولايفنا تومافيتش، المرجع السابق ، ص111

2. ج.ج. لوريمر، مصدر سابق، ص.99 ؛ بانيكار، ك، م : مرجع سابق ، ص 62. مع ملاحظة أن بانيكار يرى بأن الشركة الهند الشرقية الانكليزية لم تحصل في نهاية القرن السابع عشر الميلادي على أي نفوذ سياسي في الشرق.

3. محمود علي الداود ، المرجع السابق ، ص 268-271

الخليج العربي⁽¹⁾ ويرجع سبب ذلك- على ما يبدو- إلى تراجع حماسة الهولنديين و رغبتهم بسبب ضعف الموقف الهولندي في القارة الأوروبية. وقد ترك ذلك اثاره على مركز الشركة الهولندية في الخليج العربي بشكل خاص، وبذلك تبدل الوضع السياسي والاقتصادي في منطقة الخليج لمصلحة الانكليز.

والحقيقة ان القرن الثامن عشر الميلادي شهد انهيار في النفوذ الهولندي في الخليج العربي مقارنة بتنامي النفوذ الفرنسي- القوة الجديدة في المنطقة- ورسوخ الوجود الانكليزي، ولعل ذلك كان يرتبط بالضعف العام الذي انتاب هولندا كدولة في مستهل ذلك القرن. واخذت محاولات الهولنديين للاستمرار في توطيد نفوذهم في بلاد فارس تمنى بالفشل. ففي العام 1690 زار سفير هولندي مدينة اصفهان- العاصمة الصفوية- بهدف الحصول على فرمان من الشاه يمنح التجار الهولنديين احتكار تجارة صوف كرمان، ولكن مهمته باءت بالفشل، كذلك فشلت محاولة هولندية اخرى في عام 1697 عندما حصل الانكليز على تجديد امتيازاتهم السابقة من الشاه حسين على الرغم من معارضة الهولنديين الذين قدموا مبلغا كبيرا من المال كرشوة لمنع المصادقة على تجديد الامتيازات الانكليزية⁽²⁾. كما جرت محاولة هولندية اخرى في عام 1699 لاستمالة الشاه الفارسي لزيارة وكالتهم في مدينة اصفهان، ولكنها لم تحدث. وحدث العكس، عندما قام بزيارة الوكالة الانكليزية في مدينة اصفهان. ولذلك يمكن اعتبار الزيارة التي قام بها الشاه حسين في شهر جويلية عام 1699 إلى الوكالة الانكليزية، ورفضه زيارة الوكالة الهولندية ضربة حاسمة موجهة للنفوذ الهولندي في بلاد فارس والخليج العربي، لأنها أدت إلى تغيير فوري في موقف الحاكم الفارسي الذي اصدر امره بوقف العمل في القلعة الهولندية في بندر عباس⁽³⁾. ولا بد من الاشارة هنا، على الرغم من التفوق الانكليزي والهولندي في الخليج العربي في نهاية القرن السابع عشر الا انه لم يكن بمستوى الهيمنة التي كان عليها البرتغاليون من قبلهم، او حتى التفوق الهولندي الذي كان في منتصف القرن السابع عشر.

لم تكن العلاقة بين الانكليز والهولنديين دائما على خلاف وصراع، وانما في بعض الأحيان كان هناك تقاربا وتعاوننا بينهما، وذلك يرجع إلى كون الخليج العربي شهد تطورات سياسية هامة في نهاية القرن السابع عشر الميلادي تمثل في ظهور علامات الضعف على الأسرة الصفوية الحاكمة في بلاد فارس من ناحية، وتنامي شان وأهمية عرب عمان في مياه

1. Bennett, Thomas Jewell, Op.Cit .p 640.

2. عبد الامير محمد أمين ، المرجع السابق ، ص 11

3. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق ، ص 114

الخليج العربي من ناحية أخرى⁽¹⁾. بالإضافة إلى ظهور وتنامي الدور الفرنسي في منطقة الخليج العربي، فضلاً عن الخلافات بين الانكليز والهولنديين من جهة وفرنسا من جهة أخرى في الساحة الأوروبية. ففي الحرب التي نشب بين هولندا وفرنسا في عام 1674 على عهد الملك لويس الرابع عشر (Louis XIV)⁽²⁾، و كانت سببا لدفع الانكليز و الهولنديين إلى تسوية خلافاتهم السابقة وتوحيد جهودهم ضد العدو المشترك، حتى ان السفن التجارية الهولندية كانت تنقل تجارتها بأمان في حماية الأسطول الانكليزي⁽³⁾.

ولكن الانكليز تمكنوا في ظل تحالفهم مع الهولنديين ان ينتزعوا منهم مراكزهم واحد تلو آخر، وفوق ذلك أسفرت الثورة الجليلة⁽⁴⁾ التي حدثت في انكلترا في عام 1688 عن إقصاء الملك جيمس الثاني (James II) عن العرش وارتقاء ابنته ماري وزوجها وليم اوف

1. جمال زكريا قاسم ، المرجع السابق ، ص 150
2. لويس الرابع عشر: ولد في يوم 5 سبتمبر 1638 في سانت جرمان، تولى حكم فرنسا - وهو بسن الخامسة من عمره- في يوم 14 ماي 1643 بعد وفاة والده لويس الثالث عشر (1601-1643)، وفي طفولته كانت امه وصيه عليه وبمساعدة الكاردينال مازارين . وهو يعتبر أحد أبرز ملوك ال بوربون، وكان يلقب بالملك الشمس وذلك لاهتمامه بالأدب والفن. وهو الذي قام ببناء قصر فرساي في فرنسا، واشتهر بعلاقاته النسائية. خاض العديد من الحروب من اجل مصالح فرنسا . اصيب بالغرغرينا وتوفي بسببها في يوم 1 سبتمبر 1715. للتفصيل ينظر: https://fr.wikipedia.org/wiki/Louis_XIV، تاريخ الزيارة في: 21 جوان 2020.
3. جمال زكريا قاسم ، المرجع السابق ، ص 150
4. الثورة الجليلة: لم تكن الثورة الانكليزية 1688 مجرد صراع بين الشعب والملك، الذي اعتقد فيه الملك انه ظل الله في الأرض وان سلطانه لا يقف دونها سلطان بينما أنف الشعب من جنون الملك وأنانية الطغاة. إذ نظر لها الانكليز بأنها الثورة التي جاءت بنجاح سياسي ودستوري كبير للشعب الانكليزي المتمثل بالبرلمان والذي استدعى الأميرة ماري ابنة جيمس الثاني وزوجها وليم اورنج من هولندا لحكم البلاد بعد اعترافها بلانحة الحقوق وقانون التسامح الديني اللذين أقرهما البرلمان. وأعتبر ذلك اعترافاً صريحاً بسيادته في أمور التشريع وعدم جواز أبطال وتعديل أي قانون يصدر من قبل البرلمان إلا بموافقة هذا فضلاً عن إلى حق فرض الضرائب وتشكيل الجيوش وعدم ضرب الحريات والعديد من الأمور الأخرى التي اشترطت بمصادقته. لقد نقلت الثورة الجليلة 1688 السلطة من يد الملك ووضعتها بين يدي أعضاء البرلمان وعلى قاعدتها تأسست في بريطانيا حكومة من النبلاء الملاكين وكبار التجار فلم يجرأ أحد من ملوك بريطانيا فيما بعد على رفض أي قرار يصدره مجلس العموم. وبالرغم من كونها ثورة سلمية ، إلا أنها أنهت معظم الخلافات السياسية والصراعات الدينية وانتصاراً لمبدأ حرية العقيدة لأتباع الكنيسة الانكليكانية والبروتستانت المعتدلين (البيورتان). للتفاصيل ينظر: ثامر عزام محمد وابتسام، الثورة الجليلة 1688 واثرها على الاوضاع السياسية والاقتصادية في بريطانيا، مقال منشور في مجلة: سامراء، ع15، مج 5، 2009، سامراء، ص 112-128.

اورانج كملكين مشتركين، وأصبحت المصالح الهولندية في ظل ذلك الاتحاد تابعة للمصالح الانجليزية واستمر ذلك الوضع قائما حتى عام 1697، مما سهل من مهمة الانكليز في الاستيلاء على المصالح الهولندية وتقليص نفوذها⁽¹⁾.

وظل الهولنديون يدعمون فارس من أجل توطيد مكانتهم في منطقة الخليج حيث قدموا مساعدة بحرية في الحملة التوسعية التي قام بها الشاه ضد الساحل العماني ومسقط في عام 1738، كما قدموا له مساعدتهم لقمع ثورة الملاحين العرب في الأسطول الفارسي في عام 1740، وكان الملاحون العرب قد تمكنوا من السيطرة على معظم قطع الأسطول، كما وصلت سيطرتهم إلى مداخل ومخارج الخليج من مسقط حتى شط العرب⁽²⁾، ومن أجل ذلك تقدمت بعض السفن الهولندية ومن بينها السفينة ميدرتك بإحباط تلك الثورة والتصدى لبعض السفن العربية في الخليج⁽³⁾. وتمكن الهولنديون بفضل المساعدات التي قدموها إلى نادرشاه من إنعاش تجارتهم حتى أنهم بادروا في عام 1747 إلى فتح وكالة تجارية في بوشهر. وكان ذلك بدعوة رسمية من حاكم الميناء، كما أعادوا فتح وكالتهم في ميناء بندرعباس في عام 1752 وان لم تستمرهاتان الوكالتان طويلا بسبب ما أقدم عليه الشيخ نصر حاكم إقليم فارسستان من مطالبة الهولنديين بضرائب باهظة فضلا عن تعرض الهولنديين لمنافسة شديدة من قبل الوكالة الانكليزية في البصرة، وهكذا وجد الهولنديون أنفسهم محاطين بالأعداء من كل جانب سواء من قبل السلطات المحلية التي تقع وكالاتهم التجارية في دائرة نفوذها أو من قبل الشركات الأوروبية الأخرى، ولذلك قرروا إغلاق وكالاتهم في الموانئ الفارسية والعثمانية، واخذوا يركزون جهودهم على إحدى الجزر المحصنة التي تقع شمال الخليج العربي، وهي جزيرة خرج العائد لامارة بندرريق واميرها - انذاك - الشيخ ناصرال صعب⁽⁴⁾.

تمتع جزيرة خرج بموقع استراتيجي في شمال الخليج العربي لقرنها من ابرز الموانئ مثل: بوشهر والبصرة. واستغل كنيهاوزن (Kneebhausen)⁽⁵⁾ تلك العلاقة، فدخل في مفاوضات مع الشيخ ناصر بشأن استئجار جزيرة خرج مقابل إيجار سنوي، ونجح في

1. جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص 150

2. ارنولد ت. ويلسون، المصدر السابق، ص 149.

3. جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص 315

4. ارنولد ت. ويلسون، المصدر السابق، ص 150.

5. قام العثمانيين بطرد هذا البارون بسبب علاقاته السيئة بتجارها لذا بدأ يعد نفسه للرحيل إلى باتافيا، حيث المقر الرئيسي لشركة الهند الشرقية الهولندية، وخلال مروره في الخليج العربي جذبت جزيرة خرج انتباهه، ينظر: جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص 154

الحصول على موافقته في السماح للهولنديين بتأسيس مقر تجاري، في الوقت الذي حصل فيه على موافقة مقر الادارة الهولندية في بتافيا في عام 1553 بتأسيس المقيمة التجارية، وعهدت إليه بمهمة رئاستها⁽¹⁾. وعمل الهولنديون على جعل الجزيرة مركزا للتحكم في تجارة شمال الخليج العربي، ونقطة وثوب على الموانئ في البحرين و البصرة وبوشهر وغيرها المنتشرة على ضفتي الخليج العربي الشرقية والغربية⁽²⁾.

وعلى ما يبدو، ان كنيهاوزن لم يكن يفكر في تأسيس مقر تجاري لشركته، وانما كان يهدف إلى إنشاء مستوطنة هولندية تجارية بها ولذلك عمل على إنشاء قلعة كبيرة لحمايتها وأحل بها حامية عسكرية من الزنوج للتغلب على طبيعتها الجرداء وقسوة مناخها، ولعل ذلك مما أثار قلق ممثلي شركة الهند الشرقية الانجليزية في البصرة في أن تتعرض جزيرة البحرين أو غيرها من جزر الخليج الأخرى إلى نفس المصير الذي تعرضت له جزيرة خرج وقد أوردت تقارير الوكالات الانجليزية في الخليج أن الهولنديين كانوا يعملون على طرد السكان العرب من الجزيرة وإحلال من هم أكثر لهم ولاء، ومن ذلك محاولة كنيهاوزن إغراء نصارى البصرة على الإقامة بها ووعد الفقراء منهم بمساعدات مالية تمكثهم من الاستقرار، كما عمد إلى استجلاب بعض الأسر الهولندية بغرض تحويلها إلى مستوطنة هولندية⁽³⁾.

وكانت جزيرة خرج تعويض مثالي للهولنديين عن خسارتهم البصر، لما لها من أهمية إستراتيجية كما ذكرت من قبل، وقد نفذ كنيهاوزن مخططه في مهاجمة السفن التجارية الزاهبة إلى البصرة، حيث هاجمت السفن الشركة الهولندية السفن التجارية الزاهبة للبصرة والقادمة منها، وتمكّنوا من حجز عدة سفن، محملة بالبضائع الثمينة، ولم يحسم أمر تلك السفن إلاّ حينما تدخل متسلم البصرة، متعهدا بإعادة أموال المقيمة الهولندية، التي استولت عليها السلطات العثمانية، مقابل إعادة السفن وفك الحصار التجاري عن ميناء البصرة⁽⁴⁾.

وكان من الطبيعي أن يرفض الانكليز وجود الهولنديين في جزيرة خرج، والذي اعتبروه يسبب إضرار بالغة لتجارتهم في شمال الخليج العربي، لهذا بادرت إلى مفاتحة الشيخ ناصر آل صعب بإقامة مركز تجاري في ميناء بندر ريق، المقابل لجزيرة خارج ، ولرغبة الأخير في تحجيم الوجود الهولندي، أبدى الشيخ موافقته على ذلك. لهذا أصدرت إدارة الشركة

1. ب. ج. سلوت ، المرجع السابق، ص 245.

2. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق ، ص 2677؛ ب.ج. سلوت، المرجع السابق، ص 245.

3. ب.ج. سلوت، المرجع السابق، ص 245-246.

4. المرجع نفسه، ص 246-247.

بومباي قراراً في يوم 18 نوفمبر عام 1754 بتعيين الوكيل السابق في بندر عباس فرنسيس وود (F.Wood) مقيماً عاماً في بندر ريق⁽¹⁾.

ثالثاً: نهاية الوجود الهولندي

بتقدم الوقت، ما عاد الهولنديون قادرين على مجاراة الوضع في الخليج العربي، إذ الصورة كان فيها معلمين واضحين، المعلم الأول ترسيخ وثبات للوجود البريطاني في الخليج العربي، من خلال انتشار وكالاتهم التجارية، وعلاقات الحسنة مع القوى الإقليمية، واستقرار مصالحهم التجارية بشكل امن، أما المعلم الثاني فهو يتمثل في تراجع واهتزاز للوجود البرتغالي بسبب تازم علاقاتهم مع المحيط، بالإضافة إلى تراجع النشاط التجاري، والمشاكل التي كان يواجهونها في نشاطهم التجاري، الأخذ بالتراجع السريع في الخليج العربي. فضلاً عن التصرفات المتسرفة والغير محسوبة من جانب ممثلي الشركة. وكل هذه الامور كانت تنذر بقرب نهاية الهولنديين في الخليج العربي.

لم تكن الضربة القاضية للهولنديين- ان صح التعبير- جاءت من البريطانيين، وإنما كانت من عرب الخليج العربي، وتحديدًا من قبل مير مهنا حاكم إمارة بندر ريق. اذ بعد تمكن مير مهنا من العودة إلى السلطة في الإمارة، على اثر ثورة شعبية رافضة للوجود الأجنبي في إمارتهم ولحكّم أخيه في شهر جوان عام 1756، والتي أدّت إلى مقتله مع عدد من أتباعه. اتبع مير مهنا، منذ توليه مقاليد حكم الإمارة، إلى التخطيط لمواجهة الوجود الأجنبي، متخذاً موقفاً صلباً من الوجود الإنكليزي، فرفض إعادة بناء مقر الوكالة- التي خربت أثناء الثورة الشعبية-. كما رفض السماح لهم بتحصيل عوائد البضائع من التجار، إلا بعد دفع ألفي روبية كل عام، وحينما رفض الوكيل البريطاني في الخليج العربي تلك المطالب، طلب مير مهنا في شهر نوفمبر عام 1756 من الوكيل البريطاني وود (wood) والعاملين بالوكالة مغادرة الإمارة، فغادروا مبنى الوكالة متوجهين إلى بندر عباس. وبهذا تمكن مير مهنا من إنهاء الوجود البريطاني في بندر ريق⁽²⁾.

بعد إنهاء الوجود البريطاني، انصرف مير مهنا إلى مواجهة الهولنديين في جزيرة خرج، التي كانت تشكل تهديداً ليس لإمارته فقط، وإنما المنطقة بأكملها. وفي شهر مارس عام 1760 أرسل مير مهنا قوة تتألف (200) من رجاله لمهاجمة الجزيرة من اجل إخراج الهولنديين، وقد

1. عبد العزيز عبد الغني، المرجع السابق، ص 830؛ ب.ج. سلوت، المرجع السابق، ص 248.

2. عبد الأمير محمد أمين، المصالح البريطانية في الخليج العربي 1747-1778، تر: هاشم لازم كاظم، مكتبة المثني، بغداد، 1977، ص 66-67.

نجحت هذه القوة في أسر مركبين هولنديين، ولكنها فشلت في دخول القلعة الهولندية، بسبب مدافع القلعة التي أجبرتها على الانسحاب من الجزيرة. وفي صيف العام ذاته عاود مير مهنا مهاجمة القلعة الهولندية، وتمكن من أسر وإحراق عدد من السفن، بعد خطة ذكية، حينما أوهم الحراس الهولنديين⁽¹⁾ بأن سفنه هي سفن التموين القادمة ليلاً من ميناء بوشهر، فسمحوا له بالدخول⁽²⁾.

دفعت الهجمات المستمر من جانب مير مهنا المقيم الهولندي إلى تعزيز الاستحكامات العسكرية حول القلعة الهولندية في خرج، وقام ببناء سور جديد أمامها تجاه البحر، إلا أن تلك الإجراءات لم تحول دون تأنيب السلطات الهولندية في بتافيا له على قصور الإجراءات، فاستدعي من قبل حكومته، وعينت بدله بوشمان (Bushman) الذي عولت عليه الشركة الهولندية كثيراً، لأنه من ابرز عناصر الوكالة في خرج، وكان مدركاً طبيعة المنطقة لخبرته الطويلة⁽³⁾.

انتهز مير مهنا التغيير الذي حدث في إدارة الوكالة الهولندية، فأرسل أحد قادته، على رأس وفد، للتفاوض مع المقيم الجديد بشأن المسائل العالقة بين الطرفين، ولا سيما بشأن وجودهم في الجزيرة، لكن المقيم الهولندي كان أكثر حذراً وحنكة، فحاول إظهار مدى قوتهم العسكرية، فأصدر أوامره إلى جميع القطعات الهولندية البحرية لاستقبال الوفد المفاوض، وإظهاراً مدى قوتهم العسكرية، وفي محاولة للتأثير في معنويات الوفد المفاوض، وإقناعه بأنه ليس بمستطاع أي قوة إزاحتهم من الجزيرة، كما قام المقيم بإطلاع المبعوث على الاستحكامات، بما فيها القلعة والمدافع، مبيناً له مناعة تحصينات الجزيرة⁽⁴⁾.

ولم تجدي محاولة محاولات بوشمان في وضع حد لرغبة مير مهنا بخصوص انتهاء الوجود الهولندي في جزيرة خرج، فقامت إدارة الشركة الهولندية في بتافيا في استبداله بمقيم جديد هو هوتنج (Houting)، والذي هو اخر مقيم هولندي في المنطقة 1763-1763، ولم يبق أمام هوتنج الا التعاون مع الفرس للقضاء على مير مهنا، وبالفعل قاموا بحملة

1. كان تموين الهولنديين يأتي من بوشهر ليلاً، وقد استفاد الشيخ مهنا من هذه المعلومة، فوضع في سفنه الحربية الدجاج، وتقدم ليلاً نحو خارج، وعندما اقترب منها أمر رجاله بهز أقفاص الدجاج، ولما سمع الحراس أصواتها ظنوا أنها سفن التموين فسمحوا لها بالمرور، ينظر:

2. ب.ج. سلوت، المرجع السابق، ص 235: هيفاء عبد العزيز الربيعي، المرجع السابق، ص 130.

3. علاء نورس، السياسة الإيرانية في الخليج العربي أبان عهد كريم خان 1757-1779، بغداد 1982، ص

4. علاء نورس، السياسة الإيرانية في الخليج العربي، ص 40.

مشتركة ضد إمارة بندر ريق، وتمكنت الحملة في بداية الامر من تحقيق بعض الانتصارات. ولكن الأمور سرعان ما انقلبت في صالح مير مهنا، ونجح في مهاجمة السفن الهولندية والانتصار عليها، مما اجبرها على الانسحاب نحو جزيرة خرج، وقام بملاحقتها، وتمكن من فرض الحصار على القلعة الهولندية⁽¹⁾.

وبعد حصار دام 13 يوماً، وبأشر مير مهنا في ليلة 31 ديسمبر 1765 على القلعة، اذ قام رجاله بتسليق اسوار القلعة، وتمكنوا من السيطرة على احد الأبراج. وشعر هوتنج بخطورة الموقف، وفي يوم 1 جانفي 1766 قام مير مهنا بحيلة انطلت على المقيم الهولندي حين دعاه إلى التفاوض، وحينما خرج ألقى القبض عليه، فآثر ذلك معنويًا على الجنود الهولنديين، الذين استسلموا في ذات اليوم. واستولى الشيخ مهنا على الأموال والذخيرة ومعدات السفن الموجودة في القلعة⁽²⁾.

ترك سقوط القلعة الهولندية في جزيرة خرج تأثيره الكبير على الوجود الهولندي في منطقة الخليج العربي، إذ شكل نهاية مرحلة من الصراع الأوربي في الخليج العربي، ليكون مفتتح مرحلة جديدة منه ، طرفاها هذه المرة بريطانيا وفرنسا. وفي يقول الدكتور عبد الرؤوف سنو، واصفاً ذلك بالقول: "وبقضاء مير مهنا على التواجد الهولندي في جزيرة خرج عام 1766، يكون النفوذ الهولندي قد وصل إلى نهايته في الخليج العربي، ليبدأ العصر البريطاني الذي ترافق بدايته مع دخول فرنسا إلى الساحة الخليجية كمنافسة تجارية وسياسية لبريطانيا"⁽³⁾. حتى إن التقارير الرسمية الهولندية تحدثت عن سقوط الحصن في يد الزعيم العربي الشيخ مير مهنا في إشارة إلى إنهاء الوجود الهولندي في المنطقة، والخسائر المادية التي تكبدها الهولنديون جراء العمليات العسكرية التي قام بها مير مهنا⁽⁴⁾. ولم تقتصر خسارة الهولنديين على خسارة قاعدة ارتكازهم الوحيدة في الخليج العربي، بل تكبدوا خسائر مادية كبيرة، بلغت (200) مدفع، وكميات كبيرة من البنادق والأموال والبضائع المخزنة، قدرت أثمانها بثلاثة ملايين روبية⁽⁵⁾.

1. سلوت، المرجع السابق، ص 357.

2. المرجع نفسه، ص 357: علاء نورس، السياسة الإيرانية في الخليج العربي، ص 48.

3. عبد الرؤوف سنو، اتفاقات بريطانيا ومعاهداتها مع إمارات الخليج العربي (1798-1916): فصول من

الهيمنة والتفتيت، مقال منشور في مجلة العرب والعالم ، ع 174-176، السنة 1998، بيروت، ص 3.

4. سلوت، المرجع السابق، ص 357-358.

5. هيفاء عبد العزيز الربيعي، المرجع السابق، ص 139.

ومن خلال نظرة تقييميه إلى ما آلت إليه مكانة الشركة الانكليزية والشركة الهولندية، نجد من خلال الجدول رقم (2) يظهر مراحل الحسم في التفوق لصالح البريطانيين على حساب الهولنديين في تجارة الشرق بمجموعها. اذ تظهر الإحصائيات إلى الانتقال التدريجي في حجم الصادرات بين الطرفين، والذي حسم في نهاية المطاف في صالح الانكليز.

جدول رقم (2)

مقارنة في تنامي حجم صادرات شركة الهند الشرقية الانكليزية⁽¹⁾

الفترة الزمنية	حجم صادرات الشركة الانكليزية	حجم الصادرات الشركة الهولندية
1670-1668	403	10.8
1700-1698	13.8	15
1740-1733	23	12.25
1780-1778	69.3	20.8

خلاصة القول، لقد تبين لنا من خلال هذا الفصل، كيف تمكن الهولنديين من ولوج ميدان تجارة الشرق بكل قوة، وكانت لغتهم في القضاء على منافسهم هي لغة المدفع والبنديقية، وكان لهم الفضل الكبير في أنهاء البرتغاليين في جميع مناطق المحيط الهندي، وساهموا بشكل فعال في أخراجهم من الخليج العربي نتيجة الضغط المستمر عليهم. كذلك وجدنا أن الهولنديون قد تعاونوا مع الانكليز ضد البرتغاليين، ولكنهم سرعان ما اختلفوا، وضغطوا على الانكليز بشكل كاد يقضي عليهم نهائياً في الخليج العربي، فالاختلاف بين الاثنين، كانت هولندا تستخدم القوة المفرطة، والانكليز حاولوا فيها أتباع الحكمة والسياسة للتخلص من الضغط الهولندي. وهو ما تحقق فعلاً، حينما خرج الهولنديون من المنطقة، وخليت الساحة للانكليز، وان كان هذا الانفراد يستمر طويلاً، بعد ان ظهر الفرنسيون على الساحة.

1. نك روبينز، الشركة التي غيرت العالم ، تر: كمال المصري، تق: احمد بهاء الدين شعبان، مكتبة الشروق الوطنية، القاهرة، 2009، ط1، ص 114

الفصل الثالث
التفوق الانكليزي
في مواجهة الرغبة الفرنسية
في الخليج العربي

المبحث الأول: تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية
المبحث الثاني: التنافس الانكليزي الفرنسي من أوروبا حتى المحيط الهندي
المبحث الثالث: الصراع الانكلو فرنسي في الخليج العربي

مقدمة:

تعتبر فرنسا من بين الدول الأوروبية التي أتت إلى المحيط الهندي، وكان طموحها ان تحوز على كل مفاصل التجارة الشرقية، وتأسس مستعمرات لها للمحافظة على هذه السيطرة التي تسعى إليها. وقد بدأت نشاطات الفرنسيين باحتشام عبر محاولات فردية على فترات متقطعة⁽¹⁾. ولكن دخولها الواسع والمؤثر كان قرارا ملكيا بتشكيل شركة الهند الشرقية الفرنسية، وبواسطة الدعم الحكومي هذا، رمت فرنسا بكل ثقلها من اجل استدراك ما فاتها في هذا المجال. والتي تعتبر هي آخر دول أوروبية دخلت في ميدان التنافس الأوربي على المستعمرات والهيمنة على تجارة الشرق.

ولم يكن ظهور فرنسا المتأخر في المحيط الهندي، بسبب قلة روح المبادرة لدى الفرنسيين، والاندفاع في هذا الميدان، بل يرجع سبب ذلك إلى سببين، الأول كون فرنسا كانت مهتمة بمحيطها الأوربي، ولهذا كانت جل سياستها الخارجية في هذا الاتجاه، ونتيجة ذلك خاضت العديد من الحروب والنزاعات الإقليمية مع الدول الأوروبية الأخرى المنافسة لها. والسبب الثاني الذي شغل فرنسا عن الولوج إلى المنافسة على تجارة الشرق هو الحرب الأهلية التي شهدتها فرنسا خلال القرن السادس عشر الميلادي، نتيجة الصراع بين الكاثوليك والهيكونوت (Hicconaute)⁽²⁾، وهو الأمر الذي ادخل البلاد في دوامة صراع دموي، كاد أن يقضي على الدولة، لولا تدارك ذلك.

ولكن عندما تجاوزت فرنسا مشكلها الداخلية وعدل من مفهوم سياستها الخارجية، وتنهت إلى حجم الفوائد والأرباح التي تجنيها الدول الاوربية التي سبقتها في الوصول إلى الشرق، كان القرار والإصرار على خوض غمار هذه التجربة، وتعويض ما فاتها.

1. شعر الفرنسيون بأهمية الفائدة التي تحققها تجارة الشرق، وأعطوا أهمية لهذا النشاط في السنوات الأولى من القرن السادس عشر، ولكن كان ذلك بشكل فردي. وأول رحلة وصلت إلى الهند عام 1503، وقد اصطدموا بمعارضة شديدة من البرتغاليين الذين كانوا أسياد المحيط الهندي. للتفاصيل ينظر: محمد عدنان مراد، صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي: جذوره التاريخية وإبعاده، تق: شاكر الفحام، مر: شهيرة مراد، داردمشق للنشر والتوزيع، دمشق، 1984، ص 174.
2. الهجونوت هم البروتستانت في فرنسا، والذين عارضوا المذهب الكاثوليكي، وتعرضوا للاضطهاد. وهو ما ادخل فرنسا في حرب دينية اهلية في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي، وقد هاجر العديد منهم إلى العالم الجديد والمناطق البروتستانتية في اوربا هربا من الاضطهاد الذي تعرضوا له. للتفاصيل ينظر: <https://fr.wikipedia.org/wiki/Huguenot>، تاريخ الزيارة في: 25 جوان 2020.

المبحث الأول: تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية

تعتبر شركة الهند الشرقية الفرنسية آخر الشركات الأوروبية التي دخلت ميدان التنافس التجاري في بحار الشرق، وقد نجحت في تأسيس وكالات تجارية في سورات وبوندشيري في الهند، بالإضافة إلى جزيرتي موريشيوس وبوربون في المحيط الهندي، ودخلت في صراع مع شركة الهند الشرقية الإنجليزية وشركة الهند الشرقية الهولندية بشكل أقل⁽¹⁾،

أولاً: فرنسا والرغبة الشرقية:

ما كادت فرنسا تخرج من أزمة الحروب الدينية الطويلة الأمد، إلا ونهضت من عثارها بفضل سياسة الملك هنري الرابع. فقد كانت أكثر الدول الأوروبية سكاناً وثراءً. وحاول الملك هنري الرابع، بصورة موازية لإعادة بناء الاقتصاد الفرنسي، أن يعيد الوئام الديني داخل فرنسا، وإقراره لنظام التسامح بموجب براءة نانت (Édit de Nantes)⁽²⁾ الشهيرة في عام 1598. وعلى الصعيد الخارجي اجبر الأسباب على السلام بموجب معاهدة فرنن (Traité de Fernen) في عام 1598، وعزز حدود فرنسا الشرقية بموجب معاهدة ليون (Traité de Lyon) في عام 1601. وساعد الملك هنري على تحقيق ذلك السياسة الدبلوماسية اليقظة، فضلاً عن جيشه القوي، الذي حرص على تطويره دائماً. وبناءً عليه، كانت فرنسا ذا تأثير على الصعيد الأوروبي في ذلك الوقت⁽³⁾.

وأدرك الملك هنري الرابع، الذي كان محاطاً بمستشارين أشاروا عليه بضرورة إنشاء المستعمرات الفرنسية في ما وراء البحار وإرسال جماعات من فرنسيين إلى تلك المناطق من أجل استغلالها، وعندما عجز الفرنسيون عن الوصول إلى الهند عن طريق الدوران حول أمريكا الشمالية، اكتشفوا أهمية تجارة الفراء في المناطق التي اكتشفوها في العالم الجديد، إذ أصبحت تجارة الفراء منذ عام 1600 مصدر للربح بالنسبة للفرنسيين، وهذا ما شجع

1. محمود شاكر، المرجع السابق، ص 276.

2. مرسوم نانت: يعد مرسوم نانت في 13 افريل 1598، والذي أعطى البروتستانت (الهيكونوت) في فرنسا حرية العقيدة والعبادة في فرنسا الكاثوليكية. وذلك بعد 36 سنة من حروب الدينية التي شهدتها فرنسا. وظل ساري المفعول لمدة سبعة وثمانين عاماً- حتى صدور مرسوم (فونتنبلو)- . ولم يكن المرسوم سلام ديني استثنائي، فهو يؤسس دولة كاثوليكية تُسمح فيها البروتستانتية ولكنها تحرمها. للتفاصيل ينظر: https://en.wikipedia.org/wiki/Edict_of_Nantes , in : **Edict of Nantes**.

تاريخ الزيارة في: 30 جوان 2020.

3. ماتيو اندرسون، تاريخ القرن السابع عشر في أوربة، ترجمة: نور الدين حاطوم، دار الفكر، دمشق، 1977، ط1، ص 7-8.

الملك هنري الرابع على الطلب إلى إنشاء المستعمرات الفرنسية في أمريكا الشمالية (كندا)، واشترط على أي شركة تريد احتكار تجارة الفراء إنشاء مستعمرة هناك⁽¹⁾.

بالمقابل شكل الفشل الفرنسي في الوصول إلى الهند عبر أمريكا الشمالية إلى التفكير بجدية في مسألة الوصول إلى الهند، ومزاحمة الدول الأوروبية التي سبقت بلاده في هذا المجال. ودعا إلى أهمية المساواة في التجارية الشرقية مع باقي الدول الأوروبية، ولاسيما انكلترا التي أسست شركة الهند الشرقية في أواخر عهد الملكة إليزابيث الأولى في عام 1600، فعمل على تشجيع الاستعمار والعمل من أجل تأسيس شركة فرنسية للتجارة مع الهند، وقام في عهده بعض المغامرين الفرنسيين⁽²⁾ بالتوجه نحو الشرق عبر رأس الرجاء الصالح. ولكن سفينتهم غرقت نتيجة ارتطامها بجرف صخري قرب جزر المالديف⁽³⁾.

بدأ الاهتمام الفرنسي بالمشاركة في تجارة ما وراء البحار تصاعد تدريجيا، حيث وصلت أول سفينة فرنسية إلى المحيط الهندي عبر طريق رأس الرجاء الصالح في عام 1529. ولكن الفرنسيون لم يكونوا بالجدية التي كان عليها الانكليز والهولنديين في هذا المجال. بينما أستمروا الانكليز والهولنديون في مجالات الكشف والريادة لمزاحمة البرتغاليين والاستيلاء على المراكز البرتغالية في المياه الشرقية. وتمكنهم في نقل كميات كبيرة من منتجات التجارة الشرقية عبر رأس الرجاء الصالح إلى الموانئ الأوروبية في القرن السابع عشر، نجد ان الدور الفرنسي كان محدود جدا، وربما لا يذكر أمام الانكليز والهولنديين. وربما كان انشغال فرنسا بتفوقها التجاري في منطقة البحر الأبيض المتوسط بفضل الامتيازات التجارية التي حصلت عليها من الدولة العثمانية في عام 1535⁽⁴⁾، ولذلك سبقت فرنسا الدول الأوروبية الأخرى إلى

1. جوزيف برجر، مكتشفوا العالم، تر: السيد يوسف نصير، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت.ن، ص 88.

2. بدا النشاط الفرنسي في حركة الاستكشافات البحرية في عهد الملك فرانسوا الاول، الذي ارسل البحار جاك كارتير (J.Cartier) إلى العالم الجديد في 20 افريل عام 1534، في تالفت من (61) رجلا علي ظهر سفينتين شراعتين صغيرتين. وكانت المهمة البحث عن طريق يوصل إلى الهند بالدوران حول أمريكا الشمالية من جهة الشمال. وكان امل كارتيرية كبير في ايجاد طريق عبر الممرات المائية. ولكن المهمة فشلت في تحقيق الوصول إلى الهند، وتمكن من اكتشاف خليج ونهر سانت لورنس، وترتب عن ذلك النشاط إنشاء العديد من المستوطنات في الساحل الشرقي من (كندا) في عام 1541. للتفاصيل ينظر: جوزيف برجر، المرجع السابق، ص 83-87.

3. عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، بريطانيا و الساحل العماني: دراسة في العلاقات التعاهدية، د.م.ن، بغداد، 1978، ص 60

4.عبد العزيز عوض، المرجع السابق، ص 237

توطيد علاقاتها السياسية و التجارية مع الدولة العثمانية، وأقامت قنصلية لها في حلب في عام 1560 حيث ازدهرت التجارة الفرنسية فيما لبعض الوقت قبل أن تمتد إليها المنافسة التجارية الانكليزية.

وعلى الرغم من إدراك الملك هنري الرابع بأهمية مجارة الدول الأوروبية الأخرى في مشاريعها التجارية في المحيط الهندي، ومقاسمتها في ما تحققه من أرباح خرافية، إلا أن فرنسا تأخرت بخطوات عن كل من هولندا وانكلترا اللتين اتخذتا الخطوة الهامة في طريق تأسيس شركتين للهند الشرقية اللتين كتب لهما النجاح والسيطرة على تجارة الشرق⁽¹⁾.

وهكذا، يتضح لنا، ان لفرنسا رغبة في تجارة الشرق- حالها حال باقي الدول الأوروبية الأخرى-، وان هذه الرغبة يبدو انها تصطدم بأمرين، أولهما انشغال فرنسا بقضايا أوروبا ومشاكلها، والإحساس بأهمية ذلك في إستراتيجية الدفاع عن مصالحها فيها، وثانيهما الهاجس الذي يقلق فرنسا من كون هناك دول سبقتها في الميدان ووصلت الشرق، وهيمنة على كل شي هناك، وهذا الهاجس ليس حكوميا فقط، وإنما عند الأفراد الفرنسيين الذين ترددوا في مساندة المشروع الفرنسي في الشرق، حينما قررت الحكومة الخوض فيه.

ثانيا: الخطوات التمهيدية لتأسيس الشركة الفرنسية :

وقد بدأت الطموحات الفرنسية في العقد الثالث من القرن السابع عشر الميلادي تأخذ آفاق ابعده مما كانت عليه من ذي قبل، وكانت مسألة التفكير الجدي في التواجد الإقليمي فيما وراء البحار تلقى الاهتمام والمتابعة من السلطة الفرنسية. وقد ترجم كبير الوزراء في عهد الملك لويس الثالث عشر الكاردينال رويشيليو (Rochelio)⁽²⁾ تلك الأفكار إلى

1. نصير احمد نور احمد، المرجع السابق، ص 70.

2. الكاردينال ريشيليو: هو أرمان جان دو پلّسي دي ريشليو، كاردينال دوق دي ريشليو ولد في مدينة باريس في يوم 9 سبتمبر 1585، هو رجل دين فرنسي ومن أسرة نبيلة ورجل دولة. كان اسقفا في عام 1607، وفيما بعد دخل معترك السياسة، ليصبح اول وزير خارجية لفرنسا عام 1616، وسرعان ما اخذ نجم رويشيليو يسطع في سماء الكنيسة والسياسة، ليصبح كاردينالا في عام 1622، وبعدها بعامين عين كبير وزراء الملك لويس الثالث في عام 1624. استطاع رويشيليو ان يمتلك مقاليد الحكم، وان يكون ذا تأثير وسطوة في الحياة السياسية بشكل لا يضاويه احد. استمر في منصبه السياسي حتى وفاته في مدينة باريس في 4 سبتمبر عام 1642 عن عمر ناهز (57) سنة، وخلفه في منصبه السياسي الكاردينال جول مازاران. للتفاصيل ينظر:

https://fr.wikipedia.org/wiki/Armand_Jean_du_Plessis_de_Richelieu تاريخ الزيارة

في: 3 جوان 2020.

مراسيم أصدرتها الدولة الفرنسية، وتهتم بالتجارة الشرقية بالدرجة الأولى، وذلك عبر التشجيع على تأسيس الشركات الفرنسية التي تهتم في هذا الجانب. ولكن، الشركات الكثيرة التي جرى تأسيسها بموجب التوجهات التي اتبعتها ريشيليو أفلست الواحد تلو الأخرى بسبب ضعف قدراتها المادية في مجارة الانكليز والهولنديين في عملهم، حيث لم تلق مثل هذه المشروعات التجارية اندفاع من جانب الأثرياء الفرنسيين، وكان تخوف هؤلاء الأثرياء من نشاط هذه الشركات أن أغلبها كان تحت إشراف القساوسة والنبلاء والموظفين من ذوي المناصب العليا في الدولة⁽¹⁾.

وعلى ما يبدو لي، إن السبب الذي جعل فرنسا بطئيه قياسا بالدول الأخرى في الوصول إلى المحيط الهندي ومشاركتهم أرباح تجاه الشرق، هو طبيعة السياسة الخارجية الفرنسية القائمة على أساس دور فرنسا المحوري في غرب أوروبا، ولهذا، نجد ان الفرنسيين كانوا منشغلين بالقضايا الأوروبية على حساب التوجه الحقيقي نحو المحيط الهندي. وهذه السياسة كانت على النقيض مما كانت عليه انكلترا - على سبيل المثال- التي كرست كل سياستها على فرض هيمنتها على طرق المواصلات البحرية ومراكز التجارة العالمية عبر تنمية أسطولها البحري، بينما نجد أن الفرنسيين لم يهتموا بالترسانة البحرية بقدر اهتمامهم بتطوير قدراتها العسكرية في مجالي المشاة والمدفعية، لكون اغلب حروبها كانت برية. وهذه العقدة الفرنسية ستبقى طويلا في إطار صراعها مع الانكليز⁽²⁾.

ولم يمنع ذلك الفشل من محاولة الفرنسيين اختراق آفاق التجارة الشرقية، ولكن العقبات كانت دائما تحول دون تحقيق الغاية المرجوة، فعندما تقرر إرسال وفد فرنسي إلى البلاط الفارسي لمقابلة الشاه عباس الأول من اجل الحصول على امتيازات وتسهيلات تجارية، توقف الوفد الفرنسي في العاصمة العثمانية اسطنبول، وجرى هناك لقاء مع السفير الفرنسي الذي لم يبدي تفاؤلا بخصوص هذه الزيارة والأهداف المسطرة لها، لقناعته ان الانكليز والهولنديين كانوا يتمتعون بالكثير من الامتيازات في بلاد فارس، ومن الصعب الحصول على مثل هذه الامتيازات، وقرر الوفد الفرنسي العودة إلى باريس وعدم إكمال الرحلة إلى بلاد فارس. كما زار بلاط الشاه عباس الأول في أصفهان عام 1628 بعثة تبشيرية فرنسية⁽³⁾ يقودها راهبان فرنسيان من طائفة الفرنسيسكان⁽¹⁾، ولكن زيارتهما لم تسفر عن

1. نمير احمد نور احمد، المرجع السابق، ص 71-72.

2. ماتيو اندرسون، المرجع السابق، ص 354-355.

3. رحب الشاه عباس الاول بالبعثة التبشيرية الفرنسية، وسمح لها بممارسة نشاطها في بلاد فارس على الرغم من انها بلاد اسلامية، وتوسع نشاط البعثة ليشمل العديد من المدن الفارسية، وكان مركز نشاطها العاصمة اصفهان. ينظر: محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 46.

نتيجة تذكر، على الرغم ترحب الشاه بهما⁽²⁾. وعلى ما يبدو، ان الشاه لم يكن جاد في المفاوضات بينه والفرنسيين بهدف التوصل إلى عقدة معاهدة تجارية. وانما كان يريد استخدام المفاوضات كورقة ضغط على الانكليز والهولنديين للحصول على افضل الاسعار منهم، لاسيما وهو يعلم إن الطلب الأوربي على الحرير الفارسي ينمو ويتسع بمرور الوقت. ولكن هذا لم يمنع الشاه في عام 1628 بإجراء بعض المبادلات التجارية مع فرنسا لتسويق الحرير الفارسي إلى أسواقها والاستفادة من سفنها في نقل البضائع ما بين الهند وبلاد فارس. كما كان للفرنسيين كذلك تجارة محدودة في تجارة المنسوجات مع ميناء البصرة في عام 1628⁽³⁾.

ومن خلال ما سبق، نجد ان الخطوات الفرنسية نحو الوصول إلى تجارة الشرق لم تحقق غايتها، وبقت الرغبة الفرنسية تراوح في مكانها. ولكن الصورة هذه تغيرت فيما بعد. عندما زاد الإدراك لدى بعض الساسة الفرنسيين من أن تأخر فرنسا عن خوض غمار التجربة الشرقية يعني ضياع فوائد كثيرة، يلاحظون بأمر أعينهم ، كيف تجنبها كل من : هولندا وانكلترا، ومن قبلهما اسبانيا والبرتغال. فكانت مسألة تبني مشروع الوصول إلى بحار الشرق من قبل هؤلاء، واعتباره مشروعاً وطنياً ، ستنعكس ثماره على الجميع. ولكننا ،

1. الرهبنة الفرنسيسكانية: الرهبنة الفرنسيسكانية، ويعرف رهبانها باسم الفرنسيسكان، هي رهبنة في الكنيسة الكاثوليكية، تأسست علي يد القديس فرنسيس الأسيزي في شمال إيطاليا في عام 1208 وثبت قوانينها البابا إينوسنت الثالث عام 1209، وتعتمد علي روحانية القديس فرنسيس، والقوانين التي وضعها بشكل أساسي. تتألف الرهبنة من ثلاث فروع رهبنة رجالية، ورهبنة نسائية، وما يعرف بالرهبنة الثالثة التي ينضم إليها المدنيون، الذين يبقون في العالم لا في الدير، ويحق لهم الزواج وإنما يلتزمون بفروض وصلوات الرهبنة وتأملاتها. تركز روحانية القديس فرنسيس الأسيزي علي الاهتمام بالفقراء والعمل علي تنمية وضعهم بتنمية مستدامة، فالأسيزي الذي كان من عائلة إقطاعية ثرية وهب أملاكه للفقراء، متخلياً عن الثراء الشخصي، ليعيش فقيراً كالمسيح. كذلك فإن الاهتمام بالبيئة وحركة إصلاح دائمة في الكنيسة، هي من أبرز مقومات الرهبنة الفرنسيسكانية الروحية. تتولى الرهبنة الفرنسيسكانية حماية الأراضي المقدسة في فلسطين، مثل كنيسة كل الأمم في جبل الزيتون، أو كنيسة البشارة في الناصرة، أو كنيسة نياح العذراء في القدس وكنيسة المهدي في بيت لحم إلى جانب قسم من كنيسة القيامة. يدعى الرئيس العام للرهبنة الفرنسيسكانية نظراً للدور التاريخي المنوط به "حارس الأراضي المقدسة"، وهي مهمة متوارثة منذ عام 1217، حين استحدثت الرهبنة "إقليم سوريا"، ورسمياً بعد تكريس البابا كلمنت السادس له عام 1342. للتفاصيل ينظر:

<https://en.wikipedia.org/wiki/Franciscans> ، تاريخ الزيارة في: 30 جوان 2020.

2. عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ،بريطانيا و الساحل العماني ، ص 61

3. عبد العزيز عوض، المرجع السابق، ص 239

سنجد إن الرغبة الفرنسية هذه لم تكن من السهل تحقيقها، لان معوقاتها الداخلية والخارجية كانت اكبر من أن تجد لها طريقا سلسلا نحو تحقيقها .

ثالثا: تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية:

عندما تولى جان باتيست كولبير (Jean-Baptiste Colbert)⁽¹⁾، وهو السياسي والاقتصادي الفرنسي المحنك، منصب وزير المالية في فرنسا، كان لتجربته ودرايته الأثر الكبير في أن يحظى بثقة الملك الفرنسي لويس الرابع عشر. إذ كان كولبير تواقا إلى بناء أسطول بحري قوي جدير بسمعة فرنسا ومكانتها السياسية في السياسة الدولية، حيث أدرك بوضوح قيمة التجارة البحرية والمستعمرات. وتمكن كولبير بحكم الحكمة والتجربة الاقتصادية التي تمتع بها من إعادة تنظيم الوضع الاقتصادي للبلاد، واخذ أنظار الفرنسيين نحو تجارة الشرق⁽²⁾. إذ لم يحدث قبل كولبير أن احد قد أدرك بوضوح قيمة البحرية والتجارة والمستعمرات والمالية السليمة، وأهمية تحسين وسائل المواصلات بالطرق البرية والأنهار والقنوات⁽³⁾.

1. جان بتيست كولبير: ولد في مدينة ريمس الفرنسية يوم 29 اوت عام 1619م، وكان أبوه أحد تجار الصوف، أكمل دراسته في جامعة باريس، والتحق بخدمة الدولة عندما كان عمره 32 عاما، ووقع عليه الاختيار لإدارة مزرعة الكاردينال مازاران، فأدى مهمته بنجاح مما جعل الأخير يوصي به لدى الملك لويس الرابع عشر. ويعتبر كولبير من دعاة المذهب التجاري في فرنسا، حتى سميت هذه السياسة التي انتهجها في هذا الميدان باسمه الكولبرتسم (colbertism). وقد عمل كولبير علي تنمية الصناعة والتجارة، وحصرهما في خدمة قوة الدولة وعظمتها، وكان من إجراءاته لتحقيق هذا الغرض فرض الرسوم علي الاستيرادات وتقديم الدعم المادي إلى الملاحة الفرنسية وإجراء التحسينات علي وسائل النقل في الداخل وإصدار القوانين التي تمنع العمال الفرنسيين من مغادرة البلاد بهدف تأمين الأيدي العاملة الرخيصة وشجع الاحتكارات وخاصة فيما وراء البحار وأقام الصناعات النموذجية وروج المخترعات وبذلك تمكن خلال فترة قصيرة من مضاعفة إيرادات الملك وجعل من بلاده أقوى دولة في أوروبا في. ولا بد من الإشارة هنا، ان كولبير يعتبر من خيرة ما قدمت فرنسا رجال سياسة واقتصاد. توفي في مدينة باريس في يوم 6 سبتمبر عام 1683 عن عمر ناهز (64) سنة، للتفاصيل ينظر:

2020. https://fr.wikipedia.org/wiki/Jean-Baptiste_Colbert، تاريخ الزيارة في: 30 جوان 2020.

2. للتفصيل عن الجهود التي بذلها كولبير في اعادة بناء الاقتصاد الفرنسي ينظر: عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.ن، ص 206-208.

3. هيربرت فيشر، المرجع السابق، ص 299-300.

وركز من اهتمامه في تأسيس شركة فرنسية للتجارة مع الهند، ولذلك عمل جاهدا في هذا الاتجاه، وفي يوم 1 سبتمبر عام 1664، صدر مرسوم ملكي من قبل الملك لويس الرابع عشر أعلن عن تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية (La Compagnie française des Indes orientales)، ومنح لها حق احتكار التجارة الفرنسية مع الشرق، ومنحت الشركة الفتية قرضا حكوميا وإعلان الحكومة بأنها ضامن لها من أجل تطوير التجارة مع الهند وبلاد الشرق، وكان نظامها على غرار نظام الشركة الانكليزية⁽¹⁾. وكانت هذه الخطوة من جانب الفرنسيين جدومهمة في إطار الدخول فيما بعد في ادوار من التنافس والصراع مع الانكليز⁽²⁾.

أظهرت مراحل تأسيس الشركة الفرنسية الدور الذي لعبه كولبير في دعم نشاط الشركة الفرنسية وتذليل العقبات من اجل تحقيق أهدافها، وحاول أن يجعل من الشركة مشروعا وطنيا- مثلما نجح الانكليز والهولنديين في ذلك- يشترك فيه كل فئات الشعب الفرنسي، وليس التجار فقط. وفي هذا الخصوص بعث إلى جميع المدن الفرنسية بمنشور خاطب به الفرنسيين بالقول: "أيها السادة عليكم أن تشاركوا في فخر هذا العمل وفائدة، وليسهم في الشركة كل واحد منكم بقدر استطاعته. وأنا شخصا مطمئن من الأرباح التي سوف تعود إليكم من هذه المشاركة"⁽³⁾.

على ما يبدو، إن جهود كولبير لم تجدي نفعا في تحفيز الفرنسيين على المساهمة بهذا المشروع، والذي عول عليه كثيرا، إذ أحجم غالبية الفرنسيين من المساهمة في هذا المشروع، خوفا من المخاطرة بممتلكاتهم في مغامرة مجهولة. ونتيجة هذا الفشل، قام كولبير بسحب امتياز الاحتكار من الشركة الفرنسية، وترك التجارة مفتوحة مع حزر الهند الشرقية للجميع، بشرط استخدام سفن الشركة ومحطاتها التجارية⁽⁴⁾. وعلى الرغم من هذه الانتكاسة إلا أن الشركة استمر في عملها، ولكنها عجزت عن مجاراة الشركة الانكليزية والهولندية على المدى البعيد.

1. أحمد مصطفى ابو حكمة، محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة، (د.ن)، القاهرة، 1968، ص3؛ نمير احمد نور احمد، المرجع السابق، ص 74.
2. ج.ج. لوريمر، الصدر السابق، ج 2، ص 80.
3. نمير احمد نور احمد، المرجع السابق، ص 75.
4. المرجع نفسه، ص 75.

المبحث الثاني: الصراع الانكلو فرنسي من أوربا حتى المحيط الهندي :

عندما تولى لويس الرابع عشر إدارة الدولة الحقيقية في مارس عام 1661، كان المسرح الأوربي ممهدا لظهور ملك يستطيع أن يفرض إرادته ووجهات نظره عليها. ففي الجنوب كانت اسبانيا لاتزال تجتهد في مساعدة للمحافظة على مصالحها في أعالي البحار والنهوض من جديد، وفي انكلترا كانت الملكية العائدة - على اثر انتهاء حكم كرومويل- تسعى للوقوف على قدميها، وكانت الدوائر التجارية الانكليزية تكن قدرا كبيرا من الغيرة للهولنديين، وفي الشمال خرجت الدانمارك والسويد في حالة ضعف من حرمهم الأخيرة. وفي الأراضي الألمانية كان الأمراء البروتستانت يرقبون بحذر أية محاولات جديدة من آل هابسبرك لتحسين أوضاعهم، إلا أن لها ما يكفيها من المشاكل مع المجر والدولة العثمانية، وكانت بولندا اضعف نتيجة تكرار الهجمات السويدية والروسية. ونتيجة كل ما ذكر تمكنت الدبلوماسية الفرنسية من انتهاز الظروف التي كانت تحيط بها، وتقوي من تأثيرها السياسي في القارة، وفي ذات الوقت أعطى للملك لويس الرابع عشر الوقت الكافي لدعم مكانته كحاكم مطلق آمن من التحديات الداخلية التي تعرضت لها الملكية من ذي قبل. ومكن لويس الرابع عشر من ذلك، توفره على وزراء أمثال: كولبير ولوتيهيه (Lotier) عملوا بجهد وتفاني لإصلاح مؤسسات الدولة ودعم مواردها الاقتصادية⁽¹⁾.

وكذلك وجدت فرنسا ان الأجواء مناسبة لكي تتحرك نحو خارج حدود القارة الأوروبية، ومحاولة مقاسمة الدول الأخرى خيرات تجارة ما وراء البحار، ولاحظنا من قبل - بحكم حكمة ودراية وزراء لويس الرابع عشر- الخطوات الأولى نحو العمل الجاد من اجل تأسيس شركة فرنسية تأخذ على عاتقها تحقيق ذلك، وكان تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية. وكانت هذه الخطوة يعني الانتقال التدريجي للتنافس والصراع بين فرنسا من جهة وانكلترا وهولندا من جهة أخرى إلى مياه المحيط الهندي.

اولا: وصول الشركة الفرنسية لمياه الشرق:

وبدأت الشركة الفرنسية أولى خطواتها من اجل تأكيد وجودها في المحيط الهندي وتجارتها، فتقرر إرسال وفد من خمسة أعضاء إلى بلاد فارس، بهدف التفاوض مع الشاه عباس الثاني(1641-1666)⁽²⁾. ووصل الوفد إلى العاصمة أصفهان في شهر ديسمبر عام

1. بول كيندي، المرجع السابق، ص 153-154.

2. الشاه عباس الثاني: هو أحد ملوك الدولة الصفوية في بلاد فارس. وهو عباس الثاني ابن الشاه صفي بن صفي ميرزا ابن الشاه عباس الأول ابن خدابنده بن طهماسب الحسيني الموسوي الصفوي. ولد في

1665، واستقبل من قبل الشاه استقبالا وديا، وسلمت له رسالة من قبل الملك لويس الرابع عشر. وتمكن الوفد من الحصول على عدة امتيازات كمركية لصالح الشركة الفرنسية لمدة ثلاثة أعوام⁽¹⁾. كما منح الشاه الفرنسيين حق تأسيس وكالة لهم في بندر عباس و أخرى في أصفهان⁽²⁾ و وعد البعثة بموافقته على عقد معاهدة رسمية للتجارة مع فرنسا إذا ما وصلته الهدايا المناسبة. وفعلا تم تأسيس الوكالة الفرنسية بالقرب من الوكالة الانكليزية في بندر عباس في عام 1667 وبدأت التجارة الفرنسية مع بلاد فارس، ولكنها كانت على نطاق محدود لتأخر فرنسا في إرسال الهدايا التي وعد الشاه بها، وهو الأمر الذي أضعف موقف وكالتها التجارية. ولذلك بادرت الشركة الفرنسية إلى إرسال الهدايا الثمينة فسمح الشاه لها بمواصلة تجارتها الفارسية، ولكن بدون امتيازات خاصة.

وكذلك تقدم الفرنسيون إلى حيث الهيمنة والاستقرار الانكليزي، واعني شبه القارة الهندية، وبدءوا العمل على مقاسمتها تلك السيطرة والهيمنة، وعملوا على ايجاد موطئ قدم لهم هناك، عبر فتح محطات تجارية لهم ، وقد نجح ممثل الشركة الفرنسية يدعى فرانسوا كارو (Francois carron) في عام 1668 من افتتاح اول وكالة تجارية لهم في سورات شمال الساحل الغربي للهند⁽³⁾ ، وعلى ما يبدو ان افتتاح هذه الوكالة الفرنسية في سورات قد اثار الانكليز، ودق لهم ناقوس الخطر ، من احتمالات الخطر الفرنسي على مصالحهم في شبه القارة الهندية.

وما ذهبنا اليه سابقا، يبدو حقيقة قائمة، اذ أبدى كولبير اهتماما خاصا بالاستعمار وبسط نفوذ فرنسا التجاري فيما وراء البحار. فهو يرى أن قوة فرنسا وهيمنتها على التجارة الشرقية، وانه لايمكن لتجارة فرنسا أن تتسع الا عن طريق إضعاف تجارة كل من منافستها التجاريتين⁽⁴⁾. لذا عقد العزم على شن حرب ضد هولندا وانكلترا معا في المحيط الهندي، وانتزاع السيطرة البحرية منهما، لقد كانت خطة الفرنسيين تقوم على أساس إيجاد موطئ

منطقة قزوين في شمال بلاد فارس يوم 30 اوت 1632، أصبح ملكا في عام 1642، وسنه لم يتجاوز العاشرة، وهو سابع ملوك الأسرة الصفوية، تميزت فترة حكمه بالصراع المسلح مع الاوزبك ودولة المغول في الهند، في حين كانت علاقته مع العثمانيين جيدة، وتنافس الدول الأوروبية علي المصالح في بلاده. وشهد عهد بعض حركات التمرد مثل الكرج. توفي في يوم 23 سبتمبر عام 1666 في مدينة دامغان ودفن في مدينة قم. للتفاصيل ينظر: محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 221-225.

1. أحمد مصطفى ابو حكمة. المرجع السابق ص39

2. عبد العزيز عوض، المصدر السابق، ص240

3 . Majumdar ,R.C.,An Advanced History of India .London. 1950.,p643 .

4. هربرت فيشر، المرجع السابق، ص 300.

قدم وإنشاء قاعدة بحرية لهم في موقع استراتيجي للتحكم بامور المحيط، وكان الاختيار وقع على جزيرة سيلان- المقابلة للساحل الشرقي للهند-، وأرسلت حملة بحرية كبيرة بقيادة جاكوب دي لاهاي (Jacob de La Haye) في عام 1670، غير أن يقظة الهولنديين حالت دون نجاحهم من الاستقرار في هذه الجزيرة الهامة. ولم يثني هذا الفشل الفرنسي من الاستمرار في العمل لتحقيق غايتهم، عندما نجح احد موظفي الشركة الفرنسية، ويدعى فرانسوا مارتن (François Martin) في عام 1672 من الحصول على قرية صغيرة على الساحل الجنوبي الشرقي للهند، والتي شكلت نواة مستوطنة فرنسية في المستقبل، وعرفت فيما بعد باسم بوندشيري (Pondicherry)⁽¹⁾، والتي أصبحت (عاصمة الهند الفرنسية ومقر الحاكم العام الفرنسي) وقد اهتم الفرنسيون بها كثيرا، وأقاموا فيها الاستحكامات العسكرية لأنها مركز المصالح الفرنسية في شبه القارة الهندية. وعلى الرغم من وصول الفرنسيين بعد قرابة النصف قرن متأخرين عن الانكليز، إلا أنهم نجحوا في تأسيس موطن قدم لهم وتحسين وضعهم في المياه الهندية بسرعة⁽²⁾،

لقد نجح الفرنسيون من افتتاح محطات تجارية أخرى في مناطق أخرى من شبه القارة الهندية، مثل: تشاندار ناجار chandarnagar بالبنغال على بعد ستة عشر ميلا من كلكتا، والتي تقع شمال الساحل الشرقي للهند، وفي ماسو ليباتام على ساحل كرومانديل (الساحل الشرقي)، وفي ملبار وذلك خلال الفترة المحصورة ما بين (1690-1692)⁽³⁾. ونلاحظ، انه على الرغم من الرفض الهولندي الانكليزي للوجود الفرنسي، الا أنهم تمكنوا من تأسيس وجود لهم وممارسة نشاطهم التجاري في المحيط الهندي، ولاسيما في شبه القارة الهندية⁽⁴⁾.

ثانيا: تصاعد وتيرة الصراع الأوربي في المحيط الهندي:

لم يرق وصول الفرنسيين إلى المحيط الهندي كل من الانكليز والهولنديين، وهو ما دفعهم للعمل من اجل عرقلة التوسع الفرنسي في المناطق التي تخضع لسيطرتهم وهيمنتهم، ولو تطلب الامر استخدام القوة العسكرية- كما رأينا من قبل- . فقد شعروا ان الأهداف

1. Robert.P.E.,History of British India Under the company And The Grown, 1952, P.9 .

2. صالح محمد العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي 1798-1810 ، مطبعة العاني، بغداد، 1989، ص 25-35: بانينكار، ك. م، المرجع السابق ، ص 62.

3. V. Smith ,The oxford History of india ,oxford , 1957, p.456 ;

علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 78.

4. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 63.

الفرنسية المسطرة لهذا التواجد هو تجريدهما من ممتلكاتهما ونشاطهم التجاري في المنطقة. وهذه القناعة - وبالتدرج- جعلت مسؤولي الشركتين الهولندية والانكليزي يعانون من الضغط الفرنسي، والذي اخذ يكلفهما خسائر مادية كبيرة، وهذا الوضع الجديد جعلهما يتناسيا خلافتهما- في الكثير من الأحيان- من اجل توحيد المواقف ضد الفرنسيين، وهذا ما تحقق - على سبيل المثال- في عام 1688، عندما تحالف الطرفان ضد التهديد الفرنسي⁽¹⁾. ان احتدام جهات القتال الأوروبية وتنوع التحالفات السياسية والعسكرية هناك، كان لها اثر في المحيط الهندي، فالصراع الهولندي الفرنسي في أوربا ، وأجواء الحروب انتقلت أثارها إلى هنا، وهذا ما جعل المحيط الهندي في حالة صراع بحري بين القوى الثلاث- الانكليز والهولنديين والفرنسيين-، ولكن كان الانكليز أكثر استفادة في الهيمنة والرسوخ في المنطقة مع نهاية القرن السابع عشر⁽²⁾.

لقد عانت الشركة الفرنسية في نهاية القرن السابع عشر الميلادي من حالة الوهن والضعف، وسبب ذلك، لأنها واجهت رفض كلي وتام من قبل منافسيها في ان تجد منفذ لها في المنطقة، من دون ان يكون ذلك بالقوة والإجبار، إلى جانب الحد من الضغط العسكري عليها من قبلهما. فعلى سبيل المثال بعد انتهاء الحرب الفرنسية- الانكليزية(1689-1697) في أوربا بتوقيع معاهدة روزويك (Ryzwick)⁽³⁾ في يوم 21 سبتمبر عام 1697 ، والتي منحت فرنسا فترة من الاستقرار مكنتها من الالتفات للعمل من اجل إنعاش تجارتها الشرقية⁽⁴⁾. وتمكنت من استعادة ميناء بوندشيري الذي استولى عليها الهولنديون في يوم 16 سبتمبر 1693، وعلى اثر ذلك ، بدأت فرنسا باستعادة تأثيرها في الهند⁽⁵⁾. وفي عام 1698 اتفقت كل من: انكلترا وهولندا وفرنسا على حماية المياه الهندية والعربية من هجمات القراصنة التي أخذت تهددت السفن التجارية- الأوروبية والمحلية-، وكلفت فرنسا حماية السفن التجارية في منطقة الخليج العربي، في حين كلفت هولندا حماية السفن التجارية في البحر الاحمر، بينما كلف الانكليز بحماية البحار الجنوبية⁽⁶⁾.

1. Mukherjee,Ramkrishna,Op.Cit., p.109 .

2. بول كيندي، المرجع السابق، ص 155-156.

3. اوقفت الحرب ونتائجها الطموح الفرنسي في اوربا، كما اضعفت القدرات البحرية التي كانت تملكها من قبل. ينظر: بول كيندي، المرجع السابق، ص 157.

4. محمود شاكر، مرجع سابق، ص 278

5. عبد العزيز عوض، المرجع السابق، ص 230.

6. المرجع نفسه، ص 230.

واستمر الجهد الفرنسي في ترسيخ وجودهم في المحيط الهندي ومنافسة الآخرين في تجارة الشرق، ولاسيما الانكليز. وتمكنت الشركة الفرنسية من إضافة نجاح آخر لوجودها، والذي تمثل في الاستيلاء على جزيرة صغيرة تقع في الجزء الجنوبي الغربي من المحيط الهندي على مقربة من جزيرة مدغشقر، وهي جزيرة موريسيوش- ويسمى الفرنسيون أيل دي فرانس (Ile De France) - في شهر جويلية من عام 1715⁽¹⁾. والتي أصبحت قاعدة لنشاط شركة الهند الشرقية الفرنسية في الجزء الغربي من المحيط الهندي بما في ذلك منطقة الخليج الغربي⁽²⁾. وفيما بعد نجح الفرنسيون من اكتشاف جزيرة أخرى، وذلك في عهد احد حكام جزيرة موريسيوش، ويدعى لابوردنيه (La Bourdonnais) من السيطرة على جزيرة مجاور لها تدعى جزيرة بوربون (Bourbon) في عام 1752، وتم تشييد ميناء (بورت لوى) في جزيرة موريسيوش وأصبح مركز الإدارة لكل من جزيرتي البوربون وموريسيوش. كما قام لابوردنيه في تحصين الجزيرتين وإدخال زراعة نباتات جديدة، مثل: زراعة القطن وقصب السكر والنيلة. كما حاول لابوردنيه بناء أسطول بحري قوى لغرض وضع حد للسيطرة البحرية البريطانية في الجزء الغربي من المحيط الهندي. ولكنه فشل على الرغم من النفقات الكبيرة التي أرقق بها خزينة الحكومة الفرنسية، وهو ما أدى إلى القبض عليه وإجباره على قضاء بقية حياته في الباستيل، وأثناء الصراع الذي دار بين الانكليز والفرنسيين منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر والسنوات الأولى من القرن التاسع عشر الميلاديين، كانت جزيرة موريس تشكل نقطة قلق للمصالح البريطانية في الهند والخليج العربي، ولعل ذلك مما دفع بريطانيا إلى احتلالها في عام 1810، وكان ذلك الاحتلال بمثابة الضربة القاضية التي وجهتها بريطانيا للنشاط الفرنسي في بحار الشرق⁽³⁾،

لقد تمكن الانكليز منذ بداية القرن الثامن عشر أن تتبوأ مكانة دولية مميزة ومؤثرة⁽⁴⁾، وغدت القوة العسكرية الوحيدة القادرة على مواجهة الطموح الفرنسي فيما وراء

1. زكي صالح، بريطانيا والعراق حتى عام 1914: دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري، مطبعة

العاني، بغداد، 1968، ص 66؛ محمود شاكر، المرجع السابق، ص 278؛ V. Smith, Op.Cit., p 456.

2. اكتشف البرتغاليون هذه الجزيرة في عام 1505 ثم احتلها الهولنديون عام 1598 واطلقوا عليها اسم

جزيرة موريشبوش نسبة إلى احد حكامهم ثم خلفهم الفرنسيون في عام 1735 م، ينظر: جمال زكريا

قاسم المرجع السابق، ص 157

3. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 69؛ V. Smith, Op.Cit., p 457.

4. اصبح الانكليز من أكثر الدول تأثيرا علي المستويين الأوربي والدولي، حيث شهدت استقرارا داخليا بعد

استقرار منظومة الحكم علي اثر الثورة الجليلة عام 1688، وانعكس فيما بعد علي تطورها السياسي

والعسكري والاقتصادي، وعندها تبلورت سياستها الاستعمارية في أوروبا وخارجها. ينظر: يوسف حسين

عمر، سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية 1838 - 1909، دار نور للنشر، غزة، 2005، ط 2، ص 17

البحار، وهو ما مكّهم من فرض حصارا محكما على التجارة الفرنسية⁽¹⁾. وفي هذا ما اعترف به احد ضابط فرنسا نابليون بونابرت حين قال: " مهما كانت الجهود التي نبذلها فنحن لعدة سنوات لم نكسب التفوق في البحار... لذا علينا أن نقتنع بالأكفاء بالظهور أمامها بمظهر القوة"⁽²⁾. وفي حين طور الانكليز قوتهم البحرية، واتبعوا سياسة تقوم على أساس عدم الانشغال بالشؤون الأوروبية، إلا في حال الأزمات الخطيرة، والتي تستدعي التدخل المباشر فيها لحماية مصالحها الخاصة، إذ كان على الانكليز تركيز جهودهم على المكاسب التي حققوها في المحيط الهندي⁽³⁾، والتي عادت عليها بفوائد سياسية واقتصادية واجتماعية كبيرة، لذلك فقد كان لزاما عليها أن تعمل للحفاظ على مستعمراتها في الشرق بكل الوسائل الممكنة، سياسية كانت أم عسكرية⁽⁴⁾.

وإذا كان الهولنديون قد مثلوا حالة قلق دائم للانكليز في القرن السابع عشر، فان خطرهم اخذ يتلاشى في القرن الثامن عشر - إلى حد ما-، فان الفرنسيين- في هذه المرحلة- شكلوا معرقل لنمو النفوذ البريطاني في الشرق عموما، ولاسيما في شبه القارة الهندية. وتعتبر الفترة ما بين 1742 - 1773 مرحلة تحول في تاريخ الوجود البريطاني الاستعماري، لأنها سجلت اختراق الفرنسيين لشبه القارة الهندية وتهديدهم المصالح البريطانية فيها. ونشبت نتيجة ذلك معارك طاحنة بينهما في شبه القارة الهندية⁽⁵⁾، لاسيما وان الصراع الفرنسي الانكليزي في شبه القارة الهندية تزامن مع تحقيق الانكليز على معدلات الريح والنجاح في عام 1742، إذ كانت أنشطتها التجارية أكثر اتساعا وأسطولها التجاري أكبر وأكثر انتظاما في رحلاته. وكان مقر إدارة الشركة الرئيسي في بومباي أكثر قوة وتحكم في زمام الأمور من الفرنسيين على الساحل الغربي، بينما كان الساحل الشرقي من الهند قد فقد الكثير من أهميته التجارية، وصارت منطقة تشاندار ناجار أقل فائدة ومنفعة في دلتا نهر الجانك بالنسبة إلى ميناء كلكتا، أما ميناء مدراس فقد بقي يشكل منافسا وندا لبوندشيري في حجم التبادل التجاري وقاعدة لمراقبة الفرنسيين هناك⁽⁶⁾.

1. بول كيندي، المرجع السابق، ص 165.

2. عادل محمد حسن العليان وأيمن عبد الكريم محمود، الصراع الفرنسي البريطاني في أوروبا 1796-1800، مقال منشور في: مجلة آداب الفراهيدي، ع 30، السنة 2017، تكريت، ص 252

3. يوسف حسين عمر، المرجع السابق، ص 21

4. A.V Jackson .Op.Cit.,P.88.

5. للتفاصيل حول هذا الموضوع ينظر:

V. Smith , Op.Cit ,p. 458 -470.

6.Robert.P.E.,Op.Cit., p.94-95 .

وهكذا، ساعد رسوخ نشاط الشركة الانكليزية في الهند وعملهم الجاد في اقامة علاقات جيدة مع الحكام المغول فيها على المحافظة على مصالحهم ، بالرغم من التنافس والتهديد الفرنسي لهم، في حين ان التجارة الفرنسية التي وجدت انتشارا على الساحل الشرقي ، اخذت تتراجع بالتدريج، وانتقل مركز الثقل التجاري إلى الساحل الغربي من الهند، ولهذا، كانت سورات ومن بعدها بومباي، هو مركز النشاط الاقتصادي الانكليزي في الهند⁽¹⁾. وشهد منتصف القرن الثامن عشر، العديد من المواجهات البحرية بين الانكليز والفرنسيين، وذلك من اجل فرض الذات وإظهار معان القوة للأخر، وخلال الفترة ما بين 1745-1747 جرت عدة مواجهات بحرية، وشهدت عمليات كروفر بينهما، علما أن هذه المعارك البحرية بين الطرفين كانت انعكاسا للنزاع الذي كانت تشهده أوروبا انذاك- حرب الوراثة النمساوية-⁽²⁾. ولم يتوقف الجدل البحري بين الدولتين في مياه شبه القارة الهندية الا بعد توقف الحرب في أوروبا وتوقيع معاهدة اكس لاشابيل (Aix la Chapelle) في عام 1748 التي أوقفت حرب الوراثة النمساوية في اوربا⁽³⁾. وقد نصت تلك المعاهدة على استعادتهما لممتلكاتها في أعالي البحار ، فأعيدت سانت لويس في أمريكا الشمالية للفرنسيين وأستعاد الانكليز ميناء مدراس⁽⁴⁾. لتنتهي هذه الجولة من الصراع الانكليزي الفرنسي.

أستعد الطرفان لمرحلة جديدة من الصراع الانكلو-فرنسي، عندما شن روبرت كلايف (Robert Clive) هجوما على أركوت (Arcoot) عاصمة كارناتك، وانطلقت الحملة من مدراس في 26 أوت عام 1751⁽⁵⁾. وقد نجحت الحملة في دحر حاكم كارناتك، الذي قتل في المعركة في يوم 1 جوان عام 1752 وتم الاستيلاء على أركوت، وقد أشعل ذلك الوضع الموقف في جنوب الهند، وأضعف قوة الفرنسيين ودعم النفوذ البريطانية⁽⁶⁾. ولم تجدي محاولات الفرنسيين وحلفائهم من الهنود في استعادة إمارة كارناتك، نتيجة صمود الانكليز وحلفائهم في وجه الهجوم الفرنسي⁽⁷⁾، وعندما حاصر الفرنسيون قلعة سانت ديفيد عام 1752 ، تمكنت قوة انكليزية بقيادة لورانس (Lawrence) من فك الحصار بعد هزيمة القوات الفرنسية، ومن ثم اتجهت القوات الانكليزية صوب تريتشينوبولي (Trichinopoli)، وهناك جرت معركة هنالك

1. V. Smith ,Op.Cit.,p. 456-457.

2. نصير أحمد نور احمد ، المرجع السابق، ، ص 142.

Gardner.B,The East India Company...A History,London,1971,P.56; Robert. P.E., Op.Cit. , P.100 -102.

3. Robert.P.E.,Op.Cit., p.103.

4. Gardner.B. ,Op.Cit., P59 .

5. عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، المرجع السابق، ص 30؛

Clark .D.M.,And David Eldredge.India yesteday and today ,London,1970 ., p.117.

6. Gardner.B. Op.Cit., P.61-62 .

7. Ibid, p. 63; Clark .D.M.,Op.Cit.,P.117 .

التي انتهت بهزيمة الفرنسيين وأسر أكثر من ألف جندي فرنسي عام 1752. وعلى ما يبدو، ان الانتصارات التي حققها الانكليز على حساب الفرنسيين، قد اثارت قلق الحكومة الفرنسية بعد وصول الأنباء إلى باريس، وتم في استدعاء الحاكم العسكري الفرنسي دوبلكس (Duplex) وتعين جودهي (Godeheu) خلفا له عام 1754⁽¹⁾. ويبدو ان الفرنسيون لم يرغبوا في الدخول في صراع مستمر مع الانكليز في الهند، لأنهم يعرفون مقدار القوة البحرية التي يتمتع بها الانكليز في المنطقة، وقد يشكل ذلك خطرا على المستعمرات الفرنسية فيما وراء البحار، فضلا عن كون باريس كانت منشغلة بما يجري في أوروبا وأمريكا الشمالية. وهو الذي دفع الفرنسيين إلى عقد هدنة مع الانكليز في الهند عام 1755.

وجدت السلطات الفرنسية في باريس، إن الظروف تستدعي إيقاف أتون الصراع القائم مع الانكليز في الهند، وأصبح الفرنسيون على أتم الاستعداد لإيقاف الصراع القائم، وبالفعل تم الإعلان الهدنة بينهما في الهند عام 1755، تعهد بموجها الطرفان الانكليزي والفرنسي اتخاذ جانب الحياد من الصراع الدائرين القوى المحلية في الهند، وان يحتفظ كلاهما بالأراضي التي تحصلوا عليها قبل الحرب الأخيرة⁽²⁾. ولكن على ما يبدو، لم تكن الهدنة بالنسبة للانكليز، إلا توقف مؤقت للصراع ومسألة إنهاء الوجود الفرنسي في الهند. وهذا ما حدث بالفعل عندما تمكن الانكليز من السيطرة على بوندشيري - معقل الفرنسيين في الهند- في عام 1760، وأسر القائد الفرنسي بوسي (Bussy)⁽³⁾ خلال حرب السنوات السبع التي اشتعلت في القارة الأوروبية. وهكذا، احكم الانكليز سيطرتهم في الهند بعد انتصارهم النهائي والسيطرة على المقر الرئيس للفرنسيين في الهند⁽⁴⁾.

وشهدت القارة الأوروبية بعد ذلك متغيرات سياسية واقتصادية كنتيجة حتمية لتلك الحروب الداخلية والخارجية- على مستوى شبه القارة الهندية خاصة- فجاءت الثورة الفرنسية 1789 لتغير نظام الحكم في فرنسا، وتتشعل نار حروب أوروبية عدة، وذلك بسبب التحالفات الأوروبية، عندما رفضت الأنظمة الملكية قبول نظام جمهوري في أوروبا آنذاك. وكانت بريطانيا في مقدمة الدول الأوروبية التي رفضت هذه الثورة وما أعلنته من مبادئ. وأدخلت الحروب الفرنسية مع التحالفات الأوروبية، بريطانيا في معمعة الصراع الأوربي، كانت سياسة بريطانيا تقوم على أساس عدم الانشغال بالأمور الأوروبية، الا في حالات الأزمات الخطيرة والتي يصبح معها التدخل ضروري جدا، من أجل دفاع أو رد فعل أي انفراد

1. Gardner. B.Op.Cit., p.64.

2. Ibid, p.64.

3. Clark .D.M.,Op.Cit.,p.117

4. Robert.P.E.,Op.Cit.,p.124

بالشؤون الأوروبية يلغي مكانة بريطانيا عند البريطانيين، ويعتدي على مصالحها الخاصة، بحيث يجب على بريطانيا في هذه الحالة أن تتدخل و بشكل قوي و حاسم ، أما في الأوقات التي تسير فيها الأمور سيراً طبيعياً، كان على بريطانيا أن تركز أنظارها على شؤونها الخاصة وتسعى لحماية تجارتها وأراضيها من أي تدخل من خلال دعمها المتمثل في أسطولها البحري⁽¹⁾.

ولما كان الانكليز نشاطهم التوسعي قائم خارج القارة الأوروبية⁽²⁾، فقد كانت الثورة الفرنسية والحروب التي تلت ذلك، فرصة لهم للانقضاض على ممتلكات فرنسا خارج القارة الأوروبية في كندا والمحيط الهندي. وقد شعر الانكليز بحجم الخطر الفرنسي ، وعبر عن ذلك رئيس الحكومة البريطانية، حين قال: "ان الخطر الوحيد الذي بريطانيا بحاجة للخوف منه، سوف يكون في يوم من الأيام رؤية فرنسا تصل معدلاً ما، كقوة بحرية وتجارية واستعمارية⁽³⁾. وقد اظهرت فرنسا بالفعل قوتها على مسرح الأحداث كدولة قوية ومنافسة- كما لاحظنا من قبل-، وعندما كانت تجد نفسها عاجزة تحقيق مصالحها وأهدافها في ما وراء البحار، كانت احد أدواتها ممارسة القرصنة البحرية في اعالي البحار، مما أثر على حركة الملاحة الانكليزية، وبشكل أجبر بريطانيا على زيادة الإنفاق على حراسة السفن التجارية ، مما انعكس سلباً على المردود الاقتصادي لتجارتها ، وظهر عجزاً في ميزانية الدولة⁽⁴⁾.

وعندما قررت فرنسا إرسال حملتها العسكرية لاحتلال مصر عام 1798 ، شعر الانكليز بخطورة ما يحدث ، وان مصالحها في المحيط الهندي في خطر كبير- ولاسيما الهند- . وتطلب هذا من الانكليز اتخاذ خطوات كثيرة لتأمين مصالحها ، وقطع الطريق على الفرنسيين من الوصول برا إلى الهند، ومنعهم من إنشاء إمبراطورية فرنسية في الشرق

1. يوسف حسين عمر، سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية 1839-1909، دار النور للنشر ، غزة 2016، ط2، ص 16

2. استندت سياسة الانكليز في القارة الأوروبية علي مبدأ توازن القوى (Balance of powers)، و هي السياسة التي أرست قواعدها في وقت متأخر من القرن الخامس عشر الميلادي ، الأمر الذي يعني الحفاظ علي الخريطة الأوروبية فضلاً عن المحافظة علي قوتهم البحرية والتجارية ومصالحها الاستعمارية في الشرق والعالم الجديد، وعمل رجال السياسة البريطانية لقرون عديدة من أجل الحفاظ علي هذه الأسس وعدم المس بها. ينظر: يوسف حسين عمر: المرجع السابق، ص33

3. يوسف حسين عمر: المرجع السابق، ص19

4. عادل محمد حسن العليان، أيمن عبد الكريم محمود: المرجع السابق، ص239

وتعويض ما فقدته من مستعمرات في الهند الغربية⁽¹⁾، وكذلك أرادت قطع طرق المواصلات بين عدوتها بريطانيا ومستعمراتها في الهند، الأمر الذي أثار مخاوف الانكليز من أن يتغلغل النفوذ الفرنسي في بلاد المشرق العربي ، أو تهديد مصالحهم في الهند .

لقد دفعت الحملة الفرنسية على مصر الانكليز إلى الاهتمام أكثر بالهند وطرق مواصلاتها من اي احتمالات خطر قد تهدد مصالحهم هناك. ومن هنا نجدها تتخذ التدابير اللازمة ، ففي الخليج العربي بدأت تتبع سياسة تقوم على اساس منع اي قوة محلية من التعاون مع الفرنسيين، فضلا عن التلوح بالقوة المفرطة لاي قوة تحاول مزاحمتها على مصالحها محلية كانت ام دولية. حتى ان الانكليز راجعوا بعض حساباتهم في سياستهم الدولية، فاعادوا النظر في مسألة المحافظة على الدولة العثمانية، وجعلها حائد صد يمنع قوة مثل روسيا ان تصل إلى مياه الدافنة، او فرنسا في التغلغل في الشرق عبر ممتلكاته، وتاكدوا من ذلك، عندما قال نابليون بونابرت : " لا ضرورة لاستمرار المحاولة للابقاء على الدولة العثمانية لاننا سوف نشهد سقوطها في زماننا⁽²⁾ .

وما يهمننا في مسألة الاجراءات الانكليزية لمواجهة التهديد الفرنسي لمصالحها في الهند وبقاى مستعمراتها في المحيط الهندي، منطقة الخليج العربي ، وكيف حسم الانكليزي مسألة الصراع مع فرنسا فيه.

1. يوسف حسين عمر، الدبلوماسية الفرنسية تجاه المسألة المصرية من بداية الازمة وحتى معاهدة هونكار اسكله سي 1833-1931، مقال منشور في: المجلة الأردنية للتاريخ والاثار، ع 2، مج 11، السنة 2017، عمان، ص 49

2. Ergang ,Robert :Europe since waterllo , Boston ,1954,P. 315.

المبحث الثالث : الصراع الانكلو - فرنسي في الخليج العربي:

كانت الصراع الانكلو فرنسي على المصالح في شبه القارة الهندية علامة مميزة للعلاقات بين البلدين في المحيط الهندي، لان كلاهما يسعى إلى تثبيت مصالحه وفرض هيمنته، وقد لاحظنا ، كيف تمكن الانكليز من حسم الأمر والقضاء التام على الفرنسيين. وفيما يخص الخليج العربي، فقد شهد هو الآخر صراعا شرسا بين الطرفين من اجل المصالح والبقاء. علما أن مسقط وبلاد فارس كانتا تشكلان البؤرتين الرئيسيتين للتنافس الانكليزي الفرنسي حتى مطلع القرن التاسع عشر الميلادي. ويعلق ارنولد ت. ويلسون على أهمية الصراع والتهديد الفرنسي على المصالح الانكليزية في الخليج العربي خلال القرن الثامن عشر الميلادي بالقول: "إن التحركات الفرنسية في الخليج العربي ابان القرن الثامن عشر تعتبر مسالة هامة؛ لأنها مهدت لفترة من النشاط الواسع من جانبهم في المنطقة"⁽¹⁾.

أولا : التنافس على ساحل عمان:

نال الساحل العماني اهتمام القوى الأوروبية منذ دخول البرتغاليين إلى المنطقة مطلع القرن السادس عشر الميلادي، واستمر الحال بالنسبة للانكليز والهولنديين. وفيما يخص الاهتمام الفرنسي في عمان يعود إلى وقت مبكر من دخولهم المياه الشرقية، لكون سواحل عمان تتمتع بأهمية إستراتيجية على الطريق الواصل بين الهند والخليج العربي ومن شرق إفريقيا نحو الهند، ومن الخليج العربي نحو البحر الأحمر وساحل إفريقيا الشرقي، وعليه أصبحت مركز جذب اتجهت إليه الأنظار من اجل الحصول على مركز أفضلية هناك⁽²⁾. وازداد الصراع على المصالح في عمان في عهد أسرة البوسعيد بين كل من الانكليز والفرنسيين.

1. حكم أسرة البوسعيد والتنافس الفرنسي الانكليزي:

بدأ عهد أسرة البوسعيد - الذي استمر حتى عام 1856- بمبايعة احمد بن سعيد البوسعيدي بالإمامة (1749-1783)، ليبدأ عهد جديد في تاريخ عمان⁽³⁾، وهو عهد سلالة

1. ارنولد ت. ويلسون، المصدر السابق، ص 172.

2. صالح محمد العابد، موقف بريطاني من النشاط الفرنسي في الخليج العربي، ص 64.

3. برزت شخصية احمد بن سعيد البوسعيدي والي صحار في عهد دولة اليعاربة، عندما تزعم المقاومة ضد الاحتلال الفارسي لعمان، وذلك بعد استشهاد الإمام سلطان بن مرشد اليعربي في المعركة التي دارت دفاعاً عن صحار عام 1743. وأصبح الجو مهيباً لأحمد بن سعيد من الوصول إلى السلطة بعد ان برزت شخصيته خلال الدفاع عن صحار. واستطاع استرجاع الكثير من المدن العمانية من السيطرة الفارسية وطرد الحامية الفارسية من عمان، وقد كوفي احمد بن سعيد من قبل العمانيين

البوسعيد، وقد جرت البيعة لأحمد بن سعيد في مدينة الرستاق بوصفها المدينة الدينية المعروفة في عمان. وبعد أن حصل على إجماع الحضور على الرغم من معارضة بعض القبائل الغافرية. وكانت أغلبية المؤيدين له من القبائل الهناوية التي ينتمي إليها⁽¹⁾.

أصبحت عمان في عهد احمد بن سعيد- مؤسس أسرة البوسعيد- في أوج قوتها وازدهارها، فهو عمل على استقرار البلاد سياسيا، واهتم بتنشيط الحركة التجارية، فضلا عن امتلاك عمان لأسطول حربي قوي⁽²⁾، إلى جانب أسطولا تجاريا ضخما. وهذا ما جعل النشاط التجاري في عهده يشهد توسعا لم يسبق له نظير في اي من حكام عمان قبله. وأصبحت مسقط من اهم المدن التجارية في الخليج العربي وبحر العرب، وأخذت السفن التجارية الاوربية ترتاد مينائها باستمرار⁽³⁾.

تعود الرغبة الانكليزية في الاستقرار على الساحل العماني بداية تأسيس حكم اليعاربة، في خمسينات من القرن السابع عشر الميلادي، عندما جرى اتصال بينهما في عام 1659 عندما حضر ممثل عن الشركة الانكليزية من اجل التوصل إلى اتفاق لإقامة مركز تجاري انكليزي في ميناء مسقط⁽⁴⁾، ولكنه فشل أمام إصرار الإمام سلطان بن سيف الأول على عدم السماح لأي قوة أوروبية التواجد على الأرض العمانية⁽⁵⁾، و يبدو، أن هذا الموقف يرجع إلى معاناتهم من الاحتلال البرتغالي⁽⁶⁾، ولهذا كان الإصرار والرفض من قبل الإمام

بان تم انتخابه اماماً للبلاد عام 1749، وكانت ذلك إيذانا في بداية لحكم أسرة البوسعيد. ينظر: صالح محمد العابد ، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي 1798-1800 ، (بغداد ، مطبعة العاني ، 1979) ، ص 63 .

1. للتفاصيل ينظر: احمد حمود المعمرى، عمان وشرق افريقيا ، تر: محمد امين عبد الله ، وزارة التراث القومي والثقافة، القاهرة، 1980، ص 69-76.

2. يشير الدكتور عبد الامير محمد امين إلى ان الاسطول الحربي في زمن احمد بن سعيد يتالف من 3 سفن ضخمة مسلحة بالمدفعية، و3 سفن متوسطة الحجم ايضا مسلحة بالمدافع، فضلا عن عدد كبير من الغلافات والسفن الصغيرة المسلحة. ينظر: عبد الامير محمد امين، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر، دارالوراق للنشر المحدودة، بغداد، 2007، ص 81.

3. عبد القادر حمود القحطاني، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة، 2008، ط1، ص 194؛ احمد حمود المعمرى، المرجع السابق، ص 70.

4. عبد العزيز عوض ، المرجع السابق ، ص 124

5. محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 113؛ سليم طه التكريتي ، المرجع السابق، ص 51-55.

6. بعد سقوط هرمز وطرد البرتغاليين منها، قرر البرتغاليون ان تكون سواحل عمان بديلا لها، ولهذا اقاموا التحصينات العسكرية الضخمة في ميناء مسقط وغيرها من المدن العمانية. ولم يتمكن

سلطان بن سيف الأول اليعربي بخصوص دخول أو حصول الأوربيين على امتيازات أو إقامة مراكز تجارية في عمان، ولكن، لم يترك رفض إمام اليعاربة للمطالب الانكليزية إي آثار في العلاقات بين الطرفين، وحرصا على عدم الصدام على الرغم من متابعة الانكليز- بحذر شديد- لتزايد القوة البحرية لأسطول اليعاربة في المنطقة⁽¹⁾. وعندما آل الحكم إلى أسرة البوسعيد، طلب الانكليز من احمد بن سعيد(1744-1783) فتح وكالة تجارية لهم في مسقط، ولكن الأخير رفض الطلب الانكليزي مرة أخرى⁽²⁾. ويذكر مايلز في كتابه (الخليج العربي وقبائله)، أن سبب الرفض هو إتباع احمد بن سعيد ذات السياسة التي كان يتبعها اليعاربة في رفض الوجود الأجنبي في بلادهم.. حين قال: "عندما تولى احمد بن سعيد (الإمامة) أتبع سياسة سلالة اليعاربة بعدم السماح للانكليز ببناء مراكز لهم في مسقط، وجرت محادثات على فترات متقطعة بهذا الشأن، وقد كان تعامله مع الهولنديين والفرنسيين بنفس الطريقة"⁽³⁾.

أما عن علاقة الفرنسيين بعمان، فهي ترجع إلى بدايات ظهورهم في منطقة الخليج العربي أوائل القرن الثامن عشر، وبعد فتح وكالة تجارية لهم في ميناء البصرة، إذ كانت السفن الفرنسية تزور ميناء مسقط، ومن حينها نشأت علاقات صداقة بين الطرفين. تجارية عبر جزيرة موريشيوس وسياسية عبر القنصلية الفرنسية في بغداد⁽⁴⁾.

ويرجع أول اتصال سياسي إلى عام 1749 عندما التقى ممثل فرنسي احمد بن سعيد في مدينة اف⁽⁵⁾. ولكن في ذات العام قام الفرنسيون بمهاجمة ميناء مسقط، وتمكن الأسطول العماني من ردهم، وانسحبت السفن الفرنسية. وكرر الفرنسيون حملتهم مره أخرى في عام 1761 على ميناء مسقط، وهاجم الأسطول الفرنسي القادم من موريشيوس بقيادة الكونت ديستان ميناء مسقط، وأراد الاستيلاء على سفينة شحن انكليزية كانت راسية، ومرة أخرى تمكن الأسطول العماني من منعهم من دخول الميناء من جديد، وإبعادهم من المياه العمانية. وشهدت العلاقات الفرنسية العمانية توترا أخرى، عندما قام الأسطول الفرنسي بالسيطرة

العمانيون من تحرير ارضهم الا بعد معارك طاحنة مع المحتل البرتغالي، وتحقق ذلك في طردهم نهائيا عام 1650. ينظر: ارنولد ت. ويلسون، المصدر السابق، ص 130.

1. جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص 158
2. ارنولد ت ويلسون، المصدر السابق، ص 171؛ عبد الله محمد الطائي، تاريخ عمان السياسي، مكتبة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، 2008، ط1، ص 92.
3. س.ب. مايلز، المصدر السابق، ص 190.
4. ارنولد ت. ويلسون، المصدر السابق، ص 172.
5. المصدر نفسه، ص 190

على البارجة العمانية(صالح)، وهي محملة ببضائع قدر ثمنها (1200000) روبية، ورد على هذا السلوك الفرنسي احمد بن سعيد، بان أمر مصادر جميع السفن الفرنسية التي ترسو في الموانئ العمانية. ووجه إنذار إلى الفرنسيين بإعادة البارجة صالح وتعويضه عن الخسائر التي حدثت، وبالفعل سارعت فرنسا إلى الاعتذار وتعويض الحاكم البوسعيدي عن الخسائر التي تسبب بها العملية الفرنسية وأعادت البارجة إليه ودفعت تعويضاً عن حملتها⁽¹⁾.

لم يستمر الموقف الراض للوجود الأجنبي في عمان قائماً، ففي عهد حكم سعيد بن سلطان بن احمد(1804-1856)، فقد رحب بالتواجد الفرنسي في بلاده، عندما وافق على افتتاح مركزاً تجارياً لهم في بلاده عام 1784، بالمقابل رفض طلب الانكليز في فتح وكالة تجارية لهم في ذات العام⁽²⁾. وقد أحدثت موافقة سعيد بن سلطان على منح الفرنسيين حق أقام وكالة تجارية لهم رفض كبير من الشيوخ ورجال الدين حتى أنهم اجتمعوا في عام 1845 في مدينة المصنعة، وانتخبوا حاكماً جديداً لعمان، مما ادخل البلاد في حالة من الاضطراب⁽³⁾.

وكانت المصالح الفرنسية في مسقط تدار من قبل وكيل محلي، والتي استمرت حتى عام 1798، وقد حالت الظروف التي مرت فيها فرنسا على اثر قيام الثورة الفرنسية عام 1789، وانشغالها بالحروب الأوروبية، من تطوير علاقاتها مع عمان، وألغيت فكرة إقامة قنصلية لهم في مسقط عام 1788⁽⁴⁾. وتراجع النشاط الفرنسي في عمان، دفع نائب الحاكم البوسعيدي حمد بن سعيد بن احمد إلى دعوة القنصل الفرنسي في بغداد لبيعث بمندوب ليكون بمثابة وكيل تجاري لهم في بلاده، وعلى الرغم من هذا التراجع في العلاقات بين الطرفين، ولكنها حافظت على وضعيتها الخاصة حتى تاريخ الحملة الفرنسية على مصر عام 1798⁽⁵⁾. إذ كان هناك عدد من الفرنسيين يعملون لدى حاكم عمان⁽⁶⁾.

1. عبد الله محمد الطائي، المرجع السابق، ص 92.

2. جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص 158.

3. س.ب.مايلز، المصدر السابق، ص 194.

4. جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص 158.

5. كان الغرض من الحملة الفرنسية التي ارسلتها الحكومة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت هو تأمين طريق إلى الهند، التي تعتبر جوهرة المستعمرات الانكليزية في المحيط الهندي، وذلك من اجل اضعاف الموقف الانكليزي، وتخفيف الضغط على فرنسا في اوربا. للتفاصيل عن الحملة الفرنسية على مصر. ينظر: اسماعيل احمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997، ط1، ص 202-220.

6. محمود شاكر، المرجع السابق، ص 262.

وهذا لم يعني إن العلاقات العمانية الفرنسية توقفت عند هذا الحد، ولكن الظروف المتغيرات السياسية والعسكرية التي أحدثتها الثورة الفرنسية أضعفت الروابط ثم إعادتها من جديد، وذلك بعد الحملة الفرنسية على مصر عام 1798، عندما اراد نابليون بونابرت احياء العلاقات العمانية الفرنسية من اجل ضرب المصالح الانكليزية في الهند والخليج العربي⁽¹⁾.

2. الحملة الفرنسية على مصر وانعكاساتها على الموقف الانكليزي في عمان:

لقد أثارت التحركات الفرنسية تجاه عمان، وعملهم الجاد لإعادة إحياء علاقاتهم مع حاكم عمان قلق الانكليز⁽²⁾، واعتبروا ذلك تهديدا لمصالحهم في الخليج العربي خاصة والمحيط الهندي عامة. وان الوقوف بلا اتخاذ أي إجراءات دبلوماسية وعسكرية يعني احتمال نجاح الفرنسيين في مسعاهم وفقدانهم لمصالحهم في الخليج العربي. ووضع الانكليز نصب أعينهم أهمية التحرك لكسب حاكم عمان وتأمين أي تهديد فرنسي من جهتها⁽³⁾.

تمثل الإجراء الانكليزي تجاه عمان في إرسال مبعوث من قبل مقر الشركة الانكليزية الرئيس في بومباي إلى مسقط عام 1798 لإبعاد الفرنسيين و الهولنديين معا من عمان⁽⁴⁾. ويظهر أن الانكليز كانوا قلقين جدا من التقارب الفرنسي العماني، وهم على قناعة من ان الفرنسيين سوف يستغلون ذلك في صالحهم لضرب المصالح الانكليزية في المنطقة، وقد كلف الحاكم العام الانكليزي في الهند المركزي ريتشالد د. ويلزلي (Richard d. Wellesley)⁽⁵⁾، احد

1. علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 157.

2. كانت الفكرة الفرنسية تقوم علي استمالة المشايخ العربية في الخليج العربي، ولاسيما عمان، والانقضاض من خلالها علي الممتلكات الانكليزية في الهند والخليج العربي وباقي مناطق المحيط الهندي. ينظر: قدرتي قلعي، المرجع السابق، ص 389.

3. المصدر نفسه، ص 157-158.

4. محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 113.

5. ريتشارد كولي ويلزلي: من مواليد مدينة دنكان كاستل في ايرلندا في يوم 20 جوان 1760، هو سياسي انكلو ايرلندي ومسؤول استعماري، وهو ينتمي إلى عائلة نبيلة، خلف والده في لقب إيرل مورنينغتون الثاني. في عام 1799 حصل علي لقب نبيل (ماركيز). وتمكن من صنع اسمه لأول مرة كحاكم عام للهند ما بين عامي (1798 - 1805)، وشغل فيما بعد منصب وزير الخارجية في الحكومة البريطانية، ومنصب اللورد ملازم أيرلندا، وكان خامس حاكم عام للهند (1798-1805). في عام 1799، غزا ميسور وهزم تيبو صاحب سلطان ميسور بعد معركة ضخمة، وكان من اشد المعارضين لفكرة ان تجد فرنسا لها موطئ قدم في المحيط الهندي، لذا بذل جهدا مميزا في الحد من الرغبة الفرنسية في هذا المجال، ولعب دورا هاما في الجانب. تزوج ويلزلي مرتين في حياته الاولى من هاسينت غابرييل رولاند خلال الفترة 1794-

موظفيه، ويدعى ميرزا مهدي علي خان، المقيم الجديد في ميناء بوشهر بالذهاب إلى مسقط للتفاوض مع سلطان بن احمد⁽¹⁾، ومعرفة موقفه من الصراع بين الفرنسيين والانكليز، والحصول على تعهد من السلطان بإبعاد الفرنسيين عن ممتلكاته وإقناعه بالسماح بتأسيس مركز لشركة الهند الشرقية الانكليزية في مسقط، والقبول بإحلال طبيب انكليزي بدل الطبيب الفرنسي الذي كان يشرف على صحة الحاكم البوسعيدي⁽²⁾.

وصل ميرزا مهدي علي خان إلى مسقط في يوم 2 أكتوبر عام 1798، وبعد جلسات عديدة من المباحثات مع سلطان بن احمد، تمكن من إقناع الحاكم البوسعيدي على توقيع المعاهدة في يوم 12 أكتوبر 1798، ومن خلال هذه المعاهدة أهدافها السياسية⁽³⁾، والتي نصت على مايلي⁽⁴⁾:

- التأكيد على عرى الصداقة بين الانكليز والعمانيين. ولا يجوز مخالفة هذه المعاهدة بعد توقيعها .
- إبعاد الفرنسيين من ممتلكات الدولة العمانية، فصل الطبيب الفرنسي الذي يعمل في خدمة الحاكم البوسعيدي .
- منع السفن الفرنسية من دخول المياه العمانية.
- والوقوف إلى جانب الانكليز في حال وقعت الحرب بين فرنسا والانكليز ضمن المياه الإقليمية لعمان. مساعدة السفن الانكليزية الغارقة وعدم التعرض لحمولتها.
- السماح للانكليز بإقامة وكالة تجارية في ميناء بندر عباس وتحصينها وتواجد حامية عسكرية انكليزية لحمايتها تتألف ما بين 700-800 جندي.
- اقامة وكالة تجارية للانكليز في مسقط، وعدم الموافقة على تأسيس وكالة فرنسية او هولندية في عمان وتوابعها.

1816، والثانية من ماريان هاملتون في عام 1825 واستمر الزواج حتى وفاته 1842. وله اربعة اولاد.

توفي في نايتسبريدج، لندن، المملكة المتحدة يوم 26 سبتمبر 1842. للتفاصيل ينظر:

https://en.wikipedia.org/wiki/Richard_Wellesley,_1st_Marquess_Wellesley

تاريخ الزيارة في 20 اوت 2020

1. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص عبد الله محمد الطائي، المرجع السابق، ص 108-109.
2. إسماعيل احمد ياغي، العلاقات البريطانية العمانية في القرن التاسع عشر، مقال منشور في: مجلة الدارة، ع 10، السنة 1981، الرياض، ص 122
3. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 199؛ جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص 160.
4. علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 160-161؛ عبد الله محمد الطائي، المرجع السابق، ص 108-109؛ إسماعيل احمد ياغي، المرجع السابق، ص 122-123.

- تقدير الرسوم التي سوف يتم جبايتها على البضائع بيعا وشراء كما هو الحال في البصرة وبوشهر.

وتعتبر هذه المعاهدة أول مظهر للتنفيذ الانكليزي في عمان⁽¹⁾، إذ كان سلطان بن احمد قد رفض من قبل طلبا بفتح وكالة للشركة الانكليزية في مسقط. وعلى ما يبدو، أن سرعة استجابة حاكم عمان للطلب الانكليزي، على الرغم من علاقاته الجيدة مع الفرنسيين، راجع إلى اطلاعه على قوة الانكليز البحرية وتفوقهم في البحار، فضلا عن مركزها القوي في شبه القارة الهندية، علما ان عمان تعتمد في نشاطها الاقتصادي على التجارة مع الساحل الغربي من الهند⁽²⁾.

لقد اعتبرت الاتفاقية بمثابة نصر دبلوماسي للانكليز. وتظهر نصوص الاتفاقية أنها حققت للانكليز أهدافهم السياسية بعرقلة النشاط الفرنسي في المحيط الهندي ووضع أسس لمصالحهم واستقرارها في عمان، لان سواحل عمان كان مهمة للانكليز، لما لها من أهمية على الطريق الواصل بين الهند والخليج العربي. وان نجاح الانكليز في تأمين وجود لهم في عمان يعني حماية المصالح البريطانية في الخليج العربي⁽³⁾. واعتبر الكاتب الروسي لوتسكي إن توقيع سلطان بن أحمد على المعاهدة بداية فقدان عمان لاستقلالها السياسي⁽⁴⁾. ويبدو لي إن هذا الرأي قريب إلى الواقع، لان الأحداث فيما بعد، أثبتت ان عمان لم تعد البعبع الذي يخيف الانكليز، وانما على العكس، كانت حملا وديعا، يستجيب لأوامر ورغبات الانكليز.

وعلى الرغم من التقارب الذي حدث بين العمانيين والانكليز، الا أن سلطان بن احمد (1793-1804) حاول جهد الإمكان الاحتفاظ بعلاقاته الحسنة مع الفرنسيين، واستمرت العلاقات التجارية بين جزيرة موريشيوس الفرنسية، التي كانت تعود بالفائدة على العمانيين بشكل كبير⁽⁵⁾.

1. تعتبر هذه المعاهدة اول معاهدة توقع بين دول عربية والانكليز علي وجه الإطلاق، ينظر: علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 160.
2. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 199.
3. محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 112.
4. لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية الحديث، دار الفارابي، بيروت، 2007، ط9، ص 166.
5. عبد الله محمد الطائي، المرجع السابق، ص 109.

3. استمرار الرغبة الفرنسية في عمان والموقف الانكليزي منه:

ان بقاء تقاربا فرنسا عمانيا كان بالنسبة للانكليز تهديد حقيقي لمصالحهم، ووسيلة للفرنسيين لاختراق مناطق النفوذ الانكليزية في الخليج العربي والهند. وقد عاتب الحاكم الانكليزي في بومباي جوناثان دنكان (Jonathan Duncan) سلطان بن احمد على استمرار التعاون بينه والفرنسيين عبر استقباله لوفد فرنسي، وكذلك رفضه تسليم أملاك تيو صاحب الذي أعلن تمردة على الانكليز في الهند، كما لام دنكان الحاكم البوسعيد المعاملة السيئة التي عوم لها السير بلانكيت (Blanket) عند مروره في زنجبار في شرق إفريقيا، التابعة للدولة العمانية. وكذلك شراء سلطان بن احمد السفن الانكليزية التي كان يستولي عليها الفرنسيون خلال عمليات القرصنة⁽¹⁾.

وعلى الرغم من الضربة القوية التي تعرضت لها فرنسا، بعد نجاح الانكليز في عقد معاهدة مع عمان، ولكن نابليون بونابرت حاول استمالة سلطان بن احمد إلى جانب الفرنسيين ومساعدتهم في الوصول إلى الهند. مذكرا إياه بالصدقة التقليدية بين البلدين⁽²⁾. وكتب إليه رسالة من القاهرة في 25 جانفي عام 1799، جاء فيها: "اكتب إليك هذا الخطاب لكي أعرفك بوصول الجيش الفرنسي إلى مصر، وبما أنك صديق لفرنسا فأنت مقتنع بأن رغبتنا هي حماية كل البواخر التجارية التي نرسلها إلى السويس، وأرجو أن تخبر تيبو صاحب"⁽³⁾. ولكن وقوع هذه المراسلة⁽⁴⁾ إلى سلطان بن احمد، وكذلك تيبو صاحب. قد نهت الانكليز من خطورة الموقف، وتهديد تحرك نابليون بونابرت للمصالح الانكليزية في الخليج العربي والهند⁽⁵⁾.

لقد وجه الانكليز اللوم إلى حاكم عمان، وشعر بخطورة الموقف في حال إذا ما فكر الانكليز اتخاذ اي موقف معادي له، وهو الذي يواجه تهديدات إقليمية من قبل القوى مثل: القواسم، وال سعود وكذلك الفرس. فأصبح الإذعان للمطالب الانكليزية شر لا بد منه، لتدارك اي سلوك انكليزي يهدد كيان دولته. والغاية كانت إيقاف تأثير العاصفة الانكليزية إذا

1. عبد الله محمد الطائي، المرجع السابق، ص 109.

2. جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص 167

3. س.ب. مايلز، المصدر السابق، ص 196.

4. اعترض الرسالتين الكابتن ولسون الوكيل الانكليزي في مخا، وأرسلهما إلى بومباي. ينظر: صالح محمد

العابد، المرجع السابق، ص 201.

5. جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص 181.

ما هبت⁽¹⁾. وعلى ما يبدو، ان الانكليز قد استشعروا القلق الذي كان عليه سلطان بن احمد، وارادوا الاستثمار فيه، وكما يقول المثل: اطرق الحديد وهو ساخن، لهذا بادرانكليز إلى ارسال مبعوثا اليه، من اجل التفاوض – وبشكل ادق الضغط عليه- للحصول على اكبر قدر من المكاسب. وهو ما سيتحقق بالفعل.

وجاء قرار الحاكم العام المركزي ويلزلي بسرعة ارسال مبعوث لمقابلة حاكم عمان، وتقرر إرسال العقيد جون مالكولم (John Malcolm)⁽²⁾ - الذي كان في طريقه مبعوث إلى بلاد فارس- لمقابلة سلطان بن احمد ، والذي التقاء على متن احد السفن العمانية الراسية على مقربة من جزيرة قشم (سفينه جنجافا). وذكره مالكولم انما يقوم به يخالف المعاهدة التي وقعت في عام 1798، مطالباً اياه بضرورة توقيع معاهدة جديدة من اجل تقوية عرى العلاقة بين الطرفين. وقد ذكر حاكم عمان من ان بلاده قد طردت الفرنسيين من جميع ممتلكاتهم في الشرق، ما عدا جزيرة موريشيوس، كما ذكر حاكم عمان بما ستؤول اليه التجارة العمانية- التي تعتمد اعتماد كلي على موانئ ساحل غرب الهند- في حال غلق تلك الموانئ بوجه العمانيين⁽³⁾. وكان رد حاكم عمان سلطان بن احمد على طروحات جون مالكولم الذكية ، بان اخبره من انه يرغب في تعزيز تحالفه مع الحكومة الانكليزية في مختلف المجالات⁽⁴⁾.

وبناء على المعطيات السابقة، فقد تم التوصل بين الانكليز وحاكم عمان البوسعيدي إلى توقيع معاهدة جديدة في 18 جانفي عام 1800 التي تضمنت بندين فقط، الاول: هو تاكيد بنود معاهدة عام 1798، والثانية أكدت بنود الاتفاقية السابقة لعام 1798، وأضيفت اليها

1. علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 163.

2. السير جون مالكوم : ضابط ومسؤول استعماري ودبلوماسي ولغوي ومؤرخ، ولد في اسكتلندا يوم 2 ماي 1769، ينتمي إلى عائلة نبيلة كانت في خدمة الملك، وقد ترك دراسته بعد حصل علي منصب في شركة الهند الشرقية الانكليزية عندما التحق في مدينة مدراسفي جيش الشركة الانكليزية. وخاض اولي المعارك العسكرية في عام 1790 في ميسور الهندية، وبعدها انتقل إلى الخدمة السياسية في عام 1798، تميز بالنشاط والجرأة والطموح. تقلد مناصب سياسية عديدة في حكومة الهند، منها: سفير في بلاد فارس، حاكم بومباي خلال الفترة 1827-1830، اهتم خلال وجوده في الشرق باللغات الشرقية، فأجاد الفارسية واستفاد كثيرا منها في عمله. وكانت له صولات وجولات في الخليج العربي، وهو منظر السياسة البريطانية في الخليج العربي. انتخب عضوا في مجلس العموم البريطاني عام 1831، له العديد من المؤلفات ، تزوج من مارغريت باسلي. توفي في العاصمة الانكليزية لندن في يوم 30 ماي 1833، ودفن في مقبرة وستمنستر. للتفاصيل ينظر: https://fr.wikipedia.org/wiki/John_Malcolm ، تاريخ الزيارة في : 21 اوت 2020.

3. J.w .Kaye, The life and the correspondence of :Major – General sir John Malcolm, Vol. 1 , london, 1865, P . 108-109.

4 . Ibid, p.110.

بنودا جديدة، لكن لم يحدد وقتا لانتهائها. ومن ثم تتبع مثل هذه الاتفاقيات مع ساحل عمان فيما بعد و التي يمكن أن نسميها بالمعاهدات الأبدية حيث ورد نص في اتفاقية 1800، الذي يقول: "تستمر علاقات الصداقة القائمة بين عمان وبريطانيا إلى أن تتوقف دورة الشمس والقمر"⁽¹⁾. كما نصت الاتفاقية على ان يكون هناك مقيم انكليزي، وهو ما لم يحدث من قبل، وهو لدلالة على قوة الموقف الانكليزي، وتصيدهم للفرص التي جاءتهم نتيجة الرسالة التي بعثها بونابرت إلى الحاكم البوسعيدي⁽²⁾. وعين الطبيب ارشيبالد بوجل (Archibald Bogle) كاول مقيم انكليزي في مسقط⁽³⁾.

وبذلك نجح البريطانيون في عقد اتفاقية 1800 بعدما بذلوا محاولات كثيرة للسيطرة على عمان طوال الفترة الماضية واستغلوا انشغال الفرنسيين بثورتهم وتطوراتهم، وكذلك انشغال العمانيين بالصراع الداخلي بين الإمامة والسلطنة التي كانت تحاول در الخطر رأس الخيمة بقيادة القواسم وغارات النجديين مما جعلها تترمي في أحضان الاستعمار الانكليزي الذي كان يترقب مثل تلك الفرصة حتى يمد نفوذه إلى شرق إفريقيا التي تحت حكم العمانيين⁽⁴⁾، ولم ينفذ النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي حتى كانت بريطانيا قد أكملت سيطرتها على الموانئ الرئيسية في عموم الساحل الجنوبي من الجزيرة العربية ابتداء من مسقط و ظفار و حضرموت حتى عدن والخليج العربي وبذلك يمكن القول بأن اتفاقية 1798 كانت موطئ قدم الاستعمار البريطاني في المنطقة في عمان، ومن ثم كامل الخليج العربي⁽⁵⁾. بمعنى آخر تتويج لمجهود امتد لقراءة قرنين من الزمان من جانب الانكليز من اجل تكريس وجودهم في الخليج العربي⁽⁶⁾.

ولم ينتهي التنافس والصراع بين الانكليز والفرنسيين على المصالح والهيمنة في عمان، وإنما على العكس، كان الفرنسيين بين الحين والآخر، يحاولون ايجاد منفذ لهم في عمان، نظرا لحساسية موقعها الاستراتيجي على طرق التجارة في المحيط الهندي⁽⁷⁾. بالمقابل لم تحد

1. جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص 182.
2. هادي طعمة، الخليج العربي في الستراتيجيات الاستعمارية والبريطانية خاصة، وزارة الإعلام، بغداد، 1971، ص 26.
3. اسماعيل احمد ياغي، المرجع السابق، ص 123.
4. محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 115.
5. خلدون النقيب، المجتمع والدولة في الجزيرة العربية (من منظور مختلف)، مركز الدراسات الوحدة العربية، الكويت، 1987، ط 5، ص 78.
6. هادي طعمة، المرجع السابق، ص 26.
7. علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 158.

اتفاقية 1800 من التقارب الفرنسي- العماني بل استمرت عمان الساحل تغير سياستها تجاه كل من بريطانيا وفرنسا تبعا لقوة إحدى هاتين الدولتين مستغلة موقعها الاستراتيجي على رأس الطريق الواصل من بومباي إلى الخليج العربي و البحر الأحمر مما جعلها محط أنظار القوى الأوروبية الاستعمارية مثل فرنسا وبريطانيا فدار بين هاتين الدولتين تنافس من أجل إيجاد علاقات قوية مع ساحل عمان. وأرادت مسقط الاستفادة من ذلك لصالحها و لكنها لم تنجح نظرا لضعفها والمشاكل الداخلية التي أثرت على حكمها مما جعلها تعتمد على القوة الاستعمارية الأوروبية وخاصة بريطانيا لمساعدتها بل لحمايتها من الاضطرابات الداخلية التي قد تمتد إلى مسقط وبالتالي على حكم البوسعيد ومن ثم المصالح البريطانية⁽¹⁾.

وعندما رفضت بريطانيا تقديم المساعدة لحاكم عمان في الاستيلاء على البحرين عام 1801 اتجه إلى الفرنسيين الذين انتهزوا هذه الفرصة، و قدموا له الدعم اللازم، وكانت هذه الخطوة هو تحد وتجاهل من قبل حاكم عمان لاتفاقية الموقعة مع الانكليز عام 1800، وتزامن ذلك مع تنامي كبير للرغبة الفرنسية في استعادة مركزها في الشرق⁽²⁾. وعلى الرغم من مقتل سلطان بن احمد عام 1804 ومجيء بدر بن سيف إلى الحكم إلا أن التقارب الفرنسي العماني أستمروا، وأخذت السفن الفرنسية تتوافد بكثرة على الموانئ العمانية لتزود بالمياه والمؤن. وقد أثار ذلك الانكليز الذين أوفدوا الكابتن ستون (ston) إلى العاصمة العمانية مسقط ليعيد فتح دار المقيمة لإثبات وجود الانكليز هناك و تذكير حاكمها بالالتزامات العمانية اتجاههم⁽³⁾.

لكن وصول سعيد بن سلطان إلى الحكم عام 1806 جعل الصراع البريطاني- الفرنسي يشتد بعدما أغتصب سعيد الحكم بالقوة، و بالتالي فانه بحاجة إلى دعم خارجي لحكم داخلي فتطلع إلى المساعدة من كل منهما دون إغضاب الأخرى في الوقت الذي كانت العلاقات البريطانية الفرنسية تمر بتوتر شديد في بحار الشرق ، وكتب سعيد بن سلطان إلى حاكم بومباي يؤكد علاقات المودة بينهما الا أنه لم يرد لأنه أعتقد بأن سعيد بن سلطان يريد مساعدة بريطانية ضد غارات النجديين من جراء مساعداتها لعمان⁽⁴⁾.

1.محمد حسن العيدروس، المرجع السابق ، ص116

2.صلاح العقاد ، المرجع السابق، ص 23

3. نتاليا نيكولايفنا تومافيتش، المرجع السابق، ص210

4.محمد حسن العيدروس، المرجع السابق ، ص114

4. الهيمنة الانكليزية على عمان:

خلال الفترة ما بين 1798-1810 ، والتي ترتبط بحدثين هامين في اطار الصراع الانكليزي الفرنسي، الاول الحملة الفرنسية على مصر 1798، والثاني هو انتزاع الانكليز جزيرتي موريشيوس والبوربون من السيطرة الفرنسية في نهاية عام 1810. وخلال هذه الفترة كان على الانكليز ان يواجهوا امور خطيرة - كما رأينا- تتمثل في الانتهاكات التي كانت تقوم بها السفن الحربية الفرنسية وعمليات القرصنة ضد المصالح الانكليزية، كما كانوا قلقين من النشاط الفرنسي داخل عمان، ومحاولتهم تثبيت أقدامهم فيها⁽¹⁾.

ولكن نجاح الانكليز في فرملة طموحات نابليون في الوصول إلى الهند من خلال حملته على مصر، وتمكنهم من السيطرة على جزيرتي موريشيوس والبوربون . وكان ذلك، عبر سياسة قائمة على شقين الأول سياسي والثاني عسكري، تمكن الانكليز من إحكام قبضتهم البحرية على المحيط الهندي- بكل مياحه-⁽²⁾. وكان لذلك تأثير واضح على موقف حاكم عمان، ولهذا، لم يتردد سعيد بن سلطان (1806-1856) في ربط مصير بلاده بالانكليز، وحافظ على صداقتهم لكونه بحاجة لهم في صراعه مع القواسم وال سعود⁽³⁾. بالمقابل كان الانكليز بحاجة إلى حليف قوي مثل حاكم عمان يساعدهم في القضاء على خطر القواسم الذين شكلوا تهديدا للمصالح الانكليزية في الخليج العربي⁽⁴⁾.

وخلال الفترة ما بين 1822-1845 وقع سلطان بن سعيد العديد من المعاهدات ذا أهمية بالغة بالنسبة للانكليز، مثل معاهدة تجارة الرقيق عام 1822- وكانت مصدرا من مصادر الثراء للتجار العمانيين-، وفي عام 1830 وقع سلطان بن سعيد على معاهدة تجارية التي حملت العديد من الامتيازات للانكليز، ومعاهدة أخرى في عام 1839 أعطت الحق للأسطول الانكليزي من تفتيش جميع السفن في المحيط الهندي والخليج العربي. وفي عام

1. ارنولد ت. ويلسون، المصدر السابق، ص 174.

2. جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص 184

3. تعرضت عمان لهجمات متكررة من جانب ال سعود، وتمكن هؤلاء من إلحاق هزائم متكررة بالعمانيين في الاعوام: 1809 و 1810 و 1813. لهذا لم يجد في غير الانكليز الحليف الذي يمكن ان يساعده في إيقاف الزحف السعودي. وبناء عليه شارك في الحملات العسكرية الانكليزية علي مشيخة راس الخيمة التي كانت موالية لال سعود، في الاعوام 1809 و 1816 و 1819، والتي انتهت بخضوع راس الخيمة والمشيخات المجاورة للانكليز، واجبارها علي توقيع معاهدة عام 1820. ينظر: اسماعيل احمد ياغي، المرجع السابق، ص 124.

4. علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 165.

1846 عقدت اتفاقية كمركية حددت بموجها الرسوم بنسبة 5 % ، بينما اعفيت الواردات الانكليزية من الرسوم الكمركية⁽¹⁾.

ويتضح مما سبق، إن الانكليز أصبحوا أصحاب نفوذ كبير في عمان ويبدو ذلك واضحاً من خلال اعتماد السيد سعيد عليهم في القضاء على حركات المعارضة الداخلية. كما اعتمد على الدعم الانكليزي له في مواجهة القواسم وال سعود. واستمرت تلك العلاقات الودية بين عمان وبريطانيا دون ان تشوبها شائبة طيلة عهد السيد سعيد بن سلطان لحين وفاته عام 1856⁽²⁾. وهكذا، استطاع الانكليز من تحقيق غايتهم في جعل عمان تدور في فلكها، وتكون واحدة من القواعد التي انطلقت منها لتأكيد هيمنتها في الخليج العربي.

ثانياً: التنافس الانكلو فرنسي في بلاد فارس:

كانت كل الدلائل تشير انه خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، إن الجهود والنشاط الدبلوماسي والسياسي والعسكري الذي قام به الانكليز سيتوج باستعمار منطقة الخليج العربي. وفي غضون ذلك أعار الانكليز اهتمامهم لبلاد فارس بالدرجة الأولى. وكانت المخططات العامة للتوغل في منطقة الخليج العربي قد تم وضعه من قبل الإنكليز منذ نهاية القرن السادس عشر الميلادي. وبحسب هذه المخططات عمل المقيمون والوكلاء السياسيون الانكليز. تكريس وجودهم على ارض بشكل واضح ومباشر، وكان هدفهم ينصب في الاستيلاء على كل ما يمكن ان يسهل البقاء الانكليزي إلى أطول فترة ممكنة. وإلى جانب إنشاء الوكالات التجارية، والمراكز السياسية، وصولاً إلى القواعد العسكرية⁽³⁾.

1. جوان مالكوم ومخطط الهيمنة الانكليزية على الخليج العربي:

ففي أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، كان جون مالكولم قد وضع مخططاً دقيقاً لاستعمار منطقة الخليج العربي. وكان المنفذ المباشر له. وجون مالكولم هو أحد ضباط جيش الاستعمار في الهند. ويعد من أكثر الشخصيات تجهماً من بين الذين ظهروا في أفق الخليج العربي منذ ظهور الفونسو دي البوكيرك البرتغالي. ثم تقلد منصب حاكم بومباي، وهو ثاني منصب من حيث المكانة والأهمية في المستعمرة الهندية، ويأتي بعد منصب الحاكم

1. ارنولد ت. ويلسون، المصدر السابق، ص 180؛ اسماعيل احمد ياغي، المرجع السابق، ص 128-130.

2. علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 165.

3. للتعرف علي تطور الادارة البريطانية في الخليج العربي، ينظر: هدى محمد عبده عثمان، الادارة

البريطانية في الخليج العربي 1947-1971، مقال منشور في : مجلة حوليات المؤرخ المصري، ع 10،

السنة 2015، القاهرة، ص 9-81.

العام. وأثناء عمله في هذا المنصب أمسك بجميع خيوط السياسة البريطانية في المحيط الهندي. وقد عمل على تنفيذ المخطط الانكليزي للهيمنة على الخليج العربي، والذي يمكن تلخيصه في النقاط التالية⁽¹⁾:

1. سهولة كسب والتعامل مع القوى السياسية منطقة الخليج العربي، ويمكن تحويلها إلى أداة طيعة تخدم سياسة الانكليز في المنطقة، ومن ثم جعلها مستعمرات لها.

2. وجوب تأسيس قاعدة مكتملة الجوانب في الخليج العربي، بحيث تصبح سوقا للبضائع الإنكليزية، ومكانا لإجراء المباحثات السياسية، ومستودعا للذخيرة الحربية، لاستخدامها عند الضرورة. كقوة قادرة على طرد الأمم الأوربية الأخرى المنافسة في هذه المنطقة، مع إمكانية إجراء مفاوضات سياسية في نهاية المعارك التي لا بد منها .

3. وتضمنت الرؤية الاستراتيجية ان يكون الانكليز قادرين على ترغيب وترهيب جميع الدول في المنطقة؛ وقادرة أيضا على إقامة أي علاقة بالشكل الذي يرضي الأمة الانكليزية .

4. تأمين منطقة الخليج العربي، ستمكن الانكليز من الحصول على كل ما يرغبوا فيه. ويمكن تهديد قوى المنطقة، مثل: بلاد فارس، وجزيرة العرب، والدولة العثمانية.

ومن أجل تنفيذ ذلك اقترح جون مالكولم في مخططة، مباشرة الاستيلاء الاستعماري حتى يتم سبق المنافسين، وقبل ذلك توجيه ضربة إلى جزيرة خرج. ومما كتبه مالكولم في مذكراته حول هذه الجزيرة: "كلما أمعنت النظر في هذه الجزيرة، زاد يقيني بإمكانية تحويلها إلى واحدة من المستوطنات المزدهرة في آسيا. وكونها تقع على طريق يبعد بضع ساعات عن بوشهر وبندر بيق والبصرة والبحرين، يمكن أن تصبح في ظل إدارة قوية منطقة نشطة لتجار الدولة العثمانية، وجزيرة العرب، وفارس. وعلى الرغم من صغر هذه الجزيرة إلا أنها قادرة على إطعام عدد كبير من الناس، الذين يقيمون فيها عندما تصبح سوقاً تجارية. وأنا لا أستطيع أن أنظر إلى هذه الجزيرة دون أن يجول في خاطري أن الأعداء سيحملون الحكومة البريطانية، على الاستيلاء عليها. وأعتقد أنني سأكون المنفذ الرئيس لهذا المخطط⁽²⁾ .

1 . J.W . Kaye, Op.Cit, P.406.

2 . Ibid, p. 406.

تعلم جون مالكولم من الخبرة التي أكتسبها الانكليز في انتهاجها سياسة الاستعمار على مدى قرنين في المحيط الهندي ضرورة الانتباه جيداً إلى أن ظهور قوات عسكرية لمستعمرين في بلدان الشرق، لا بد أن يثير هيجان (أي مقاومة) السلطات المحلية، والسكان. وبغية درء المقاومة المناوئة للإنكليز نصح مالكولم بضرورة العمل على تأجيج النزاعات، والخلافات الداخلية، وما يرافقها من انحطاط وتدهور. ويلخص مالكولم حديثه بالقول إنَّ اتباع هذا الأسلوب سيمكن الحكومة تنفيذ سياستها مستقبلاً بأقل النفقات والمصاريف. وهكذا ورد في المخطط البريطاني بحياكة جون مالكولم الأهداف التي يتوخاها الإنكليز بشكل دقيق جداً. وتمت الإشارة إلى ضرورة مراقبة منطقة الخليج العربي، وجعلها سوقاً لترويج البضائع الإنكليزية، ومركزاً سياسياً لبريطانيا في الشرق الأوسط، وقاعدة حربية يمكن للإنكليز الاعتماد عليها، والوقوف في وجه أي منافس لهم، والقيام بأعمال حربية ضد فارس، وجزيرة العرب، والدولة العثمانية. ضمن المجالات التي تسمح لهم بالتصرف هنا كما في الهند تماماً⁽¹⁾.

ونلاحظ أن مخطط جون مالكولم لم يذكر ذريعة الدفاع عن الهند ولو مرة واحدة. والمهم جوهر القضية الذي هو تسويق لصور وأشكال الاستعمار البريطاني لمنطقة الخليج بكامله مما يدل على أن هذا المخطط وضع من قبل مفكرين سياسيين، وليس هذا تفكير جون مالكولم (منطق عسكري) الذي وضع لتنفيذ ما جاء به منظري السياسة الاستعمارية البريطانية. كان لعبقرية الاستعمار البريطاني، أن وظف خطط نابليون المشبعة بروح المغامرة تجاه الهند⁽²⁾، من أجل المزايدة والتدرع⁽³⁾. والواقع إن هذه الخطط النابليونية خدمت الدعاية الإنكليزية خدمة جليلة على مدى قرن كامل من الزمان، فقد توارت خلفه سياسة الاستعمار البريطاني في منطقة الخليج عن أعين الرأي العام العالمي. و سارت سياسة بريطانيا الاستعمارية في منطقة الخليج العربي وفقاً لهذا المخطط، على الرغم من أن تنفيذه بالحجم الكامل تطلب وقت طويل.

1 . J.w. kaye, op.cit., p. 406.

2. أثبتت الحملة الفرنسية علي مصر، والمخطط الفرنسي بخصوص استغلال المسارات البرية العربية في المشرق العربي ومنها عبر الخليج العربي وبلاد فارس الاتجاه نحو الهند، أهمية الخليج العربي في إستراتيجية الدفاع عن المصالح الانكليزية في الهند. ينظر: قدرى قلعي، المرجع السابق، ص 389-390.

3 . J.w. kaye, op.cit., p. 407.

2. الحلبة الفارسية والتصارع الفرنسي الانكليزي:

بالعودة إلى الصراع والتنافس الانكليزي والفرنسي، وتحديدًا في بلاد فارس نجد أن الصورة تختلف هذه المرة عن طبيعة التنافس والصراع الذي كان قائمًا بينهما في عمان، لأن الصراع في بلاد فارس شهد دخول طرف ثالث في المعادلة، واستغل كأداة ووسيلة وغاية ودافع للضغط من خلاله على الفرس، واستخلاص منهم الامتيازات والمصالح، واعني هنا روسيا القيصرية⁽¹⁾، وتهديدها من شمال بلاد فارس، إذ تنامي منذ نهاية القرن الثامن عشر الميلادي التهديد الروسي للأراضي الفارسية، وكان الطموح الروسي يتحرك باتجاه إيجاد موطن قدم لهم في الخليج العربي، في إطار فلسفة القياصرة الروس في الوصول المياه الدافئة. وهذا النشاط الروسي سبب هو الآخر إرباكا للمخططات الانكليزية في الخليج العربي وبلاد فارس- وحتى في مستعمراتهم في الهند⁽²⁾.

ولابد من الإشارة هنا، إلى أن بلاد فارس عاشت حالة من الانحلال الاقتصادي والسياسي منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي، وذلك نتيجة حالة عدم الاستقرار السياسي، والذي دام حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، إذ شهدت بلاد فارس عددا من الانتفاضات وحركات التمرد، لاسيما بين شعوبها غير الفارسية من أفغان وأرمن وتركمان وكرد واذريه وجورجية، فضلا عن تزايد مؤامرات البلاط التي تحولت ظاهرة من ظواهر تاريخ بلاد فارس السياسي⁽³⁾. وقد شهد نهاية القرن الثامن عشر انتقالا سياسيا في بلاد فارس، بوصول أسرة جديدة إلى سدة الحكم، وهي الأسرة القاجارية⁽⁴⁾، وذلك على يد

1. استغل القياصرة الروس الاوضاع المضطربة التي كانت قد شهدتها بلاد فارس خلال القرن الثامن عشر الميلادي، وتمكنوا من الاستيلاء علي عدد من المدن والمناطق وضمها لبلادهم
2. للتفاصيل ينظر: مصطفى عبد القادر النجار، العلاقات الدولية لروسيا والاتحاد السوفيتي بالخليج العربي، مقال منشور في مجلة: الخليج العربي، ع2، السنة 1975، البصرة.
3. كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، مطبعة اركان، بغداد، 1985، ص 9-10.
4. الأسرة القاجارية: تنسب الأسرة القاجارية إلى اتراك سهل قبيجا، وهم في الاصل من العنصر المغولي، جاؤا مع جند جنكيز خان واخلافة من منغوليا إلى البلاد الإسلامية، وسكنوا في المنطقة الممتدة من بلاد الشام إلى بلاد فارس، وتركزوا بشكل كبير في ارمينيا، ولعب القاجار دور سياسي مميز في دعم الأسرة الصفوية وارتقاؤها للحكم. وسرعان ما شهدت القبيلة القاجارية صراعا داخليا بين جناحين احدهما بوخاري باش والثاني أشاقة باش علي الزعامة، حتى تمكن فرع اشاقة باش من تبؤا قيادة القبيلة. وبمرور الوقت، مع تزايد حالة عدم الاستقرار في بلاد فارس، لعبت القبيلة دورا في توازنات القوى المحلية حتى وثبت إلى الحكم بقيادة اغا خان الذي اعلن نفسه شاها علي بلاد فارس ومؤسس أسرة ملكية جديدة هي الأسرة القاجارية في عام 1785. للتفاصيل ينظر: حسن كريم الجاف، موسوعة تاريخ

مؤسسها محمد أغا خان القاجاري⁽¹⁾. وقد تزامن ذلك التغيير السياسي مع جملة من التطورات الدولية⁽²⁾، وفتح ذلك تنافسا بين كل من الانكليز والفرنسيين لتثبيت مصالحهم وتحقيق غاياتهم.

اشتغلت فرنسا على مسالة ترسيخ نفوذها في بلاد فارس والإضرار بالمصالح والوجود الانكليزي في بلاد فارس والخليج العربي بمختلف الاتجاهات. إذ اهتمت بإرسال البعثات العلمية بظاهرها استطلاعية بمضمونها او دبلوماسية من أجل نسج خيوط مصالحها، رأت أن مثل هذه البعثات كفيلة بالعمل لتكريس مصالحها وتضييق الخناق على منافسهم الانكليزي في بلدان الشرق⁽³⁾، ولعل من أبرز هذه البعثات التي أرسلت، نذكر: بعثة أوليفير وبروجير (Oliviere et Bruguiere) التي حلت بمنطقة الخليج في أوائل شهر جويلية عام 1796، وعلى الرغم من أن هذين المبعوثين كانا من علماء الطبيعيات، بقيا قرابة خمس سنوات يتنقلان بين مدينتي اسطنبول والقاهرة، وكان من أهم توصياتهما الاحتلال الفرنسي لمصر⁽⁴⁾، وصلت البعثة أيضا إلى طهران⁽⁵⁾ وأجرت مباحثات لتمتين العلاقات التجارية والسياسية مع بلاد فارس، بزعم أن فرنسا تهتم الان بإقامة مثل هذه العلاقات أكثر من السابق. كما حاولا أيضا دفع بلاد فارس إلى شن الحرب على روسيا القيصرية، إلا أنه يجب النظر إلى هذه البعثة على أنها بعثة استطلاعية دبلوماسية محضة، إذ غادر هذان الرجلان طهران دون أن يحققا أي نتيجة، إذا لم تأخذ بالحسبان التأكيدات الشفهية بأن السلطات الفارسية تدرس إمكانية تقديم المساعدة للوكالات التجارية الفرنسية في أصفهان وشيراز،

ايران السياسي من بداية الدولة الصفوية إلى نهاية الأسرة القاجارية، مج3، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2008، ط1، ص 177-236.

1. للمزيد من التفاصيل عن قيام الأسرة القاجارية في بلاد فارس ينظر: علي خضير عباس المشايخي، قيام الأسرة القاجارية في ايران بقيادة اغا محمد خان 1794-1797، مقال منشور في : مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، ع 2، مج19، السنة 2012، تكريت، ص 372-406.
2. قيام الثورة الفرنسية عام 1789، وما رافق ذلك من حروب وصراعات إقليمية في اوربا ودولية خارج القارة الأوروبية، فضلا عن قيام نابليون بحملته علي مصر عام 1798. فضلا عن تصاعد اصوات طبول الحرب بين الفرس والروس.
3. جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص163
4. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ج1، ص 241
5. أصبحت مدينة طهران مقرا لحكم الأسرة القاجارية، بعد ان قرر الشاه اغا خان الانتقال إليها عام 1794. واستمرت طهران العاصمة للدولة حتى انهيارها في عام 1925. ينظر: محمد عدنان مراد، المرجع السابق، ص 224.

وعلى سواحل الخليج العربي⁽¹⁾. ونلاحظ أن أفكار السياسة الفرنسية تخدم بشكل أو بآخر السياسة الاستعمارية البريطانية، فهي تحرض بلاد فارس على شن حرب على روسيا القيصرية، مع الإشارة إلى أنه بحكم الجوار يوجد دوما احتكاك فارسي- روسي يسهل تغذيته بالكرهية المتولدة نتيجة التنافس التجاري على الطرق المارة بالمنطقة نحو الهند، بالإضافة إلى تيارات مساندة وأخرى معارضة لروسيا القيصرية في الداخل الفارسي. وبينما كانت خطة نابليون بونابرت ترمي للوصول إلى الهند عن طريق مصادفته للأمراء العرب في سواحل الخليج والجزيرة العربية، دافعا للحاكم العام في الهند لإصدار تعليماته إلى المقيم الانكليزي في ميناء بوشهر ميرزا مهدي علي خان - وهو موظف فارسي يعمل في شركة الهند الشرقية البريطانية - لكي يعقد اتفاقية مع فتح علي خان شاه فارس في سبتمبر 1798⁽²⁾.

وصل المبعوث الانكليزي إلى بلاط فتح علي شاه⁽³⁾، ونجح في إبرام اتفاقية بين الانكليز وبلاد فارس، ولكن على الرغم من أن ميرزا مهدي علي خان تمكن من تنفيذ التعليمات الصادرة له من الحاكم العام ويلزلي بنزاهة وإتقان، إلا أن هذا الأخير أرسل في أثره جون مالكولم بذات المهمة التي أسندت لميرزا مهدي علي خان. وهذا يدل دلالة واضحة من أن الانكليز أرادوا التأكد من أن تحكمهم بمنطقة الخليج العربي كاملة، وعدم إفساح المجال لمنافسهم الفرنسيين من اختراق المنطقة. فضلا عن ذلك، ان محي جون مالكولم إلى الخليج العربي ليس من اجل المفاوضات والنشاط الدبلوماسي، وانما لمهام عسكرية استطلاعية أيضا في الخليج العربي عموما، وبلاد فارس تحديدا⁽⁴⁾.

1. زكي صالح، المرجع السابق، ص 66: محمود شاكر، المرجع السابق، ص 278: نتاليا نيكولايفنا

تومافيتش، المرجع السابق، ص 138

2. جمال زكريا قاسم: مرجع سابق، ص 165

3. فتح علي شاه: هو ثاني حكام الأسرة القاجارية، ولد في دامغان في 5 سبتمبر 1772، بعد مقتل محمد اغا

خان في الحرب مع الروس، أعلن خائباً جهانباني نفسه شاهاً علي الدولة الفارسية تحت مسمى (شاه

بابا قاجار) في بداية الامر، وأرسل الفرمانات إلى حكام الولايات معلنا لهم بداية حكمه، وأصبح لقبه

من 17 جوان 1797 فتح علي شاه، وجرت مراسيم تنويجه في العاصمة طهران. شهد عهد حروب

وصراعات داخل الأسرة القاجارية من اجل الحكم. وقتل العديد من أبناء الأسرة نتيجة معارضتهم

لحكمه. وفي عهد خسرت بلاد فارس العديد من المدن والمناطق في القوقاز لصالح روسيا القيصرية علي

اثر الحرب التي اندلعت في 1804-1813 والثانية في 1826-1828، حينما اجبر علي توقيع معاهدتي

كولستان وتركمان جاي. توفي في مدينة اصفهان يوم 23 سبتمبر 1843 وكان عمره (62) سنة. ودفن في

مدينة قم. للتفاصيل ينظر: حسن كريم الجاف، المرجع السابق، ص 180-215.

4 . J.w. kaye, op.cit., p. 408

مما يدل على تحكم الانكليز في الأحداث الجارية في منطقة الخليج بزيادة إيقاع التنافسي كيفما تشاء، ومتى تريد، فتكمن في مقدرة ميرزا مهدي ونجاحه في المهام السياسية الموكلة له باقتدار، وأما تعيين مالكولم رئيساً للبعثة يعتبر أمر له دلالة أخرى. ومن الواضح تماماً أنه لم يتم تعيين هذا الرجل المقاتل في جوهره مجرد إجراء مباحثات دبلوماسية؛ إذ بل كان نشاط عسكرياً استطلاعياً لمسح منطقة الخليج العربي بالعموم⁽¹⁾.

فمثلما نجحت بريطانيا في تسويق استعمارها لعمان من خلال الاتفاقية الانكليزية - العمانية عام 1798، بصور وأشكال مختلفة لتوفير المناخ المناسب لشركة الهند الشرقية والهيمنة على السلطة السياسية في مسقط، وبدا ذلك واضحاً من خلال فرض الحاكم الأكثر مضمونية بالنسبة لسياسة الشركة الانكليزية في منطقة الخليج. كذلك سارع الانكليز من قبل ذلك، إلى تحدي القوة الفارسية التي بدت منهارة نتيجة الحروب التي استنزفت قواها السياسية والعسكرية، في صراعها مع دول الجوار مثل: العثمانيين والاوزبك، وفي هذه المرحلة مع روسيا القيصرية. وكثيراً ما كان حكام فارس بحاجة إلى الانكليز في صد هجمات أعدائهم، بدا من حكم الشاه عباس الأول، وبالمقابل كانت الامتيازات هي المقابل التي يحصل عليها الانكليز، وهي التي ساعدت في التوسع الانكليزي في منطقة الخليج العربي.

بعد ذلك أظهرت بريطانيا نواياها الاستعمارية بفرض اتفاقيات على بلاد فارس حيث أصبحت بلاد فارس موزعة بين المصالح المتعارضة للاستعمار الروسي و البريطاني، دون أن ننسى المنافسة لفرنسا. وبينما كانت بريطانيا تجتهد في كيفية السيطرة على منطقة الخليج العربي وعلى جميع الأراضي المجاورة للهند.

عندما تمّ التوقيع على المعاهدة الأنكلو-عمانية المضرة بفارس أضطر الشاه لإيفاد حاجي خليل إلى حاكم ميسور، لعقد اتفاقية تعاون معه. وقبل وصول حاجي خليل إلى ميسور كانت القوات البريطانية قد قضت على قوات حاكم ميسور. وفي حين كان مالكولم في طريقه إلى فارس، وصلت بعثة مالكولم إلى فارس في نوفمبر 1800، بعد انتهاء مهمتها في عمان، حاول مالكولم أن يحصل من الشاه على مركز في الساحل الشرقي للخليج العربي ليكون بمثابة قاعدة عسكرية لحماية المصالح التجارية للانكليز. ومن المعروف أن المحادثات التي جمعت مالكولم مع ممثلي الحكومة في طهران حول تنازل فارس عن الجزر الثلاث: قشم، وخرج، وهنجام إلى الإنكليز، باءت بالفشل. الأمر الذي زاد من الإصرار البريطاني على الحصول على هذه الجزر سواء بالاحتلال السلمي لها أو حتى بشراؤها⁽²⁾. وقد رأى الشاه

1 . J.w. kaye, op.cit.,p .408.

2 . Ibid, p.422.

خطورة تمكن الإنكليز من تثبيت أقدامهم في فارس، بإنشاء قواعد في الخليج العربي، تهددها وتهدد القوى المحلية الأخرى لأن مصيرها سيكون مشابها لمصير الهند⁽¹⁾.

وعلى الرغم من أن مالكولم فشل في مساعيه الا أنه نجح في توقيع اتفاقيتين أحدهما تجارية والأخرى سياسية، وقد نصت الاتفاقية الأولى على منح الإنكليز امتياز إنشاء وكالات تجارية في المقاطعات الفارسية في حين نصت الاتفاقية السياسية التي وقعت في يناير 1801م على قيام تحالف فارسي- بريطاني ضد أية قوة تهدد الهند وفضلا عن ذلك فقد نجح مالكولم في استصدار فرمان من الشاه يأمر فيه حكام المقاطعات والجزر والموانئ الفارسية بطرد الفرنسيين وعدم السماح لهم بالتوغل في المناطق التابعة لفارس⁽²⁾

لقد أرسى التحالف الفارسي- البريطاني دعائم الدفاع عن المصالح البريطانية، حيث تمكنت بريطانيا من تفكيك المعادلات السياسية الناشئة ، نتيجة ظهور التحالف المناوي للإنكليز الذي يضم أفغانستان، وميسور، وعمان إضافة إلى فارس. والمشاركة (بصفة مراقب) في مفاوضات السلام الأفغانية- الفارسية بعد الحرب التي تشنها بلاد فارس ضد أفغانستان دفاعاً عن المصالح البريطانية، وجني ثمار العداء الأفغاني- الفارسي الذي زرعه البريطانيون مضاعفاً. ونتيجة لظهور مصالح روسية متعارضة مع المصالح البريطانية في المنطقة، وعد الإنكليز بمساعدة فارس عسكرياً إذا ما وقع نزاع مسلح. وبذلك كان الإنكليز يدفعون الشاه القاجاري للتصعيد وتوتير العلاقات مع روسيا، وهم يعلمون مسبقاً محدودية القوات الفارسية في هذا الصراع. والملاحظ أن الإنكليز بدءوا يتحضرون لاحتلال الخليج العربي تحت ستار أنهم حلفاء لفارس. ولأن بلاط الشاه رفض الموافقة على إقامة قواعد عسكرية بريطانية في الجزر، إلا أن الإنكليز أوجدوا لأنفسهم منفذاً هو الاستقرار في جزيرة خرج بحجة تقديم المساعدة لفارس. وقد أعربوا عن استعدادهم لتخصيص "قوة موحدة" للعمل المشترك مع فارس في الخليج . والواقع أنه لم يكن من أحد في هذا الوقت يحدد منطقة الخليج سوى الإنكليز أنفسهم⁽³⁾.

وعندما أنزل الجيش الروسي عدداً من الهزائم بالجيش الفارسي، وأستولى على باكو ودريند وغيرها. وأخذت أوضاع حكومة الشاه تزداد سوءاً يوماً بعد يوم لاستمرارها في خوض الحرب ضد روسيا⁽⁴⁾، بحث الشاه عن مساعدة الإنكليز فلم يجدها رغم نصوص

1 . J.w. kaye, op.cit.,, p. 422.

2. جمال زكريا قاسم ، المرجع السابق، ص 72

3. نتاليا نيكولايفنا تومافيتش، المرجع السابق ، ص113

4.محمود شاكر، المرجع السابق ، ص 292

الاتفاقية الانكليزية-الفارسية. والظاهر أنه لم يكن في نية بريطانيا تقديم المساعدة لفارس على الرغم من أنها هي التي حرضتها على شن الحرب ضد روسيا، ولكن في الوقت نفسه لم ترد التفريط بالمكاسب التي حصلت عليها من الاتفاقية الانكليزية-الفارسية الموقعة في عام 1801م، خوفاً من انتهاز نابليون الفرصة في حال إلغاء هذه الاتفاقية وعندها يتعين على الإنكليز إغلاق باب التجارة الهندية الفارسية، ومحاصرة سواحل فارس، بعد أن يجروا باشا بغداد إلى القضية. واستكمالاً لمخطط استعمار منطقة الخليج العربي واستباقاً للأحداث وجد مالكولم في إقامة "دولة حاجزة" من ولايتي البصرة وبغداد، تكون تحت رعاية بريطانيا، والإسراع في الوقت نفسه في حل الإمبراطورية العثمانية وتفكيكها⁽¹⁾. بداية التغلغل في منطقة الخليج

كما كان في نية الإنكليز أيضاً احتلال القواعد الفارسية في الخليج العربي⁽²⁾. ومما كتبه مالكولم إلى الحاكم العام في الهند في 23 نوفمبر عام 1806 بهذا الخصوص: "ان ذلك إما أنه سيرغم الشاه على تغيير سياسته، وأما أن يعرض ممتلكاته وحياته للخطر؛ إذ إن مثل هذه الإجراءات لن تؤثر هيئته فحسب، بل ستثير سخطاً وتبرماً شديدين بين رعاياه، الأمر الذي من شأنه أن يؤدي إلى اندلاع الفتن والعصيان، والثورات"⁽³⁾ كان مالكولم يقصد من قوله "اندلاع الفتن، والعصيان، والثورات" حدوث انقلاب على الشاه تم التحضير له من قبل الإنكليز أنفسهم.

وفي محاولة منه لوضع الفرنسيين في مواجهة الإنكليز الذين يبرهنون على أنهم غزاة ومستعمرين شرهين جداً في هذه المنطقة وافق الشاه على إنشاء قواعد فرنسية في الخليج العربي، بعد عقد اتفاقية فرنسية-فارسية التي ظلت الرأي العام الأوربي، باظهار قوة التحالف الفرنسي-الفارسي، لكن سرعان ما أدار نابليون ظهره إلى فارس، بعد التفاهم الفرنسي-الروسي، وأتضح أن الهدف من بعثة الجنرال جاردان (General Jardin) جمع المعلومات عن موارد فارس، وقوتها العسكرية⁽⁴⁾.

1. جون ب. كييلي بريطانيا والخليج العربي 1795-1870، ج 1، تر: محمد امين عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، د.ت.ن، ص 84-85

2. في تلك الأثناء كانت سفينة حربية البريطانية تجوب مياه الخليج ذهاباً وإياباً بوظيفة بوليسية.

راجع، جون ب. كييلي: مرجع سابق، ص 83، 86

3. J.w. kaye, op.cit., p.398.

4. نتاليا نيكولايفنا تومافيتش، المرجع السابق، ص 149.

وجدت الحكومة البريطانية أن الوضع الذي تشكل في فارس في بداية عام 1808 نتيجة لعدم نشاط البعثة الفرنسية، وانشغال معظم قوات الشاه في الشمال، ومن ثم عدم إمكانية مقاومة الضغط من الجنوب، يشكل الفرصة السانحة لها لتنفيذ مخططاتها التي تجول في خاطرها منذ أمد بعيد اتجاه منطقة الخليج العربي. حيث شكلت ما تسميه المراجع التاريخية والأوساط السياسية الانكليزية "بالبعثات الدبلوماسية بداية لوجود القوات المسلحة الانكليزية الدائم في مياه الخليج العربي، ولقيام الانكليز بمحاولات الاستيلاء بالقوة على قواعد استناد على سواحل المتاخمة له، ومن ثم استعمارها. كما شكلت هذه البعثات بداية التغلغل البريطاني في عمق المنطقة العربية"⁽¹⁾.

قبل يومين من إقلاع مالكولم بسفينته رفع تقريراً إلى الحاكم العام في الهند جاء فيه: " ان القوة التي تم تشكيلها تنفيذاً لتعليماتكم، والتي لا توحى من مظهرها الخارجي بأنها قوات حملة عسكرية، قادرة على سحق أي وحدة عسكرية قد تستطيع الوصول إلى جزيرة موريشيوس. مع أنه من الصعب التصديق بقدرة أي وحدة على الوصول إليها"⁽²⁾.

من هنا يمكننا أن نستنتج أن بريطانيا تعرف قدرها وقدر المنافس الفرنسي في منطقة الخليج، وأن القوات لم تكن مخصصة أبداً للوقوف ضد الفرنسيين، وإنما ضد الفرس؛ إذ إنَّ الإنكليز خططوا لاستخدامها، ليس من أجل اظهار القوة فقط، وخوض الأعمال القتالية المحتملة إنما من أجل التحريض، واستثارة النزاعات في داخل فارس كما ذكر مالكولم في تقريره إلى مينتو أيضاً: "أنَّ وجود هذه القوة سيمكنني من تقديم المساعدة والدعم، إذا ما دعت الحاجة القصوى إلى ذلك، للفئة التي تقف إلى جانبنا"⁽³⁾.

إذن الملاحظ أن الأوساط العسكرية لشركة الهند الشرقية البريطانية، أعدت خطط التوسع بنشر الفوضى داخل فارس، وزيادة الضغط على الشاه حتى يغير من سياسته والاستيلاء على مراكز الاستناد بالقوة.

وهاهو مالكولم الآن يقود حملة مهمتها إجبار فارس بالقوة على أن تصبح أداة للسياسة الإنكليزية، وإلا وقع انقلاب في البلاط الملكي بمساعدة زمرة مأجورة. وكان مرشح مالكولم لمنصب الشاه، ممثل سلالة كريم خان الزند، المدعو نجف خان، الذي أصطحبه

1. نتاليا نيكولايفنا تومافيتش، المرجع السابق، ص 152

2. جزيرة موريشيوس قاعدة بحرية فرنسية تقع في المحيط الهندي، وقد نالت استقلالها لاحقاً.

3. J.w. kaye, Op.Cit., p.415.

مالكولم معه من الهند، مقيم تحت الحماية الإنكليزية⁽¹⁾. كما تمكن الانكليز من تشكيل جماعة موالية لها في داخل فارس، تطلب منها ذلك إنفاق الكثير من الأموال وإسراف من الذهب الكثير⁽²⁾. لقد اتضح الآن لماذا لم تكن بعثة مالكولم العسكرية " ذات طابع محدد " ولماذا كان عليها العمل في تلك البقعة من البلاد، دون الوصول للأخرى.

في الوقت الذي كان ينبغي على هذا الأخير الضغط على حكومة الشاه مباشرة، مستفيدا من وجود قوة عسكرية تحت تصرفه في الخليج العربي يستطيع استخدامها حين يشاء، كان مالكولم يشرف على العمليات على سواحل الخليج وفي منطقة بغداد- البصرة، وفي ولايات فارس الجنوبية. وكان الإنكليز يأملون أن تفضي جهودهم إلى قيام انقلاب على القصر في طهران، وحدوث فتن داخل البلاد يضعف المملكة تماماً، ويسهل عليهم التدخل العسكري بالقوات المعدة سلفاً.

أقلعت سفن مالكولم من بومباي في 17 ابريل عام 1808. وعندها كتب أحد ضباط الجيش الأنكلو هندي، وكان يأمل في نهاية سريعة لحملة مالكولم أنه "بعد مالكولم لن يبقى أمام جونز سوى وضع الأختام على المعاهدات التي يعقدها مالكولم"⁽³⁾.

وفي هذه اللحظة التي كانت فيها القوات الفارسية تفتقر إلى الدعم والإمدادات على المسرح الشمالي، رغم أن حكومة الشاه كانت على دراية تامة بالخطر الذي خيم على البلاد منذ ظهور الأسطول البريطاني في مياه الخليج العربي.

تتلخص وظيفة حملة مالكولم في إظهار قوة التحدي. ولهذا يجب النظر إلى استمرار وجودها في الخليج العربي على أنه احتلال⁽⁴⁾. وكلمة احتلال لم يكن أحد من المستعمرين يستخدمها سوى مينتو. ولكن بغية التخفيف من وقعها كان يضيف إليها صفة الودي فيقول: " الاحتلال الودي " عندما كان مالكولم في بوشهر طلب من شيخها الإسراع بإبلاغ الشاه أنه يطلب بدء المباحثات، إذ أن مالكولم كان في هذا الوقت يهدد بإنهاء التجارة الهندية الفارسية، ومحاصرة جزيرة خرج، واحتلالها. لقد تركت قوة الحملة واللهجة الديكتاتورية التي استخدمها مالكولم الانطباع الذي أراد الإنكليز تركه؛ إذ تمت الموافقة له على ما طالب به في بوشهر بتبجح خلافاً لما كان عليه في السابق. فقبل ثماني سنوات كان

1. نتاليا نيكولايفنا تومافيتش، المرجع السابق، ص 153

2. المرجع نفسه، ص 155

3. J.w. kaye, Op.Cit., p.420.

4. نتاليا نيكولا تومافيتش، المرجع السابق، ص 158

يلجأ إلى حياكة الدسائس، وتديير المكائد، وتقديم الرشاوى، وتشكيل شبكة عملاء عندما كان ينتظر السماح له بمقابلة رسمية.

من الواضح تماما أن قائد الحملة هذه ، لم يكن هدفة الدفاع عن الهند من الخطر الفرنسي، (كما يدعي المؤرخون الانكليز، وبقولهم إنّ ذلك كان الهدف الرئيس "للبعثة")،

إن الخليج العربي الذي بات مسرحا للصراعات والعمليات العسكرية التي جرت في البحار الشرقية بين البريطانيين و الفرنسيين، فقد انتهت في شهر جانفي عام 1810 هذه العمليات بعد أن تمكنت القوات البريطانية من الاستيلاء على جزيرة موريشيوس التي فقدتها الفرنسيون بوصفها قاعدة رئيسية استغلتها القوات الفرنسية في توجيه عملياتها العسكرية ضد البريطانيين في المياه الشرقية، تلك الجزيرة التي كان الفرنسيون يريدون منها حربا لإنهاك الأساطيل البريطانية في البحار الشرقية، وبذلك أصبحت بريطانيا القوة الوحيدة المهيمنة، وأنحسر بذلك الدور المؤثر للفرنسيين في منطقة الخليج العربي ، فبريطانيا تستهدف بقيامها بحملات على بلاد فارس، إقامة قواعد عسكرية على سواحل الخليج ، تمكها من فرض سيطرتها الكاملة بوضع مخططا الاستعماري لتدمير بقية القوى المحلية التي عرفتها منطقة الخليج العربي، والتي سنوردها في الفصل التالي .

ويمكن تلخيص سياسة بريطانيا عام 1815: بأن بريطانيا كانت تستطيع إن تحصل من الدول الأوروبية على كل ما تريد، ولكنها اهتمت بتأمين الحماية الإستراتيجية للطرق البحرية والتجارية، حيث أعادت كثير من المناطق الغنية لفرنسا كما أعادت ثروة جاوة إلى هولندا وعملت على تعزيز وجودها في الخليج العربي والمناطق القريبة منه.

الفصل الرابع
المواجهة
بين الانكليز واتحاد القواسم
في الخليج العربي:
تحدي وإنهاء

المبحث الأول: القواسم وبناء الاتحاد وريادة البحر
المبحث الثاني: المواجهة بين الانكليز واتحاد القواسم

مقدمة :

مع نهاية حكم دولة اليعاربة ظهرت قوة عربية جديدة ممثلة باتحاد القواسم الذي يعد أكبر قوة بحرية عربية في منطقة الخليج العربي بين عامي (1747 – 1820). ويعلق الأستاذ سليم طه التكريتي على بروز القواسم بالقول: "وجدت بريطانيا لها خصما جديدا يفوق المير مهنا والشيخ سلمان الكعبي في عنادهما، وتفانتهما في الدفاع عن السيادة العربية في الخليج العربي. ولقد تمثل هذا الخصم هذه المرة ، في قبيلة القواسم العربية... وسيطرة على طرق التجارة والملاحة في الخليج العربي كله، وبقيت تتحكم بمصائره طيلة القرن الثامن عشر"⁽¹⁾. وهكذا، نشط القواسم في أحكام سيطرتهم على سواحل الخليج العربي الغربية والشرقية والجزر الحيوية في داخل الخليج العربي. وقد اشتهرت قبيلة القواسم بشدة البأس، وقوة المراس والشجاعة وحب المغامرة⁽²⁾، وكذلك الجرأة والإقدام وإقحام النفس في مواطن الخطر، وكانوا يشكلون قوة بحرية تعدى نشاطها دائرة الخليج العربي إلى أعماق المحيط الهندي⁽³⁾.

تزامن ظهور اتحاد القواسم- من منتصف القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر الميلاديين- مع بدء النفوذ الانكليزي بالتنامي والرسوخ – بعناد- في الخليج العربي. وكان هذا يعني وقوع صدام ومنافسة بين الاثنين. لكون كل واحد منهما كان يريد أن يمتلك ما عند الآخر. فحتمية الصدام كانت تزداد وتقوى كلما تقدم الوقت. حتى كان ذلك، عندما تجسد في سلسلة من الحملات العسكرية الانكليزية على اتحاد القواسم، حتى كانت الحملة الحاسمة في عام 1819⁽⁴⁾. والتي حشدت فيها معظم إمكاناتها العسكرية ومع ذلك واجه البريطانيون الغزاة مقاومة بطولية رائعة اتسمت بروح الجرأة والإقدام والثبات والشجاعة. إلا أن تفاوت الإمكانيات من حيث العدة والعدد والتفوق العسكري الذي كانت عليه القوات البريطانية أجبرت القواسم على توقيع معاهدة عام 1820 التي عرفت باسم معاهدة السلم العام.

1. سليم طه التكريتي، المرجع السابق، ص 95.

2. محمود بهجت سنان، امارة الشارقة، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، 1967، ص 16.

3. قدرى قلعي، المرجع السابق، ص 409.

4. ر.ف. كليكوفسكي وف.أ. لوتسكيفيتس، الامارات العربية المتحدة، ترجمة: حسان اسحق، شركة قولي،

د.م.ن، 1985، ط1، ص 18.

المبحث الأول: القواسم وبناء الاتحاد وريادة البحر:

استطاعت قبيلة القواسم- على الرغم من قلة عدد أفرادها- من أن تثبت أنها قبيلة ذا شأن كبير في تاريخ الخليج العربي، وأثبتت الأحداث التاريخية أن هذه القبيلة كان لها دور بارز ومؤثر في الأحداث التي شهدتها المنطقة. إذ كان للقواسم الشرف في تجميع قبائل ساحل عمان (الساحل المهادن) من حولها وبناء اتحاد سياسي قبلي كبير، تمكن قرابة أكثر من نصف قرن من الزمن، في الوقوف وجه الأطماع الانكليزية في الخليج العربي. ومن خلال الصفحات القادمة سنحاول تسليط الضوء على أصل وموطن القواسم، واليات تأسيس اتحادهم الذي فرض هيبتة على مياه الخليج العربي.

ان ما يميز القواسم – عن غيرهم من القوى العربية في الخليج العربي- أن ظهورهم كقوة اقليمية كان مؤثر على عكس القوى العربية الاخرى التي ظهرت في الخليج العربي في ذات الفترة، اذ كان تاثيرها محدود جدا. وشمل جزءا محدد من الخليج العربي، كما هو الحال بامارة كعب العربية على سبيل المثال. بينما تجاوز تاثير القواسم مياه الخليج العربي إلى المحيط الهندي وتوابعه. وهذا ما يؤشر اهمية الدور الذي قام به القواسم⁽¹⁾.

أولا: أصل القواسم وتواجدهم:

إن تسمية القواسم- أو الجواسم- أطلقت على قبيلة عربية تواجدت على ساحل عمان، ولكن فيما بعد، أصبحت التسمية تطلق على جميع القبائل العربية القاطنة في منطقة الواقعة ما بين رأس مسندم⁽²⁾ شمالا وابوظبي جنوبا. وهي القبائل التي دانت بالولاء لشيخ القواسم ومقره رأس الخيمة خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر والعقدين الأولين من القرن التاسع عشر الميلاديين⁽³⁾. ونتيجة ذلك، قد يحدث خلط عند الحديث عن اصل قبيلة القواسم وبين الكيان السياسي القبلي الذي حمل اسم (اتحاد القواسم). والقواسم كقبيلة اختلفت الاراء حولها بخصوصها اصلها وموطنها الاصلي، ولكنها عندما شكلت هذا الاتحاد القبلي، كانت لها القوة والهيبة والمكانة التي جعلت باقي القبائل تضع

1. محمد عدنان مراد، المرجع السابق، ص 265-273.

2. رأس مسندم: وتسمى ايضا (رؤوس الجبال) وهي عبارة عن سلسلة جبال صخرية شاهقة منحدره نحو البحر. وهي تمتاز بكرة المداخل والتجاويف اثنان منها يشكلان ميناءين واسعين. يعرفان باسم: خليج الفستون وخليج مالكولم. واعلى قمتين فيها هما: جبل حريم (6700) قدم، وجبل كيوى (5800) قدم. ينظر: س.ب. مايلز، المرجع السابق، ص 259.

3. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 64.

ثقتها في شيخها. ويصفها مايلز على أنها: "قبيلة قوية تسكن موانئ البحر على الساحل، وفي رأس الخيمة وخورفكان"⁽¹⁾.

1. الأصل والتسمية:

عند البحث في أصل القواسم يصادفنا الكثير من اللبس والغموض في كلا من الأصل والتسمية للقواسم لاختلاف الدلائل التي يستند إليها الكتاب والمؤرخين⁽²⁾، ونتيجة ذلك، ظهرت العدد من الآراء المتضاربة حول هاتين المسألتين الهامتين⁽³⁾. ومن هنا، أطلق المؤرخين والكتاب العنان لأنفسهم- وساحوا في الخيال- في تحديد أصل القواسم⁽⁴⁾، يبدو لي بعضها غير واقعي، ولا يمكن تقبله مهما كانت الدلائل التي يقدمونها في هذا الخصوص. فعلى سبيل المثال، هناك رأي – وأنا أراه غير دقيق- يقول أنهم جئوا من بلاد فارس وسكنوا الساحل الشرقي للخليج العربي، وبعدها انتقلوا إلى الساحل الغربي⁽⁵⁾. لكن لو نظرنا للرواية نجد ان نصفها الأول – المجي من بلاد فارس غير صحيح بالمرّة-، بينما النصف الثاني للرواية صحيح ومنطقي، لان الكثير من القبائل العربية انتقلت من شمال الخليج العربي نحو جنوبه منذ فترات تاريخية قديمة، وان حركتها كانت متوازية على الساحل الشرقي والغربي معا. وما يؤكد هذا القول، التواجد العربي المكثف على ضفتي الخليج العربي خلال فترة البحث وما قبلها. وما يؤكد الرأي الذي اذهب إليه، ما قدمه مؤلف كتاب (صهوة الفارس في تاريخ عرب فارس) عبد الرزاق محمد صديق، عندما قال: "انتقل من الجزيرة العربية إلى بر فارس فخذ من القواسم وقيل انهم ينتمون إلى قبيلة (عنزة) ومقرهم (عنزة) الواقع جنوب العراق. وفي سنة 656هـ (1258م) في أيام حكم الدولة السلجوقية لإيران ولأسباب زحف المغول على

1. س.ب. مايلز، المصدر السابق، ص 221.

2. حاول الدكتور عبد الباسط مصطفى مجيد الرفاعي، معالجة مسليتي نسب شيوخ القواسم وأصلهم، ولكنه لم يكن موقفا إلى حد ما في عرض الموضوع بالشكل الذي يقنع ويفصل بين الشك واليقين. للتفاصيل ينظر: عبد الباسط مصطفى مجيد الرفاعي، أضواء جديدة في نسب شيوخ القواسم، مقال منشور في مجلة: الدراسات التاريخية والحضارية، ع 24، مج 8، السنة 2016، ص 409-422.

3. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 64.

4. جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص 216.

5. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 63.

العراق. انتقل القواسم إلى منطقة عمان، وكانوا يتنقلون في المنطقة من مكان إلى آخر حتى استقروا في منطقة (رأس الخيمة)، وكانت آنذاك تسمى (جلفار)⁽¹⁾.

وعليه، فقد تعددت الآراء في تحديد أصل القواسم، وهناك من يرى أنهم من أصل نجدى سكنت جهات (السر) في بلاد عمان، وكانت قبيلة متميزة منذ القدم، وهم عرب من قبيلة الظفير⁽²⁾. وهناك رأي آخر يشير إلى أنهم جاءوا من سيراف⁽³⁾ - الواقعة على الساحل الشرقي من الخليج العربي- على اثر تدهور النشاط التجاري فيها⁽⁴⁾. ويشير مايلز إلى أنهم فرع من قبيلة المعاول⁽⁵⁾ التي تقطن الساحل الشرقي من الخليج العربي، المنطقة المحصورة ما بين ماين جنوب بوشهر وبندر عباس⁽⁶⁾. كما يذهب آخرون إلى ابعدهم من ذلك، إذ اعتبروهم قسما قسما من القبائل العربية التي كانت تقطن العراق، ثم هاجرت إلى (السر) عن طريق الساحل الشرقي من الخليج العربي⁽⁷⁾. وهناك من حدد مكان مجيئهم، بالقول: "أنها قبيلة عربية عريقة نزحت من العراق من سامراء، وهي ترجع في أصولها إلى العدنانية ثم انحدرت منذ ثلاث قرون في عهد جدهم الكبير كايد القاسمي إلى ساحل عمان، واستقرت في القرن السابع عشر على القاطع الغربي للخليج العربي واتخذت مدينة (جلفار) رأس الخيمة مقرا لها"⁽⁸⁾. ويؤكد الكاتب خلفان بن علي بن خلفان القاسمي ان أصول القواسم هي عراقية، حيث كتب يقول: "لان أكثر من تسعة عشر مؤرخا ونسابة من جاء ذكرهم في هذا البحث، ومنهم عمانيون وعراقيون ومنهم من ينتسبون إلى البر الشرقي للخليج العربي وهم كثر بالنسبة

1. عبد الرزاق محمد صديق، صهوة الفارس في تاريخ عرب فارس، مطبعة المعارف، الشارقة، 1993، ط1، ص 22.
2. ميخين فيكتور ليونوفيتش، حلف القواسم وسياسة بريطانيا في الخليج العربي في القرن الثامن عشر والنصف الاول من القرن التاسع عشر، تر: سمير نجم الدين سطات، مركز جمعة بن ماجد للثقافة والتراث، دبي، 2009، ط1، ص 171.
3. سيراف: مدينة تقع على الساحل الشرقي من الخليج العربي، تقع جنوب ميناء بوشهر، وهي مدينة جبلية، كانت تشتهر في العصر الحديث من انها واحدة من المدن التجارية في الخليج العربي بحكم موقعها الاستراتيجي على طريق التجارة في المنطقة. للتفاصيل ينظر: <https://ar.wikipedia.org/wiki> تاريخ الزيارة في: 12 اوت 2020.
4. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 64-67.
5. قبيلة المعاول: هناوية الاصل يسكنون في وادي المعاول ةافي، وهم اباضيون المذهب، وهم جزء من الأسرة اليعربية. ينظر: س.ب. مايلز، المصدر السابق، ص 222.
6. س.ب. مايلز، المصدر السابق، ص 222.
7. عبد الرزاق محمد صديق، المرجع السابق، ص 22؛ صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 64-67.
8. محمود بهجت سنان، المرجع السابق، ص 15-16.

لمخالفهم قالوا أن القواسم من العراق".⁽¹⁾ وفي موضع آخر يقول: "أن هجرة القواسم من العراق إلى عمان كانت قبل أكثر من خمسمائة عام جاءوا في ثلاث مجموعات منها المتقدم ومنها المتأخر"⁽²⁾.

وعليه، فإنه من الراجح في مسألة أصلهم هو أنهم من العراق، حيث لا مجال للشك . حيث انتقلوا إلى الساحل الشرقي بعد خروجهم من العراق واستقروا فيه ردحا من الزمن، ومن ثم انتقلوا إلى ساحل عمان حيث أقاموا هناك، وأسسوا كياناتهم السياسي القبلي من بعد. والاهم كل هذا ان القواسم عرب قحاح⁽³⁾، عكس ما اراد البعض الترويج له من نسيمهم الفارسي، ولاسيما الكتاب الفرس. وهذا يرجع إلى غايات تخالف الحقائق التاريخية، بخصوص عروبة الخليج وسكانه.

مما لاشك فيه أن تسمية القواسم باتت معروفة جدا منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر على الرغم من اختلاف الآراء حول أصلهم ونسبهم. وهناك من المصادر ما يشير إلى أن القواسم مجموعة من القبائل دانت من القبائل دانت بالولاء للأسرة الحاكمة في رأس الخيمة والشارقة، ومن ثم شكلت حلفا قبليا ظل قائما إلى أن جرد المستعمرون الانكليز حملة ضدهم في عام 1819-1820، كانت السبب في انهياره⁽⁴⁾. ويرجع الدكتور عبد الباسط مصطفى مجيد الرفاعي أصل التسمية إلى جددهم المسمى (قاسم)⁽⁵⁾.

2. الموطن:

لقد استوطن القواسم جزءا مهما من الساحل المعروف باسم (ساحل عمان)⁽⁶⁾، والذي يمتد على طول الساحل الجنوبي الغربي من الخليج العربي بحوالي 130 ميلا، يبدأ

1. خلفان بن علي بن خلفان القاسمي، الفيصل القاسم في اصل القواسم، مراجعة: خلفان بن علي بن خلفان القاسمي، 2013، بلا معلومات اخرى، ص 61-62.
2. المرجع نفسه، ص 75.
3. عبد الباسط مصطفى مجيد الرفاعي، المرجع السابق، ص 413.
4. ميخين فيكتور ليونوفيتش، المرجع السابق، ص 174.
5. عبد الباسط مصطفى مجيد الرفاعي، المرجع السابق، ص 413.
6. كان الانكليز يطلقون عليه تسمية (ساحل القراصنة) قبل عام 1820، لكون القواسم كانوا يهاجموا السفن الانكليزية وغيرها في مياه الخليج العربي، وبعد معاهدة عام 1820 اطلقوا عليه اسم الساحل المهادن او المشيخات المتصالحة. ينظر: روبرت هاي، المرجع السابق، ص 123.

من مدخل الخليج العربي عند رأس مسندم، متجها جنوب غرب حتى ينتهي بالقرب من شبه جزيرة قطر⁽¹⁾.

وتنقسم المنطقة التي ساد فيها القواسم، إلى منطقتين رئيسيتين، تعرف الأولى بمنطقة (رؤوس الجبال)، وتعرف الثانية بالمنطقة الساحلية. أما الأولى فهي منطقة فقيرة بمواردها، وذلك مزارعها ومراعها تكاد لا تكفي لسد حاجيات سكانها الأساسية. أما المنطقة الساحلية فتمتد من ميناء رامس شمالا حتى دبي جنوبا. وهي عبارة عن ارض سهلية، يحدها من الشرق سفوح الحجار الغربية ومن الجنوب واحة البريمي. وتتخلل هذه المنطقة الخلجان العديدة والبحيرات الضحلة، حيث تشكل المناطق السكنية للقواسم الذين اتخذوا من البحر المصدر الأساس لحياتهم المعاشية. وتمتد إلى الشرق من المنطقة الساحلية ارض متموجة فيها ما يكفي من المياه لإرواء النخيل وبعض المزروعات الأخرى. وإلى الجنوب منها ارض مسطحة مغطاة بالرمال والحصى والسبخ غير صالحة للاستقرار⁽²⁾. وبناء عليه، اعتمد القواسم نتيجة لبيئتهم القاسية، لكسب عيشهم على البحر⁽³⁾، فمارسوا فيه جل نشاطاتهم الاقتصادية والسياسية، ومكثهم من ذلك طبيعة الساحل الذي أقاموا عليه، وهو ساحل كثير التعرجات والخلجان مما شكل بيئة مناسبة لإنشاء الموانئ فيه⁽⁴⁾.

وهكذا، نجد أن القواسم استطاعوا منذ منتصف القرن الثامن عشر أن يبسطوا نفوذهم من رأس مسندم حتى دبي، وكان من أهم الموانئ التي خضعت لهم، هي: رأس الخيمة (مقر القواسم)، الشارقة، الرمس، وجزيرة الحمراء، أم القوين، عجمان، شناصر، خورفكان وخور كلبا، وغيرها من المناطق⁽⁵⁾.

وعلى الرغم من أن المؤرخون يختلفون فيما بينهم حول أصل القواسم والتسمية، فهم يجمعون على أن القواسم شكلوا قوة كبيرة في منتصف القرن الثامن عشر، وبمرور

1. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 79؛ صلاح العقاد، الاستعمار في الخليج العربي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، د.ت.ن، ص 72.

2. المرجع نفسه، ص 80-81؛ ميخين فيكتور ليونوفيتش، المرجع السابق، ص 175-178-180.

3. محمود بهجت سنان، المرجع السابق، ص 16.

4. للتفاصيل بخصوص موارد القواسم الاقتصادية، ينظر: صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 83-87.

5. حسن ابراهيم المنسي، شيوخ القواسم في رأس الخيمة ودروهم في الاحداث السياسية من بداية تواجدهم الخليج العربي عام 1820-1948، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2014، ط1، ص 68-69.

الوقت تعزز نفوذهم بشكل كبير⁽¹⁾. ونتيجة ذلك، شكل القواسم تهديدا للقوى المحلية ومنافسا لها، مثل البوسعيد، وكذلك تهديدا للمصالح والوجود الانكليز بالساعي إلى فرض هيمنته وسيطرته على الخليج العربي، وإنهاء أي منافسة تذكر، أن كانت محلية أو دولية.

ثانيا: تأسيس اتحاد القواسم:

جاء ظهور القواسم على مسرح الأحداث في منطقة الخليج العربي عامة- وعمان خاصة- على اثر إعلان الشيخ رحمة بن مطردعمه للإمام اليعربي محمد بن ناصر الغافري خلال الحروب الأهلية التي وقعت في عمان بين القبائل الهناوية - المساندة للأسرة البوسعيدية - والقبائل الغافرية- المساندة لليعاربة- بعد انهيار حكم اليعاربة⁽²⁾.

وسرعان ما استفاد القواسم من حالة التدهور التي سادت عمان نتيجة الحرب الأهلية. وعلى اثر وفاة الشيخ رحمة بن مطر، جاء إلى قيادة القواسم أخوه راشد بن مطر، والذي أقدم على الخطوة الأولى نحو تشكيل اتحاد القواسم، عندما أعلن عن استقلال قبيلة القواسم عن الحكم في عمان. وأعلن عن تشكيل اتحاد القواسم⁽³⁾. ولم يكن هذا الاتحاد مقتصرًا عليهم فقط، وإنما انضم إليهم عددا كبير من القبائل المتواجدة في المنطقة(ساحل عمان)⁽⁴⁾، علما ان منطقة الساحل العماني كانت مأهولة بالقبائل العربية، وهو الذي شكل مصدر قوة للقواسم ومسعاها في بناء اتحادهم⁽⁵⁾.

ومن بين هذه القبائل التي كان لها وزنها في الاتحاد، هم قبيلة آل علي، التي كانت تتركز في مينائي الشارقة ورأس الخيمة، وكذلك في أم القيون، ومن القبائل التي كانت تحت لواء اتحاد القواسم أيضا، كانت قبيلة المهرة التي كانت تقيم في رأس الخيمة، وكذلك عشائر آل بومبير التي كانت منتشرة على طول الساحل التابع لاتحاد القواسم، كما ضم الاتحاد قبيلة آل زعاب الذين تركزوا في رأس الخيمة والجزيرة الحمراء، وهناك قبائل أخرى، مثل: الشحوح، المطاريش، الخواطربني قتب وال بوخريبان⁽⁶⁾.

1. ميخين فيكتور ليونوفيتش، المرجع السابق، ص 175.
2. محمد عدنان مراد، المرجع السابق، ص 274.
3. المرجع نفسه، ص 274.
4. حسن ابراهيم المنسي، المرجع السابق، ص 51-55.
5. ميخين فيكتور ليونوفيتش، المرجع السابق، ص 179.
6. حسن إبراهيم المنسي، المرجع السابق، ص-55.

ولم يكن اتحاد القواسم بمفهوم البناء المؤسساتي للدولة، هو دولة، وإنما هو عبارة عن تحالف قبلي، وهذا يتضح من كون شيوخ القواسم لم يكن لهم في يوم من الأيام أي سلطة مطلقة على القبائل الأخرى المنضوية تحت لواء الاتحاد. وإنما كان الشيخ الأعلى للقواسم يتمتع بالسلطة العليا فقط. وكان لكل ميناء، أو مدينة، وقرية شيخ يحكمها وفقا للعادات والتقاليد القبلية. وهذا الشيخ يتبع الشيخ الأعلى. وعند مناقشة القضايا الحيوية والمصيرية، واتخاذ القرارات الهامة يجري عقد جلسة كبيرة تسمى (المجلس)، يرأسها الشيخ الأعلى، ويحضرها عادة بقية الشيوخ، وكبار رجال القبائل⁽¹⁾.

وهناك قيود تفرض على الشيخ الأعلى تمنعه من الاستبداد أو التعسف. وفي مقدمتها العادات والتقاليد المتعارف عليها، التي يجب أن يراعها الشيخ الأعلى ويحترمها لكي يحافظ على ولاء القبيلة له. وعلى الشيخ الأعلى إظهار الحكمة والشجاعة والكرم في أعماله وتصرفاته. وعليه أن يكون مرنا في سياسته تجاه القبائل البدوية. وتكمن أهمية سلطة الشيخ الأعلى للقواسم في أن هذا الشيخ يعد المسؤول الأول والوحيد عن النواحي العسكرية والاقتصادية. وعليه مراقبة الموانئ التي تعد مصدر الرزق للسكان، بالإضافة إلى ذلك يعد الشيخ الأعلى القائد العام لقوات القواسم البرية والبحرية⁽²⁾. ويعتبر الشيخ رحمة بن مطر (1747-1758) - والملقب باسم كايد القاسمي- أول من قاد القواسم والمؤسس الحقيقي لهذا الاتحاد، وتنازل عن المشيخة لصالح ابنه الشيخ راشد بن مطر (1758-1777). وفي عهده زادت قوة القواسم البحرية، وبدأت اثارها تظهر في منطقة الخليج العربي، ومرة أخرى يتنازل الابن عن المشيخة لصالح الابن، اذ تنازل الشيخ راشد إلى ابنه مطر، الذي حكم ما بين (1777-1803)، ونجح الأخير في تقوية اتحاد القواسم بالتحالف مع بني معين- وهي قبيلة عربية كبيرة كانت تحكم جزيرة قشم وهرمز- بعد زواجه من ابنة شيخ القبيلة عبد الله بن معين، مما زاد من قوة القواسم البحرية في الخليج العربي. وعندما اعتزل الشيخ صقر مشيخة القواسم عام 1803، جاء من بعد ابنه سلطان (1803-1820). وهو الذي أمضى على معاهدة السلم مع الانكليز⁽³⁾.

وبهذا التحالف القبلي الكبير والضحخم- الذي ضم أقوى القبائل- تمكن القواسم من ترسيخ وجودهم في منطقة ساحل عمان، وأصبحوا قوة عسكرية قوية وضحمة ولديهم قوة بحرية لا يستهان بها، ونتيجة ذلك ارتفع سقف الطموح لدى القواسم، واتجهت أنظارهم نحو

1. ميخين فيكتور ليونوفيتش، المرجع السابق، ص 177.

2. المرجع نفسه، ص 177-178.

3. حسن ابراهيم المنسي، المرجع السابق، ص 56-62.

الساحل الشرقي من الخليج العربي ، ونجحوا في مد سيطرتهم على العديد من المناطق والمدن هناك، كونك ولنجة وجزء من جزيرة قشم. واستولوا على العديد من سفن الأسطول الفارسي المتواجد هناك. ولم تسلم من سطوتهم حتى السفن الأوربية التي كانت تنقل في مياه الخليج العربي، اذ استولى القواسم على أي سفينة كانوا يصادفونها⁽¹⁾.

جدول رقم(3)

أسماء وفترات حكم شيوخ القواسم⁽²⁾

ت	اسم الشيخ	فترة الحكم
1	رحمة بن مطر	1760-1747
2	راشد بن مطر	1777-1760
3	صقر بن راشد	1803-1777
4	سلطان بن صقر	1808-1803
5	حسين بن علي (نائب الوصي السعودي)	1814-1808
6	حسن بن رحمه	1820-1814

أما عن علاقتهم بال سعود، فقد مرت العلاقات بين القواسم وال سعود بمرحلتين، المرحلة الأولى منها غطت السنوات الثلاث الأخيرة من القرن الثامن عشر (1800-1897)، وتميزت هذه المرحلة برفض ومقاومة الدعوة السلفية التي كانت تنشرها الدولة السعودية الأولى⁽³⁾، فجرت بين الطرفين معارك عسكرية ، تمكنت قوات آل سعود بقيادة مطلق المطيري من محاصرة رأس الخيمة، وقطعت الطريق بين المدينة والمزارع النخيل من اجل قطع الإمدادات الغذائية عنها، وظل المطيري يشدد من حصاره على المدينة حتى اضطر القواسم من طلب الصلح في عام 1799 وكان من بين بنود الصلح أن يقبل القواسم بتبني العقيدة السلفية (الوهابية). وان يدفعوا الزكاة للدولة السعودية⁽⁴⁾. ولم تكن سيطرة آل سعود على القواسم مباشرة، فقد اكتفوا بإعلانهم التبعية للدولة السعودية. واقتصر مظهر

1. ستار علك عبد الكاظم، المقاومة الوطنية لقبائل ضد الغزو البريطاني لمنطقة الخليج العربي 1778-1820. مقال منشور في: مجلة العلوم الإنسانية، ع 15، مج1، السنة 2013، ص 367.
2. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 347-348: محمود بهجت سنان، المرجع السابق، ص 36.
3. تعددت المسميات بخصوص (الدولة السعودية الأولى)، مثل: الوهابية، الموحدية، وغيرها من المسميات. ولكنني ارتأيت استعمال مسمى الادق والصحيح (الدولة السعودية الأولى).
4. محمد مرسي عبد الله، المرجع السابق، ص 96. وللمزيد من التفاصيل في هذا الموضوع ينظر: صالح محمد العابد، المرجع السابق، 134-140.

هذه التبعية، هو تقديم الزكاة وخمس الغنائم، مع ترك الشؤون الأخرى بيد الحكام القواسم⁽¹⁾.

بينما المرحلة الثانية، هي المرحلة التي اعتنق القواسم العقيدة السلفية وامنوا بها بإخلاص، ولعبوا دورا مهما في إسنادها ونشر مبادئها⁽²⁾. وقد استفادوا بهذه الوضعية الجديدة من توحيد جهودهم مع آل سعود في محاربة حاكم عمان، وكذلك أصبحت مغامراتهم البحرية جزءا من حركة الجهاد، وبالتالي فإن الأسلاب تعد غنائم حرب. ومد القواسم نشاطهم البحري إلى سواحل الهند. وكان أول ظهور لهم في شهر افريل عام 1808، قبالة ميناء بومباي. وعليه أتسمت أعمال القواسم البحرية بتأثير العقيدة السلفية، بمسحة من التعصب الديني، الذي لازم هجماتهم البحرية⁽³⁾.

1. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 145.

2. للتفاصيل بخصوص اعتناق القواسم الدعوة السلفية والعمل لصالحه، دار المريخ للنشر، الرياض، 1991، ط2، ص 96-98، 1. ينظر: عبد الفتاح حسن ابوعلية، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الاولى 1157-1233هـ/1744-1818

3. المرجع نفسه، ص 140-146؛ قدري قلعي، المرجع السابق، ص 409.

ثالثا: النشاط البحري للقواسم:

أن ما يسترعي الانتباه، عند الحديث عن النشاط التجاري في منطقة الخليج العربي مال بالتدرج إلى أيدي الدول الأوروبية- التي تناوبت على الوجود في الخليج العربي- لتتحكم به وتفرض إرادتها، وذلك يرجع نتيجة تفاوت الإمكانيات والقدرات التي كانت عليها الدول الأوروبية- وحتى بعض القوى المحلية أيضا-. وهذا ما انعكس سلبا على سكان منطقة الخليج العربي، خصوصا الجماعات التي كانت إمكانياتها ذات مستوى محدود. هذه الصورة المأساوية، زاد من بؤسها طبيعة البيئة الخليجية- في غالبيتها- قاحلة وشحيحة الإمكانيات. فقد كان القواسم يرون في النشاط التجاري مصدر العيش الوحيد تقريبا في بلادهم القاحلة. وكان للتجارة مع موانئ الهند على وجه الخصوص أهمية عظيمة لدى القواسم⁽¹⁾.

وعندما أظهرت الأحداث أن الشركة الانكليزية كانت مصممة على أن تزيد حصتها من تجارة الخليج العربي بشتى السبل والوسائل الممكنة، فان أي زيادة في هذا المجال لن تكون إلا على حساب أبناء المنطقة. ومع نهاية القرن الثامن عشر الميلادي ، كان الانكليز على قناعة تامة، ان المعارضة الحقيقية لمخططاتها في ابتلاع تجارة الخليج العربي، لن تكون إلا من القواسم. وفي ذات الوقت لم تكن الشركة الانكليزية لديها الإمكانيات الحربية الكافية لهزيمة أسطول القواسم القوي⁽²⁾. لقد كان القواسم يمارسون نشاط تجاري مريح وواسع في الخليج العربي، وموانئ الهند، وكان أسطولهم يتألف من: 63 سفينة كبيرة، 669 سفينة صغيرة، وبقوة عاملة بلغت (18760) بحار⁽³⁾.

وفي ظل هذه الأجواء الصعبة، كانت مسألة مهاجمة السفن الأوروبية خاصة- والسفن المتواجدة في الخليج العربي عامة- تبدو منطقية في نظر القوى النامية في المنطقة، والمصدر الأساس في تمويل قدراتها وإمكانياتها الاقتصادية. وقد بدأت المنطقة التي يسيطر عليها القواسم تعاني أنماط من الفاقة مما جعل القواسم يتصدون للسفن التجارية المحملة بالثروات التجارية والتي كانوا لا يستطيعون منافستها بطبيعة الحال. و على الرغم من أن

1. سلطان بن محمد القاسمي، القواسم والعدوان البريطاني 1797-1820، منشورات القاسمي، الشارقة.

2012، ص 58.

2. المرجع نفسه، ص 15.

3. المرجع نفسه، ص 58.

القواسم كانوا يجنون أموالاً طائلة من نشاطاتهم البحرية هذه التي أطلقت عليها كثير من المصادر الأجنبية تعبير السلب والقرصنة⁽¹⁾.

وقد حاول بعض الكتاب تبرير الفعل الذي كان يقوم به القواسم في منطقة الخليج العربي على أنه رد فعل تجاه الهيمنة الأوروبية في مجال النشاط التجاري⁽²⁾. بالمقابل حاول الكتاب الانكليز إظهار أن العمليات العسكرية التي كان يقوم بها القواسم- القرصنة- أنها نزعة معادية للانكليز فحسب، وفي هذا الصدد كتب الرحالة الانكليزي بكنجهام - هو شاهد عيان- في إشارة إلى إحدى الحوادث: " حين استولى القرصنة(القواسم) على السفينة كان قبطانها يحمده ربه لأن سكان الخليج العرب يعرفون أنه فرنسي؛ إذ لم يكن مستبعداً أن يقوم السكان بذبحه أي كان إذا ما ظنوا أنه انكليزي⁽³⁾. وهذا التصوير العنصري الذي يحاول الإيحاء به بكنجهام (Buckingham) يدعو إلى التوقف طويلاً، فأين كانت هذه المشاعر عندما كان الانكليز يمارسون مثل هذا السلوك من قبل. وفي ذات الاتجاه حاول بعض الكتاب الانكليز من أمثال جون كيبي الربط بين تنامي أعمال القرصنة وانضواء القواسم تحت لواء الدعوة السفلية بقيادة آل سعود⁽⁴⁾. وحسبما أرى، أن مثل هذه الآراء والتبريرات التي يسوقها الكتاب الانكليز، ما هي إلا مبررات ومقدمات لتهوين الفعل الذي كانت قد قام به الانكليز في المحيط الهندي عامة ، والخليج العربي خاصة. وهنا يهمني ان استعين بتعليق الكاتب الانكليزي تشارلز بلجريف⁽⁵⁾ - وهو دبلوماسي انكليزي عمل في الخليج العربي- الذي اعترف بان القرصنة سلوك اوربي قبل ان يكون عربي، حين قال:"علما بأنه

1. جمال زكريا قاسم، المرجع السابق ، ص 234.

2. المرجع نفسه ، ص 234.

3. J.S Buckingham, TRAVELS in Assyria, Media, and Persia ,Vol.2, Henry Colburn and Richard Bentley,London,1830, P.166.

4. نتاليا نيكولايفنا تومافيتش، المرجع السابق ، ص 219

5. السير تشارلز دالريمبل بلجريف دبلوماسي بريطاني ومستشار لحكام البحرين من عام 1926 حتى عام 1957 بصفته كبير المسئولين أو المستشار. من مواليد 9 ديسمبر 1894 في انكلترا، درس في مدرسة بيدفورد، وبعدها دخل كلية لينكولن في أكسفورد. خلال الحرب العالمية الأولى خدم في سلاح الجبال الإمبراطوري ، في السودان ومصر وفلسطين. في عام 1915 كان عضواً في بعثة دارفور الاستكشافية ، وحصل على ميدالية وقل السودان. بعد الحرب انتدب إلى الحكومة المصرية لمساعدة إدارة المناطق الحدودية في واحة سيوة. كان مسؤولاً إدارياً في إقليم تنجانيقا في 1924-1925، وبعد ذلك نقل إلى البحرين ليتسلم منصبه هناك. له العديد من المؤلفات أهمها: ساحل القرصنة والعمود الشخصي. توفي في يوم 28 فيفري 1969 في لندن. للتفاصيل ينظر:

https://en.wikipedia.org/wiki/Charles_Belgrave. تاريخ الزيارة في : 20 جوان 2020.

ليس كل القرصنة في الخليج العربي أو بحر العرب كانوا من اصل عربي، بل كان هناك قرصنة من اوربا، وكانت مدغشقر قاعدة خاصة بهم حتى نهاية القرن الثامن عشر⁽¹⁾.

ويبدو لي، إن العدوان الانكليزي على اتحاد القواسم بحجة ما سمي مكافحة "القرصنة"، وانتهاج سياسة استعمارية تعسفية بالتدخل في شؤون الداخلية للقوى المحلية في الخليج العربي منذ عام 1800، حيث كان الانكليز يتدخلون في شؤون الخليج العربي بشكل سمج وغير قانوني مما أزعج السكان. وعندها ثار العرب لهذا الشكل من الاستعمار الغير مسوغ، والتدخل في شؤون الخليج العربي، فهو يسعى للسيطرة على مياهه، التي لم يكن للانكليز الحق أصلا في دخولها، وأخذوا يشنون الهجمات على سفنهم وعندها عد الإنكليز هذه الهجمات قرصنة، وأطلقوا على العرب المسلحين، الذين رفضوا التدخل في شؤونهم الخاصة اسم (القرصنة).

وإذا كانت القرصنة عمل قام به القواسم فعلا، فهذا لايعني الا كرد فعل لما قامت به الدول الأوروبية في هذا المجال، وليس استكمالا لسوك البدوي القائم على السلب والنهب في الغارات ما بين القبائل. وفي هذا يعلق الكاتب قدري قلعي بالقول: "وكان لتفويء القواسم ظل دعوة التوحيد الوهابية، اثر كبير في تسليط الضوء عليها في منطقة الخليج العربي، لما عرف عن القواسم القاطنين (ساحل القرصنة) كما سماه الأوروبيون آنذاك، من تاريخ عريق بالقرصنة التي لاتعدو الامتداد الطبيعي لغارات البدو في الصحاري العربية، والتي كانت ضرورة حتمية لمواجهة أعمال القرصنة الغربية السافرة"⁽²⁾.

ومن ناحية أخرى فان طبيعة القواسم البحرية كانت نتيجة طبيعية لنمط حياتهم حرفهم الرئيسية فهم يقومون بصيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ في أوقات السلم غير أن هذه الأعمال تقتصر على أشهر معدودة في السنة، أما خلال فصل الشتاء فان قسوة البحر على الشواطئ المفتوحة كانت تحول بهم وبين مزاوله مهنتهم بنجاح، بينما تقل الزراعة فيعانون من جراء ذلك ببطالة شاملة. ونتيجة لتلك الظروف البيئية أخذ القواسم يسيطرون على النشاط البحري في المنطقة وبرزت سيطرتهم الواضحة خلال القرن الثامن عشر الميلادي، ومكنهم من ذلك انحسار الموجه البرتغالية الاحتكارية وعدم وجود قوى بحرية مجاورة، فاليعاربة انهارت قوتهم البحرية نتيجة صراعاتهم الداخلية، وفقدت بلاد الفارس نفوذها البحري- الضعيف أصلا- ومن ثم أنفسح المجال أمام القواسم لكي يديروا الحركة الملاحية

1. تشارلز بلجريف، ساحل القرصنة ، ترجمة: عيسى امين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.ت.ن، ص 62.

2. قدري قلعي، المرجع السابق، ص 408-409.

بين موانئ الخليج العربي من ناحية وبين تلك الموانئ وموانئ الهند و الشرق الإفريقي من ناحية أخرى⁽¹⁾.

و حينما أخذت القوى الأجنبية بما فيها الانكليز تتجه إلى السيطرة على تجارة الشرق كان من الطبيعي أن يعجز أسطول القواسم عن منافسة الشركات البريطانية وغيرها ومن ثم تحول نشاط القواسم منذ منتصف القرن الثامن عشر إلى الناحية العسكرية فقاموا بمغامرات بحرية بهدف الاستيلاء على السفن التجارية التابعة لشركة الهند الشرقية الانكليزية التي كانت تمر بسواحلهم. و من جهة أخرى عندما جابه الإنكليز مقاومة ضارية من قبل القواسم تأكد لهم استحالة تحقيق هدفهم في القريب العاجل بالطرق العسكرية فقط، على الرغم من تفوقهم الكبير جدا بالأسلحة. ولهذا لجئوا إلى تديرير المكائد والدسائس وقرروا تقويض قوة هذا التحالف القبلي من الداخل بزيادة تدخلهم في الخلافات التي كثيرا ما كانت تقع بين القبائل⁽²⁾. وهنا انوه إلى رأي متحامل على القواسم من قبل الدكتور صلاح العقاد، حينما حاول التقليل من قيمة المكانة والأهمية التي احتلها القواسم ، كقوة بحرية مرهوبة الجانب في الخليج العربي، بافتقاد قوة كبرى- أوربية أو إقليمية- تستطيع فرض احترام سفنها على القواسم وغيرهم من قبائل المنطقة. حيث كتب يقول: "أما قبيلة القواسم فقد بدأت تظهر كقوة مناوئة للملاحة في الخليج منذ أواسط القرن الثامن عشر، ولم يكن في هذا شي من الغرابة حيث لم توجد في منطقة الخليج آنذاك دولة بحرية كبرى تستطيع فرض احترام سفنها على القراصنة"⁽³⁾. وعلى ما يبدو لي، إن الدكتور صلاح العقاد يجانب الحقيقة، وان الانكليز كانوا بقوة فيها، ولكنهم فقدوا زمان المبادرة، لأسباب كثيرة، ومنها: الحروب التي كانت تخوضها في شبه القارة الهندية، إلى جانب التنافس الحاد مع الفرنسيين بعد الثورة الفرنسية وحقبة نابليون بونابرت، فضلا عن قدرات القواسم وإمكاناتهم أجبرت الانكليز على التحرك بعد ان شعروا بخطورة ما يقوم به القواسم.

مع نهاية الربع الثالث من القرن الثامن عشر الميلادي، كان نجم القواسم قد اخذ بالسطوع في سماء الخليج العربي، وأخذت عملياتهم الحربية تجد صداها في المنطقة. ففي الفترة ما بين 1775- 1779 جرت اعتداءات متكررة بين القواسم- بالتعاون مع شيخ هرمز- وعمان. ومنذ عام 1778 بدأت العمليات البحرية للقواسم بالتزايد في منطقة الخليج

1. نتاليا نيكولايفنا تومافيتش، المرجع السابق ، ص212.

2. جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص210؛ شاعر خصباك، مجتمع يتغير، دولة الإمارات العربية المتحدة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، 1977 ، ص 539.

3. صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 71.

العربي⁽¹⁾. وقد تركز نشاط القواسم على مهاجمة أي سفينة لها علاقة بعمان ومصادرتها بسبب الصراع القائم بينهما. وهذا يعني إن القواسم لم يكن يتعاملوا بحالة من الخصوصية تجاه السفن الانكليزية، وإنما المسألة كانت تعني جزءا من حالة صراع على النفوذ والسيطرة بين قوى إقليمية متنافسة⁽²⁾.

1. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ج 1 89.

2. سلطان بن محمد القاسمي، القواسم والعدوان البريطاني، ص 61.

المبحث الثاني: المواجهة بين الانكليز واتحاد القواسم:

أستطاع القواسم أن يحرزوا شهرة بحرية لاتضاهيها أي قوة بحرية أخرى في منطقة الخليج العربي، وذلك قرابة الثلاث عقود. وساعدهم على ذلك الموقع الجغرافي فالساحل الذي يسيطرون عليه كثير التعرجات ومن ثم كان يسهل على القوارب الصغيرة التابعة للقواسم أن تتخذ منها ملاجئ طبيعية لها. ولهذا كانت هناك صعوبة في التغلب على القواسم إلا من خلال جهود مضاعفة وكبيرة.

أولاً: تنامي قوة القواسم البحرية:

تمكن القواسم بمرور الوقت من بناء قوة بحرية لها هيبتها ومكانتها في المنطقة، وكان الغرض من بناء هذه القوة البحرية في أول الأمر موجه ضد العمانيين، نتيجة خلافات واعتبارات تجارية وقبلية. إلى جانب تبنيهم المذهب السلفي الذي نشره آل سعود.⁽¹⁾

لقد تضافرت عدة عوامل ساعدت على نجاح العمليات العسكرية البحرية للقواسم ضد سفن شركة الهند الشرقية الانكليزية في الخليج العربي، والتي تمثلت فيما يلي⁽²⁾:

- اضطراب الأوضاع في بلاد فارس التي عاشت حروب داخلية وحالات تمرد، فضلاً عن التهديدات الروسية لها.
- عدم رغبة إدارة الشركة الانكليزية في بومباي في استنزاف قواها في نشاطات تتصل باستتباب الأمن في الخليج. ولهذا كانت تسائر القواسم في هذا الاتجاه⁽³⁾.
- انشغال الانكليز بمواجهة التهديدات الفرنسية لمصالحها في الهند والخليج العربي⁽⁴⁾.
- تنامي قوة القواسم البحرية من خلال التحالفات مع قوى محلية، كما هو الحال مع آل سعود، وقبيلة بني معين وغيرها.

إن ما يلفت الانتباه من أن الانكليز كانوا طوال النصف الثاني من القرن الثامن عشر وحتى مطلع القرن التاسع عشر الميلاديين يفضون النظر عن السلوك العدائي للقواسم تجاه

1. Mubarak Al-otabi, The Qawasim and British Contral of the Arabian Gulf, Thesis presented for the degree of Doctor of philosophy, University of salford, Inter nationql Studies Unit, 1989, p. 109.

2. علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 171.

3. سلطان بن محمد القاسمي، القواسم والعدوان البريطاني، ص 15 و 58.

4. انظر المبحث الثالث من الفصل الرابع.

مصالحهم. ويشير الدكتور صالح محمد العابد إلى أن القواسم منذ هجومهم على الطراد الانكليزي فايبر (Viper)⁽¹⁾ في 18 ماي عام 1797، ولمدة سبع سنوات تقريبا، كانت السفن التي ترفع العلم البريطاني تبحر بحرية في طريقها بين الهند والخليج العربي⁽²⁾. وعلى ما يبدو إن انشغال القواسم بصراعهم مع عمان، قد شغلهم عن القيام بمثل هذه الأعمال المسلحة ضد الانكليز.

وكانت إدارة الشركة الانكليزية في بومباي كانت تفضل التزام السلام دائما في علاقاتها مع عرب الخليج العربي، حتى أنها كانت تصدر أوامرها وتعليماتها للبحارة الانكليز بعدم البدء بإطلاق النيران عليهم. ولكن مع تزايد الهجمات على السفن الشركة الانكليزية في الخليج العربي، نجدها قد تبنت سياسة جديدة للعمل هدفها تأمين التجارة الانكليزية⁽³⁾.

كثف القواسم من هجمات المسلحة على السفن الانكليزية - وغيرها - على اثر وفاة حاكم عمان سلطان بن احمد عام 1804، وعلى ما يبدو إن القواسم أحسوا ان مقتل هذا الرجل قد فسح المجال أمامهم للعمل بكل حرية في الخليج العربي، لما كان يتمتع به من تأثير في المنطقة. وفي هذه الصدد يعلق مايلز قائلا: "ولم تؤثر وفاة السيد سلطان على بلاده فحسب، ولكنها خلقت حالة من الاهتزاز السياسي في الخليج كله، فقد اختفى المحارب الذي كان مثالا للشجاعة والنشاط في مواجهة الأعداء، وارتبك الأمن الاجتماعي الذي جعل كل رئيس يفكر في الدفاع عن نفسه دون أن يعرف أعداده من أصدقائه"⁽⁴⁾. فيما يرجع الدكتور عبد الرؤوف سنو أسباب تنامي العمليات البحرية للقواسم إلى المنافسة الحادة بينهم والعمانيين نتيجة لاعتبارات تجارية وقبلية، حين قال: "إن تزايد نشاط القواسم البحري جعلهم في منافسة حادة مع المسقطيين (العمانيين) نتيجة لاعتبارات تجارية وقبلية خصوصا بعد اعتناق القواسم التعاليم السلفية الوهابية وتوظيفهم الجهاد الديني في غاراتهم ضد السفن الأجنبية"⁽⁵⁾. ومهما كانت الآراء والتعليقات بهذا الخصوص، فإن مسألة تبوأ القواسم الصدارة في الخليج العربي، لم يأت في ليلة وضحاها، وإنما ساهمت ظروف اقتصادية وسياسية في هذا الظهور. وشكل هذا الظهور تهديد لمصالح الانكليز في الخليج العربي- وحتى خارجه- والقوى المحلية التي كانت منافسة لها.

1. كان الطراد فايبر راسيا في ميناء بوشهر شمال الخليج العربي. وهناك مقر المقيمة الانكليزية.
2. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 212؛ Mubarak Al-otabi, Op. cit, p. 108.
3. علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 172.
4. س.ب. مايلز، المرجع السابق، ص 199.
5. عبد الرؤوف سنو، المرجع السابق، ص 5-6.

وقع أول هجوم من القواسم على السفن الانكليزية في القرن التاسع عشر الميلادي، في عام 1804، عندما تعرض الطراد الانكليزي فلاي (Fly) للغرق قرب جزيرة قيس الواقعة على مقربة من الساحل الشرقي للخليج العربي. والطراد فلاي كان في مهمة نقل الرسائل الرسمية وأموال الشركة إلى المقر الرئيس في بومباي. وبعد عودة البحارة الانكليز إلى بومباي، قاموا بشراء سفينة- من صنع محلي- من اجل مواصلة السير إلى بومباي بأقصى سرعة ممكنة. وفي طريقهم على مقربة من جزيرة قشم قامت سفن القواسم بأسر السفينة وطاقمها الانكليزي، وأخذوهم إلى ميناء رأس الخيمة. وعندما علم القواسم من أن هؤلاء الأسرى الانكليز هم طاقم السفينة فلاي، فقد ساوموا هؤلاء بإطلاق سراحهم شرط إرشادهم على موقع السفينة الغارقة. وبالفعل وافق البحارة الانكليز على الطلب وارشدوا القواسم على الموقع وأطلق سراحهم⁽¹⁾.

في بداية عام 1805 تمكن أسطول القواسم من الاستيلاء على السفينتين الانكليزيتين شانون (Shannon) وتريمر (Trimmer) التابعتين للمقيمة الانكليزية في البصرة. وقام القواسم بإعادة تسليحهما وضمهما لأسطولهم⁽²⁾. وبعد فترة وجيزة تمكن القواسم أيضا من الهجوم على طراد الشركة الانكليزية مورنينجتون (Mornington) الذي كان يجوب مياه الخليج لتأمين التجارة من هجمات الفرنسيين، إلا أن بحارة الطراد البريطاني أطلقوا النار على سفن القواسم الذين لاذوا بالفرار. وفي شهر افريل عام 1805 هاجم القواسم سفينة الشركة الانكليز كوين (Queen) بالقرب من ميناء مسقط، لكن بحارة السفينة تمكنوا من الدفاع عنها ورد هجوم. القواسم⁽³⁾.

أثارت العمليات البحرية التي يقوم بها الأسطول القاسمي ضد المصالح الانكليزية في الخليج العربي غضب الحاكم العام في الهند، واصدر تعليماته إلى ديفيد دنكان (David Duncan) حاكم بومباي، باتخاذ الإجراءات اللازمة لمعالجة الموقف المضطرب في الخليج العربي، وضرورة التحرك من اجل حماية المصالح الانكليزية وتأمين طرق التجارة. كما أمر

1. J.S Buckingham, TRAVELS in Assyria, Media, and Persia ,Vol.2, Henry Colburn and Richard Bentley, London, 1830, P.209-210; Mubarak Al-otabi, Op. cit, p. 109.

2. Mubarak Al-otabi, Op. cit, p. 110.

3. J.S Buckingham, op.cit, P.224-225 .

بإرسال الكابتن ديفيد ستون (David Stone) على وجه السرعة ، لإعادة فتح المقيمة الانكليزية في مسقط بشكل دائم في يوم 3 مارس 1805⁽¹⁾.

وابلغ جوناثان دنكان المقيم الانكليزي الجديد في مسقط الكابتن ستون بمفاتيح حاكم عمان باستعداد الانكليز تقديم المساعدة والدعم العسكري له في حربه ضد القواسم، لاسيما وان القواسم نجحوا في السيطرة على ميناء بندر عباس⁽²⁾ في أعقاب اغتيال حاكم عمان السابق سلطان بن أحمد في عام 1804 مما أدى بالتالي إلى سيطرتهم على جانبي مدخل الخليج العربي. واعتبر الانكليز هذا التطور تهديدا للملاحة في المنطقة، وقام الانكليز بالتنسيق مع حاكم عمان الجديد بدر بن سيف⁽³⁾ الذي أبدى موافقته على منح الانكليز مكانة مميزة في ميناء بندر عباس تقديرا لمساعدتهم. وكانت هناك تعليمات من بومباي للكابتن ستون ، بإيقاف الدعم الانكليزي للحملة العمانية على القواسم في حال تدخل السعوديين - حلفاء القواسم- طرفا في القتال. وأن يحاول الوصول إلى السلام عن الطريق المفاوضات، وأن يتفادى أية مشاكل أو صعوبات مع حاكم عمان . كذلك أمر بالتنسيق مع المقيم الانكليزي في البصرة ووليم بروس (W.Bruce) المقيم الانكليزي في بوشهر⁽⁴⁾.

ثانيا: الإجراءات الانكليزية في مواجهة تهديد القواسم:

اتبع الانكليز شتى السبل من اجل وضع حد لسطوة القواسم البحرية التي أخذت تنمو منذ نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، ولكن الانكليز عجزوا في هذا الاتجاه. فلم يكن

1. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 166-167.
2. للتفاصيل عن ظروف سيطرة القواسم وحلفائهم من بني معين على بندر عباس وجزيرة قشم ينظر: صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 166-167.
3. بدر بن سيف بن أحمد بن سعيد البوسعيدي، وهو حفيد مؤسس الأسرة البوسعيدية. أصبح عمه سلطان بن أحمد حاكما على عمان عام 1792. بينما كان سلطان بعيدا في رحلة حج إلى مكة في أوائل عام 1803 ، حاول بدر بن سيف السيطرة على حصن الجلاي ، وهو معقل رئيسي يحرس ميناء مسقط. وعندما فشل، تمكن من الهرب ولجأ إلى قطر(الزبارة). وفي قطر طلب الحماية من ال سعود، وتبنى معتقداتهم. وساعده في محاولتين فاشلتين للاستيلاء على مسقط. ثم سافر إلى نجد والتقى الأمير سعود الذي رحب به. وبعد وفاة سلطان بن احمد عام 1804. وكان سلطان قد عين محمد بن ناصر بن محمد الجابري وصيا على العرش وصيا على ابيه الصغيرين سالم بن سلطان وسعيد بن سلطان. اندلع صراع على السلطة داخل الأسرة الحاكمة. حتى تمكن بدر بن سيف من السيطرة على الحكم. في أوائل عام 1805. ولم يهنا في الحكم طويلا حيث قتل في 31 جويلية 1806 من ابن عمه سعيد بن سلطان. ينظر: س.ب. مايلز، المرجع السابق، ص 199؛ صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 170-171
4. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 167-168.

أمامهم إلا أتباع أساليب التزييف وقلب الحقائق. فكانت بدعة القرصنة ، واتهام القواسم بهذا النشاط تمهيدا لضربهم والقضاء عليهم، ولكن الهدف الحقيقي، كان رغبة الانكليز في وضع حد لمنافستهم التجارية لشركة الهند الانكليزية.

أن العمليات العسكرية البحرية التي كان يقوم بها القواسم لم تكن من أجل القرصنة- كما يحاول الانكليز إلصاقها بهم- وإنما لاستعادة حق لهم أو للدفاع عن هذا الحق، وأن الانكليز لجوا إلى ابتداع تهمة القرصنة وإلصاقها بعرب الخليج العربي حتى تتخذ لنفسها ذريعة لترسخ قبضتها بالقوة العسكرية على سواحل الخليج العربي، وتؤمن سيطرتها على المياه العربية المتحكمة في طرق مواصلاتها إلى الهند، ولتبرر وجودها في المنطقة بأكملها حفاظاً على مستعمراتها في الهند، التي كانت تعدها أغلى جوهرة في التاج البريطاني، وبغية منع أي نفوذ غربي من الوصول إلى هذه الجوهرة. وبالتالي كي تكون لها اليد الطولى في توجيه كل إمكانيات هذه المنطقة بما يخدم مصالحها. غير أن الانكليز، الذين نجحوا في إبعاد هذه القوى في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، لم تجد الطريق إلى الخليج معبداً، فقد اصطدمت بالقوى العربية، التي شعرت بالزعة الاستعمارية للانكليز، فهبت لمقاومتها وإفشال مخططاتها، كما فعلت بالمستعمرين الآخرين. وعندها ما كان من الانكليز إلا أن لجوا إلى القوة لمواجهة المقاومة العربية- الممثلة بالقواسم-، وبررت أعمالها بأنها تكافح القرصنة، وأن وجودها في المنطقة يقتصر على فرض الأمن ونشر السلام. وواجهت بريطانيا مقاومة من اتحاد القواسم الذي كان قائماً آنذاك، ورفض مخططات شركة الهند الشرقية.

ان المبرر الذي دفع الانكليز نحو هذا الاتجاه، أي إلصاق تهمة القرصنة بالقواسم- هو قناعتهم من أن كل هجوم ضد وجودهم ونفوذهم في الخليج العربي في وسعة أن يهدد مصالحهم الحيوية، أي أنهم كانوا مستعدين لتحمل المخاطر والقتال لان وجودهم بالذات كان موضوع الرهان⁽¹⁾. ومن هنا، كانت مسألة الادعاء والالتهام الموجه للقواسم بالقرصنة، هو الوسيلة الأساسية لتوطيد النفوذ الانكليزي في الخليج العربي⁽²⁾.

ومن خلال الصفحات القادمة سوف نسلط الضوء على الإجراءات الانكليزية من اجل وضع حد للنشاط البحري للقواسم في منطقة الخليج العربي، وحسم المنافسة لصالحها في القضاء على أخرقوة عربية مسلحة كانت قادرة ان تقف بوجه الانكليز وتعرقل مشاريعهم الاستعمارية في منطقة الخليج العربي مطلع القرن التاسع عشر.

1. انطوان متي، الخليج العربي من الاستعمار البريطاني حتى الثورة الايرانية 1798-1979، دار الجيل،

بيروت، 1993، ط1، ص 67.

2. زكي صالح، المرجع السابق، ص 113.

1. الحملة الأولى 1805:

تحركت الحملة البحرية العمانية يساندها الأسطول الانكليزي في يوم 15 جوان عام 1805 باتجاه ميناء بندر عباس لاستعادته من قبضة القواسم وحلفائهم من بني معين⁽¹⁾. وتمكنوا من الانتصار على القواسم بعد قتال لم يدم إلا يوما واحدا. وفي يوم 3 جويلية عام 1805 وصلت المعلومات للقوات المتحالفة تفيد أن القواسم بدؤوا يحركون أسطولا بحريا مكونا من (30) سفينة صغيرة من جزيرة قشم. وعلى اثر ذلك، سارع الأسطول العماني بمساعدة الانكليز وأحكموا الحصار على أسطول قواسم الذي كان لايزال بالقرب من سواحل جزيرة قشم رغم محاولات القواسم لفك ذلك الحصار عن الجزيرة. ولكن لم يفلح في ذلك⁽²⁾.

مما اجبر القواسم على طلب الهدنة، وأرسلوا إلى حاكم عمان بدر بن سيف يعرضون عليه السلام، وإبرام هدنة بين الطرفين المتحاربين. ورحب بدر بن سيف بهذا العرض لرغبته الشديدة في عودته إلى مسقط التي كانت تشهد اضطرابات داخلية، واتفق الطرفان على أن يعيد القواسم السفينة تريمير التابعة للشركة الانكليزية خلال خمسة وعشرين يوما، وعلى إبرام هدنة بينهما لمدة سبعين يوما.

ووقع الطرفان على اتفاقيتهما في يوم 6 فيفري عام 1806⁽³⁾، والتي نصت بنودها على إقامة سلام بين الشركة الانكليزية وسلطان بن صقر القاسمي زعيم القواسم وأتباعه. واحترام كلا الطرفين لعلم وممتلكات وتوابع الطرف الآخر؛ إذا خرق القواسم الاتفاق على القواسم دفع غرامة مالية مقدارها (30000) روبية؛ وكذلك يقدم القواسم المساعدة والحماية للسفن الانكليزية التي تجنح إلى شواطئهم ويقوموا بتزويدها بالوقود أو الماء. ومن البنود المهمة في الاتفاقية؛ وفي حال إذا أجبر الأمير السعودي القواسم على الخروج عن اتفاقية السلام هذه، فيجب عليهم وفي جميع الحالات إرسال إنذار قبل ثلاثة أشهر. وكذلك

1. يشير كل من : س.ب.مايلز وقدري قلعي في ذكر تاريخ الحملة ، على أنها في عام 1806، ولكن الصحيح والمتفق عليه هو عام 1805، للمقارنة ينظر: س.ب.مايلز، المصدر السابق، ص 200-201؛ قدري قلعي، المرجع السابق، ص 210.

2. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ج 2، ص 977، قدري قلعي ، المرجع السابق، ص 210. محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 120: 113 . Mubarak Al-otabi, Op. cit,

3. تشارلز بلجريف، المصدر السابق، ص 66.

إعادة السماح للقواسم بالتعامل التجاري مع الموانئ الانكليزية من سورات حتى البنغال من جديد⁽¹⁾.

وقد وقع الاتفاقية عن الجانب الانكليزي الكابتن ديفيد سيتون الوكيل البريطاني في مسقط، ومن جانب القواسم عبد الله بن كروش- ممثل الشيخ الأعلى للقواسم-، وبعد ذلك تم اعتمادها من قبل الشيخ الأعلى للقواسم سلطان بن صقر، ومن قبل الحاكم الانكليزي العام في الهند في 29 افريل عام 1806⁽²⁾.

ولابد من الإشارة هنا، إن الحملة البحرية الأولى تعتبر أول محاولة جدية من الانكليز لمواجهة تهديدات القواسم للمصالح الانكليزية في منطقة الخليج العربي. فعلى الرغم من انشغال الانكليز في العديد من الجبهات لمواجهة التحدي الفرنسي للمصالح الانكليزية في الشرق، ولكنها بذلت جهدا استثنائيا لمواجهة ما يقوم به القواسم من تهديد لمصالحهم⁽³⁾.

2. الحملة الثانية 1809:

في إغقاب اغتيال حاكم عمان بدر بن سيف في 13 جويلية عام 1806 وتولي سعيد بن سلطان البوسعيدي مقاليد الحكم في عمان، تجدد النزاع الصراع المسلح بشكل خطير بين القواسم والعمانيين خاصة بعد ازدياد قوة القواسم الذين تماثلت خطورتهم في البحر. كما شعر سعيد بن سلطان بخطورة حلفائهم من الوهابيين على اليابسة، مما شكل تهديدا خطيرا لتجارة عمان. ولابد من الإشارة هنا، ان بدر بن سيف كان مواليا للسعوديين، ونتيجة هذا دعم القواسم (بدرا) في صراعه على السلطة في عمان⁽⁴⁾. ونتيجة ذلك، سارع القواسم بزعامة سلطان بن صقر إلى التحرك لاستعادة خورفكان التي كان قد استولى عليها حاكم مسقط سعيد بن سلطان من قبل. وبعد قتال عنيف انسحب العمانيون من خورفكان وتبعهم القواسم حتى اقتربوا من مدينة صحار العمانية. أما القوات السعودية بقيادة مطلق بن محمد المطيري فقد تمكنت من الاستيلاء على المدن العمانية: نزوى وبهلي ومطرح مما كان يعني تهديدا خطيرا لمعقل سعيد بن سلطان في مدينة مسقط⁽⁵⁾.

1. س.ب. مايلز، المصدر السابق، ص 201؛ علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 174. محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 122. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 216.
2. صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 76؛ علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 174.
3. زكي صالح، المرجع السابق، ص 113.
4. س.ب. مايلز، المرجع السابق، ص 201.
5. علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 174-175.

في خضم هذا الصراع الدائر بين حاكم عمان من جهة والقواسم وحلفائهم السعوديين من جهة أخرى، كان موقف شركة الهند الشرقية الانكليزية في بادئ الأمر يتسم بالحياد التام مما دفع بسعيد بن سلطان إلى عقد اتفاقية سلام مع القواسم وحلفائهم في نهاية عام 1808. وتعكس شروط الاتفاقية خضوع سعيد بن سلطان للقواسم. ولم يكن سعيد بن سلطان عازماً على استمرار في هذا الخضوع، بل كان يسعى دائماً إلى الاستقلال التام. وحتى يبلغ هذا الهدف رأى انه في حاجة ال مساعدة خارجية من إحدى الدولتين المتنافستين على السيطرة على الخليج العربي في ذلك الوقت هما بريطانيا وفرنسا، وأبدت حكومة شركة الهند الشرقية الانكليزية في بومباي رغبتها في الوقوف إلى جانبه هذه المرة، لاسيما وأن الشركة الانكليزية كانت تعد العدة للقيام بحملة ثانية على القواسم الذين تعاضمت قوتهم بشكل كان يهدد طريق التجارة الانكليزية في الخليج العربي والمحيط الهندي. ورأى سعيد بن سلطان إن اشتراكه في هذه الحملة سوف يؤدي إلى توثيق عرى الصداقة بينه وبين الانكليز، وأنه باستعانتهم بهم يمكنه تحقيق بعض تطلعاته التي كانت تهدف إلى استعادة الموانئ والجزر التي استولى عليها القواسم من قبل. كما انه من المحتمل الاستفادة في كسب تأييدهم له ضد مناوئيه أو ضد الحركات الانفصالية التي كانت تحدث في ممتلكاته في عمان من وقت إلى آخر⁽¹⁾.

سعت إدارة الشركة الانكليزية في بومباي إلى العمل على كبح جماح القواسم الذين باتوا يشكلون خطراً كبيراً على سفن الشركة المتجهة من وإلى موانئ الخليج العربي، وكان القواسم قد نقضوا اتفاقية 6 فيفري عام 1806 باشتراكهم مع آل سعود في الهجوم على موانئ عمان مما أثار المخاوف لدى الانكليز من حدوث المزيد من الاضطرابات العسكرية التي تؤثر على سير الملاحة في المنطقة. ورغم أن بريطانيا قد وقفت موقف الحياد التام كما أشير إلى ذلك في الصراع بين حاكم عمان من جانب والقواسم وحلفائهم من السعوديين⁽²⁾ من جانب آخر. إلا أن تمادي القواسم في الهجوم على عدد من سفن الشركة الانكليزية

1. علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 175-176.

2. نجد خلال هذه المرحلة من النشاط الانكليزي في الخليج العربي تجنبهم الاصطدام مع السعوديين ومعاداتهم. فوجد الانكليز انه لا مصلحة لهم في هذه المرحلة من اثار السعوديين- وهو القوة الضاربة في الجزيرة العربية-. وهذا الموقف في تعهد الامير سعود الكبير للانكليز في رسالة بعثها إلى بومباب اخبرهم بها من انه منع المسلمين من مهاجمة السفن الانكليزية، وان اي تاجر انكليزي ياتي إلى موانئ المسلمين سيكون بأمان، وانه لم يقترب من المصالح الانكليزية في الخليج العربي. وهو اقصى ما كان يسعى اليه الانكليز. ينظر: منير العجلاني، تاريخ البلاد العربية السعودية (الدولة السعودية الاولى)، ج3: عهد الامام سعود الكبير، دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة، الرياض، 1993، ط2، ص 82.

والاستيلاء عليها كان مبررا كافيا لاتخاذ الشركة الانكليزية التدابير اللازمة حول إعداد حملة عسكرية بحرية ثانية ضد القواسم.

وفي أوائل شهر ماي عام 1808 حدث اشتباك بين عدد من قوارب القواسم وبين طراد فيوري (Fury) وهو في طريقه من ميناء البصرة إلى ميناء بومباي في الهند، ولكنه تمكن من صد هجوم القواسم. وعند وصول الطراد فيوري إلى بومباي لم يلق قائد الطراد أي استحسان من مجلس رئاسة الشركة الانكليزية لمقاومته الحماسية لقوارب القواسم بل تلقى تعنيفا قاسيا من الحاكم العام البريطاني في بومباي شخصيا نظرا لعصيانه الأوامر التي تحظر على سفن الشركة التجارية الاشتراك في أعمال عسكرية بحرية. وفي شهر ماي عام 1808، هاجم القواسم السفينة التجارية مينرفا (Minerva) بالقرب من رأس مسندم وهي في طريقها من بومباي إلى ميناء البصرة. وتمكن القواسم في هذه المرة من الاستيلاء عليها وتفريغ حمولتها في رأس الخيمة⁽¹⁾.

وفي العشرين من أكتوبر عام 1808 هاجم القواسم الطراد البريطاني سيلف (Sylph) واستولوا عليه وسحبوه إلى رأس الخيمة وأسروا العديد من بحارته و من بينهم زوجة الكابتن روبرت تايلور (Robert Taylor)، وكذلك قائد الطراد الذي أعدمه القواسم وكان حمولة الطراد سيلف حوالي ثمانية وسبعون طنا من المواد المختلفة، وعلى سطحه ثمانية مدافع. وكان هذا الطراد هو احد قطع الأسطول البحري المرافق للسير هارفورد جونز (Sir Harvord Jones)⁽²⁾ في بعثته إلى بلاط شاه فارس⁽³⁾.

وكانت هذه الهجمات تعكس تعاظم قوة القواسم في مياه الخليج العربي - وخارجها، وهو ما دفع حسب رأي الدكتور محمد حسن العيدروس ما شجع الشيخ الأعلى للقواسم إلى الطلب من الانكليز دفع إتاوات سنوية من اجل حماية السفن الانكليزية خلال مرورها في مياه الخليج العربي⁽⁴⁾. ويبدو، إن الانكليز لم يعد يستحملوا سلوك القواسم في الخليج العربي، والتهديد المستمر لمصالحهم وتجارتهم. فما كان الا قرار الحرب هو الحل للتخلص من

1. علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 176-177؛ Mubarak Al-otabi, Op. cit, p. 113-114.
2. عين السير هارفورد جونز سفير فوق العادة لدى البلاط الفارسي لمواجهة المد والزحف الفرنسي في بلاد فارس. للتفاصيل عن مهمة السير هارفورد جونز، ينظر: زكي صالح، المرجع السابق، ص 102-105.
3. نتاليا نيكولايفنا تومافيتش، المرجع السابق، ص 222-223؛ محمد عدنان مراد، المرجع السابق، ص 282.
4. ر.ف. كليكوفسكي وف.أ. لوتسكييفيتش، المرجع السابق، ص 18؛ محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 121.

القواسم. لاسيما وان المقيم الانكليزي في مسقط سيتون، قد وصل في مستها شهر جانفي 1805، حيث اكتشف أن القواسم أصبحوا يشكلون خطرا على خطوط الملاحة الرئيسية في الخليج العربي⁽¹⁾.

لقد أوصلت العمليات العسكرية البحرية من قبل القواسم تجاه المصالح الانكليزية في الخليج العربي العلاقة بين الانكليز والقواسم إلى الأزمة⁽²⁾، وان السلام الذي أؤكد في معاهدة عام 1806 ما عاد يمكن الإيمان به. ووجد الانكليز لا حل لما يقوم به القواسم ووضع حد له إلا عبر حملة عسكرية أخرى لضرب القواسم في عقر دارهم والقضاء عليهم بشكل تام، وهكذا يستطيع الانكليز تأمين مصالحهم في المنطقة⁽³⁾.

لم يوافق الحاكم العام الانكليزي في الهند ايرل منتو (Minto)⁽⁴⁾ الا بعد تردد . وفي يوم 3 افريل 1809 طلب من ديفيد دنكان الإعداد لحملة عسكرية من اجل القضاء على القواسم⁽⁵⁾. وانتهت الاستعدادات الانكليزية للحملة في شهر جوان عام 1809، ولكن السير مالكولم طلب تأجيل انطلاق الحملة حتى اوت او سبتمبر، كون الرياح الموسمية على وشك أن تهب في المنطقة الغربية من المحيط الهندي. مما يشكل عائقا للانسيابية حركة السفن⁽⁶⁾.

السفن⁽⁶⁾.

1. جون ب. كيلبي، المصدر السابق، ص 185.
2. للتفاصيل عن العمليات العسكرية التي قام بها القواسم من توقيع معاهدة عام 1806 وحتى انطلاق الحملة الثانية في عام 1809، وتأثيراتها على المصالح الانكليزية. ينظر: صالح العابد، المرجع السابق، ص 218-224.
3. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 218.
4. جيلبرت إليوت موراي كينينماوند، إيرل مينتو الأول، دبلوماسي وسياسي اسكتلندي، ولد في 23 افريل 1751 في مدينة ادنبرة. ينتمي إلى عائلة نبيلة وشغل افرادها مناصب سامية في بريطانيا. وكان معروفا باسم السير جيلبرت اليوت حتى عام 1797. اكمل دراسته في القانون وعمل محاميا. انتخب عضوا في مجلس العموم بين عامي 1776-1795، عين نائبا للملكة في كورسيكا خلال الفترة 1793-1796. وحل محل اللورد ويلزلي حاكما عاما للهند خلال الفترة 1807-1813. لم تكن ادارة في الهند مميز حيث واجه العديد من المشاكل في شبه القارة الهندية والخليج العربي. توفي اللورد مينتو في 21 جوان عام 1814، عن عمر يناهز 63 عاما، ودفن في وستمنستر. للتفاصيل ينظر:
https://en.wikipedia.org/wiki/Gilbert_Elliott-Murray_Kynynmound,_1st_Earl_of_Minto. تاريخ الزيارة في : 25 اوت 2020.
5. جون ب. كيلبي، المصدر السابق، ص 186-187.
6. المصدر نفسه، ص 188.

وفي يوم 7 سبتمبر عام 1908 انطلقت حملة ضخمة من ميناء بومباي، وانيطت قيادة الحملة للكولونيل ليونيل سميث (Lionel Smith)⁽¹⁾ وقيادة الأسطول الحربي⁽²⁾ للكابتن جون وينرايت (John Wayne Wright) وعين الكابتن ستون مسئولا سياسيا لها، وتألفت الحملة البرية من: الكتيبة (47)، (65)، وكتيبة مدفعية رقم (2) من الفرقة الثانية، وكتائب مشاة الهنود في بومباي، ومن وحدة من قوة مشاة البحرية في بومباي. وبلغ عدد جنود الحملة: 54 ضابط و1304 جندي، حملتهم أربع سفن شحن كبير معدة لهذا الغرض⁽³⁾.

وكانت التعليمات التي صدرت لقائدي الحملة في 7 سبتمبر 1809 قد اعتبرت ميناء رأس الخيمة الهدف الأساس لها، وضرورة التحرك المباشر لها من دون الانشغال بأي أمور أخرى. وان تستخدم القوات العسكرية على الساحل لتحقيق هذا الغرض دون غيره، فضلا عن تدمير الأسطول القاسمي بشكل كلي وتام في رأس الخيمة وباقي الموانئ التابعة للقواسم على ساحل عمان وكذلك على الساحل الشرقي مثل: لنجة ولافت في جزيرة قشم. بالإضافة إلى إجراء مسح شامل ودقيق للمنطقة التي يستوطنها القواسم⁽⁴⁾. ومن خلال هذه التعليمات التعليمات يتضح لنا من ان الانكليز كانوا مصرين على تدمير أسطول القواسم ومراكز تواجده في كل مكان، لكون ذلك سوف يقضي على نشاط القواسم المعادي لهم في الخليج العربي وخارجه⁽⁵⁾.

1. ليونيل سميث من مواليد يوم 9 اكتوبر 1778، كانت والدته كاتبة شهيرة شارلوت تيرنر سميث. كان والده بنيامين سميث ، وكان جده لأبيه ريتشارد سميث، تاجر ثري ومالك عبيد. التحق بجيش شركة الهند الشرقية الانكليزية في بومباي. وشارك في العديد من المعارك العسكرية تحت لواء الشركة. وفي عام 1821 ، قاد حملة عقابية ضد قبيلة بني بوعلي في عمان. ورقية إلى رتبة عقيد وعين قائدا للفرقة 96 خلال الفترة ما بين 1832-1834، وكان الحاكم الخامس لموريشيوس من 16 يوليو 1840 إلى يوم وفاته في 2 جانفي عام 1842. وبعدها منح رتبة شرفية لخدماته في الجيش كقائد للفرقة 40 مدى الحياة في يوم 2 جانفي 1842. تزوج مرتين من: الين ماريان التي توفت في عام 1814، وايزابيلا كوروين في عام 1819. للتفاصيل ينظر: تاريخ الزيارة في : 22 اوت 2020

https://en.wikipedia.org/wiki/Sir_Lionel_Smith,_1st_Baronet ,

2. انظر جدول رقم (4).

3. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 229-230.

4. المرجع نفسه، ص 231-232.

5. س.ب. مايلز، المصدر السابق، ص 202، محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 121.

جدول رقم (4)

التشكيلات البحرية للحملة الانكليزية الثانية على القواسم 1809⁽¹⁾

ت	اسم القطعة الحربية	النوع	التسليح	الانتماء
1	السفينة لاشيفون	فرقاطة	36 مدفع	البحرية الملكية
2	السفينة كارولين	فرقاطة	36 مدفع	البحرية الملكية
3	مورنكتون	طراد	22 مدفع	بحرية الشركة
4	تاكنماوت	طراد	16 مدفع	بحرية الشركة
5	ترينت	طراد	16 مدفع	بحرية الشركة
6	نوتيلوس	طراد	14 مدفع	بحرية الشركة
7	اوروا	طراد	14 مدفع	بحرية الشركة
8	فستال	طراد	10 مدفع	بحرية الشركة
9	اربال	طراد	10 مدفع	بحرية الشركة
10	فيوري	طراد	10 مدفع	بحرية الشركة
11	ميركوري	طراد	14 مدفع	بحرية الشركة
12	برنس اوف ويلز	طراد	14 مدفع	بحرية الشركة
13	سترومبولي	سفينة شحن	—	بحرية الشركة

وصلت الحملة الانكليزية إلى ميناء مسقط في 23 أكتوبر بعد أن واجهت الكثير من المصاعب في طريق إبحارها من بومباي نحو الخليج العربي، وفي مقدمتها غرق حاملة الذخيرة والمعدات (سترومبولي)⁽²⁾، وفقدت الحملة جزءا كبيرا من ذخيرتها، وهو ما سيؤثر على عملية مهاجمة رأس الخيمة، لكونها قادرة على التقدم في المياه الضحلة أكثر من باقي السفن. وقد رست الحملة لعدة أيام من أجل التزود بالمياه، وناقش خلالها قادة الحملة الخطط العسكرية مع حاكم عمان سعيد بن سلطان⁽³⁾. وكانت من الأخبار السيئة التي وصلت مسامع قادتها أثناء الإبحار إلى منطقة الخليج العربي- فضلا عن الرياح التي عاقت حركة الحملة - هو وفاة المقيم الانكليزي في مسقط ستون، والذي يعد بنك معلومات- إن صح التعبير- عن

1. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 228-229: ميخين فيكتور ليونوفيتش، المرجع السابق، ص 344.

2. محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 122.

3. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 234-235: ميخين فيكتور ليونوفيتش، المرجع السابق، ص 345-346.

المنطقة، وكان من الممكن أن يقدم المعلومات الوفيرة لقادتها في كيفية التعامل في المنطقة(1).

ونظرا للعداوة بين حاكم عمان من جهة والقواسم وحلفائهم السعوديين من جهة أخرى، فقد رحب سعيد بن سلطان بالحملة والأهداف المسطرة لها، وأرسل رفقة الحملة عدد من سفن أسطوله لمساندة الحملة على رأس الخيمة⁽²⁾.

وفي 11 نوفمبر عام 1809 وصلت سفن الحملة قبالة رأس الخيمة، ولكن ضحالة المياه أمام سواحل رأس الخيمة اضطرت السفن إلى الوقوف على مسافة تتراوح بين ميلين وأربعة أميال و بدأت السفن قصف المدينة طوال يوم 12 نوفمبر. ودافع القواسم ببسالة عن مدينة رأس الخيمة بيد أن الانكليز تمكنوا في صباح يوم 13 نوفمبر من فتح ثغرة في دفاع المدينة واندفعوا منها إلى داخلها، وعند الظهر تمكنوا من احتلال وسط المدينة في حين ظلت الأجزاء الشمالية منها في أيدي القواسم، وشرعت سفن الحملة بعد ذلك في تدمير وإحراق أسطول القواسم⁽³⁾.

ترددت الأنباء عن اقتراب قوات كبيرة من الوهابيين في اتجاه رأس الخيمة و لما كانت تعليمات الرئاسة الصادرة للسفن البريطانية تحظر عدم الاشتباك مع الوهابيين في عمق اليابسة من أراضي رأس الخيمة، فقد اصدر قائد الحملة في صباح يوم 14 نوفمبر عام 1809 الأوامر بانسحاب جنود الحملة الانكليز إلى سفنهم وطراداتهم حتى لا تتورط القوات البريطانية في معارك برية قد لا يكون النصر حليفها فيها⁽⁴⁾.

غادرت الحملة ميناء رأس الخيمة نحو ميناء لنجة التابع للقواسم الواقع على الساحل الشرقي للخليج العربي، واستولت عليه دون مقاومة في يوم 17 نوفمبر عام 1809، بينما توجهت السفينة كارولين (Caroline)- إحدى قطع الاسطول الانكليزي في الحملة- بالاشتراك مع سفن حاكم عمان سعيد بن سلطان في يوم 6 ديسمبر عام 1809 للهجوم على خورفكان وكلباوشناص لاستعادتها من قبضة القواسم وتم ذلك في يوم 31 ديسمبر عام

1. Mubarak Al-otabi, Op. cit, p.119.

2. منير العجلاني، المرجع السابق، ص 86.

3. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 237-240؛ جون ب.كيلى، المرجع السابق، ص 192.

4. تشارلز بلجريف، المصدر السابق، ص 70؛ قدرى قلعي، المرجع السابق، ص 408؛ علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 179؛

Mubarak Al-otabi, Op. cit, p. 119-120.

1809. وفي نفس الوقت تحرك الطرادان ترينيت و نوثلوس نحو جزيرة قشم - وتحديدا ميناء لافت- لإخضاعها حيث كانت توجد قوة للقواسم محصنة و مزودة بالمباريس والمدافع. وبدأت الاشتباكات بين الطرفين بصورة عنيفة، وفي يوم 28 نوفمبر عام 1809 تم الاستيلاء على الميناء وحرق سفن القواسم الموجودة هناك وعددها عشر سفن⁽¹⁾.

وفيما يخص نتائج الحملة العسكرية، فقد أعرب قائد الحملة الكولونيل سميث في تقرير له إلى مجلس رئاسة الشركة البريطانية في بومباي عن أمله في أن يكون القواسم قد تلقوا درسا قاسيا من خلال هذه الحملة⁽²⁾. وعلى الرغم من عنف تلك الحملة العسكرية البحرية التي قامت بها سفن الشركة البريطانية ضد القواسم إلا أنها لم تأت بنتائج إيجابية بشكل كاف ولم تحقق كل الأهداف التي قامت من أجلها، فلم تتمكن الحملة البريطانية الثانية مثلا من تدمير كافة سفن القواسم إذ عندما علم القواسم باقتراب الحملة قاموا بإخفاء العديد من سفنهم في أخوار عميقة غرب رأس مسندم. ولم يتمكنوا الا من تحطيم ما تبقى منه في خليج رأس الخيمة⁽³⁾. وعلى الرغم من ذلك، فقد تكمن الانكليز من تدمير رأس الخيمة وحصنها فضلا عن تدمير جميع المراكب والسفن والمستودعات، فضلا عن نهب الممتلكات العينية والأموال من المدينة. ويشير الدكتور منير العجلاني من عدد ما دمر للقواسم من سفن قرابة (120) من الداوات- وهي سفن صغير ذات 6 مدافع- كانت موجودة في خليج رأس الخيمة أثناء الهجوم الانكليزي⁽⁴⁾.

أما عن هدف الحملة الخاص بإعادة بعض المواقع التي انتزعتها القواسم من سلطان مسقط إليه فلم تعد بفائدة لأنه على الرغم من عودة تلك المواقع إلى حوزته إلا أن تعاونه مع الحملة البريطانية جلب عدااء الوهابيين الذي ظل يعاني منه طويلا⁽⁵⁾. وتمكن الانكليز من إجبار القواسم على تجنب مهاجمة السفن التجارية البريطانية أو تلك التي تحمل أعلاما بريطانية، وكذلك قام الانكليز في أعقاب الحملة بفرض حظر على تصدير الأخشاب اللازمة لصناعة السفن من موانئ الهند إلى موانئ الخليج بناء على نصيحة مانستي (Man City)

1. جون ب. كيلى، المصدر السابق، ص 193؛ محمد عدنان مراد، المرجع السابق، ص 283. وللتفاصيل أكثر عن العمليات العسكرية التي دار خلال الحملة، ينظر: ميخين فيكتور ليونوفيتش، المرجع السابق، ص 346-358.

2. علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 180.

3. س.ب. مايلز، المصدر السابق، ص 202؛ محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 122.

4. منير العجلاني، المرجع السابق، ص 79.

5. محمد عدنان مراد، المرجع السابق، ص 283.

المقيم الانكليزي في ميناء البصرة، وكان الهدف من هذا الإجراء حرمان القواسم من بناء سفن جديدة⁽¹⁾.

وعلى الرغم من كل الإجراءات التي اتخذها الانكليز، بالإضافة إلى نجاحهم العسكري في تدمير ميناء رأس الخيمة وبعض من الأسطول البحري الخاص بالقواسم، فإنهم لم يتمكنوا من فرض معاهدة جديدة على القواسم⁽²⁾. وهذا ما يعتبر فشلاً سياسياً للانكليز في إجبار القواسم على الالتزام بما كانوا يدعون إليه. وفسح هذا المجال أمام القواسم للعمل بحرية أكبر وإعادة بناء ما دمر من الأسطول، واستعادة قوتهم في الخليج العربي من جديد⁽³⁾.

3. علاقة القواسم بالانكليزية ما بين 1810-1816:

بعد انتهاء الحملة البحرية الثانية ساد الاعتقاد لدى الانكليز من أن القواسم أصبحوا عاجزين عن القيام بأي نشاط جديد في البحر، بقصد مهاجمة السفن الانكليزية⁽⁴⁾. وهو ما حدث بالفعل، عندما توقف القواسم عن مهاجمة السفن الانكليزية خلال الفترة ما بين 1810-1811⁽⁵⁾. وكان هذا أمراً طبيعياً، فقد انشغل القواسم بإعادة اعمار ما تم تدميره من منشآت بحرية في الموانئ التابعة لهم، ولاسيما ميناء رأس الخيمة الذي تعرض لدمار شامل، فضلاً إلى فقدانهم لبعض أسطولهم البحري على اثر تدمير الانكليز لها⁽⁶⁾. وهو ما دفع الانكليز إلى الشعور بالاطمئنان، وهو ما يفسر إعادة كل من الطرادين بنارس (Benares) وبرنس اوف ويلز (Prince of Wales) من مركزهما في الخليج العربي إلى بومباي في شهر نوفمبر 1811⁽⁷⁾. ولكن توقف القواسم لم يكن الا استراحة مقاتل - كما يقال في هكذا امور-، ويبدو ان مسألة عودتهم للنشاط البحري المسلح بات قريب بعد ات تهيأت الظروف لهم من جديد.

ولكن في السنة التالية- 1812- استأنف القواسم نشاطهم في مهاجمة السفن الانكليزية بشكل كبير، وكان يدفعهم في هذا الاتجاه، روح الثأر من الانكليز والعمانيين نتيجة الحملة البحرية السابقة⁽⁸⁾. ونجحوا في تدمير واسر العديد من السفن التجارية، وفي نهاية

1. جون ب. كيلى، المصدر السابق، ص 204؛ علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 180.

2. محمد عدنان مراد، المرجع السابق، ص 283.

3. جون ب. كيلى، المصدر السابق، ص 202.

4. ميخين فيكتور ليونوفيتش، المرجع السابق، ص 359؛ علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 181.

5. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ص 309.

6. محمد عدنان مراد، المرجع السابق، ص 284.

7. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 264.

8. المرجع نفسه، ص 264؛ محمد عدنان مراد، المرجع السابق، ص 284.

العام المذكور، تنامت قوة القواسم البحرية حتى أصبحوا من جديد أقوى قوة على طول خطوط الملاحة في الخليج العربي. وهو ما دفع بالانكليز إلى إرسال الفرقاطة هسبر (HSPR)- وهي تابعة للبحرية الملكية- إلى الخليج العربي في محاولة للقضاء على التهديدات التي تقوم بها السفن التابعة للقواسم. وعلى الرغم من أنها مضت الفترة ما بين نوفمبر 1812 حتى فيفري 1813 ترأقب وتفتش في مياه الخليج العربي عن سفن القواسم، إلا أنها لم تتمكن من العثور على أية سفينة تابعة للقواسم⁽¹⁾.

وفي خريف عام 1813، هاجمت السفن التابعة للقواسم قبالة الساحل الشمالي الغربي من الهند، وفي مطلع عام 1814 نجحت في الاستيلاء على العديد من المراكب التجارية على مقربة من سواحل كاثياوار(شبه القارة الهندية). وقد صدرت الأوامر إلى ثلاث من الطرادات للبحث عن السفن القواسم وتحذيرهم من نتائج بقائهم في المياه الهندية. ونتيجة ذلك، سلم المقيم الانكليزي في شهر ماي عام 1814 بضرورة وقف نشاط القواسم على حدود الهند. ولم يوقف هجمات القواسم على السفن الهندية الا تغير الأحوال الجوية، وبعد تحسنها في أكتوبر عام 1814، ظهرت سفن القواسم من جديد في سواحل الهند الشمالية الغربية بشكل مكثف⁽²⁾.

لقد أصبحت مسألة كبح جماح القواسم والحد من خطورة تأثيرهم على المصالح الانكليزية في الخليج العربي مسألة ضرورية، وفرضت على الانكليز التحرك من اجل تحقيق ذلك بأي وسيلة ممكنة⁽³⁾. وشاءت الظروف أن تكون في صالح الانكليز، عندما نزع الأمير السعودي وشيخ القواسم إلى التفاهم والهدنة، ويرجع سبب ذلك إلى تزايد الضغط المصري على السعوديين في غرب الجزيرة العربية. وقد بعث الأمير السعودي وشيخ القواسم برسائل من اجل التوصل إلى اتفاقية سلام⁽⁴⁾. وقد نالت المبادرة من قبل السعوديين والقواسم قبولا قبولا واستجابة من قبل المقيم الانكليزي في بوشهر ولويم بروس⁽⁵⁾.

وفيما يخص العلاقات بين القواسم والانكليز، وصل مبعوث من الشيخ الأعلى للقواسم إلى ميناء بوشهر والتقى المقيم الانكليزي بروس. وكان شرط القواسم من اجل

1. جون ب. كيلبي، المصدر السابق، ص 214.

2. المصدر نفسه، ص 214 و217.

3. زكي صالح، المرجع السابق، ص 113.

4. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ص 309.

5. ميخين فيكتور ليونوفيتش، المرجع السابق، ص 375.

الوصول إلى اتفاق مع الانكليز، هو عدم تدخل الانكليز في دعم عدوهم - تحديدا العمانيين- في حال وقعت الحرب بينهم⁽¹⁾.

بالمقابل كانت لدى الانكليز الرغبة في التوصل إلى اتفاق مع القواسم، وهو ما تحقق بالفعل في 14 أكتوبر 1814، وتضمن الاتفاق ثمان نقاط، وتضمنت المقدمة على تأكيد رغبة الطرفين في إقامة علاقات صداقة وطي صفحة الماضي⁽²⁾. وفيما يخص بنود الاتفاق فقد تضمنت الأمور الآتية⁽³⁾:

- احترام القواسم للعلم البريطاني ، وعدم التعرض للسفن التي تحمل العلم البريطاني.
- فتح موانئ القواسم أمام الرعايا الانكليز ولهم حق ممارسة التجارة فيها.
- تعهد القواسم مساعدة السفن الانكليزية عندما تجرح أو تتعرض لحادث .
- لتمييز سفن القواسم عن غيرها تقرر رفعها علم خاص.
- إذا استولى القواسم على سفينة معادية لهم، فعلمهم إعادة البضائع الانكليزية التي على متنها إذا ثبت أن ملكيتها تعود لرعايا يتمتعون بالحماية الانكليزية.
- إعادة الممتلكات الانكليزية التي استولى عليها القواسم والموجودة في ميناء رأس الخيمة.
- لا يحق لأي طرف نقض الاتفاقية ما لم يعلم الطرف الثاني بذلك مسبقا.
- إرسال الشيخ الأعلى للقواسم ممثل عنه إلى بومباي لتوقيع على اتفاقية دائمية مع الانكليز تكون أكثر إلزاما.

وعلى ما يبدو، من سياق الأحداث، أن كلا الطرفين لم يظهر اندفاعا واهتماما بأهمية الالتزام بهذه الاتفاقية، ولا سيما قسم كبير من قيادات القواسم، ولكن الشيخ الأعلى للقواسم وكبار قادته لم يعلنوا رفضها رسميا⁽⁴⁾. حتى إن الكاتب الانكليزي لوريمروصفها على أنها: "هذه التعهدات ظلت حروفا ميتة لم تنفذ"⁽⁵⁾.

1. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 267؛ ميخين فيكتور ليونوفيتش، المرجع السابق، ص 376-377.

2. ميخين فيكتور ليونوفيتش، المرجع السابق، ص 377؛ Mubarak Al-otabi, Op. cit, p.124 .

3. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 268؛ ميخين فيكتور ليونوفيتش، المرجع السابق، ص 377-378.

4. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 268-269.

5. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ص 309.

4. الحملة البريطانية الثالثة في عام 1816

لم يمض وقت طويل حتى استعاد القواسم قوتهم واستأنفوا نشاطهم البحري وازداد نشاط القواسم العسكري بدرجة كبيرة خاصة في عام 1815 عندما اصدر الشيخ الأعلى أوامره إلى وحداته البحرية في القضاء على كل ما يصادفها من سفن بريطانية وهندية⁽¹⁾. فقد استولى القواسم على العديد من السفن التجارية في الخليج العربي ومياه المحيط الهندي، وهو ما دفع الأمور نحو التأزم والمواجهة بين القواسم والانكليز⁽²⁾. واستمر الوضع على حالة في عام 1816، ففي شهر فيفري عام 1816 اشتبكت دورية بحرية للقواسم مع الطراد البريطاني اورورا (Aurora) ذي الأربعة عشر مدفعا، وكان هذا الطراد يقوم بحراسة سفينة عمانية ذكرت المصادر البريطانية أنها كانت تحمل أموالا وبضائع لحاكم عمان سعيد بن سلطان، لكن القواسم لم يتمكنوا من الاستيلاء على السفينة العمانية حيث واجهوا مقاومة عنيفة. وخلال شهر مارس عام 1816 هاجم أسطول القواسم عددا من السفن الانكليزية والأمريكية والفرنسية في الخليج العربي، ومن بينها السفينتين الانكليزيتين سنترا (Sentra) و ماكولاي (Macaulay) والسفينة الأمريكية فارس (Knight) وسفينة فرنسية كانت قادمة من موريشيوس⁽³⁾.

وقد أثارت تلك العمليات العسكرية البحرية للقواسم غضب رئاسة الشركة البريطانية في بومباي، واعتبرت ان قيام القواسم بخرق اتفاقية عام 1816 والتي أنهت الحملة البريطانية الثانية وتشكل تحديا صارخا لنفوذ الشركة البريطانية في مياه الخليج العربي والمحيط الهندي. وتذكر الوثائق البريطانية في بومباي أن القواسم بثوا الرعب في المنطقة حتى ان وليم بروس المقيم البريطاني في بوشهر لم يجد قاربا لينقل إلى زعيم القواسم رسالة احتجاج على تلك الأعمال العسكرية البحرية⁽⁴⁾.

حينئذ بادرت ادارة الشركة في شهر سبتمبر عام 1816 بإرسال حملتها الثالثة ضد القواسم بقيادة الكابتن بريدجز (Bridges) قائد السفينة الانكليزية تشالنجر (Challenger) ومعه الطرادين ميركوري (Mir Curry) وفيستال (Vestal) لمرافقة وليم بروس لاستعادة حمولة سفينة تجار سورات التي استولى عليها القواسم في خليج عدن، وأعطيت تعليمات إلى الكابتن بريدجز بعدم اتخاذ أي موقف هجومي ضد القواسم قبل أن يتم تدعيم القوة

1. ميخين فيكتور ليونوفيتش، المرجع السابق، ص 359؛ علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 181.

2. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ص 310.

3. علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 182؛ Mubarak Al-otabi, Op. cit, p. 125.

4. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ص 312.

المرافقة له لعدم قدرة القوة البحرية الانكليزية الموجودة في الخليج في تلك الفترة على مواجهة أسطول القواسم. ووصل أسطول بريدجز إلى ميناء بوشهر في أوائل أكتوبر عام 1816 ثم أبحر في يوم 18 من نوفمبر عام 1816 إلى شاطئ رأس الخيمة معقل القواسم وبدأت قيادة الحملة في السادس والعشرين من نوفمبر عام 1816 محاولة استعادة حمولة سفن سورات بالطرق السلمية بيد ان المحاولة باءت بالفشل ولاحظ قائد الحملة إن رأس الخيمة قد أعيد تحصينها جيدا بعد حملة عام 1809. وعبر بكنجهام الكاتب البريطاني المرافق للحملة عن دهشة لان القواسم الذين دمر أسطولهم خلال حملة عام 1809 استعادوا بسرعة مذهلة قوتهم البحرية العسكرية وغطوا بسفنهم البحار من مياه الخليج العربي و حتى مياه المحيط الهندي⁽¹⁾.

تجدد الإشارة إلى أن شيخ القواسم قد رد على طلبات القادة البريطانيين بردود غير مقنعة لهم، حيث أكد من أنه لم يخرق بنود اتفاقية عام 1814. ولكنه لا يعترف بالهنود كتابعين للانكليز، وبالتالي لا يمكن اعتبار السفن كلها انكليزية. اما عن بضائع سفن سورات الثلاث فلا يمكن إعادتها لأنها قسمت منذ وقت طويل⁽²⁾. بينما كان قائد الحملة الكابتن بريدجز والمقيم البريطاني في بوشهر بروس يناقشان رد زعيم القواسم هبت من الشمال الغربي عاصفة قوية أجبرت الأسطول الانكليزي على الخروج إلى وسط البحر بالقرب من جزيرة قشم، ولم يتمكن الأسطول الانكليزي من العودة إلى رأس الخيمة الا في 30 نوفمبر عام 1816 وأعيد طلب التعويض من الشيخ القاسمي، ولكنه رفض مرة أخرى ورأى وليم بروس ان يعبر عن استياء حكومته فاتفق مع الكابتن بريدجز الذي تجاهل التعليمات التي لديه بعدم اتخاذ أي موقف هجومي على إطلاق النار على سفن القواسم الراسية في الميناء ورد القواسم بالمثل وكانت نيران القواسم أكثر دقة. ومن ثم لم يكن أمام بريدجز سوى التوقف عن إطلاق النار والعودة بعيدا عن ساحل رأس الخيمة⁽³⁾.

وقد أدت مخالفة قيادة الحملة البريطانية الثالثة للتعليمات الصادرة إليها والاشتباك مع القواسم وفشلها في تحقيق أهدافها إلى نتيجة عكسية إذ استهان القواسم بالقوة البريطانية وزال ترددهم في مهاجمة سفن الشركة البريطانية ولعل من أهم نتائج هذه الحملة زيادة ثقة القواسم في أنفسهم واعتقادهم إن الانكليز - رغم تفوقهم من ناحية

1. J.S Buckingham, op.cit, P.226 .

2. Mubarak Al-otabi, Op. cit, p.126.

3. ميخين فيكتور ليونوفيتش، المرجع السابق، ص 389-390.

السفن والتسليح عاجزون عن مقاومتهم⁽¹⁾. وهو ما جعل القواسم يستهزؤون بالقوة الحربية للانكليز، وزاد من رغبتهم في تصعيد الهجمات المسلحة ضد السفن الانكليزية⁽²⁾.

5. الحملة الرابعة عام 1819 والحسم الانكليزي:

ما أن رحلت الحملة الانكليزية الثالثة عن ميناء رأس الخيمة حتى بدأت مرحلة جديدة من نشاط القواسم استمرت حتى عام 1819، وفي هذه المرحلة وصلت قوة القواسم إلى أقصى مدى لها⁽³⁾. وهكذا أصبح من المحتم على الانكليز القيام بعمل عسكري كبير يكسر هيبة القواسم ويعمل على ترسيخ وجودهم في الخليج العربي. وقد ساعدت الظروف التاريخية في الهند الشركة البريطانية على اتخاذ تلك الخطوة إذ صارت للشركة في عام 1818 السلطة العليا في شبه القارة الهندية، وأصبحت تمتلك بصفة مباشرة وادي الكنج حتى دلهي، وموطن الماراثا بأقاليم الدكن والمنطقة الساحلية المطلة على المحيط الهندي والمناطق الساحلية الممتدة من البنغال إلى الجنوب وأصبح مركز الشركة البريطانية قويا ولا سبيل إلى زحزحته وتمكنت بذلك من إظهار قوتها في منطقة المحيط الهندي⁽⁴⁾.

ولأول مرة منذ عام 1818 أصبح لدى الانكليز قوات فائضة للعمل في خارج شبه القارة الهندية دفاعا عن مصالحها. وعندما قامت قوات محمد علي باشا⁽⁵⁾ في مصر بالقضاء على السعوديين - حلفاء القواسم- في عقر دارهم في الدرعية في عام 1818 رأى الانكليز في بومباي توجيه حملة عسكرية بحرية قوية رابعة للقضاء على خطر القواسم نهائيا دون خوف من التورط في حرب مع القوات السعودية في البر⁽⁶⁾. وصدرت التعليمات إلى الكابتن

1. ميخين فيكتور ليونوفيتش، المرجع السابق، ص 390.

2. Mubarak Al-otabi, Op. cit, p. 126.

3. للتفاصيل عن العمليات المسلحة للقواسم ضد المصالح والسفن الانكليزية وحلفائهم، ينظر: ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ص 1002-1004.

4. Mubarak Al-otabi, Op. cit, p.127.

5. محمد علي بن مسعود بن إبراهيم آغا قوللي الألباني، مؤسس الأسرة الملكية وحاكم مصر ما بين عامي 1805-1848، ويهتبر مؤسس مصر الحديثة، ولد في يوم 4 مارس 1769 في كافالا في الجزر اليونانية. مارس التجارة في صغره، حضر مع القوات العثمانية على اثر الحملة الفرنسية على مصر 1798، وطاب له فيها المقام، حتى تمكن من تبوأ الحكم فيها. الولاده: إبراهيم محمد علي باشا، طوسون باشا، محمد سعيد، اسماعيل كامل. توفي في 2 اوت 1849 في راس النين قرب الإسكندرية في مصر. للتفاصيل ينظر: الياس الايوبي، محمد علي سيرته واعماله واثاره. مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2014، ط1.

6. Mubarak Al-otabi, Op. cit, p. 128-129. 78 صلاح العقاد، المرجع السابق، ص

روبرت تايلر (Robert Tyler)، مساعد الوكيل السياسي في العراق الذي سبق له ان مضى فترة طويلة في منصب مساعد المقيم في بوشهر، بأن يعد تقريراً وافياً عن مواقع موانئ القواسم والموانئ المتحالفة معهم، وقوتهم البحرية وقدراتهم القتالية. وقد أنجز تايلر تقريره في صيف سنة 1818، وبعثه إلى الهند، حيث سجل فيه بشكل مفصل موانئ القواسم ومواقعها وشكل السواحل، وبعدها عن بعضها وشكل المرسى وعدد السكان والقوة البحرية والنشاط الاقتصادي⁽¹⁾.

وحسب التقديرات التي تضمنها تقرير روبرت تايلور، كانت الموانئ القواسم الرئيسية على ساحل عمان، هي: رأس الخيمة، الرمس، الجزيرة الحمراء، أم القيوين، عجمان والشارقة، التي يتم من خلالها شن الهجمات على السفن الانكليزية. كما حدد الانكليز من خلال تقارير البحرية والوكلاء، قدرات القواسم العسكرية، وهي: 89 سفينة كبيرة الحجم، 161 سفينة اصغر حجماً، وعدد الرجال المسلحين حوالي: 10300 مقاتل⁽²⁾. وجد الانكليز ان الفرصة متاحة لها لغزو ارض القواسم والقضاء على قواعدهم وتدمير أسطولهم البحري وتقليص نفوذهم في مدن وموانئ الخليج العربي بعد أن تم القضاء على حلفاءهم الأقوياء- السعوديين⁽³⁾، لاسيما وان الظروف الدولية والإقليمية كانت تساعد على القيام بمثل هذا العمل، والتي تمثلت هذه المتغيرات في: عودة السلام إلى أوروبا بعد القضاء على حكم نابليون بونابرت في فرنسا. وتزعم الانكليز للقارة الأوروبية، القضاء التام على القوى المحلية في الهند، مما مكن الانكليز من التفرغ للعمل في منطقة الخليج العربي. وتجلى اهتمام الانكليز بالخليج العربي هو تسيير دوريات بحرية لحماية خطوط الملاحة البحرية في الخليج العربي، على الرغم من رفض شيخ القواسم ذلك⁽⁴⁾. وفي يوم 11 مارس 1819 قام الكابتن لوك باعتراض تشكيل بحري للقواسم على الرغم من أنهم كانوا يرفعون علم الهدنة كما جاء في تقرير لوك فان الطرادات البريطانية هاجمت بعنف، ولكن بعد معركة قصيرة، وتمكنت سفن القواسم من الانسحاب من المعركة بسلام.

ومن اجل ضمان القضاء التام على القواسم، وعدم تكرار تجربة عام 1816، عندما فشلت الحملة العسكرية التي قام بها الانكليز على رأس الخيمة للقضاء على القواسم. وكانت الفكرة لدى الانكليز من ان الحملة يجب ان تكون حاسمة، وفي هذا كتب الدكتور محمد

1. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 295.

2. المرجع نفسه، ص 296.

3. علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 185.

4. جون ب. كيلبي، المصدر السابق، ص 232.

حسن العيدروس، قائلاً: "أخذة بنظر الاعتبار أن أية محاولة عسكرية لاتصل إلى ضرب قوة راس الخيمة في الصميم فانها ستكون عديمة الجدوى"⁽¹⁾.

ورأى الانكليز أهمية تنسيق خططها الرامية للقضاء على القواسم مع كل من حاكم مصر القوي محمد علي باشا وسعيد بن سلطان حاكم عمان، من اجل ضمان النصر النهائي وإنهاء قوة القواسم تماما. ومن هذا التصور الانكليزي، تبلورت الفكرة بضرورة التواصل مع محمد علي باشا. وفي يوم 2 جانفي عام 1819 بعث الحاكم العام في الهند فرانسيس راودون هاستنجر (Francis Rawdon-Hastings)⁽²⁾ برسالة إلى إبراهيم باشا⁽³⁾ قائد قوات المصرية يهنئه على الانتصار الذي حققه بالقضاء على الدولة السعودية (الأولى) واستيلائه على معقلهم في الدرعية، ويدعوه للقيام بعمل مشترك ضد القواسم⁽⁴⁾. واختار الحاكم العام في الهند هاستنجر لهذه المهمة الكابتن فورستر سادلر (Forester Sadler)⁽⁵⁾

1. محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 132.
2. فرانسيس إدوارد راودون هاستينغز، المريكز هاستينغز الأول، من مواليد يوم 9 ديسمبر 1754، سياسي إيرلندي وعسكري. شغل منصب الحاكم العام للهند خلال الفترة ما بين 1813 - 1823. قاتل ضمن القوات الانكليزية سنوات حرب التحرير الأمريكية. وكذلك شارك في جيوش التحالف الاوربي الاول ضد الثورة الفرنسية عام 1794. توفي في يوم 28 نوفمبر 1826 عن عمر ناهز 71 سنة قرب نابولي الايطالية. للتفاصيل ينظر:

https://en.wikipedia.org/wiki/Francis_Rawdon-Hastings,_1st_Marquess_of_Hastings. تاريخ الزيارة في : 25 اوت 2020

3. إبراهيم بن محمد علي بن إبراهيم آغا من مواليد نصرتلي في مقاطعة القولة بالروملي (مقدونيا) في 4 مارس 1789، وهو الابن الأكبر لمحمد علي باشا والاقرب اليه، وعندما تولى حكم مصر عينه بمنصب الدفتردار، وبعدها أضاف إليه منصب حاكم السودان، كما قاد حملات عسكرية كثيرة: حملة عسكرية ضخمة وقضى على الدولة السعودية الأولى. ثم عين قائداً للجيش ضد ثورة اليونان، وقاد حملة بلاد الشام، وعين قائم على العرش نيابة عن أبيه خلال الفترة ما بين 2 مارس حتى 10 نوفمبر 1848. وهو يوم وفاته. للتفاصيل ينظر: داود بركات، البطل الفاتح ابراهيم وفتحته الشام 1832، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014.

4. جون ب. كيلى، المصدر السابق، ص 233-234.
5. جورج فورستر سادلير، ولد في يوم 19 جانفي 1789 في مقاطعة يورك في ايرلندا، ينتمي إلى أسرة ثرية من الطبقة النبيلة، التحق كملازم في الجيش في صنف المشاة في عام 1805، شارك في العديد من العمليات العسكرية خارج حدود الجزر البريطانية. تدرج بالرتب العسكرية وتنقل ما بين الهند والخليج العربي للقيام بمهام عسكرية متنوعة. وفي عام 1817 أصبح من ضمن فريق عمل السير جون مالكولم. وفي عام 1819 اختاره اللورد هاستنغز حاكم الهند للقيام بمهمة سياسية دقيقة في شبه الجزيرة العربية، تتلخص في مقابلة إبراهيم باشا قائد الجيش المصري وإقناعه بمشاركة الانكليز في حملة عسكرية ضد القواسم. واستمر في عملة العسكري في الهند حتى خرج متقاعد في عام 1837، وانتقل

أحد ضباط الفرقة السابعة من قوات المشاة الهندية لمقابلة إبراهيم باشا- قائد الجيش المصري-. أما بالنسبة لحاكم عمان سعيد بن سلطان فقد تبين لسادليز ان حاكم عمان لا يحبذ فكرة التعاون مع المصريين، إذ لمح سعيد للكابتن سادليز ان حكمه قد يتعرض للخطر إذا قبل التعاون مع المصريين. كما إن سعيد لا يحبذ ظهور منافس لآماله في منطقة الخليج، وبعد مقابلة سادليز مع إبراهيم باشا وتحديثه معه في شأن الحملة على القواسم فشل في إقناع إبراهيم باشا بالموافقة على مقترحاته، مما اضطره إلى العودة إلى الهند عن طريق جدة في يوم 14 نوفمبر 1819⁽¹⁾. يجر أذبال الخيبة والفشل. وهو الأمر الذي جعل الانكليز في الماضي قدما والعمل بشكل منفرد، والاعتماد على قدراتهم في تنفيذ الحملة العسكرية ضد القواسم وتدمير قوتهم البحرية⁽²⁾.

كما أرسل الانكليز مبعوثا خاصا إلى الشاه القاجاري فتح علي خان،- وهو الدكتور جوكس (Jukes)- ليطمئنه على أهداف الحملة والغاية من القيام بها. وكذلك قدم له إجابات والتفسيرات والإيضاحات عن تساؤلاته في هذا الخصوص، عندما التقاه في العاصمة الفارسية طهران⁽³⁾. وبعد ضمان الانكليز تعاون الفرس معهم- وحتى العثمانيين- بدأ التركيز على الاعداد الدقيق والجيد للمرحلة القادمة، وهي ارسال حملة عسكرية إلى الساحل العماني والقضاء على اتحاد القواسم⁽⁴⁾.

بدأت التحضيرات العسكرية للحملة العسكرية المنتظرة على القواسم في مدينة بومباي الهندية، وفي الأسبوع الأخير من شهر أكتوبر⁽⁵⁾، كانت قوات الحملة مستعدة للتحرك نحو الخليج العربي، والتي تألفت قواتها البرية من: 3547 جندي، منهم 1453 جندي أوروبي

إلى مسقط رأسه وعمل هناك شريفا لكورك، وتوفي في يوم 2 ديسمبر 1859 في مقاطعة أوكلاند عن عمر ناهز الـ(70) سنة وله العديد من الإهمال أشهرها: (رحلة عبر الجزيرة العربية من القطيف المطلة على الخليج العربي إلى ينبع المطلة على البحر الأحمر، خلال عام 1819). للتفاصيل ينظر:

<https://ar.wikipedia.org/wiki>. تاريخ الزيارة في: 25 أوت 2020

1. جون ب. كيلى، المصدر السابق، ص 234-240. وللتفاصيل عن رحلة سادليز ومقابلته ينظر: ج. فورستر سادليز، مذكرات عن رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام 1819، تر: انس الرفاعي، تق: عباس منصور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2013.
2. علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 188؛ ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ج 1، ص 314؛ صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 308.
3. ج.ج. لوريمر، المرجع السابق، ج 1، ص 314.
4. سلطان بن محمد القاسمي، المرجع السابق، ص 58.

5. Mubarak Al-otabi, Op. cit, p. 128-129.

و2094 جندي من الهنود، تشمل كتيبة المشاة الملكية 47 وكتيبة المشاة الملكية 65 وكتيبة مشاة هندية من الفرق الثانية وكتيبة مشاة هندية من الفرق الثالثة، بالإضافة إلى سرايا إسناد مختلفة مثل: رشاشات - ومدافع الهانوات- وهندسة الميدان وغيرها، إلى جانب سرية مشاة بحرية واحدة، كما تضمنت قوات خاصة من الكشافة ومفارز الاستطلاع ومخبرات الجيش، وأخيرا كتيبة مدفعية الميدان (95)، وكان عدد السفن التي تم نقل الحملة البرية على متنها هو (18) سفينة نقل⁽¹⁾. أما الأسطول البحري الحربي الانكليزي فقد كان يتألف من (12) قطعة حربية بقيادة الكابتن فرانسيس اوغسطس كولير (Francis Augustus Collier)⁽²⁾، وكان مجموع عدد مدافعها هو (213) مدفع⁽³⁾. وهذه القوة البحرية تعتبر أكبر تجمع للانكليز في الخليج العربي حتى ذلك الوقت⁽⁴⁾. وهذا الاهتمام الانكليزي بالحملة وجعلها على مستوى عال من التجهيز والتحضير، يظهر الاصرار من جانب الانكليز بضرورة وضع نهاية للقصة مع القواسم. وانيطت قيادة الحملة العسكرية المقررة على القواسم للجنرال السير وليم جرانت كير (General Sir William Grant Kerr)⁽⁵⁾، وحددت الاهداف المرجوة من

1. جون ب. كيللي، المصدر السابق، ص 252-253: صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 308-309.
2. فرانسيس أوغسطس كولير: من مواليد يوم 7 أوت عام 1786 في إيرلندا، وهو ينتمي لعائلة خدمت في سلك البحرية، انضم إلى صفوف البحرية الملكية البريطانية، وشارك في الحروب الثورية الفرنسية، وكان من ضمن الاسطول الانكليزي في معركة ابي قير، على متن على سفينة هوراشيو نيلسون. وشارك في حملات في جزر الهند الغربية، وفي عام 1819 قاد الاسطول الانكليزي ضد القواسم في الخليج العربي. ظل في الخدمة لمدة ثلاثين عامًا، حيث تولى عدة مناصب حتى أصبح برتبة ادميرال ونال لقب سير. توفي في يوم 28 اكتوبر 1849، عن عمر ناهز ال(63) عاما. للتفاصيل ينظر:
https://en.wikipedia.org/wiki/Francis_Augustus_Collier. 28 اوت 2020
3. انظر جدول رقم (5).
4. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 310.
5. الجنرال السير ويليام جرانت كير: من مواليد 25 ماي 1771 في فايف باسكتلندا، وهو أرشيبالد كير من الموظفين الكبار في شركة الهند الشرقية الانكليزية، وانضم إلى الجيش البريطاني برتبة ملازم أول في عام 1793، شارك في حروب الثورة الفرنسية. كما شارك في الحملة التي ارسلت إلى مصر عام 1801 بعد توقيع صلح اميان. وأصبح عقيد في عام 1810، وتم ترقيته إلى رتبة لواء في عام 1813، انتقل للعمل في الهند، وشارك في حروب التي خاضها الانكليز في شبه القارة الهندية. وفي أكتوبر 1819، كلف وليام جرانت كير من قبل بومباي للقضاء على القواسم. واستمر في الخدمة العسكرية حتى تقاعده، توفي في مدينة لند في 7 ماي 1852 عن عمر ناهز ال(80) عاما. للتفاصيل ينظر:
https://en.wikipedia.org/wiki/William_Keir_Grant. 28 اوت 2020

الحملة على شكل مراحل او صفحات تنفيذها يكون تدريجي. يمكن تلخيصها بالشكل الآتي⁽¹⁾:

المرحلة الأولى:

تدمير رأس الخيمة كلياً. وتدمير كافة السفن الحربية و التجارية المتواجدة في ميناء رأس الخيمة ومحيطها؛ وإلى جانب تدمير كافة القواعد العسكرية و الحصون التابعة للقواسم على الساحل؛ وعدم المجازفة بالتوغل برى الا بموجب مقتضيات انجاز الأهداف المحددة بخصوص التدمير التام للقواعد العسكرية و جيوب المقاومة : في حال الاستيلاء على رأس الخيمة يجب ترك حامية عسكرية هناك حتى إشعار آخر.

المرحلة الثانية :

في حال تحقيق كامل الأهداف المحددة في المرحلة الأولى بنجاح، يتم الانتقال إلى المرحلة الثانية وتتلخص في تدمير ما يتبقى من أسطول القواسم والقواعد البحرية في موانئ أم القيوين وعجمان والشارقة والرمس والجزيرة الحمراء.

المرحلة الثالثة:

عند نجاح تنفيذ المرحلة الثانية يتم الانتقال إلى المرحلة الثالثة، والتي تتضمن تدمير الأسطول القاسمي والقواعد العسكرية المتواجدة في الشاطئ الشرقي، وتمثل في موانئ لنجة و خرج، وأي ميناء آخر يحتمل وجود سفن تابعة للقواسم ترسو فيه.

1. Mubarak Al-otabi, Op. cit, p. 144-145.

جدول رقم (5)

القوات البحرية المشاركة في حملة 1819⁽¹⁾

ت	الاسم	النوعية	عدد المدافع	الانتماء
1	ليفربول	سفينة القيادة	50	البحرية الملكية
2	إيدن	فرقاطة	25	البحرية الملكية
3	كيرلو	فرقاطة	18	البحرية الملكية
4	تاينماوث	فرقاطة	16	بحرية الشركة
5	بنارس	فرقاطة	16	بحرية الشركة
6	تيرنيت	فرقاطة	16	بحرية الشركة
7	أورورا	فرقاطة	14	بحرية الشركة
8	ميركوري	فرقاطة	14	بحرية الشركة
9	نوتيلوس	فرقاطة	14	بحرية الشركة
10	ايريال	طراد	10	بحرية الشركة
11	فستال	طراد	10	بحرية الشركة
12	سيش	طراد	10	بحرية الشركة

وفي يوم 3 نوفمبر عام 1819 غادر الجنرال وليام جرانت كير بومباي متجهاً إلى مسقط على ظهر سفينة القيادة ليفربول (Liverpool) تصحبه سفن الحملة، وهناك التقى مع حاكم عمان، الذي وافق على المشاركة بالحملة العسكرية على القواسم بسفینتين حربيّتين و(600) مقاتل، كما وافق على إرسال حملة برية باتجاه ساحل القواسم⁽²⁾. ويرى الدكتور علي عبد الله فارس، من ان موقف حاكم عمان هذا في دعم الحملة العسكرية على القواسم، راجع إلى رغبته في تحقيق طموحه في الخليج العربي⁽³⁾.

1. جون ب. كيللي، المصدر السابق، ص 252-253

2. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ص 314-315؛ علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 188.

3. علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 188؛ Mubarak Al-otabi, Op. cit, p. 146.

ثم غادرت الحملة بقيادة الجنرال كير ميناء مسقط في يوم 18 نوفمبر عام 1819 متجها إلى جزيرة قشم- في مدخل الخليج العربي-، وهناك التحق الملازم وليم بروس - المقيم الانكليزي في بوشهر- بقيادة الحملة كمستشار سياسي⁽¹⁾. ومنها توجه على ظهر السفينة ليفربول إلى رأس الخيمة تصحبه السفينة بناريس بقيادة الكابتن كولير وكان الفصل الرياح الشمالية يقترب بسرعة وأصبح واضحاً إن أي تأخير في إنزال القوات سوف يقضي على نجاح الحملة ولذلك تم إرسال السفينة بناريس الجزيرة قشم لتستعجل وصول قوارب النقل اللازمة للهجوم. ولو كان ما ذكره الدكتور علي عبد الله فارس حقيقة، فإن - حسبما أرى- تصرفاً ساذجاً من جانب حاكم عمان، فهو يعلم حقيقة المشروع الاستعماري الانكليزي في الخليج العربي، ويعلم أنهم غير مستعدين في التفریط بمصالحهم في الخليج العربي، وليس لهم الاستعداد في مساعدته في تحقيق أهدافه الشخصية.

بعد أن وصلت الحملة العسكرية قبالة رأس الخيمة⁽²⁾، ولم تتأخر قيادة الحملة في بدء العمليات العسكرية، وفي فجر يوم 3 ديسمبر 1819 قامت السفن الحربية بقصف رأس الخيمة، وتحت غطاء القصف المدفعي هبط جنود الحملة على شاطئ رأس الخيمة بواسطة زوارق الإنزال، وكان الإنزال بقيادة الكابتن لوك. ولم تكن المقاومة من جانب القواسم بالمستوى المطلوب، وذلك نتيجة حركة تمويه قام بها الانكليز، حينما حركوا سفيني ارورا ونوتيلوس باتجاه مدخل الخليج وقاما بقصف الحامية الموجودة هناك، وهو ما جعل القواسم يركزوا نشاطهم في تلك المنطقة. وتمكن الانكليز بزخم مستمر من تأسيس رأس قواتهم على الشاطئ، وكانوا طوال الليل يستكملون الإنزال وحفر الخنادق ونصب بطريات المدفعية⁽³⁾.

وفي فجر اليوم التالي- 4 ديسمبر 1819- جرت اشتباكات عنيفة على اثر الهجوم الذي بدأت به القوات الانكليزية، حتى تمكنت من تسجيل تقدم واضح باتجاه التحصينات التي أقامها القواسم، وكان في ذات الوقت هناك قصفاً كثيفاً من جانب الأسطول الانكليزي باتجاه المدافعين. وفي يوم 5 ديسمبر، تمكنت السفن الانكليزية من الدخول عبر مدخل

1. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ص 315.

2. عند قدوم الحملة العسكرية الانكليزية إلى ساحل عمان، كان القواسم قد عملوا على تحصين مدينة رأس الخيمة لعلمهم بأنها ستكون الهدف الاساس للحملة. لذا زاد القواسم من قدراتها الدفاعية عبر اقامة سور يحيط المدينة من جهة البحر، لاسيما وان المدينة كانت تقع في برزخ ضيق يحول دون قدرة السفن الانكليزية على الدخول. ينظر: تشارلز بلجريف، المصدر السابق، ص 190.

3. تشارلز بلجريف، المصدر السابق، ص 193؛ صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 312-313.

الخليج، وساهمت في زيادة كثافة القصف المدفعي ، وقد كبد ذلك قوات القواسم خسائر كبيرة.⁽¹⁾

وفي اليوم الثالث من المعركة- 6 ديسمبر 1819- بدأت تظهر معاناة القواسم نتيجة نقص العتاد، بالمقابل كانت القوات الانكليزية تعزز من وجودها على الساحل. وكانت المعركة لا تتوقف إلا عند حلول الظلام. وفي اليوم الرابع- 7 ديسمبر 1819- زاد الانكليز من ضغطهم على القوات المدافعة، وبدأت أثار القصف الانكليزي تظهر على القلعة. وبدأت علامات الوهن تظهر على القواسم. ويشير الدكتور صالح العابد من أن الإعلام البيضاء كانت ترتفع أكثر من مرة من داخل المدينة، ولكن المهاجمون لم يعيروا ذلك اهتمام⁽²⁾. وهذا حسبما أرى أن الانكليز كانوا مصرين في القضاء على القواسم بشكل تام.

استمر القتال بين الطرفين طوال يوم 8 ديسمبر 1819، واستمر القتال طوال الليل بلا انقطاع. وفي الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي- 9 ديسمبر- تمكنت القوات الانكليزية من أحداث ثغرة كبيرة في جدار القلعة، وتمكنوا من خلالها اقتحام الموقع، واندفعت القوات الانكليزية من خنادقها إلى داخل القلعة، ولم يجدوا أي مقاومة تذكر، إذ اتضح انسحاب القواسم في الليل نحو التلال المحيطة⁽³⁾. وبهذا سيطر الانكليز على المدينة، ورفع العلم الانكليزي عليها وتم انزل علم القواسم الأحمر وتم رفع العلم البريطاني⁽⁴⁾. ونتيجة ذلك، وكان قرار زعيم القواسم حسن بن رحمه المبادرة بإعلان الاستسلام هو ورجاله حقنا للدماء والخسائر البشرية التي تكبدوها⁽⁵⁾. وعقب استسلام رأس الخيمة والشيخ الأعلى للقواسم حسن بن رحمة، أعلن باقي شيوخ القبائل العربية الأخرى استسلامهم للانكليز. وكان ذلك إيذانا بانتهاء عهد القواسم، وبداية سيطرة الانكليزية على المنطقة وفرضهم إرادتهم بمنطق القوة⁽⁶⁾.

1. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 313.

2. المرجع نفسه، 314-315.

3. المرجع نفسه، 315.

4. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ص 315: Mubarak Al-otabi, Op. cit, p.139.

5. علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 189.

6. المرجع نفسه، ص 189.

بعد استسلامه، تقدم الشيخ الأعلى للقواسم إلى المعسكر الانكليزي رفقة أربعة من أتباعه، وتم اعتقاله ووضع في الحجز، كما صادر الانكليز حوالي (70) مدفعا، وحوالي (80) سفينة من مختلف الحجم والتي تتراوح حمولتها ما بين 40-250 طن.⁽¹⁾

وهكذا، وبعد القتال شرس استمر مدة ستة أيام - خلال الفترة 3-9 ديسمبر 1819-، حيث تمكنت القوات الانكليزية من دخول المدينة، ويمكن إرجاع سبب الهزيمة التي منية بها القواسم في المعركة، إلى مايلي:

- التفاوت في القدرات العسكرية بين الانكليز والقواسم، فضلا عن التخطيط الدقيق للحملة، ومعرفة مواطن القوة والضعف عند القواسم.⁽²⁾
- النقص الحاد في الذخيرة اضعف من قدرات القواسم في الصمود أمام الانكليز.⁽³⁾
- المفاجئة ولماورة واستمرارية الزخم العسكري الذي قام به الانكليز لم يعطي القواسم الفرصة في استرجاع أنفاسهم للصدود أكثر.

خريطة رقم (7)

توضح ميدان المعركة رأس الخيمة⁽⁴⁾



1. محمد صالح العابد، المرجع السابق، ص 316-317.

2. محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 132-133.

3. صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 80.

4. الخريطة من عمل الباحث.

6. الانكليز وتأمين الساحل العماني:

كانت معركة رأس الخيمة معركة فاصلة بين الانكليز والقواسم، وتمكن الانكليز من حسمها لصالحهم، وهذا الحسم كان إيذاناً في انهيار اتحاد القواسم نهائياً. ولكن الانكليز، لم يتركوا أي مسألة للصدفة، وإنما بعد استقرار الأمور واستتبها لهم في رأس الخيمة. استكمال السيطرة والتحكم بالساحل العماني وتأمينه من جميع المخاطر المحتملة. لذا كان قرار قائد الحملة الجنرال كير بضرورة تدمير جميع التحصينات ومصادرة الأسلحة والسفن من جميع الموانئ التابعة للقواسم على هذا الساحل⁽¹⁾

كان ميناء الرمس- الذي يقع على بعد ستة أميال شرق رأس الخيمة- المحطة الثانية للحملة الانكليزية على ساحل عمان، إذ تعتبر قلعة الضاية واحدة من أهم التحصينات التي أقامها القواسم على الساحل، إذ كانوا يعتقدون أنها بلغت من المناعة درجة يصعب معها الاستيلاء عليها. وتعتبر قلعة الضاية هي المفتاح الشمالي لرأس الخيمة، لأنها تتحكم بالمرات والتلال والطريق الساحلي الموصل إليها. ولهذا وجدت قيادة الحملة الانكليزية أن سقوط سوف يؤدي إلى تدمير معنويات القواسم في المناطق الأخرى، ويضعف من مقاومتهم إلى حد كبير⁽²⁾. كما أنها تشكل بداية المرحلة الثانية من الأهداف المحددة للحملة، والتي تنص على تدمير جميع قلاع وتحصينات التي أنشأها القواسم على طول الساحل الذي كان يتبع لها. وكانت الرمس وقلعتها الضاية في مقدمة هذه الأهداف للأهمية الإستراتيجية التي تمتعنا بها.

تحرك الأسطول بقوة كبيرة في يوم 18 ديسمبر، لمهاجمة القلعة، وبإشراف الجنرال كير قائد الحملة، وقائد الأسطول الكابتن كولير، فوصلا في ذات اليوم. وفي اليوم التالي- 19 ديسمبر- بدأ الهجوم على الرمس، وانسحب القواسم من ها نحو قلعة الضاية، واستمر القتال حتى تمكن الانكليز من محاصرة القلعة، وبعد عملية قصف مركز من السفن الانكليزية، حتى سقطت القلعة في صباح يوم 22 ديسمبر 1819. واستسلام كل من كان فيها من مقاتلي القواسم وعلى رأسهم حسين بن علي⁽³⁾. فيما كانت خسائر الانكليز ضابطاً واحداً وثلاث جنود قتلى، وجرح (16) جندي. وقام الانكليز بتدمير كل التحصينات الموجودة، وعاد الأسطول إلى رأس الخيمة في يوم 26 ديسمبر⁽⁴⁾.

1. Mubarak Al-otabi, Op. cit, p. 128-129.

2. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 318.

3. المرجع نفسه، ص 318-319.

4. Mubarak Al-otabi, Op. cit, p. 151.

خلاصة القول، اتسمت العلاقات بين الانكليز والقواسم بالعداء الشديد والسلبية لفترة طويلة، وكانت سفن القواسم تثير الذعر الدائم للسفن الانكليزية في الخليج العربي- وخارجه-. فقد اضعفوا تجارتهم، وأنهكوا اقتصادهم، وهددوا وجودهم. ويعود موقف القواسم الصلب هذا إلى عاملين مهمين أولهما تمرسهم في إتقان فنون البحر والقتال في البحار، وثانيهما تميز القواسم بالجرأة والإقدام وعدم مهابة الانكليز والفرس وباقي القوى العربية البحرية. ونتيجة ذلك، صار لازماً على الانكليز القضاء على القواسم – بشكل تام- باي وسيلة ممكنة. وهذا ما جعل الانكليز يرسلوا العديد من الحملات العسكرية حتى تمكنوا من إخضاعهم بشكل تام في حملة عام 1819، وإجبارهم على توقيع معاهدة جعلت من القواسم مشيخة خاضعة للانكليز ليس الا.

الفصل الخامس

الانكليز و مرحلة الرسوخ

والاستقرار في الخليج العربي

المبحث الأول: الانكليز وتشكيل الساحل المهادن.
المبحث الثاني: الانكليز والموقف من النشاط المصري في الخليج العربي.

مقدمة:

إن الفكرة الأساسية التي أسس لها الانكليز خلال فترة وجودهم في الخليج العربي، وهي أحقية وجودهم وضرورته، إذ اعتبروا وجودهم غاية، وليس وسيلة، في صالح المنطقة وسكانها. إذ ربطوا أنفسهم بالاستقرار الذي تحقق في الخليج العربي بعد أن دان لهم كل شي. وان وجودهم في الخليج العربي هو رسالة تاريخية قضت الأقدار أن يحملوها، دون رغبة منهم، وإنهم قدموا التضحيات من أجل تثبيت نظاما حقق للمنطقة الهدوء والسكينة. وكان الكتاب الانكليز كرسوا كتاباتهم للدعاية بان انسحابهم سوف يؤدي إلى عودة القرصنة⁽¹⁾. أي عودة الفوضى والاستقرار في المنطقة .

إن الاستعمار الانكليزي بفلسفته الخاصة التي تتمثل في التخلص من الأفكار التي تضايقه، الانحراف بها عن مرامها، بتوجيهها خارج المدار الذي أراد أصحابها استبقائها فيه، وهذا ما جاني به الاستعمار الانكليزي بوصف مقاومة سكان منطقة الخليج بالقرصنة فهو يعرف جيدا إن مياه الخليج العربي ليس مياه قرصنة، وإنما كانت مياه مقاومة وأرضه أرض تضحية واستبسال .

ان منطقة الخليج العربي شهدت استمرارية تبوأ كيانات عربية الصدارة في وجه المستعمر الأوربي، فالمقاومة في الخليج العربي لم تكن فارسية او عثمانية، وإنما كانت عربية خالصة، فمن الذي طرد البرتغاليين من الخليج العربي نهائيا غير اليعاربة، ومن قضى على النفوذ الهولندي غير مير مهنا حاكم مشيخة بندريق، وعلى من استندت، عندما أرادت أن تعيد وجودها إلى الخليج العربي – واعني فرنسا- الا بمحابة الحكام البوسعيد.

إن الكيانات العربية كانت من القوة أنها استطاعت أن تقف بوجه المحتل الأوربي وتقومه، ولهذا كانت هذه القوى تلعب ادوار جدو متقدمة في التأثير على مجريات الأحداث التي شهدتها المنطقة، إذ كانت لها مصالحها الخاصة ومناطق نفوذها والأراضي التي سيطرت عليها. وهذا ما جعل الانكليز، يتعاملوا مع هذه الكيانات بالحيلة والدهاء والمؤامرة للقضاء عليها الواحدة بعد الأخرى، كما أنها وقفت بالمرصاد لكل القوى الإقليمية التي أرادت أن تتقاسم معها الوجود والسيطرة. ولهذا يمكننا اعتبار النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي، هو عهد الرسوخ والاستقرار البريطاني في الخليج العربي.

1. جمال زكريا قاسم ، المرجع السابق ، ص 246

المبحث الأول: الانكليز وتشكيل الساحل المهادن:

كانت معركة رأس الخيمة هي المعركة الحاسمة التي أنهت قوة اتحاد القواسم من الوجود، ووضعت المسمار الأخير في نعش اتحاد القواسم، وسجلت بداية مرحلة جديدة في تاريخ الخليج العربي سياسيا واقتصاديا. فقد أصبح الخليج العربي مجال تجاري وسياسي يتمتع فيه الانكليز بالصدارة والكلمة المسموعة. ولم يفوت الانكليز الانتصار في معركة رأس الخيمة، وإنما على العكس اجتهدوا في إذلال الشيوخ العرب على الساحل العماني بطريقة قاسية، وكان دافعها- حسبما يبدو لي- الثار من الذل والهوان الذي أذاقهم إياه القواسم من قبل، فضلا عن إيصال رسائل لكل من يعارض وجودها في المنطقة، بان مصيره سيكون ذات مصير القواسم.

أولا: المعاهدات التمهيدية للمعاهدة العامة 1820:

بعد أن استقر الوضع العسكري لصالح الانكليز، وحسبت الأمور في صالحهم، لم تنسحب قوات الحملة كما فعل الانكليز في حملة 1809، بل أقاموا عدة حاميات على الساحل العماني، وكانت أهمها في رأس الخيمة. وفي ذات الوقت اخذ الأسطول الانكليزي يجوب الساحل الذي كان تابع للقواسم من اجل التعرف على مخابئ سفن القواسم في الخليجان الصغيرة. وهو ما ساعد فيما بعد في رسم أول خريطة علمية لهذا الجزء من العالم⁽¹⁾.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد من الإجراءات التي اتخذها الانكليز على اثر انهيار اتحاد القواسم، وإنما دعا الجنرال كير شيوخ القواسم للحضور إلى رأس الخيمة وأعطى لهم الأمان، وأسفر حضور هؤلاء إلى رأس الخيمة في توقيع كل واحد منهم على معاهدة تمهيدية بخصوص مستقبلهم ومستقبل ساحل عمان، وكذلك للتعبير عن استسلامهم وصدقتهم في ذات الوقت للانكليز⁽²⁾. ولا ننسى أن هذه المعاهدات فرضت من جانب واحد، وهو المنتصر في الحرب- الانكليز-، ولم يكن أمام الطرف الآخر المنهزم - القواسم-، الذي تحطم أساس قوته بتدمير ومصادرة أسطوله، سوى الإذعان⁽³⁾. وتعلق الكاتبة الروسية نتاليا نيكولايفنا تومافيتش على الانهيار التام والخنوع المطلق للشيوخ، وتتالي حضورهم إلى سفينة القيادة ليفربول التي كانت راسية قبالة رأس الخيمة، وذلك لغرض لقاء الجنرال وليام كرانز كير،

1. صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 80.

2. جمال قاسم زكريا، المرجع السابق، ص 257.

3. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 325.

قائلاً: "في النصف الأول من يناير (جانفي) عام 1820 وصل شيخ المدن المنهزمة في المعارك إلى سفينة (ليفربول) كير الراسية قرب رأس الخيمة المدمرة، حيث تم إجبارهم على توقيع تعهدات، أو على الأصح شروط الاستسلام، واستناداً إلى هذه الشروط سلم الشيخ إلى الانكليز كل ما كان يشكل قوة للعرب: المدن والموانئ والمدافع والسفن والمستودعات والذخيرة وغير ذلك"⁽¹⁾.

وكان أول الموقعين على المعاهدات التمهيدية مع الجنرال كير هو شيخ الشارقة سلطان بن صقر في يوم 6 جانفي عام 1820⁽²⁾، وجاء من بعده الشيخ حسن بن رحمه- الذي كان مصاباً بمرض شديد اثر المعركة التي خاضها ضدهم وسجنه من قبلهم- وقع المعاهدة التمهيدية في يوم 8 جانفي عام 1820 على نص معاهدة الاستسلام مع الجنرال كير⁽³⁾. وكان الجنرال كير قد ابلغه قبل التوقيع من أن قرار احتجازه يقوم على أساس انه الشيخ المسؤول في رأس الخيمة⁽⁴⁾. وبعد توقيعه على المعاهدة أمر الجنرال كير بخلع الشيخ حسن بن رحمه من زعامة القواسم. ويعلق الدكتور صالح العابد على تأثير المعاهدة التي وقع عليها الشيخ حسن بن رحمه على الوضع في ساحل عمان - والخليج العربي عامة- قائلاً: "وتمثل هذه المعاهدة انعطافاً خطيراً في علاقة بريطانيا في الخليج؛ إذ أصبحت الأساس الذي ارتكزت عليه الهيمنة السياسية والاقتصادية على أقطاره وكياناته، وتحددت علاقاتها به باعتبارها جزءاً لا يمكن الاستغناء عنه من إمبراطوريتها في الهند"⁽⁵⁾.

وفي يوم 9 جانفي وصل من دبي حاكمها محمد بن هزاع بن زعل إلياسي- وكان قاصراً- ومعه نائب ووكيل عنه هو احمد بن فطيس الذي وقع على المعاهدة بدلا عنه⁽⁶⁾. ويخالف الكاتب ميخين فيكتور ليونوفيتش في الرأي ما ورد في بنود المعاهدة بخصوص موقف الانكليز من الشيخ محمد بن هزاع بن زعل، حين يقول: "وكانت الاتفاقية التي وقعها محمد بن هزاع تختلف قليلاً عن الاتفاقية التي وقعها سلطان بن صقر؛ إذ أن اللواء كير أبقى للأول عن

1. نتاليا نيكولايفنا تومافيتش، المرجع السابق، ص 241.

2. انظر ملحق رقم (1).

3. انظر ملحق رقم (2).

4. جون ب. كيلى، المصدر السابق، ص 258.

5. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 325.

6. انظر ملحق رقم (3).

أسطوله، وقلاعه إرضاء لسلطان مسقط (حاكم عمان) الإمام سعيد بن سلطان الذي بعث يوصيه خيرا بالشيخ محمد " (1).

أما رابع المعاهدات التمهيدية او الصلح والاستسلام، كانت في يوم 11 جانفي 1820 من قبل شيخ ابوظبي شخبوط بن ذياب بن عيسى آل نهيان (2). علما أن شيخ أبو ظبي لم يكن ضمن اتحاد القواسم، وإنما على العكس كان طرفا منافسا لهم. وعلى ما يبدو، أن الانكليز حاولوا تأمين المنطقة في مناسبة واحدة، وتحقيق غاياتهم في كامل المنطقة. وكانت خامس المعاهدات التمهيدية التي وقعت من قبل الجنرال كير كانت مع شيخ الرمس و ضايه الشيخ حسن بن علي في يوم 11 جانفي 1820 (3).

وتطبيقا لهذه المعاهدات التمهيدية، أصبح للانكليز في ساحل عمان كامل السيطرة والهيمنة، وأصبح شيوخ القواسم وغيرهم لا حول ولا قوة لهم في انتظار قادم الايام عما ستسفر. ومن الاجراءات التي اتخذها الجنرال كير، إصداره تعليمات بتفتيش جميع الموانئ التابعة للقواسم ابتداء من راس الخيمة حتى ميناء دبي (4). وكلفت السفن الحربية الانكليزية: ليفربول، ترنت، تايكماوث وارورا بالعملية، وشملت الجزيرة الحمراء وعجمان وأم القيوين والشارقة وفاشت وابوحايل. وانتهت المهمة في يوم 18 جانفي 1820 (5). وتم خلال هذه العملية العملية تدمير كافة الحصينات والسفن الحربية التابعة للقواسم - باستثناء سفن الصيد-. وكانت قيمة الخسائر التي تكبدها القواسم حسب تقدير جون كيبي بحوالي (30000) جنية إسترليني (6)، وهو مبلغ جدو كبير. وان دل هذا الأمر عن شي، فإنما يدل على السطوة الانكليزية الانكليزية ونهاية قوة القواسم.

وأخيرا، نلاحظ إن مضامين جميع المعاهدات تركز على مسألة هامة، حيث ركز عليها الانكليز، وهي تسليم كافة السفن الحربية والتجارية للقواسم، فضلا عن تدمير الأبراج العسكرية وتسليم المدافع المرابطة في موانئ القواسم، إلى جانب إطلاق سراح الأسرى

1. ميخين فيكتور ليونوفيتش، المرجع السابق، ص 445.

2. انظر ملحق رقم (4).

3. انظر ملحق رقم (5)

4. جون ب. كيبي، المصدر السابق، ص 257.

5. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 324.

6. جون ب. كيبي، المصدر السابق، ص 257.

الهنود، بالمقابل وعد الانكليز بالسماح للاهالي بممارسة نشاط الغوص لصيد اللؤلؤ وصيد الأسماك⁽¹⁾.

خلاصة القول، أن ما يمكن ملاحظته على المعاهدات التمهيدية التي وقعت من جانب الانكليز وشيوخ ساحل عمان، نلخص بالاتي⁽²⁾:

1. تبرز أهمية تلك المعاهدات مع الشيوخ بأنها أصبحت وسيلة شرعية للانكليز لمواصلة تدمير قوى القواسم العسكرية والحرية الأخرى.
2. لم يفوت الجنرال كير قائد الحملة من استثمار زخم الانتصار العسكري، فوجدها فرصة لاجبار شيوخ الساحل العماني لتوقيع المعاهدات بما يعزز من الهيمنة الانكليزية في المنطقة.
3. جردت المعاهدات كلها شيوخ الساحل العماني وأتباعهم من مصادر قوتهم، واقصد القوة البحرية التي كانت أداة هيبة و سطوة القواسم في الخليج العربي وخارجه. حرص الجنرال كير على أن ينص في كل معاهده على تسليم كافة السفن العسكرية وغيرها ما عدا سفن صيد اللؤلؤ و صيد السمك وذلك طبعاً للقضاء على الأساطيل العربية في الخليج العربي وللقضاء على التجارة فالمنع يسري كذلك على السفن التجارية و النتيجة النهائية هي انفراد إنكلترا بالسيطرة على التجارة في المنطقة كلها والقضاء على أي منافس لها في المنطقة.
4. جردت المعاهدات الشيوخ من سلطاتهم المعنوية، لكون جميعها ذكر اسم الشيخ فقط، ولم يذكر بأنه حاكم الإمارة المعينة فمثلا حضر الشيخ (الاسم فقط دون ذكر الإمارة التي يحكمها).
5. أظهرت المعاهدات الموقعة أهمية رأس الخيمة وتأثيرها في ساحل عمان، حينما وقع ثلاث شيوخ من رأس الخيمة هم الشيخ سلطان بن صقر القاسمي والشيخ حسن بن رحمن القاسمي والشيخ حسن بن علي القاسمي.
6. أظهرت المعاهدات الأولية إذلال للشيوخ دون وجه حق. ومما زاد الأمر سوءاً أنها أجبرت على توقيع المعاهدة العامة فيما بعد.

1. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ص 1023.

2. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 324: ميخين فيكتور ليونوفيتش، المرجع السابق، ص 445.

ثانياً: المعاهدة العامة 1820:

تعد معاهدة عام 1820 في الخليج العربي بداية لعهد سياسي جديد أكثر تأثيراً على مجريات الأحداث والعلاقات الداخلية والخارجية في منطقة مشيخات الساحل العماني⁽¹⁾. وأصبحت هذه المعاهدة تشكل تحولا خطيرا في تطور العلاقات بين الانكليز واتحاد القواسم، وغدت الأساس الذي استند عليه الانكليز فيما بعد في سيطرتها السياسية والاقتصادية على كامل منطقة الخليج العربي⁽²⁾.

تألفت المعاهدة من احد عشرة مادة، والتي فرضت من طرف واحد، وهو المنتصر في الحرب، ولم يكن أمام الطرف الثاني- القواسم-، الذي تحطم أساس قوته بتدمير ومصادرة أسطوله، سوى الإذعان⁽³⁾. وجرى التوقيع على معاهدة السلام العامة خلال الفترة 8 جانفي حتى 15 مارس عام 1820، وقع عليها من جانب الانكليز الجنرال كير ومن جانب مشايخ الساحل العماني كل من⁽⁴⁾:

- حسن بن رحمه القاسمي شيخ خت و الفيلة و سابقا رأس الخيمة
- قضيب بن احمد الزعابي شيخ الجزيرة الحمراء(جزيرة زعاب)
- شيخ أبوظبي شخبوط بن ذياب بن عيسى آل نهيان
- شيخ الرمس - ضايه - حسن بن علي القاسمي
- شيخ الشارقة سلطان بن صقر القاسمي
- زايد بن سيف بن محمد نيابة عن الشيخ محمد بن هزاع.
- سلمان بن احمد ال خليفة شيخ البحرين
- شيخ عجمان راشد بن حميد
- شيخ ام القيوين عبد الله بن راشد

ومن خلال قراءة تحليلية لبنود المعاهدة العامة لعام 1820، نجدها في شكلها العام تصب في صالح الانكليز في كل شي، كما أنها تؤشر مدى الخضوع التام لشيوخ القبائل العربية في ساحل عمان. ففي المادة الأولى ألزمت الشيوخ على الالتزام مستقبلا في عدم القيام بأعمال النهب والقرصنة في البر والبحر بشكل دائم. ويعلق الكاتب الروسي ميخين فيكتور

1. انظر ملحق رقم (6).

2. ميخين فيكتور ليونوفيتش، المرجع السابق، ص 446.

3. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 325-326.

4. ميخين فيكتور ليونوفيتش، المرجع السابق، ص 446.

ليونوفيتش على هذه المسألة بالقول: "أبقت السلطات البريطانية بهذه المادة على حالة التفتت والانقسام التي كانت سائدة قبل ذلك على الساحل العربي للخليج، وهدفها من منع الشيوخ من إمكانية أن تشن احدهم حرباً على الآخر، هو أن لا يقوى طرف على حساب طرف آخر، ويستحوذ على سلطته بالصدام معه، حتى لا تتمكن من أن تتحد تحت راية واحدة"⁽¹⁾. ومن خلال ما سبق، يتجلى لنا إن المشروع الذي سيعمل على تنفيذه الانكليز هو التفتت للمنطقة الخليج العربي - وليس ساحل عمان - فحسب، وان هذا التفتت يصب في مصلحة الانكليز أولاً وأخيراً، لكونه سوف يجنبهم أي تحد جديد لهم في المنطقة مثلما كان عليه أيام القواسم. وعليه نجد، أن المادة الثانية من المعاهدة، تتيح للانكليز - وهم الطرف الأقوى - على التدخل في حال قيامهم بأي عمل عدائي - النهب والقرصنة - ، وهذا البند فيه تلويح بالقوة واضح من جانب الانكليز تجاه شيوخ قبائل ساحل عمان، وغيرهم.

وإذا كانت الالتزامات الفردية التي تعد بمنزلة قسم الولاء للانكليز وضع الجنرال كير مواداً ل(المعاهدة العامة) مشتركة. وتم إجبار شيوخ الساحل العماني المستسلمين على التوقيع عليها. ولم تكن لهذه المعاهدة أي صفة مشتركة مع الاتفاقيات السارية الأخرى. وعملاً بموادها أصبحت منطقة الخليج العربي بأكملها تحت سيطرة الإنكليز المطلقة⁽²⁾، حيث ورد في بعض موادها، لاسيما المادة الثالثة: تلتزم السفن التابعة للعرب برفع علم أحمر يكون رمزا على جنسيتها. والمادة الخامسة التي ألزمت السفن العربية في أن تكون مزودة بورقة (سجل) موقعة من رئيس المنطقة التابعة لها يسجل فيها اسم المالك و اسم السفينة و أسماء البحارة و الميناء الذي أبحرت منه⁽³⁾.

ويتجلى الدهاء الانكليزي في خلق حالة من الحذر والتوجس بين القبائل، ما تضمنته السابعة من المعاهدة، والتي أكدت على مسألة العمل المشترك ضد اي قبيلة تقوم بأعمال النهب والقرصنة، وهذه المسألة مهمة لوجود حالة التنافس بين تلك القبائل، كما أنها تتيح للانكليز الفرصة في مواجهة القبائل فيما بينها. وهو ما سوف يجنبها الانغماس في مشاكل المنطقة الداخلية مع المحافظة على مصالحها⁽⁴⁾.

1. ميخين فيكتور ليونوفيتش، المرجع السابق، ص 447.

2. فيما كان الانكليز يفكر في حمل حكما آخرين للساحل على التوقيع على معاهدة الاستسلام حتى ينفرد باحتكار السلطة الفعلية في منطقة الخليج، جعفر عباس حمدي وآخرون: تاريخ الخليج العربية

الحديث والمعاصر. (د.ن)، بغداد، 1199، ص 141

3. انظر ملحق رقم (6).

4. انظر ملحق رقم (6).

ومن البنود الهامة، التي تشكل جوهر الوجود البريطاني في الخليج العربي، وهي المادة العاشرة من المعاهدة، والتي أتاحت حرية التبادل التجاري بين ساحل عمان وموانئ الانكليز وحلفاءهم⁽¹⁾. ولو أخذنا واقع العلاقات بعد انهيار اتحاد القواسم وفرض المعاهدة على مشايخ القواسم وغيرهم من القبائل العربية، فإن طبيعة الميزان التجاري في حال إقامة علاقات تجارية بين الانكليز وقبائل المنطقة، فإنها حتما ستكون في صالح الانكليز على حساب سكان المنطقة.

وكانت المادة الأخير- المادة 11- قد فتحت الطريق أمام باقي مشايخ العرب الدخول في المعاهدة العامة، والقبول بشروطها⁽²⁾. وعلى ما يبدو أن الانكليز كانوا عازمين على أن يكون الخليج العربي آمناً لهم، وان على القوى العربية الخنوع والاستسلام لما تريد، وان مصير من يرفض هذا التوجه الانكليزي سيكون مصيره مصير القواسم. وهذا ما دفع شيخي البحرين إلى الانضمام إلى هذه المعاهدة على الرغم من إنهما خارج الإطار الجغرافي لساحل عمان⁽³⁾.

ولكي نفهم أهمية هذه المعاهدة وتأثيراتها المستقبلية على ساحل عمان تحديداً- ومنطقة الخليج العربي عموماً- المسمى الذي فرضه الانكليز على هذا الساحل. عندما غيروا الاسم من ساحل عمان إلى الساحل المهادن أو (عمان المتصالحة). وأصبحت هذه التسمية تستخدم في المراجع الإنكليزية الخاصة بتاريخ الاستعمار البريطاني للخليج العربي، بل في الجغرافية العامة أيضاً. علماً أن الانكليز كانوا يسمونه أيام الصراع مع القواسم باسم ساحل (القراصنة)⁽⁴⁾. إذ تحول هذا الساحل إلى كيانات سياسية صغيرة لا تقوى على فعل شي على صعيد مواجهة التحديات الخارجية، لاسيما وان هذه الكيانات كانت تنظر بعين الريبة والشك إلى جاراتها نتيجة التنافس فيما بينها. ويعلق الدكتور صلاح العقاد على هذا الحال بالقول: "إذ أن معاهدة سنة 1820 جعلت منها شبه وحدات سياسية منفصلة أو دويلات صغيرة لا مجرد (مشيخات) قبيلة تقوم على أساس العلاقات الدموية"⁽⁵⁾.

على العموم، لم تكن هذه المعاهدة سوى بداية لسلسلة من الاتفاقيات والمعاهدات ، كانت بنودها تتطور وتتغير حسب الظروف ومصالح الانكليز التي كانت تغيير من حين لآخر،

1. انظر ملحق رقم (6).

2. انظر ملحق رقم (6).

3. علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 191-192.

4. محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 139؛ ميخين فيكتور تومافيتش، المرجع السابق، ص 243.

5. صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 93-94.

بحيث جعلوا من تلك الاتفاقيات والمعاهدات اداة لتشديد قبضتهم على المنطقة، حتى استطاعوا في نهاية المطاف ربط جميع القبائل والمشيوخات بمعاهدات واتفاقيات أمنت لهم الوجود والسيطرة والتحكم⁽¹⁾.

أما عن ردود فعل إدارة شركة الهند الشرقية في بومباي على المعاهدة العامة لعام 1820، فقد شهدت بومباي تغييرا في رؤيتها بخصوص مستقبل ساحل بعد القضاء على القواسم، عندما تم تعيين ماونتستورات الفينستون (Mountstuart Elphinstone)⁽²⁾ حاكما في بومباي بدلا من الحاكم السابق بنين في أواخر عام 1819، وكانت الحملة في طريقها إلى ساحل عمان⁽³⁾. وكان الحاكم الجديد في بومباي قد اصدر تعليمات في نهاية العام 1819 عشية وصول الحملة إلى ساحل عمان لمهاجمة القواسم⁽⁴⁾، وكانت هذه التعليمات تنص على: تدمير كل السفن العائدة للقواسم، وأن يسمح للانكليز بالدخول إلى أي ميناء من موانئ القواسم لتفتيشه واخذ تعهد من الشخص الذي سيخلف حسن بن رحمه في حكم راس الخيمة بالولاء التام للانكليز، كما يجب إعادة المناطق التي كانت تابعة للقواسم في الساحل

1. محمد عدنان مراد، المرجع السابق، ص 311.

2. ماونتستورات الفينستون رجل دولة ومؤرخا من اصل اسكتلندي، ولد في دمبارتون، دمبارتونشاير في 6 أكتوبر عام 1779، وهو الابن الرابع للبارون إلفينستون، وتلقى تعليمه في مدينة إدنبرة، ثم التحق تعيينه في الخدمة المدنية في شركة الهند الشرقية البريطانية، وصل إلى كلكتا في وقت مبكر من عام 1796 حيث شغل العديد من المناصب هناك. في عام 1799، نجا من مذبحه في بيناريس على يد أتباع نواب عوض وزير علي خان. في عام 1801 تم نقله إلى السلك الدبلوماسي. وقام بالعديد من المهام في هذا الجانب. في عام 1808 تم تعيينه أول مبعوث بريطاني إلى بلاط كابول، أفغانستان، بهدف تأمين تحالف ودي مع الأفغان ضد تقدم نابليون المخطط له في الهند. في عام 1819، تم تعيين إلفينستون حاكم بومباي، وهو المنصب الذي شغله حتى عام 1827. ورفض ان يعين حاكما عاما للهند. وعاد إلى انكلترا في عام 1829، ودخل المعتزك السياسي في لندن حتى وفاته في هوكوود مقاطعة ساري الانكليزية، في 20 نوفمبر 1859. ودُفن في باحة كنيسة ليمبسفيلد. وله العديد من الاعمال منها: تاريخ الهند عام 1841 في مجلدين. للتفاصيل ينظر:

https://en.wikipedia.org/wiki/Mountstuart_Elphinstone

تاريخ الزيارة في: 31 اوت 2020.

3. جون ب. كيلي، المصدر السابق، ص 260.

4. وهي جزء من التوصيات التي ارسلها إلى حكومة الهند في 15 ديسمبر 1819 حول السياسة الواجب اتباعها في الخليج العربي. ينظر: صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 328.

الشرقي إلى حكامها السابقين. و يجب ابقاء قوة بحرية انكليزية لمراقبة ساحل عمان، ومنع تصدير الأخشاب إلى القواسم للحيلولة دون بناء أسطول جديد⁽¹⁾.

وعلى اثر انتهاء الحملة العسكرية في الخليج العربي والنشاط الدبلوماسي الذي قام به قائد الحملة الجنرال كير الذي توج بعقد المعاهدة العامة في عام 1820، بعث الجنرال كير بتقريره إلى بومباي يعلمها بانتهاء كافة العمليات العسكرية، وكذلك أرسل نسخة من المعاهدة. وقد أبدى حاكم بومباي الفينستون خيبة أمله مما تضمنته المعاهدة، واعتبر مضمونها يمثل تساهلا كبيرا من جانب الجنرال كير تجاه شيوخ القواسم. وجاءت هذه التحفظات في رسالة وصلت إلى الجنرال كير، وتضمنت الأمور التالية⁽²⁾:

1. كان من الواجب إبقاء الشيخ حسن بن رحمه والشيخ حسن بن علي في السجن، وعدم إطلاق سراحهما.
2. عدم السماح للعرب ببناء الحصون والقلاع مستقبلا.
3. وضع نص صريح في المعاهدة يذكر إن السفن التي تتاجر بالرقيق سوف تتعرض للمصادرة.
4. تقييد الشيوخ ببناء نوع واحد من السفن الصغيرة ليسهل على الطرادات الانكليزية من اللحاق بها
5. كان يجب منح حاكم عمان السيادة على الخليج العربي واستخدام بحريته لضبط الأمن في الخليج.

دافع الجنرال كير عن المعاهدة التي عقدها موضحا انه إذ كان عليه أن يفرض على شيوخ القواسم إجراءات أكثر تشددا فان ذلك كان يتطلب قيامه بمزيد من العمليات ومطاردتهم إلى الداخل، وهذا يتناقض مع التعليمات الصادرة إليه. وهكذا رأى الجنرال كير انه بالقضاء على قوة القواسم في المنطقة وعقد المعاهدة العامة مع شيوخ المنطقة. وهذا ما جعل الجنرال كير يبذل جهدا مضاعفا من اجل إقناع رئاسة الشركة في بومباي بضرورة التصديق على تلك المعاهدة حتى يظهر أمام شيوخ الساحل بأنه يحترم تعهداته إزاء شيوخ الساحل⁽³⁾، وتمكن بالفعل الجنرال كير من إقناع الفينستون على الموافقة على المعاهدة.

1. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 327.

2. جون ب. كيلبي، المصدر السابق، ص 260-261.

3. للتفاصيل عن الجهود التي بذلها الجنرال كير في اقناع بومباي بما قام به من اجراءات، ينظر: صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 329-332.

والتي شكلت دعامة جديدة للنفوذ البريطاني في الخليج العربي⁽¹⁾. ويعلق الدكتور صالح العابد على موقف الجنرال كير ورؤيته في ما جرى من تسويات في الخليج العربي بالقول: "لو أمعنا النظر في دراسة موقف الجنرال كير، لوجدنا انه اظهر الكثير من الحصافة والحكمة في تعامله مع شيوخ العرب، في حين كانت حكومة بومباي تمتلك نظرة ضيقة فيما يتعلق بالخليج. فقد كانت هذه الحكومة ترمي إلى سحق سلطة الزعماء العرب بتطبيق إجراءات صارمة بحقهم، في حين سعى الجنرال كير إلى تأمين تعاونهم في المستقبل بتجنب الإجراءات الانتقامية غير الضرورية"⁽²⁾.

وكانت مهام الحملة العسكرية على القواسم قد انتهت في الأسبوع الأول من شهر فيفري عام 1820، وأكد ذلك الجنرال كير في رسالة بعثها إلى حكومة الهند في يوم 7 فيفري، معلنا تدمير كافة التحصينات من الرمس حتى ابوظبي وحرقت او مصادرة كل السفن الكبيرة، والتي بلغ عددها (202) سفينة كبيرة⁽³⁾. وفي شهر مارس عام 1820، وكان معظم سفن الحملة وقواتها في طريق العودة إلى بومباي، قام الجنرال كير بزيارته الأخيرة لساحل عمان في الأسبوع الثاني من ذات الشهر، وفي يوم 15 مارس استقبل شيوخ عجمان وأم القيوين على ظهر سفينة القيادة ليفربول، ومنحهم حق الدخول إلى المعاهدة العامة. وهذه الموافقة جاء على العكس من ادعاءات الشيخ سلطان بن صقر بتبعية عجمان وأم القيوين له، عندما وقع على المعاهدة العامة من قبل. وذلك في خطوة من الجنرال كير لوضع حد لادعاءات بن صقر في تبعيةها له⁽⁴⁾. وهذه الخطوة، كما يبدو لي أنها محاولة من الجنرال كير في تفتيت المنطقة إلى كيانات صغيرة هشة، تمنعها من العودة إلى التوحد نتيجة الخلافات الأسرية والقبلية بين شيوخها، ورغبة كل واحد منهما في فرض إرادته على الآخر. فضلا عن إظهار الانكليز رغبتهم من أنهم هم من يقرروا واقع المنطقة وليس أي طرف آخر.

وكانت آخر إجراءات الجنرال كير ترك حامية عسكرية في رأس الخيمة، تتألف من (1160) جندي توزعت إلى (42) من المدفعية و(60) رجل من مشاة البحرية و(1060) من جنود المشاة الهنود (السيبوب) ووضع على قيادتها النقيب توماس بيرونيت طومسون

1. علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 192.

2. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 332.

3. المرجع نفسه، ص 332.

4. جون ب. كيلي، المصدر السابق، ص 275؛ صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 336.

(Thomas Perronet Thompson)⁽¹⁾ في رأس الخيمة، وفي يوم 6 مارس أبحر كير عائداً إلى بومباي على متن سفينة القيادة (ليفربول)⁽²⁾.

ولكن المقام لم يطول للحامية في رأس الخيمة، بسبب الصعوبات التي واجهتها في تأمين المياه والارزاق فضلاً عن خطر انتشار العدوى من الأمراض مثل: الحمى. وكانت المشورة ان يتم نقل الحامية إلى جزيرة قشم القريبة واتخاذها قاعدة عسكرية للانكليز بدلاً من رأس الخيمة، على اعتبار أنها أكثر ملائمة من رأس الخيمة⁽³⁾. ويساعد موقع جزيرة قشم من السيطرة على الخليج العربي ومراقبة حركه الملاحه فيه والرد على كل من يخرق بنود معاهدة السلم العامة⁽⁴⁾.

وأما عن الآثار التي ترتبت على فرض المعاهدة العامة على شيوخ ساحل عمان، وتأثيراتها المستقبلية، يمكن ذكرها كالآتي:

1. تأكيد حالة التفكك والضعف بعد أن كانت في حالة توحيد رغم التركيب القبلي المتنوع، ولكن هذه الكيانات فقدت استقلالها السياسي والسيادة القانونية، ولكنها لم تفقد تلك السيادة بشكل نهائي.

1. توماس بيرونيت طومسون عسكري وبرلماني انكليزي من مواليد كينغستون أبون هل في عام 1783. وهو ينتمي إلى عائلة مصرفية تلقى تعليمه في مدرسة كرامر هيل، وبعد التحق بكلية كوينز في جامعة كامبريدج عام 1802. التحق في صفوف البحرية الملكية عام 1803، وانتقل إلى الجيش البريطاني برتبة ملازم عام 1806. وأصبح حاكمًا لسيراليون بين اوت عام 1808 وجوان عام 1810، وفي عام 1812، عاد إلى مهامه العسكرية، وبعد أن خدم في جنوب فرنسا، أُلحق في عام 1815 بجيش الهند كمترجم للغة العربية. وشارك في حملة ضد القواسم في الخليج العربي عام 1819، وكان مترجم النص إلى العربية في المعاهدة العامة لعام 1820. أثناء وجوده في الجيش، تمت ترقيته إلى رتبة رائد في عام 1825، ثم إلى رتبة مقدم في عام 1829، وفي السنوات اللاحقة أصبح برتبة لواء. أثناء خدمته في الجيش في الهند، ولد ابنه الثاني تشارلز في بومباي. وبعدها عاد إلى لندن ودخل معترك العمل السياسي وكان عضواً في البرلمان الانكليزي (مجلس العموم) مرتين (1847-1852) و(1857-1859)، كما عمل في مجال الصحافة وشغل منصب رئيس تحرير مجلة (وستمنستر ريفيو). وكان ناشطاً في حقوق الإنسان، كما اهتم بالموسيقى والمؤلفات الموسيقية. توفي في يوم 6 ستمبر عام 1869 في بلاكهييت في لندن. للتفاصيل ينظر: https://en.wikipedia.org/wiki/Thomas_Perronet_Thompson. تاريخ الزيارة في 31 اوت 2020

2. جون ب. كيلبي، المصدر السابق، ص 276.

3. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 342؛ صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 94.

4. علي عبد الله فارس، المرجع السابق، ص 192.

2. حوت المعاهدة على التزامات من جانب واحد هو الجانب العربي دون أن تفرض أي التزامات بالمقابل على الانكليز، وعلى الرغم من أن المادة العاشرة من المعاهدة تسمح للسفن العربية بالدخول إلى الموانئ الانكليزية و موانئ حلفاءهم، ولكنها لا تفرض أي التزام عليهم بحمايتهم، وإنما تكتفي في هذا الصدد بالقول (فإذا هاجمها مهاجم فان الحكومة البريطانية ستتهم بالامر)⁽¹⁾.
3. تهدف هذه المعاهدة إلى إنشاء حالة من التبعية بين مشيخات المنطقة والانكليز، كما تهدف إلى صيانة السلام في المنطقة وعدم مهاجمة السفن الانكليزية ومكافحة تجارة الرقيق، والانكليز لم يتدخلوا في الشؤون الداخلية للمشيخات وإنما كانت تنظر لها على انها كيانات مستقلة، وعليها أن تدرك إن الانكليز لن يتدخلوا في شؤونها الداخلية ما دامت ملتزمة بعدم مهاجمة السفن الانكليزية أو التعرض لها والأضرار بالتجارة في مياه الخليج العربي.
4. عمدت المعاهدة إلى بث الفرقة والتمزق، بين المشيخات وعززت وجود الكيانات الصغيرة، ونلاحظ إن عدد الشيوخ الذين وقعوا المعاهدة العامة سبعة، في حين أن المساحة التي يحكمونها ليست بالكبيرة، فعلى سبيل المثال: نجد أن إمارة رأس الخيمة قد وقع عنها أربعة شيوخ من أصل سبعة والموقعين. وهذا إمعاناً في التقسيم . وهذا التوقيع عمل على خلق الفواصل والحواجز بين المشيخات واطهر إلى الوجود لأول مره في المنطقة أسماء مناطق على انها مستقلة ووحدة سياسية جديدة، بينما كانت فيما مضى تشكل مع غيرها كيانا واحدا بغض النظر عن اختلاف العشائر الموجودة فكلهم أخوه بلا تمييز ولكن توقيع الاتفاقية اوجد الفرقة بينهم.
5. أعطت المعاهدة الحق للسفن الانكليزية في مهاجمة السفن العربية في الخليج العربي و الاستيلاء عليها اما بحجة التفتيش عن الرخصة و الأوراق الخاصة بالسفينة، أو بحجة أنها تحمل الرقيق(تجارة العبيد). وهذا كله لتحطيم القوة البحرية التجارية التي كان يتمتع بها العرب في تلك الفترة والتي كانت أكبر منافسة للتجارة البريطانية.
6. نزع أسلحة العرب الخليج العربي ومنعهم من بناء سفن تصلح للقتال ومنع إقامة الحصون والقلاع. وهذه الإجراءات كلها كانت تهدف إلى حرمانهم من ميزة الأمن خاصة إن المعاهدة لم تنص على أن تقوم بريطانيا بحمايتهم صراحة وانعدام

1. انظر نص المادة (10) من المعاهدة في الملحق رقم(6).

الأمن للإنسان يشكل عبئا ثقيلا و يعرضه للمتاعب خاصة إذا سافر للمناطق البعيدة و خطرة.

ومن خلال ما سبق، نجد إن الانكليز نجحوا في تحقيق او إدراك هدف آخر من أهدافهم في منطقة الخليج ، عبر إنهاء أي تأثير يحول دون تحقيق غاياتهم في فرض سيطرتهم السياسية والاقتصادية على المنطقة. إذ بعد التوقيع على المعاهدات التمهيدية والمعاهدة العام عام 1820، ما عاد هناك خطرا يسمى القواسم. فقد نجح الإنكليز في تفتيت هذا الاتحاد القبلي، والذي أقلقهم لفترة من الزمن ، قاربت النصف قرن. وبعد هذا النجاح، ركز الانكليز جهودهم في مواجهة تهديد ظرفي آخر، تمثل في التهديد المصري .

المبحث الثاني: الانكليز والموقف من النشاط المصري في الخليج العربي 1811-1841:

إن المتتبع للأحداث التي شهدتها الخليج العربي في نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر الميلاديين، يجد تغيراً مطرداً في سياسة الانكليز تجاه المنطقة، وهذا التغير كان يعني أهمية تأمين منطقة الخليج العربي من أي تهديد يضر بمصالح الانكليز. وهذا التأمين يعني -أيضاً- ضمان حماية مستعمرتهم الأساس في الهند من أي تهديد مستقبلي⁽¹⁾. وقد شكل تهديد نابليون بونابرت - على اثر الحملة الفرنسية على مصر عام 1798- بالوصول إلى الهند، جرس الإنذار الذي نبه الانكليز إلى أهمية التحرك وضمان حماية مصالحهم في منطقة الشرق عامة والخليج العربي خاصة. ومن هنا، تغيرت الرؤية الانكليزية التي كانت لا تتعدى إنشاء بعض المراكز التجارية وعدم التدخل في الشؤون الداخلية في الخليج العربي، بسياسة استهدفت السيطرة المطلقة على الخليج العربي، وعده الشريان الحيوي الموصل بين الجزر البريطانية و ممتلكاتها في الهند⁽²⁾.

وعندما تمكن الانكليز من إفشال نابليون بونابرت في تحقيق غاياته ومشروعه الساعي من خلاله الوصول إلى الهند، وانتهاء الحملة الفرنسية على مصر في شهر سبتمبر 1801، عاشت مصر - وهي الايالة العثمانية - حالة فراغ سياسي حتى استقرت الأمور فيها لصالح محمد علي باشا⁽³⁾، واجتهد هذا الرجل في تعزيز أركان حكمه وبناء الدولة الفتية التي إنشأها⁽⁴⁾.

تمكن محمد علي باشا - بعد سنوات من العمل والجهد- من بناء منظومة حكمه وتقوية شؤون دولته داخليا، اتجه بأنظاره نحو الخارج، وعمل على توسيع رقعة الدولة التي يحكمها. ويعلق الدكتور سيار كوكب علي الجميل على هذه المسألة بالقول: "كان لمحمد علي باشا والي مصر، كثير من الأهداف السياسية من وراء بنائه لجيش مصري كبير، وأسطول بحري ضخم، وقد أعلن مرارا عن رغباته الجامحة في التوسع والامتداد"⁽⁵⁾.

1. تشكل الهند في الإستراتيجية التي اتبعتها الانكليز أهمية كبيرة، وبذلوا من اجلها جهد كبير لأهميتها الاقتصادية واللوجستية في المحيط الهندي. للتفاصيل ينظر: عبد الفتاح إبراهيم، على طريق الهند، مطبعة الأهالي، بغداد 1935، ص 30-35.

2. المرجع نفسه، ص 54.

3. عن الظروف التي سادت مصر عقب خروج الحملة الفرنسية وصعود محمد علي باشا إلى سدت الحكم، ينظر: محمد رفعت، تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة، ج1: من سنة 1798 إلى 1841، مطبعة الشعب، القاهرة، د.ت.ن، ط1، ص 19-27.

4. محمد فؤاد شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر 1801-1811، ج3. القاهرة، 1958. ص 877.

1. سيار كوكب علي الجميل، تكوين العرب الحديث 1516-1916، جامعة الموصل، الموصل، 1991، ط1، ص 271.

أولاً: دوافع الاهتمام المصري بالجزيرة العربية:

ارتبط الظهور المصري على سواحل الخليج العربي في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي بتنامي نشاط الدولة السعودية الأولى- التي تشكلت نتيجة تحالف آل سعود مع محمد بن عبد الوهاب-، وتكفل السعوديون بنشر الدعوة السلفية في المناطق المجاورة لمنطقة نجد، حتى تمكنوا من الوصول إلى منطقة الخليج العربي⁽¹⁾، وشكل اتساع نشاط الدولة السعودية الأولى إلى أثارت قلق الدولة العثمانية من سرعة اتساع وخطرها على وجوده في مناطق عدة في شبه الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام. وكانت السلطة العثمانية قرابة عقد من الزمن تقف مكتوفة الأيدي في وجه الزحف السعودي، وارتبط هذا الضعف بعدة عوامل متشابكة ومتداخلة، منها نذكر: الانتفاضات داخل ممتلكات الدولة العثمانية، ثم خسارة الأراضي والاستنزاف البطئ لإمكانياتها وحالة التصدع الذي أصاب البنية السياسية في العاصمة اسطنبول نتيجة التدخل السافر من جانب الانكشارية⁽²⁾ في شؤون الدولة وكذلك العجز المزمن في الإمكانيات المالية⁽³⁾، فضلا عن انشغال الدولة العثمانية بحروبها الخارجية مع روسيا القيصرية⁽⁴⁾ التي أنهكت قدراتها واطفأت إمكانياتها⁽¹⁾.

1. بدر الدين عباس الخصوصي ، المرجع السابق، ص 121.
2. الجيش الانكشاري(اليني جري) هي فرق عسكرية من فرق الجيش العثماني، ويعني الجنود الجدد أو الجيش الجديد، وعرفت هذه الفرق بأنها أقوى وأكثر فرق الجيش العثماني نفوذاً، وقد ظهرت لأول مرة سنة 1324 في عهد السلطان أورخان الأول. الجيش الانكشاري تدريبات مختلفة عن باقي فرق الجيش العثماني، وقد طبقت عليه العديد من الإجراءات والبرامج التي تميّزه عن غيره من الفرق، ومن أبرز هذه الإجراءات: اختيار أفراد الجيش في سن صغيرة، وتربيتهم في معسكرات خاصة. تعليم الأطفال التربية الإسلامية والعلوم الإنسانية ومختلف العلوم. وفساد الجيش الانكشاري مع زيادة الانتصارات والفتوحات واتساع رقعة الدولة العثمانية الجغرافية، لجأت الدولة إلى الراحة لفترة من الزمن، مما أثر بشكل سلبي على أفراد الجيش الانكشاري، وأصبح الجيش للرفاهية، ثم أخرج من المعسكرات القتالية إلى الحياة المدنية، وأصبح قادة الجيش الانكشاري يتدخلون في شؤون الدولة العثمانية السياسية ووصل نفوذهم إلى درجات عالية في الدولة. وفرضوا قوتهم وسيطرتهم للإطاحة بالعديد من السلاطين. وكانت نهاية الجيش الانكشاري على يد السلطان محمود الثاني في سنة 1826 في معركة الواقعة الخيرية تم القضاء على الانكشاريين، وأصدر السلطان مرسوماً بإلغاء الفرقة الانكشارية في الجيش، والتخلص من أي شئ يخصهم معنوياً أو مادياً. ينظر: امانى بنت جعفر بن صالح الغازي، دور الانكشارية في إضعاف الدولة العثمانية (الجيش الجديد)، دار القاهرة، القاهرة، 2007، ط1.
3. محمد رفعت، المصدر السابق، ص 37-38؛ جون كيبي، المصدر السابق، ص
4. استندت السياسة الخارجية الروسية منذ عهد حكم بطرس الأكبر على إيجاد منفذ لها عبر ممتلكات الدولة العثمانية للوصول إلى المياه الدافئة، وهذا المبدأ جعل العلاقات بين في حالة توتر وحرب.

وعلى الرغم من هذه الانشغالات، قرر السلطان العثماني محمود الثاني⁽²⁾ في عام 1810 القيام بعمل عسكري ضد الدولة السعودية، خشية من انتشارها في الممتلكات العثمانية، خصوصا بعد احتلال الحجاز من قبل السعوديين. وهو ما أخرج موقف السلطان الذي كان يتخذ لنفسه لقب (خليفة المسلمين و حامي الحرمين الشريفين)⁽³⁾، وتعلق الدكتور مديحة احمد درويش على هذه المسألة بالقول: "كانت الدولة العثمانية حريصة على استرجاع سيادتها على الحرمين الشريفين حتى تستعيد هيبتها في العالم الإسلامي وحتى تسترجع مركزها الديني، خاصة وان الدولة العثمانية كانت في مواجهة أورها تعتمد على قوة الإسلام الكبرى، وكان من الألقاب السلطانية الرسمية لقب (حامي الحرمين) فكيف يتنازل لهذه القوة الفتية ودعوتها التي تهدف إلى تهدد زعامة السلطان العثماني الدينية"⁽⁴⁾.

ونتيجة ذلك طلب السلطان العثماني من محمد علي باشا بالعمل من اجل إرسال حملة عسكرية إلى الحجاز لتخليص الحرمين الشريفين من النفوذ السعودي، مقابل تحقيق مطلب محمد علي باشا باعتراف الباب العالي بحكمه الوراثي في مصر إذا انتصر جيشه في الحجاز⁽⁵⁾. وقد حاول محمد فريد بك تبرير تكليف محمد علي باشا بهذه المهمة، بحجة بعد ايلات بغداد والشام عن مركز تواجد السعوديين في شبه الجزيرة العربية. حين قال: "ولبعد ولايات الشام وبغداد عن مركز الفتنة كلف محمد علي باشا والي مصر ومؤسس عائلتها الخديوية بمحاربتها واسترجاع مكة المشرفة والمدينة المنورة من أيدي زعمائها"⁽⁶⁾. ويبدو هذا الرأي يجانب الحقيقة

ونتيجة ذلك شهدت العلاقات بينهما حروبا مستمرة ومتتالية، وهي أثرت على قدرة الدولة العثمانية كثيرا. ينظر على سبيل المثال: يلماز اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، مروتن: محمود الأنصاري، مج1، مؤسسة فيصل للتمويل، اسطنبول، 1988، ط1، ص 623-642.

1. لوتسكي، المرجع السابق، ص102

2. السلطان محمود الثاني: هو السلطان الثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية. من مواليد اسطنبول في 20 جويلية 1785، تولى الحكم خلفا للسلطان مصطفى الرابع في عام 1808، شهد عهده العديد من الأحداث الجسام، ومن اهمها: القضاء على الانكشارية، الحرب مع روسيا وتوقيع معاهدة بوخارست معها في 8 جويلية 1809، قيام الثورة اليونانية، القضاء على الدولة السعودية الأولى، تمرد محمد علي باشا على الدولة العثمانية وغزو أراضيها وغيرها من الأحداث. توفي في اسطنبول في 2 جويلية 1839 عن عمر ناهز ال(55) سنة وجاء من بعده ابنه السلطان عبد المجيد. للتفاصيل ينظر: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: احسان حقي، دار النفائس، بيروت، 1981، ط1، ص 398-454.

3. يلماز اوزتونا، المرجع السابق، ص 652-654.

4. مديحة احمد درويش، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الاول من القرن العشرين، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، 1980، ط1، ص 51.

5. محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص 990-991.

6. محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 406.

بالمطلق، لان السبب الحقيقي هو ليس الموقع الجغرافي، بقدر ما هو حالة الضعف التي كان عليها ولاية الدولة العثمانية⁽¹⁾ في تلك المناطق قياسا بما كان يتمتع به محمد علي باشا من إمكانيات وقدرات عسكرية.

وعلى ما يبدو أن السلطان محمود الثاني أراد ضرب عصفورين بحجر واحد من خلال هذا الطلب، تمثل الأول في التخلص من محمد علي باشا الذي اغتصب ايالة مصر في عام 1805، وذلك بإضعاف قوته، والثاني التخلص من الدولة السعودية الأولى. وهو ما يذهب إليه الكاتب المصري نجاح محمد عندما كتب يقول: "ونظرا لشعورها (الدولة العثمانية) وحليفها بريطانية بهذا الخطر السعودي الذي لم يكن يقل عن شعورها وإياها بخطر دولة محمد علي فقد اتفقتا على توزيع الأدوار، وتأمرتا على أن تعملتا على ضرب عصفورين بحجر واحد، أي ضرب احدهما بالآخر. وبناءا عليه، أصدرت الأوامر السلطانية إلى محمد علي بالتوجه إلى شبه جزيرة العرب للقضاء على الدولة الوهابية - السعودية"⁽²⁾. ولكن غرابة الرأي عند الكاتب نجاح محمد، تتعلق فقط في مسألة أن تكليف محمد علي باشا جاء باتفاق انكليزي عثماني، وهو ما لا يمكن قبوله نتيجة طبيعة العلاقات الدولية آنذاك، وقدرة ومكانة الدولة العثمانية.

بالمقابل، كان لدى محمد علي باشا الطموح في توسيع دولته بضم الجزيرة العربية لممتلكاته، ونتيجة لذلك، وافق على تكليف السلطان له بالقضاء على الدولة السعودية، بالمقابل، يبدو أن محمد علي باشا أراد من خلال هذا النشاط المسلح في الخليج، معرفة الظروف الدولية والإقليمية فيما لو قرر التوسع في منطقة المشرق العربي، سعيا وراء إنشاء دولته الكبرى التي يحلم بها. ومن هنا، لم يتوان محمد علي باشا في الاستجابة لطلب السلطان العثماني محمود الثاني في التحرك من اجل استعادة الأراضي التي سيطر عليها السعوديون في الحجاز⁽³⁾. وهي في ذات الوقت، جاءت متوافقة مع رغبة محمد علي في بناء إمبراطورية واسعة، وفي هذا يعلق الكاتب الروسي فلاديمير لوتسكي قائلا: "قرر محمد علي، بعد ما عزز سلطته في مصر، تخطي حدودها وتكوين إمبراطورية واسعة، ومنذ عام 1811 خاض حروبا متواصلة وفتح المصريون بلدان المشرق العربي بأسرة تقريبا خلال عقدين من الزمن"⁽⁴⁾. وفي ذات الاتجاه، ذهب الدكتور سيار كوكب علي الجميل حين قال: "كان لمحمد علي باشا والي مصر، كثير من الأهداف السياسية

1. محمد مرسي عبد الله، المرجع السابق، ص 247.

2. نجاح محمد، من معطيات المسألة الشرقية (مثال التأمير البريطاني العثماني على الوجود المصري في شبه جزيرة العرب 1811-1840)، مقال منشور في مجلة دراسات تاريخية، ع 71-72، السنة 11، 2000، القاهرة، 189.

3. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ج 1، ص 304.

4. لوتسكي، المرجع السابق، ص 97.

من وراء بنائه لجيش مصري كبير، وأسطول بحري ضخم، وقد أعلن مرارا عن رغباته الجامحة في التوسع والامتداد"⁽¹⁾. وبدوره أشار الكاتب داود بركات إلى النزعة التوسعية لمحمد علي، حين قال: "استطاع أن يؤلف جيشا ويبنى أسطولا"⁽²⁾، وأن يضع أمام عينيه امتلاك بلاد العرب (الجزيرة العربية) وسوري والعراق وتأليف إمبراطورية عربية"⁽³⁾.

وقد سجل اهتمام محمد علي باشا بشبه الجزيرة العربية وساحلها على الخليج العربي اهتماما في منطقة تبدو بعيدة عنه جغرافيا، ولا تعد داخله ضمن المجال الحيوي لمصر، مثل بلاد الشام، أو البحر الأحمر وجنوب مصر. ولكن- حسبما أرى- قد تكون المهمة التي كلفه بها السلطان محمود الثاني هي التي حركته ووسع من مداركه في أهمية الوصول إلى هذه المنطقة المهمة والحيوية في مجال التجارة العالمية ومفتاحا استراتيجيا للتقدم نحو العراق وبلاد الشام⁽⁴⁾.

خلاصة القول، مهما اختلفت الدوافع والأسباب التي حركت محمد علي باشا تجاه شبه الجزيرة العربية وساحلها المطل على الخليج العربي، فإن التهديد المصري آنذاك، حرك الانكليز - بكل قوة- من اجل إبطاله وإفشاله، لأنه يشكل تهديد لمصالحهم في المنطقة. ومن اجل فهم ذلك، كان علينا تسليط الضوء على النشاط العسكري المصري في المنطقة من اجل فهم طبيعة وآليات التعامل الانكليزي تجاهها.

ثانيا: المرحلة الأولى من الوجود المصري في الجزيرة العربية والخليج العربي:

وتتمثل هذه المرحلة بالنشاط العسكري الذي قام به كل من : طوسون باشا وإبراهيم باشا- ولدي محمد علي باشا- في شبه الجزيرة العربية وامتدادها الخليجي. وابرز ملامح هذه المرحلة نجاح إبراهيم باشا في القضاء على الدولة السعودية الأولى بعد دخول عاصمتها الدرعية.

1. سياركوكب علي الجميل، المرجع السابق، ص 271.

2. ساهمت الحملات العسكرية المصرية في شبه الجزيرة العربية في تطوير قدرات الجيش والبحرية المصرية، وهو ما جعل محمد علي باشا يمتلك قوة عسكرية ضاربة في المنطقة. للمزيد من المعلومات ينظر: عمر طوسون، صفحة من تاريخ مصر في عهد محمد علي: الجيش المصري البري والبحري، مكتبة مدبولي، القاهرة ، 1990.

3. داود بركات، المرجع السابق، ص 22.

4. المرجع نفسه، ص 272.

1. الحملة الأولى:

كلف محمد علي باشا ولده طوسون باشا بقيادة الحملة المصرية على الحجاز، التي خرجت في يوم 31 مارس عام 1811، وكان تعليماته لولده واضحة بان لا يفعل أي شيء من دون العودة إليه ومشورته⁽¹⁾. وفي يوم 3 سبتمبر عام 1811 أقلعت الحملة باتجاه ميناء ينبع البحر⁽²⁾ على الساحل الشرقي من البحر الأحمر⁽³⁾.

كانت القوات السعودية تعد بالآلاف من حيث عدد الأفراد قياسا بالقوات المصرية التي كان عددها قليل ولكن أسلحة وتجهيزاتها حديثة ومتطورة قياسا بالسعوديين. وعلى الرغم من هذا التفاوت في القوة والقدرات، فعندما شرعت الحملة المصرية في عام 1811 بعملياتها العسكرية ضد السعوديين، لتأكيد السيادة العثمانية على غرب الجزيرة العربية، واجهت بعض المصاعب والمقاومة من جانب السعوديين، فاستغرقت العمليات العسكرية طويلا، وكان النصر سجالا بينهما⁽⁴⁾. حتى تمكن الجيش المصري في العام التالي- 1812- من طرد السعوديين من المدينة المنورة في شهر نوفمبر، واستولى طوسون باشا في شهر جانفي عام 1813 على مكة المكرمة وميناء جدة ومدينة الطائف⁽⁵⁾. ولكن هذا الانتصار المصري لم يكن نهاية المطاف بين الطرفين المتصارعين. فلا زال السعوديون يبدون مقاومة للتقدم المصري وعرقلته. وهذا ما استدعى تدخل محمد علي شخصيا في الحرب⁽⁶⁾، عندما حضر في شهر سبتمبر عام 1813 على رأس إمداد عسكري من مصر لمساندة قوات ابنه طوسون. واستطاع أن يفرض السيطرة المصرية في الحجاز ويوطد المواقع فيها، وهو ما مهد الطريق نحو الزحف باتجاه الدرعية مركز السعوديين⁽⁷⁾.

وأثناء الحملة المصرية على الجزيرة العربية، توفي الأمير سعود بن عبد العزيز في يوم 1 ماي عام 1814 وخلفه نجله عبد الله، فمُنيت الدولة السعودية بخسارة جسيمة بموته، الذي

1. عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الجزء الرابع، تح: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، عن مطبعة بولاق، القاهرة، 1988، ص 214-219
2. تقع ينبع البحر في سهل ما بين الجبل والبحر، والمدينة مسورة من جهة الداخل. ينظر: حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1935، ط1، ص 23.
3. محمد رفعت، المرجع السابق، ص 41؛ الياس الايوي، المرجع السابق، ص 77.
4. إسماعيل سرهنك، حقايق الأخبار عن دول البحار، ج2، المطبعة الميرية، القاهرة، 1314هـ، ص 227؛ سيار كوكب علي الجميل، المرجع السابق، ص 272.
5. عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، المصدر السابق، ص 273-276.
6. إسماعيل سرهنك، المصدر السابق، ص 227؛ مديحة احمد درويش، المرجع السابق، ص 52.
7. سيار كوكب علي الجميل، المرجع السابق، ص 273.

كان ذا كفاءات سياسية وإدارية كبيرة⁽¹⁾، الأمر الذي جعل أحوال الدولة السعودية تنحدر من سيء إلى أسوء نتيجة فقدان القيادة القوية وكفاءة الجيش المصري في العمليات العسكرية التي يقوم بها غرب الجزيرة العربية، فتمكن الجيش المصري في جانفي عام 1815، من استدراج قوات السعودية والقضاء عليها في معركة بيسل- واد يقع جنوب شرق الطائف في منطقة الحجاز، وانتقل بعدها ميدان القتال إلى الشمال، اذ اعتقد طوسون باشا إن الفرصة ملائمة للتقدم⁽²⁾، فتقدم من المدينة المنورة إلى الرس⁽³⁾ في منطقة القصيم، مما اجبر السعوديين على الانسحاب منها⁽⁴⁾،

كان للانسحاب السعودي والتقدم المصري أن جعل الأمير عبد الله بين فكي كماشة، اما الاستمرار وحدوث الكارثة العسكرية، أو الاستسلام وطلب الصلح، فاستقر رأيه على طلب الصلح، بالمقابل أدرك طوسون باشا إن لا خيار له الا الموافقة نتيجة ظروف الحملة وتناقص الدعم اللوجستي نظرا لبعده المسافات عن مناطق الإمداد⁽⁵⁾. وتنازل الأمير عبد الله بموجبه عن مطالبه بمكة المكرمة والمدينة المنورة، وان يعلن تبعيته للسلطان العثماني، كما يمنح الأمير ورعاياه الأمان في أراضي الدولة العثمانية، وان يكون تابعا للوالي المصري في المدينة المنورة، مقابل وقف القتال. وقد وافق طوسون باشا على وقف القتال والصلح مع السعوديين، يدفعه في ذلك، توقف زحف الجيش المصري نتيجة مقاومة القوات السعودية له، وبعدهما عقد الصلح واشترط موافقة والده - محمد علي باشا- عليه، كما وضع طوسون باشا حاميات مصرية في مدن الحجاز الرئيسية⁽⁶⁾، وعاد طوسون باشا إلى القاهرة في يوم 7 نوفمبر عام 1816، وبذلك

1. إسماعيل سرهنك، المصدر السابق، ص 227؛ الياس الايوبي، المرجع السابق ص 77.
2. الويس موسيل، آل سعود: دراسة في تاريخ الدولة السعودية، تروتع: سعيد بن فايز ابراهيم السعيد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2003، ط1، ص 90-91.
3. الرس مدينة تقع في القسم الجنوبي من القصيم على بعد 50 ميلا من بريدة في الجنوب الغربي منها، وعلى بعد 40 ميلا من عنيزة، وتحيط بها البساتين من جميع جهاتها ما عدا الجهة الشرقية. ينظر: حافظ وهبه، المصدر السابق، ص 71.
4. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ج1، ص 304-305؛ محمد رفعت، المرجع السابق، ص 42-43.
5. الويس موسيل، المصدر السابق، ص 91.
6. لوتسكي، المرجع السابق، ص 106؛ سيار كوكب علي الجميل، المرجع السابق، ص 273. محمد مرسي عبد الله، المرجع السابق، ص 251.

انتهت أولى الحملات العسكرية المصرية في شبه الجزيرة العربية⁽¹⁾. وتم ترك حاميات عسكرية مصرية في المدن الحجازية⁽²⁾.

وعلى ما يبدو، على الرغم من أن هذه الحملة حققت أهدافها المتمثلة في استعادة السيطرة العثمانية على الحجاز، إلا أنها نهت محمد على للأهمية التي تتمتع بها شبه الجزيرة العربية في حال فكرة في إقامة الدولة التي يحلم بإنشائها. وهذا الأمر سوف يتجلى في رفضه للاعتراف ببنود الصلح الذي عقد.

2. الحملة الثانية:

عندما وصل الوفد السعودي إلى القاهرة في أواخر شهر أوت عام 1815 لتأكيد مصادقة محمد علي باشا على اتفاق الصلح الذي عقد مع ابنه طوسون باشا. وكانت المفاجئة، رفض محمد علي باشا المصادقة على الصلح⁽³⁾. إذ وجد محمد علي باشا إن بنود الاتفاق لا يتلائم مع غاياته وتوجهاته الإقليمية⁽⁴⁾، لاسيما بعد أن رفض الأمير عبد الله بن سعود طلب محمد علي باشا بالتخلي له عن مقاطعة الأحساء، التي تعد من أهم وأخصب المقاطعات في شبه الجزيرة العربية، والتي تطل على الساحل الغربي من الخليج العربي⁽⁵⁾، زد على ذلك، أن الأمير السعودي تمكن من استعادة إلى حد ما قدراته العسكرية من أجل الانتفاض والتمرد على الإرادة المصرية، فكان القرار رفض الهيمنة المصرية في المنطقة⁽⁶⁾. مما رسخ القناعة لدى الأمير عبد الله من أن محمد علي لم يأت للجزيرة العربية لتحرير الحجاز فقط، وإنما القضاء على الدولة السعودية⁽⁷⁾.

السعودية⁽⁷⁾.

واخذوا السعوديون يستعدون لخوض حرب جديدة ضد الجيش المصري. وبلغ عدد القوات التي جمعها الأمير عبد الله بن سعود حوالي (4000) مقاتل، ولكن ما يعاب على هذه القوات أنها كانت ذات تجهيز تقليدي وقديم- مثل: السيوف والرماح والبنادق القديمة ذات الفتيلة- يقابله الجيش المصري المسلح بأسلحة وتجهيزات جدو حديثة⁽⁸⁾. وحاول الأمير عبد الله

1. الياس الايوبي، المرجع السابق، ص 77.

2. سيار كوكب علي الجميل، المرجع السابق، ص 273.

3. جون.ب.المصدر السابق، ص225؛ لوتسكي، المرجع السابق، ص105.

4. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ج1، ص 305.

5. جون ب. كيلبي، المصدر السابق، ص 227.

6. إسماعيل سرهنك، المصدر السابق، ص 228.

7. مديحة احمد درويش، المرجع السابق، ص 52.

8. محمد رفعت، المرجع السابق، ص 44.

أن يكون هو المبادر من اجل إرباك المصريين، فاخذ يهاجم المناطق التي كانت تخضع للمصريين في الجزيرة العربية، حتى انه تمكن من الوصول إلى تخوم المدينة المنورة، مما شكل تهديدا كبيرا للوجود المصري في المنطقة⁽¹⁾.

ولم يكن أمام محمد علي من قرار غير استئناف العمليات العسكرية في الجزيرة العربية، وبشكل شرس وأقوى من ذي قبل. ، وقرر محمد علي باشا هذه المرة إرسال ابنه الكبير إبراهيم باشا على رأس حملة عسكرية كبيرة برفقة مدربين عسكريين فرنسيين- وعلى رأسهم ضابط يدعى فيسيير (FISSIER)- لسحق الدولة السعودية في موطنها⁽²⁾،

واستؤنف القتال في عام 1816 بين الطرفين، وتمكن إبراهيم باشا من إحقاق هزيمة ساحقة في شهر جويلية عام 1816 بالقوات السعودية التي كان يقودها الأمير عبد الله بن سعود بنفسه، واجبر على الانسحاب من ارض المعركة، واخذ إبراهيم باشا يتقدم تدريجيا نحو العاصمة الدرعية محققا خلال مسيرته الانتصار تلو الانتصار على القوات السعودية⁽³⁾. وصل إبراهيم باشا إلى مشارف العاصمة الدرعية في يوم 6 افريل عام 1818، وبعد خمسة أشهر من الحصار والاشتباكات المسلحة سقطت العاصمة السعودية في يوم 15 سبتمبر، واستسلم الأمير عبد الله بن سعود للقوات المصرية⁽⁴⁾، وأرسل إلى القاهرة، ومنها إلى العاصمة العثمانية اسطنبول إذ جرى في نهاية العام إعدامه⁽⁵⁾، ويمكن إرجاع سبب سقوط الدولة السعودية الأولى إلى عاملين: أولهما، عدم تكافؤ القوى بين الطرفين المتنازعين، من حيث العدد والعدة. وثانيهما، النزعة القبلية التي كثيرا ما جعلت القبائل الخاضعة للنفوذ تمتلك الرغبة في التمرد متى توفرت الفرصة⁽⁶⁾.

1. مديحة احمد درويش، المرجع السابق، ص 53.
2. رينية قطاوي بك وجورج قطاوي، محمد علي واوروبا، تر: الفريد يلوز، دار المعارف، القاهرة، د.ت.ن، ص71؛ لوتسكي، المرجع السابق، ص106؛ محمد مرسي عبد الله، المرجع السابق، ص 251.
3. الويس موسيل، المصدر السابق، ص 93؛ جون.ب.كيلى، المصدر السابق، ص 227-228؛ محمد مرسي عبد الله، المرجع السابق، ص 252.
4. رينية قطاوي بك وجورج قطاوي، المصدر السابق، ص 72؛ سيار كوكب علي الجميل، المرجع السابق، ص 274.
5. عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، المصدر السابق، ص467؛ محمد رفعت، المرجع السابق، ص 44.
6. مديحة احمد درويش، المرجع السابق، ص 54-55.

تقدمت القوات المصرية بعد احتلال الدرعية إلى القطيف⁽¹⁾ في منطقة الإحساء المطلة على الخليج العربي. وقد ربط الدكتور محمد حسن العيدروس تقدم القوات المصرية نحو ساحل الخليج العربي الغربي بظروف الفتح المصري أو الإغراءات التي قدمها بنو خالد للمصريين من أجل احتلال المنطقة، حين قال: "سواء أكان تقدم القوات المصرية نحو الإحساء نتيجة طبيعية فرضتها ظروف الفتح المصري لنجد أو الإغراءات بنو خالد حكام الإحساء السابقين الذين قدموا إلى إبراهيم باشا وطلبوا الدعم منه فتح الإحساء على أن يكونوا نوابا عنه هناك إلا أننا ندرك زحف الجيش المصري إلى الخليج العربي كان أمراً مقررًا في السياسة المصرية التزم بها إبراهيم باشا قبل سقوط الدرعية"⁽²⁾.

وفي الإحساء تم بناء حاميات عسكرية كما هو الحال في منطقة نجد، وعلى الرغم من الحملات التأديبية على القبائل الموالية للسعوديين في الإحساء، إلا أنهم لم يتمكنوا من تأمين السيطرة الكاملة على المنطقة، وفي معظم الحالات اخفق المصريون في تفهم البيئة السياسية التي حولهم، وأصبح الاحتلال الدائم عملية مكلفة⁽³⁾، فضلاً عن ذلك طلب داود باشا والي بغداد⁽⁴⁾ من السلطان العثماني بالضغط على محمد علي باشا لسحب جيشه من الإحساء التي كان

1. القطيف تقع في الجهة الشمالية الشرقية من الإحساء، ويحدها شمالاً وغرباً صحراء بياض، وجنوباً بر الظهران. وهي تعتبر مركز منطقة الإحساء المطلة على الخليج العربي. وكانت تتمتع بأهمية استراتيجية في المنطقة ينظر: حافظ وهبه، المصدر السابق، ص 83.
2. محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 127.
3. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ص 306.
4. داود باشا: من مواليد بلاد الكرج (جورجيا حالياً) عام 1774، احضر إلى بغداد كملوك وهو في 11 من عمره، فاشتراه أحد الأثرياء (مصطفى الربيعي)، الذي قام ببيعه إلى والي بغداد في حينه سليمان أبو ليله باشا. فأولاه من الرعاية والاهتمام الشيء الكثير، وقام بتربيته، وتعليمه، وبسبب ما تمتع به من نجابة وذكاء، أسند إليه مهمة الخازندارية في عام 1800، وهو في سن 27 من العمر. ظل في عمله حتى آلت مقاليد الولاية في بغداد إلى سعيد باشا بن سليمان باشا في عام 1813، الذي عين داود باشا في عام 1814 قائداً للجند، فقام بأداء تلك المهمة على أكمل وجه، حدث خلاف بين الوالي وداود باشا، فاشتكى الوالي عند السلطان محمود الثاني، فأصدر فرماناً يقضي بتعيين داود باشا والياً على بغداد، خلفاً لسعيد باشا عام 1816، وقام داود باشا بالكثير من التدابير والإجراءات التي وجد أنها ضرورية لفرض النظام والرهبة في نفوس القبائل، ومن أهم تلك الأعمال: إنشاء قوات عسكرية منظمة؛ وضع حد للقبائل المتمردة والثورات وأعمال الشغب. وغيرها من الأعمال. حاول الانفصال عن الحكم العثماني، وجه إليه السلطان محمود الثاني حملة عسكرية بقيادة علي رضا اللاز في عام 1830، فحاصر بغداد حتى استسلم داود باشا، ورحل إلى اسطنبول ونفاه بعدها السلطان عبد المجيد إلى الحجاز عام 1844، وتفرغ هناك للعبادة والتعليم إلى أن مات في عام 1851، ودفن في البقيع. للتفصيل أكثر ينظر: يوسف عز الدين، داود باشا ونهاية حكم المماليك في العراق، دار البصري، بغداد، 1967.

لداود باشا مصالح فيها⁽¹⁾، فنفذ إبراهيم باشا تعليمات والده بالانسحاب فانسحب المصريون منها في شهر جويلية عام 1819، و تركوا المنطقة يديرها بني خالد على ان تبقى تابعة للباب العالي⁽²⁾، وعاد إبراهيم باشا في شهر ديسمبر عام 1819 مع نواة جيشه إلى القاهرة، وظلت الحاميات المصرية في مدن نجد والحجاز⁽³⁾، وظلت سيادة الدولة العثمانية الاسمية قائمة بعد رحيل المصريين، واستمر الأمير السعودي يدفع جزية اسمية في كل عام للسلطان العثماني⁽⁴⁾.

ثالثاً: موقف الانكليز من الوصول المصري لساحل الخليج العربي:

مثلما اشرنا من ذي قبل، إن الوجود المصري على ساحل الخليج العربي الغربي تزامن مع الرغبة الانكليزية في وضع حل جذري لاتحاد القواسم على ساحل عمان، والذين نغصوا على الانكليز حرية العمل التجاري وتثبيت نفوذهم في الخليج العربي.

لقد حاول الانكليز استيعاب مساعي محمد علي باشا في التفكير الجدي في الوصول إلى الخليج العربي وإيجاد موطئ قدم له في المنطقة. واخذوا يراقبون تطور الأحداث داخل شبه الجزيرة العربية، منذ انطلاق الحملة الأولى للجيش المصري بقيادة طوسون باشا. وزاد الاهتمام أكثر مع تواتر الأنباء عن الانتصارات الكبيرة التي أخذت الحملة المصرية الثانية بقيادة إبراهيم باشا تحقيق النجاحات العسكرية، حتى تمكنت من محاصرة عاصمة السعوديين – الدرعية⁽⁵⁾.

لقد فرض التقدم السريع من جانب القوات المصرية في منطقة نجد ومنها إلى منطقة الإحساء – المطلة على الخليج العربي – على الانكليز، إعادة النظر في الإستراتيجية العسكرية في التعامل مع القواسم، وانتظار ما سوف تسفر عنه الحملة المصرية على الدرعية، وأثار ذلك على وضع القواسم في الخليج العربي، لاسيما وأنهم كانوا يتبعون الدولة السعودية. وهذا ما دفع الحاكم العام للهند هاستنجز للطلب من إدارة الشركة الانكليزية في بومباي التريث في شن هجوم على ساحل عمان حيث مركز تواجد القواسم، وذلك في رسالة بعثها في شهر أكتوبر من عام 1818، وعلل ذلك، بان تأخير الهجوم على القواسم سوف يصب في مصلحتهم، لكون الأخبار المتواترة من الجزيرة العربية تشير إلى أن إبراهيم باشا سوف يحسم الأمر في محاصرة للدرعية

1. عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا والي العراق، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1976، ص 230: محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 127.
2. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ج1، ص 306. نجاح محمد، المرجع السابق، ص 193.
3. لوتسكي، المصدر السابق، ص 107.
4. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ج1، ص 307.
5. محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 128.

نهاية ذلك العام. ووجد من الضروري الاستفادة من تقدم الجيش المصري نحو ساحل عمان للقيام بعمليات عسكرية مشتركة معهم ضد القواسم. والخطة تقوم على أساس مهاجمة الانكليز للقواسم من جهة البحر والقوات المصرية من جهة البر ووضع القواسم بين فكي كماشة والقضاء عليهم⁽¹⁾، وهذا العمل المشترك، سوف يؤدي إلى تخفيض حجم القوات الانكليزية المرسلة إلى الخليج العربي⁽²⁾،

بعد مرور بضع أسابيع على رسالة هاستنجز السابقة الذكر، أرسل المقيم الانكليزي في بوشهر هانيل (HENNEL) تقرير إلى بومباي، يخبر إدارة الشركة بسقوط عاصمة السعوديين (الدرعية)، ووصول المصريين إلى سواحل الخليج العربي. وعلى اثر ذلك، كتب هاستنجز في يوم 2 ديسمبر عام 1819 إلى إبراهيم باشا هنئه على انتصاره الذي حققه على السعوديين، ولفت نظره في قرر -إبراهيم باشا - إخضاع القواسم حلفاء السعوديين بإرسال حملة عسكرية عليهم، فقد اقترح هاستنجز عليه أن يكون القيام بهذه المهمة بعمل مشترك فيما بينهما،

ولكن إدارة الشركة الانكليزية لم تكن متحمسة مثل الحاكم العام في الهند هاستنجز لفكرة التعاون مع المصريين، والذي في حال تحقق سوف يمنح المصريين فرصة السيطرة على الساحل الغربي من الخليج العربي لإدراكه مدى القوة التي كان يتمتع بها الجيش المصري على الارض، بعد أن جهزه محمد علي باشا بأحدث الأسلحة وأخضعه إلى التدريب العسكري الصارم على أيدي أفضل الخبراء العسكريين الفرنسيين⁽³⁾. وبناء على موقف الرفض لأي دور مصري في الخليج العربي⁽⁴⁾، تقدم نيبين حاكم بومباي إلى الحاكم العام للهند في افريل عام 1819 بخطة استندت على تسوية سياسية في الخليج العربي بعد أن يتم الانتصار على القواسم، تهدف إلى تأمين الأمن والتجارة والملاحة الهندية في مياه الخليج العربي، من دون توريط الانكليز بأية التزامات تكون في غير مصلحتهم⁽⁵⁾.

1. جون ب. كيلبي، المصدر السابق، ص 229.

2. محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 130

3. لوتسكي، المرجع السابق، ص 104.

4. كانت الحكومة البريطانية في لندن ترى إن ما يجري في قلب الجزيرة العربية من أحداث لا يتطلب منها الا المراقبة من دون التدخل، الذي يجب بحسب وجهة نظرها، أن يقتصر على ما يجري على طول السواحل الخليجية، أو على ما قد يؤثر على الوضعية الراهنة في المنطقة. ينظر: عبد العزيز سليمان نوار ورائدا عبد العزيز سليمان نوار، المرجع السابق، ص 38.

5. جون ب. كيلبي، المصدر السابق، ص 229.

ونظرا للانقسام في الرأي بين نيبين وهاستنجز، فقد ارتأى نيبين أن يرحى اتخاذ قرار بشأن السياسة الانكليزية الواجب اتخاذها في الخليج العربي، إلى أن تتضح خطط إبراهيم باشا، وذلك بعد لقاء المبعوث الانكليزي سادليز لإبراهيم باشا، وتسليمه رسالة هاستنجز الحاكم العام للهند المؤرخة في 2 جانفي عام 1819، وقد فوض سادليز ان يعرض على إبراهيم باشا منحه رأس الخيمة بغرض إغرائه للمشاركة في الحملة الانكليزية في الخليج العربي، وفي ذات الوقت استكشاف - قدر المستطاع- خطط المصريين المستقبلية في منطقة الخليج العربي⁽¹⁾. وأشار رينيه قطاوي بك وجورج قطاوي إلى الغاية من إرسال سادليز هو عقد معاهدة تحالف وتعاون مع محمد علي باشا، من اجل تهدئة المناطق الشرقية والجنوبية من الجزيرة العربية⁽²⁾. فيما يبدي الكاتب الألماني - الذي زار الجزيرة العربية- الويس موسيل رائيا غريبا في غرض المهمة التي كلف بها سادليز حين قال: "وقد كان يهدف إلى استكشاف نوايا الحكومة المصرية، وأيضا إلى تحذيرهم من التوغل قداما في الخليج العربي"⁽³⁾.

التقى سادليز في المدينة المنورة إبراهيم باشا في يوم 8 سبتمبر عام 1819 لأول مرة -وعلى ما يبدو أن اللقاء كان بروتوكولي -، وفي اليوم التالي- 9 سبتمبر- كانت مقابلته الثانية، اذ كانت مقابلة ودية، وقدم سادليز هدية من هاستنجز - وهي عبارة عن سيف- و الخطاب المرسل من قبل الحاكم العام للهند إليه⁽⁴⁾، و بعد اطلاعه على الخطاب، اخبر إبراهيم باشا سادليز من أنه لا يمكنه الرد بشكل قاطع على مقترحات الحاكم العام للهند قبل إحالة الموضوع إلى والده - محمد علي باشا- في القاهرة⁽⁵⁾. ويبدو إن محمد علي باشا رفض فكرة التعاون مع الانكليز رفضا قاطعا، ويرجع كل من رينيه قطاوي بك وجورج قطاوي إلى تحذير العثمانيين من تبعات مثل هكذا اتفاق، بالقول: "ولكن يبدو أن الوالي (يقصد محمد علي) رفض المقترحات البريطانية، عندما عرضها عليه إبراهيم باشا. وعلى كل، فقد حذره الوزير العثماني درويش من هذا المشروع، بكتابه المؤرخ في الثالث عشر من أكتوبر سنة 1819، ونمبه إلى أن (الغرض الأساسي الذي ترمي إليه انكلترا، هو دعم القوائم والأوتاد، وتوطئة لغزو البلاد)"⁽⁶⁾.

ولكن موقف إبراهيم باشا سرعان ما تغير بعد وصول رد والده على الرسالة التي بعثها الانكليز. وكتب لوريمر معلقا على التغيير الذي حدث في موقف إبراهيم باشا وطريقة تعامله مع

1. ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ج2، ص 1007.

2. رينيه قطاوي بك وجورج قطاوي، المصدر السابق، ص 75.

3. الويس موسيل، المصدر السابق، ص 97.

4. جون .ب. كيبي، المصدر السابق، ص 250-251؛ ج. فورستر سادليز، المصدر السابق، ص 215

5. ج.ج. لوريمر المصدر نفسه، ج2، ص 1011.

6. رينيه قطاوي بك وجورج قطاوي، المصدر السابق، ص 75.

المبعوث الانكليزي سادلير، حيث كتب يقول: "وبعد انقضاء فترة كافية لوصول الرد من مصر تبع كاتبنا سادلير إبراهيم باشا إلى جدة، غير انه تبين أن لهجة الباشا التي كانت من قبل ودية ولينة أصبحت الآن حادة وعنيفة. وأخيرا، وبعد أن تعمد الباشا إهانة حاكم الهند برد هديته إليه"⁽¹⁾.

وهكذا، نجد إن الانكليز، الذين وضعوا في أذهانهم إمكانية الاستفادة من الوجود المصري في الساحل الغربي من الخليج العربي- بعد نجاحهم في القضاء على الدولة السعودية الأولى- في الاشتراك في حملة عسكرية ضد القواسم، وحسم مسألة الخطر الذي كان يشكله القواسم على مصالحهم ونفوذهم في منطقة الخليج العربي. ولكن بالمقابل، نهدت الانكليز إلى خطوة أهم نتيجة اتساع النفوذ المصري في شبه الجزيرة العربية، وهي إعاقة المشروع المصري في السيطرة على كامل المنطقة، ولاسيما المناطق الساحلية للجزيرة العربية، والتي لها أهمية كبيرة في المشروع الانكليزي التجاري القائم على أساس تأمين طرق المواصلات بين الهند والجزر البريطانية. ونظرا لأهمية ميناء عدن كميناء ومحطة للفحم على طريق الهند، وضع الانكليز نصب عينهم السيطرة عليه، بأي حجة ووسيلة ممكنة. وهذا ما تحقق فعلا في عام 1830⁽²⁾. وبعدها بأربع سنوات- وتحديدا عام 1834 - احتلال جزيرة سوقطرة التي تعتبر بوابة خليج عدن والبحر الأحمر⁽³⁾.

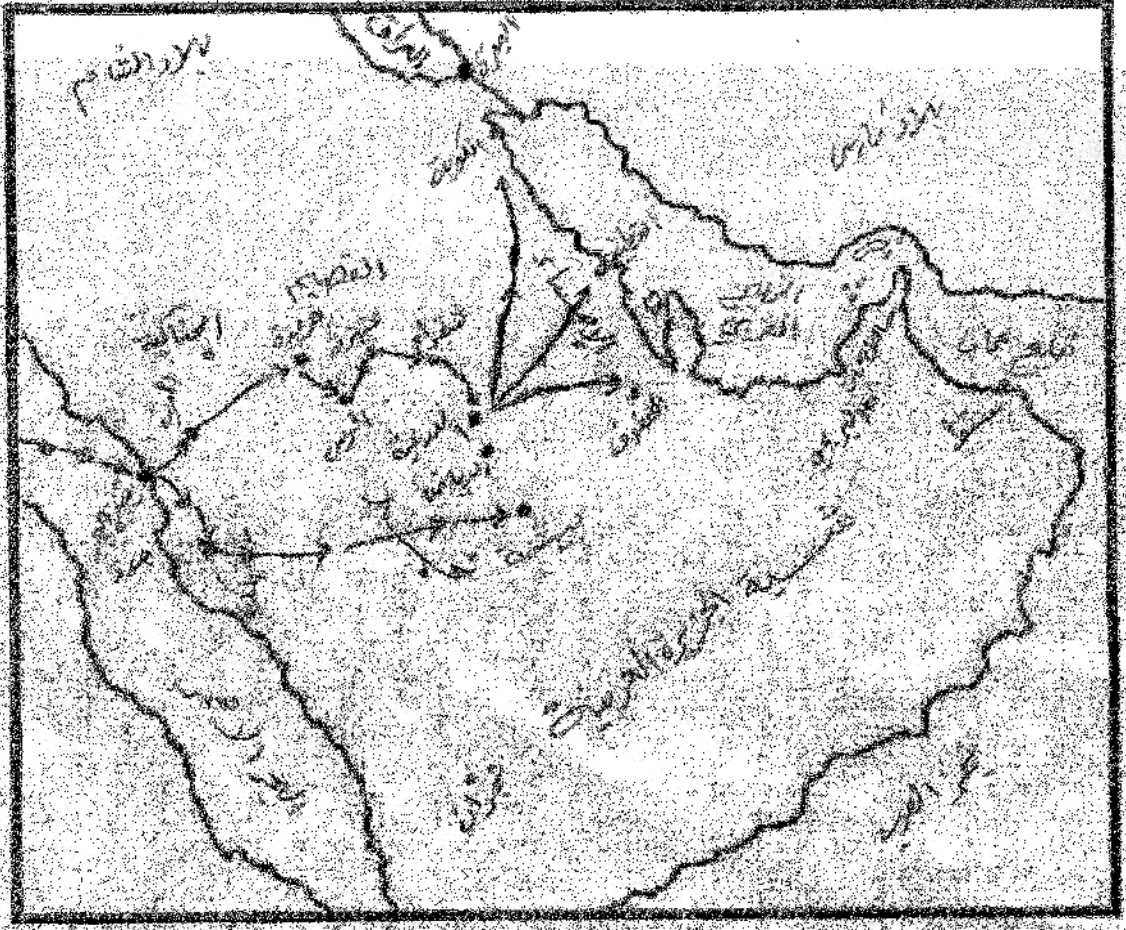
1. ج.ج. لوريمر المصدر نفسه، ج 2، ص 1012.

2. السير ريدر بولارد، بريطانيا والشرق الأوسط من أقدم العصور حتى 1952، تر: حسن احمد السلطان، مطبعة الرابطة، بغداد، 1956، ص 53.

3. لوتسكي، المرجع السابق، ص 104.

خريطة رقم (9)

توضح تحركات حملة إبراهيم باشا في شبه الجزيرة العربية⁽¹⁾



1. الخريطة من عمل الباحث

رابعاً: المرحلة الثانية من الوجود المصري في الجزيرة العربية والخليج العربي:

كما لاحظنا من قبل، إن السيطرة المصرية واستمرارية وجودهم العسكري على مقربة من الخليج العربي لم تكن بالأمر الهين والسهل بالمطلق. سبب ذلك يرجع إلى عدة أسباب في مقدمتها⁽¹⁾:

- تنامي مستوى الرفض المحلي للوجود المصري، ودليل ذلك تعدد الانتفاضات الشعبية التي قادها أمراء من الأسرة السعودية خلال الفترة ما بين 1820-1840.
- انشغال الولاة المصريين في الجزيرة العربية عن حقيقة ما يجري في الجهة الشرقية من الجزيرة العربية.
- الانخفاض التدريجي للتواجد العسكري المصري، والذي اقتصر على منطقتين في نجد هما: القصيم وشمر.
- انشغال محمد علي بالثورة اليونانية وبلاد الشام جعله يبتعد إلى حد كبير عن شؤون الجزيرة العربية.
- الدسائس الانكليزية للحيلولة دون البقاء في شرق الجزيرة العربية وساحل الخليج العربي تحديداً.

ولم يكد إبراهيم باشا على مغادرة نجد حتى شهدت المنطقة هيجاناً رافضاً للوجود المصري في المنطقة، وكانت أولى حركات التمرد في عام 1820 في الدرعية قادها احد أبناء الأسرة السعودية، إلا أن القوات المصرية تمكنت من القضاء عليها. وفي العام التالي-1821- شهدت نجد انتفاضة أخرى من قبل السعوديين قادها هذه المرة الأمير تركي بن عبد الله (1821-1834) – وهو ابن خال الأمير المعدوم في اسطنبول الأمير عبد الله بن سعود-، وتمكن من طرد الحاكم الذي نصبه المصريون، ونقل مقر حكمه من الدرعية المدمرة إلى مدينة الرياض المحصنة جيداً، وذلك في عام 1822. ولم تجد المحاولات المصرية في إرسال بعض الحملات العسكرية لفرض سيطرتهم على المنطقة خلال الفترة ما بين 1824-1826، وهو ما اجبر المصريين على الاكتفاء بالسيطرة على منطقتي القصيم وشمر من ارض نجد، ولكن مع تنامي الرفض للوجود المصري وتصاعد شعبية تركي بن عبد الله تم طردهم من نجد نهائياً في عام 1827⁽²⁾.

1. اسماعيل سرهنك، حقائق الاخبار عن دول البحار، ج3، القاهرة، 1312 هـ، ص233؛ لوتسكي، المرجع السابق، ص 102-103 و105؛ سياركوكب علي الجميل، المرجع السابق، ص 274-275.

2. الويس موسيل، المرجع السابق، 101؛ لوتسكي، المرجع السابق، ص 102.

ولم تستمر الأمور في صالح تركي بن عبد الله، عندما قدم إسماعيل بك على قوة عسكرية مصرية ضخمة عام 1832، كانت مهمتها القضاء على تركي بن عبد الله، ووضع احد الأمراء السعوديين المواليين لهم، ووقع الاختيار على الأمير مشاري بن عبد الرحمن – وهو صغير السن-، وتمكن إسماعيل بك من احتلال الدرعية، وبعدها تحرك نحو العاصمة الرياض، وهناك قتل الأمير تركي وعين مشاري حاكماً للبلاد⁽¹⁾. لم تستقر الأمور في صالح مشاري الا شهرين، فعندما وصلت الأخبار إلى الأمير فيصل ابن تركي بن عبد الله وقائد جيشه الذي كان يحاصر الهفوف، أرسل مجموعة خاصة من رجاله المخلصين إلى الرياض، وتمكنوا من اغتيال الأمير مشاري. ونتيجة ذلك، سادت الفوضى في المدينة، مما اجبر المصريين على الانسحاب منها نحو القصيم. وهكذا آلت الأمور في صالح الأمير فيصل الحاكم الجديد لنجد. والذي تمكن من السيطرة على إقليم الأحساء المطل على الخليج العربي، وبذلك عاد السعوديون من جديد إلى ساحل الخليج العربي الغربي⁽²⁾.

وعلى الرغم من انشغال محمد علي باشا بقضايا أخرى بعيدا عن الجزيرة العربية عامة⁽³⁾، الخليج العربي خاصة، الا أن ذلك لم يمنع من أن يبدي بعض الاهتمام بالمنطقة. وقد زاد هذا الاهتمام اكبر بعد تأكد من أن الانكليز⁽⁴⁾ في مقدمة القوى التي عارضت تحركاته السياسية والعسكرية لبناء دولته التي يحلم بها على حساب الدولة العثمانية منذ عام 1834. فقد رأى الانكليز إن محمد علي باشا إذا ما نجح بمشروعه التوسعي الساعي إلى بناء دولة كبرى في المشرق العربي سوف يقض مضاجعهم، وسوف يشكل تهديدا ليس لمصالحهم في المنطقة وإنما قد يمتد إلى جوهرتهم – واعني بها الهند-⁽⁵⁾. وكان هذا الشك الانكليزي فرض عليهم إعاقة طموح

1. الويس موسيل، المصدر السابق، ص 101.

2. المصدر نفسه، ص 102.

3. لوتسكي، المرجع السابق، ص 103.

4. في منتصف العقد الرابع من القرن التاسع عشر حدث تطور في موقف الانكليز من الدولة العثمانية وزاد التقارب بينهما، وهو مرتبط بمخاوف انكليزية من تنامي نفوذ الدولة الكبرى الأوربية في الدولة العثمانية، ولأسيما روسيا القيصرية. وكان القرار المحافظة على كيان الدولة العثمانية لأسباب إستراتيجية تخص تنافسها مع القوى الأخرى. ينظر: أنيل الكسندروفنا دولينا، الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر، تر: أنور محمد إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1999، ص 66.

5. استقرت السياسة الخارجية الانكليزية التي كان يديرها بالمرستون على الاعتراف بالحقوق الإقليمية للدولة العثمانية، وبضرورة مساعدتها للمحافظة على هذه الحقوق. وثمة اعتبارات عديدة حذت الاستمرار على هذه السياسة منها: الخوف من تداعي الدولة العثمانية الذي سيؤدي إلى اندلاع حرب أوربية، والمحافظة على خطوط المواصلات الانكليزية مع الشرق، وتزايد التجارة الانكليزية مع الدولة

محمد علي باشا خلال هذه المرحلة⁽¹⁾. وهذا الموقف من جانب الانكليز جعل محمد علي باشا يقتنع من أن الانكليز هم أعدائه، ولا بد من التحرك الجدي في التأثير على مصالحهم في كل مكان، وكانت منطقة الجزيرة العربية وساحلها المطل على الخليج العربي واحد من الميادين التي قرر التحرك فيها. ويعلق الدكتور عبد الفتاح حسن أبو عليّة، قائلاً: "أن الوضع السياسي هنا (يقصد الجزيرة العربية) يختلف تماماً عن سابقه، ففي هذه المرة تزايدت أهداف والي مصر في جزيرة العرب، فهو الآن في الثلاثينات من القرن التاسع عشر (الثالث عشر الهجري) يزيد تدعيم نفوذه في جزيرة العرب وبشكل منفصل عن الدولة العثمانية. وقد شجعت انتصاراته في بلاد الشام وجعلته يطمع في إنشاء دولة عربية موحدة تنتظم البلاد التي ينطق أهلها بالضاد، لذا عاد إلى التدخل في شؤون جزيرة العرب"⁽²⁾.

وتعتبر سنة 1838، السنة التي بلغت فيها الحرب الدبلوماسية ذروتها بين العثمانيين والانكليز من جهة ومحمد علي باشا من جهة أخرى. وخلال ذلك ادرك كل من محمد وابنه إبراهيم باشا ضرورة إعادة السيطرة على شبه الجزيرة العربية، وكان محمد علي باشا يعمل من أجل أن يكون له موقع في خارطة القوى المتنافسة في سواحل الخليج العربي، وأن يرسم سياساته على وفق توازن تلك القوى والعلاقات فيما بينها، وفي الواقع فإن دقة هذه المسألة وحساسيتها جعلت جميع القرارات المتخذة بشأنها قرارات سياسية لا عسكرية مصدرها القاهرة، فحينما عرض سلطان مسقط على المصريين فكرة التحالف بينهما من أجل القضاء على عدوهم المشترك، وهو الدولة السعودية في شرقي الجزيرة العربية- كان رأي محمد علي أن إبرام مثل هذا التحالف سوف يورطه في موقف قد لا تُحمد عقباه، بسبب ما سيثيره التحالف مع قوة بحرية خليجية كبيرة من مخاوف لدى بريطانيا قد تؤدي في النهاية إلى إثارة المتاعب أمام تلك الإرادة⁽³⁾.

كانت أولى ردود فعل محمد علي باشا في إطار موقفه المعادي للتواجد الانكليزي في المشرق العربي، ومن التأثير على مصالحهم في المنطقة، وكانت شبه الجزيرة العربية وامتداداتها الخليجية. عندما قرر إعادة الاهتمام بالمنطقة، وتكريس واقع إقليمي يقلق الوجود الانكليزي في

العثمانية حيث وجد التجار الانكليز وفرة في مواد الخام كما وجدوا فيها سوقاً مربحة لمنتجاتهم. ينظر:

السيريدر بولارد، المرجع السابق، ص 26.

1. أنيئل الكسندروفنا دولينا، المرجع السابق، ص 66.

2. عبد الفتاح حسن أبو عليّة، تاريخ الدولة السعودية الثانية 1256-1309/1840-1891، دار المريخ للنشر، الرياض، 1991، ط4، ص 52.

3. عبد العزيز سليمان نوار، مصر والخليج العربي خلال القرن التاسع عشر، مقال منشور في : مجلة الهلال، ع 11، السنة 72، نوفمبر 1964، القاهرة، ص 163.

الخليج العربي، وذلك عبر إعادة الحكم السعودي وفق مقاييس هو يحددها. وكان قرار الإفراج عن احد أمراء الأسرة السعودية المحتجزين في القاهرة يدعى (خالد بن سعود)⁽¹⁾ عام 1836، الذي كان محتجزا في القاهرة تحت الإقامة الجبرية، وكانت مهمته جمع التأييد الشعبي لإسقاط حكم فيصل بن تركي⁽²⁾ وإخضاع نجد والإحساء لسلطة محمد علي باشا، وكانت الأوامر قد صدرت إلى إسماعيل باشا حاكم المدينة لتزويد خالد بن سعود بما يحتاجه من الجنود و التجهيزات للقيام بهذه المهمة⁽³⁾. وبدأ خالد بن سعود تحركه في مطلع عام 1837 نحو منطقة القاسم ، وقد حاول فيصل بن تركي (1834- 1838) في البداية ان يقنع محمد علي باشا ، بالكف عن تأييده لخالد بن سعود (1838 – 1841)⁽⁴⁾ ، وعرض مقابل ذلك الاعتراف به حاكما على نجد، غير ان محمد علي باشا لم يكتف لطلب فيصل بن تركي ، واخذ جيش خالد بن سعود في نهاية شهر افريل من العام نفسه يقترب من مدينة الرياض، وتمكن بسرعة من هزيمة القوات التي يقودها فيصل بن تركي، وتراجع فيصل بن تركي إلى الإحساء بعد ان أخلى العاصمة (الرياض) لخصمه⁽⁵⁾.

تزامنت الانتصارات التي حققها خالد بن عبد العزيز- المتحالف مع محمد علي باشا- مع إعلان الأخير استقلاله عن الدولة العثمانية في 25 ماي عام 1838⁽⁶⁾، وعلى ما يبدو ان الدافع من وراء هذا الاعلان، هو رسالة من محمد علي باشا إلى السلطان العثماني بقدرته على تشتيت دولته

1. وقع اسيرا بأيدي القوات المصرية مع أخيه الأمير عبد الله بن سعود- الذي نفذ فيه حكم الإعدام في اسطنبول- بعد سقوط الدرعية في عام 1818.
2. الأمير فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن. كان من ضمن أفراد الأسرة السعودية الذين نقلوا إلى القاهرة بأمر إبراهيم باشا، ومكث فيما قرابة العقد من الزمن وعاد إلى نجد في عام 1827، بعد ان تولى والده حكم نجد، وكان مقربا من والده تركي وقاد العديد من الحملات العسكرية على منطقة الإحساء. تولى حكم الدولة السعودية الثانية في فترتين، الأولى بعد مقتل والده تركي بن عبد الله ومجي الامير مشاري بن عبد الرحمن وامتدت ما بين (1834-1838). ولكن في عام 1838 تمكن خورشيد باشا من ابعاد عن حكم الدولة السعودية الثانية والقبض عليه وإرساله إلى القاهرة ، ولكنه سرعان ما تمكن من الهرب والعودة إلى نجد، وتمكن من العودة للحكم عام 1843، واستمر في الحكم حتى وفاته في يوم 1 جانفي 1865. للتفاصيل ينظر: محمد عبد الله سلمان، الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية 1238-1309هـ / 1823-1891، د.م.ن، الرياض، 1999، ط2، ص 86-216؛ عبد الفتاح حسن ابو عليّة، المرجع السابق، ص 41-192.
3. جون ب. كيلبي، المصدر السابق، ص 490.
4. لم الامير خالد يحظى بالشعبية التي تجعل منه حاكما قويا، لاسيما وانه كان العوبة بأيدي المصريين، ولهذا السبب كانت هناك فجوة بينه وبين المواطنين. ينظر: الويس موسيل، المصدر السابق، ص 103.
5. مديحة احمد درويش، المرجع السابق، ص 58-59.
6. جون ب. كيلبي، المصدر السابق، ص 490.

متى اراد، لاسيما وان السلطان كان يعاني من ضربات قوات محمد علي بقيادة ابنه ابراهيم باشا في بلاد الشام⁽¹⁾. وقد استأثر الإعلان اهتمام الحكومة الانكليزية، لاسيما بالمرستون، الذي وجد في ذلك تهديدا حقيقيا للمصالح الانكليزية في المنطقة⁽²⁾.

ولم تتوقف إجراءات محمد علي عند حدود دعم وتنصيب خالد بن عبد العزيز أميرا في نجد، وإنما عهد إلى خورشيد باشا في شهر ماي عام 1838 بقيادة القوات المصرية في نجد، وكانت التعليمات صريحة وواضحة له، وهي: تدعيم النفوذ المصري في شبه الجزيرة العربية وتأمين خطوط الإمداد التي تربط الحجاز بباقي مناطق الجزيرة العربية، ولاسيما نجد والإحساء. وانهمك خورشيد باشا طوال صيف عام 1838 في تنفيذ تعليمات محمد علي باشا، وأقام مركز قيادته على بعد 200 ميل إلى الشمال الغربي من مدينة الرياض، وخلال ذلك وصلت تعزيزات مصرية من الحجاز قدرت بحوالي (2000) جندي، وفي شهر سبتمبر تحرك على رأس قواته نحو مدينة الرياض، وهناك انضم إليه جيش الأمير خالد بن سعود، وبعد فترة قصيرة تحرك نحو الأحساء، وأثناء تحرك القوات التي يقودها خورشيد باشا، أرسل إلى حاكمي الكويت والبحرين، واخبرهما بتقدم جيشه نحو الأحساء، وطالبهما- في ذات الوقت- تقديم الدعم اللوجستي لقواته عند وصوله إلى ساحل الخليج العربي الغربي⁽³⁾.

أما فيصل بن تركي الذي كان يعارض الخضوع إلى محمد علي باشا، وجد الانكليز ضرورة بقاء حكم فيصل بن تركي في نجد، لكي يكون حاجز للحيلولة دون وصول المصريين إلى الخليج العربي، وان بقاء فيصل بن تركي سوف يضعف ويعرقل النشاط المصري على الساحل الغربي للخليج العربي. وكانت مسألة دعمه ومساندته قد وصلت إلى مرحلة متقدمة من القناعة لدى الانكليز، وقد ترجمت هذه القناعة بمراسلة العثمانيين له وإبداء دعمهم ومساندتهم له في مقاومة القوات المصرية بقيادة خورشيد باشا⁽⁴⁾.

وكان لهذه المساندة والدعم الانكليزي والعثماني أثرها في تحفيز الأمير فيصل بن تركي على المقاومة ومواجهة القوات المصرية. واخذ يستعد لمواجهة عسكرية مع خورشيد باشا عند مشارف العاصمة الرياض⁽⁵⁾، ووضع خطته في القتال إلى استدراج القوات المصرية نحو

1. للتفاصيل عن الحملة المصرية على بلاد الشام ينظر: لطيفة محمد سالم، الحكم المصري في الشام 1831-1841، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990، ط2، ص 17-64.

2. جون ب. كيللي، المصدر السابق، ص 501.

3. عبد الفتاح حسن ابو علي، المرجع السابق، ص 61-62.

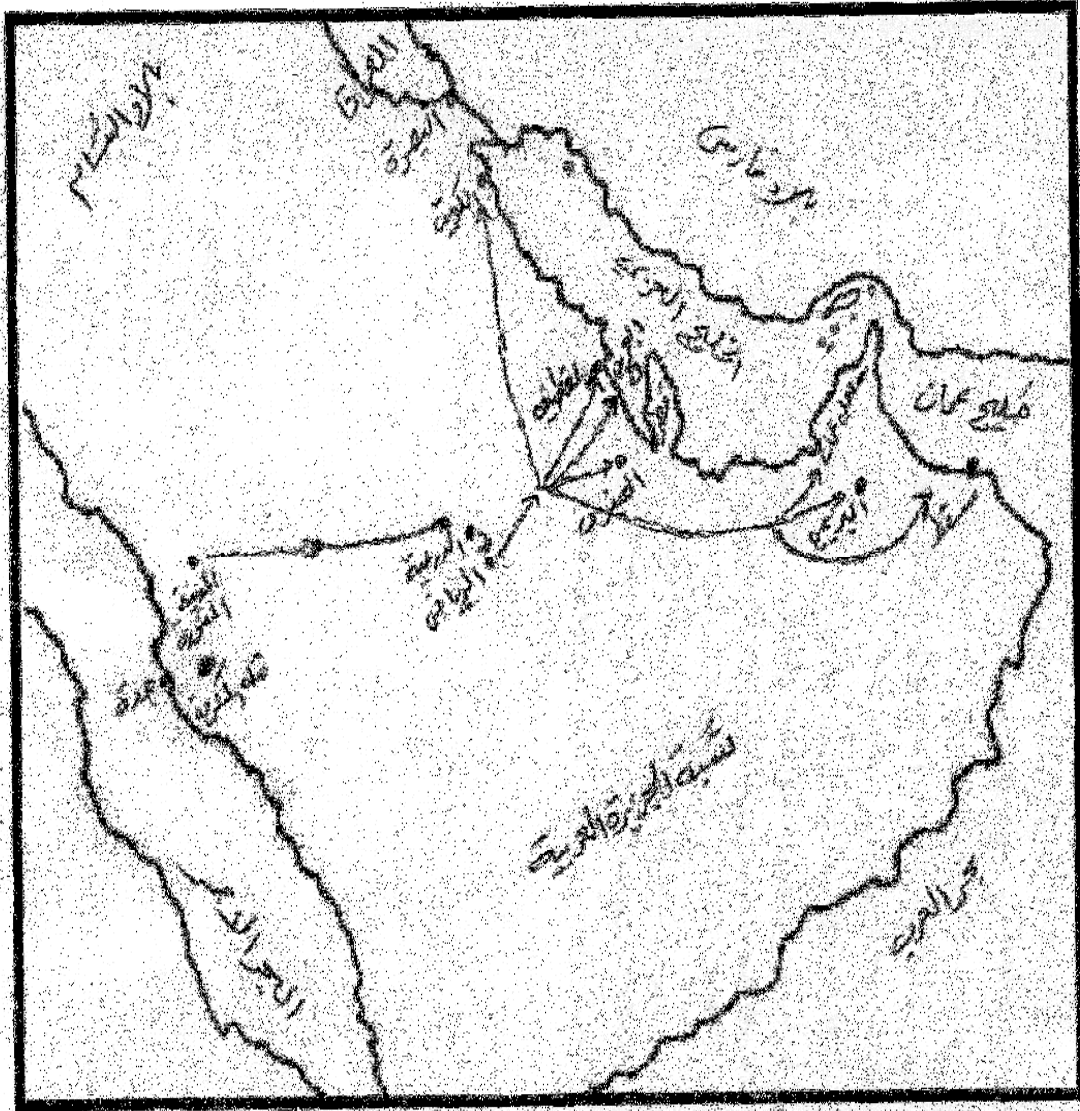
4. عبد العزيز سليمان نوار، مصر والخليج العربي، ص 162.

5. جون ب. كيللي، المصدر السابق، ص 502.

الصحراء القاحلة من اجل إرهابها والقضاء عليها تدريجيا. وتمكن الأمير فيصل بن تركي طوال شهرين من الصمود أمام المصريين وحليفهم الأمير خالد بن سعود ، غير أن خورشيد باشا تمكن في بداية شهر ديسمبر عام 1838 من محاصرة الأمير فيصل بن تركي في ديلم على بعد 50 ميلا جنوب الرياض، بينما واصل الأمير خالد بن سعود زحفه في الإحساء حتى تمكن من الوصول إلى القطيف، واضطر الأمير فيصل بن تركي قبيل نهاية الشهر إلى الاستسلام ، بينما أوقف عمر بن عفيصان العمليات العسكرية في القطيف وفر إلى البحرين⁽¹⁾.

خريطة رقم (10)

توضح التحركات العسكرية والسياسية لخورشيد باشا في الخليج العربي⁽²⁾



1. جون ب. كيلى، المصدر السابق، ص 502؛ عبد الفتاح حسن أبوعلية، المرجع السابق، ص 65.

2. الخريطة من عمل الباحث

وقد اعترض الانكليز على العمليات العسكرية التي كانت تقوم بها القوات المصرية على مقربة من ساحل الخليج العربي. وقام القنصل الانكليزي في القاهرة باتريك كامبل (Patrick Campbell)⁽¹⁾ بمقابلة محمد علي باشا وبلغه احتجاج حكومة بلاده لما يجري في شرق الجزيرة العربية. وبعث كامبل في 9 ماي 1839 تقريراً إلى وزير الخارجية اللورد بالمرستون (LORD PALMERSTON)⁽²⁾، يلخص فيه الحديث الذي دار بينه وبين محمد علي باشا، إذ حاول محمد علي باشا التقليل من خطورة النشاط العسكري التي يقوم به قواته في شبه الجزيرة العربية، موضحاً أن الهدف منها تأمين حماية مكة المكرمة والمدينة المنورة من تهديدات السعوديين، وان جيش خورشيد باشا سوف ينسحب خلال بضعة شهور، وسوف يتم تسليم السلطة في نجد إلى الأمير خالد بن سعود، وعندما استوضحه القنصل كامبل عن البحرين أجاب محمد علي باشا بأنها مثل الكويت ولاية من ولايات نجد، وأنها كانت تدفع الزكاة إلى ابن سعود لأعوام عديدة، وقد اتضح للقنصل كامبل من سير الحديث أن محمد علي باشا يعد نفسه الحاكم الشرعي لنجد

1. باتريك كامبل: عسكري ودبلوماسي، من مواليد دونتروني في اسكتلندا في عام 1779. وهو ينتمي لعائلة عسكرية، التحق بالجيش، وبدأت خدمته تحت قيادة رالف أبيركرومي في جزر الهند الغربية. في عام 1800 التحق في كتيبة المدفعية الملكية في جبل طارق. في عام 1809، تطوع للخدمة مع الجيش الإسباني في حرب شبه الجزيرة ضد نابليون بونابرت، وشارك في العديد من المعارك، تم ترقيته إلى رتبة مقدم وحصل على وسام تشارلز الثالث وكذلك وسام صليب القديس فرديناند. ومع ذلك، أنهى مسيرته العسكرية في عام 1823 برتبة لواء، والتحق بالسلك الدبلوماسي. تم تعيينه سكرتيراً للمفوضية في كولومبيا في 29 ديسمبر عام 1826، ثم وكيلاً وقنصلاً عاماً في مصر في 7 جانفي عام 1833. تقاعد في 13 أغسطس عام 1841. توفي في مسقط رأسه عام 1857. للتفاصيل ينظر:

[https://en.wikipedia.org/wiki/Patrick_Campbell_\(British_Army_officer,_born_1779\)](https://en.wikipedia.org/wiki/Patrick_Campbell_(British_Army_officer,_born_1779))

تاريخ الزيارة في: 1 سبتمبر 2020.

2. هنري جون تيمبل (Henry John Temple): يعرف أيضاً بـ(اللورد بالمرستون) رجل دولة، من مواليد لندن في 20 أكتوبر 1784، شغل منصب رئيس الوزراء مرتين في منتصف القرن التاسع عشر. سيطر بالمرستون على السياسة الخارجية البريطانية خلال الفترة من 1830 إلى 1865، عندما وقفت بريطانيا في ذروة قوتها الإمبريالية. شغل المنصب بشكل شبه مستمر من عام 1807 حتى وفاته في عام 1865. بدأ حياته المهنية البرلمانية كعضو من حزب المحافظين، وانشق إلى اليمين في عام 1830، وأصبح أول رئيس وزراء للحزب الليبرالي المشكل حديثاً في عام 1859. كما شغل منصب رئيس مجلس العموم البريطاني خلال الفترة 1859-1865، وكان عضواً في مجلس اللوردات. ويصنف بالمرستون كواحد من أعظم وزراء الخارجية بسبب تعامله مع الأزمات الكبرى لمهاراته التحليلية، والتزامه بالمصالح البريطانية. كان لسياساته فيما يتعلق بالهند وإيطاليا وبلجيكا وإسبانيا عواقب مفيدة طويلة الأمد على بريطانيا. توفي في مدينة هاتفيلد في انكلترا في يوم 18 أكتوبر 1865. للتفاصيل ينظر:

https://en.wikipedia.org/wiki/Henry_John_Temple,_3rd_Viscount_Palmerston

تاريخ الزيارة في: 1 سبتمبر 2020

وملحقاتها، وتساءل كامبل في قرارة نفسه ما إذا لم تكن تصوراته للمشكلة سليمة على وفق المرسوم الذي أصدره السلطان العثماني، وفوض فيه محمد علي باشا في إخضاع نجد كان لا يزال ساري المفعول حتى تلك اللحظة، ولعل الاحتمال الأخير حال بين المرستون و اتخاذ موقف أكثر تشدداً ضده، لذلك بعث بالمرستون برسالة في يوم 11 ماي 1839 إلى السفير الانكليزي في اسطنبول اللورد جون بونسوني (Lord John Ponsonby)⁽¹⁾، كلفه فيها ببحث الموضوع مع الباب العالي والتأكد فيما إذا كانت فتوحات محمد علي باشا الأخيرة في نجد قد تمت بتأييد من السلطان ، كما كلفه ان يوضح للحكومة العثمانية بأن امن الولايات العثمانية في العراق يتعرض للخطر لو نجح محمد علي باشا في مد نفوذه إلى مناطق الخليج العربي⁽²⁾، وان يوضح للباب العالي أن هدف الانكليز هو إبعاد محمد علي باشا عن العراق و الخليج العربي⁽³⁾، وقد طلب بالمرستون من القنصل كامبل أن ينتظر نتائج الاتصالات التي كلف جون بونسوني بإجرائها مع الباب العالي، فإذا تبين أنها تعارض هي الأخرى امتداد النفوذ المصري إلى المناطق الوسطى والشرقية من شبه الجزيرة العربية، فينبغي عليه تحذير محمد علي باشا بأن الحكومة الانكليزية لن تسمح له بمد سيطرته البحرية والعسكرية على سواحل الخليج العربي، وفي حال أصر على الاستمرار بنشاطه التوسعي، فان الانكليز سوف يقوموا بمنعه من إتمام هذا العمل⁽⁴⁾.

وفيما يتعلق بدعوى محمد علي باشا بنجد فان جون بونسوني السفير البريطاني في اسطنبول، لم تسنح له الفرصة لمعرفة فيما إذا كانت الدعوة تقوم على أساس الفرمان الأصلي القديم الذي انقضى عليه ما يقارب ثلاثين عام⁽⁵⁾، أم أن تلك الدعوة تقوم على أسس أخرى، لأنه

1. اللوردجون بونسوني: دبلوماسي وسياسي انكليزي من مواليد يوم 22 فيفري 1770، كان عضواً في مجلس العموم البريطاني خلال الفترة ما بين 1793-1800. كان دبلوماسياً من المدرسة التقليدية التي تؤمن بقوة بريطانيا، ونتيجة ذلك، كان سلوكه كسفير تسبب أحياناً في إحراج رسمي للانكليز في العديد من المناسبات. شغل منصب سفير في اسطنبول خلال الفترة 1832-1841، وسفيراً في فيينا خلال الفترة 1846-1850. توفي في لندن في يوم 22 فيفري 1855. للتفاصيل ينظر:

https://en.wikipedia.org/wiki/John_Ponsonby,_1st_Viscount_Ponsonby

تاريخ الزيارة في : 1 سبتمبر 2020

2. جون ب.كيلى، المصدر السابق، ص 517.

3. محمد عبدالله العزاوي و جهاد صالح العمر، موقف بريطانيا من التقدم المصري نحو الخليج العربي 1837- 1840، مقال منشور في: مجلة الخليج العربي، ع 6، مج 22، السنة الثامنة عشرة، 1990، البصرة، ص 29

4. جون ب. كيلى، المصدر السابق، 552- 553

5. أي الفرمان الذي ارسله السلطان محمود الثاني إلى محمد علي باشا في اواخر كانون الاول عام 1807، كلفه فيه باسترجاع مكة والمدينة من ايدي السعوديين، ينظر: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، المصدر السابق، ص 123، محمد فريد بك ن المصدر السابق، ص 223.

في نهاية جوان عام 1839 وقعت اسطنبول في فوضى على اثر وفاة السلطان محمود الثاني، وهزيمة الجيش العثماني على يد إبراهيم باشا، ففي أواخر افريل عام 1839 أرسل السلطان محمود الثاني جيشا لإخراج جيش محمد علي باشا من سوريا، غير أن الجيش العثماني لحقت به هزيمة ساحقة في الرابع والعشرين من جوان من العام نفسه، وذلك في موقعة نصيين بالقرب من بيبره جك إلى الجانب الأعلى من نهر الفرات، وتوفي السلطان محمود الثاني في التاسع والعشرين من الشهر نفسه، وخلفه على الحكم السلطان عبد المجيد (1839 – 1861) الذي لم يتجاوز عمره السادسة عشر، ثم بعد ذلك بأسبوعين ترك أحمد باشا القائد العام للأسطول العثماني معسكر العثمانيين، وانضم إلى محمد علي باشا وأبحر بالجانب الأكبر من الأسطول إلى الإسكندرية، وبذلك غدت الطرق ممهدة أمام محمد علي باشا لدخول العاصمة العثمانية غير انه تلكاً في الاستيلاء عليها، وكلف قائده وابنه إبراهيم باشا بمرابطة جيشه على مشارف جبال طوروس⁽¹⁾.

كانت تلك المدة مناسبة لقيام إبراهيم باشا بهجومه على البصرة و بغداد لو ان محمد علي باشا كان يفكر بالفعل في الاستيلاء عليهما، و في بداية جوان عام 1839 التقى القنصل الفرنسي العام كوشليت (Cochelet)⁽²⁾ في القاهرة بمحمد علي باشا للاستفسار منه عن الإشاعات التي كانت تملأ العاصمة المصرية، بخصوص قيام خورشيد باشا بالزحف على البصرة، ولكن محمد علي باشا أجابه بأن هذه مجرد إشاعات لا أكثر، واخبره بان خورشيد باشا مازال حتى تلك اللحظة في الرياض⁽³⁾، في الوقت الذي أوقف فيه خورشيد باشا نشاطاته العسكرية في نجد في الأشهر الأخيرة من عام 1839، لم يبدا بالمرستون أي اهتمام بذلك الموضوع، فقد كانت جهوده منصبه على الوصول إلى صيغة وفاق مع روسيا و النمسا، بشأن الخطوات التي يتعين اتخاذها فيها لو قام محمد علي باشا بشن هجوم على الباب العالي⁽⁴⁾.

لقد أدت سلسلة الخسائر العثمانية أمام جيش محمد علي باشا إلى القلق لا في الدولة العثمانية فحسب بل في أوروبا أيضا، فقد خشيت الدول الأوروبية من تدخل روسيا العسكري، الأمر الذي دفع تلك الدول إلى التدخل بشكل جدي لتسوية الصراع العثماني – المصري، اذ ما أن وصلت أنباء هزيمة الجيش العثماني إلى مسامع المستشار النمساوي كليمنس فون مترنيخ

1. محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 268-269؛ محمد صبري، المرجع السابق، ص 73؛ أنينل

الكسندروفنا دولينا، المرجع السابق، ص 106

2. عين قنصلا في القاهرة خلال الفترة ما بين (1839 – 1841).

3. جون ب. كيلبي، المصدر السابق، ص 532.

4. المصدر نفسه، ص 534.

(Clemens von Metternich) ⁽¹⁾، حتى سارع في نهاية جويلية عام 1839 بتقديم اقتراح إلى السلطان العثماني عبد المجيد الأول ⁽²⁾، بقيام الدول الأوروبية بمعالجة الصراع دبلوماسيا. وكان الهدف من وراء هذه الخطوة، وهو حرمان روسيا من تطبيق معاهدة هنيكار سكله سي، وكذلك لمنع محمد علي باشا من مواصلة نجاحاته السياسية والعسكرية، وقد وافق السلطان عبد المجيد الأول على الاقتراح بعد أن فقدت روحها المعنوية أمام سيل لأحداث المتلاحقة مثل: وفاة السلطان محمود الثاني، وهزيمة الجيش العثماني أمام الجيش المصري وتسليم الأسطول لمحمد علي باشا، معتقدا أن الحل الوحيد لإنقاذ البلاد عقد الصلح مع محمد علي باشا، الذي كان هو والسلطان في آن واحد ينتظران قرار الدول الأوروبية فقد اعتقد محمد علي باشا على أن الانتصار الذي أحرزه على جيش السلطان سوف يساعده في الاحتفاظ بسوريا ⁽³⁾.

1. كليمس فون مترنيخ: من مواليد في منزل ميترنينخ في يوم 15 ماي عام 1773، سياسي ورجل دولة نمساويومن اهم شخصيات القرن التاسع عشر الميلادي. وكان والده دبلوماسيا، وتلقى تعليما جيدا في جامعتي ستراسبورغ وماينز. ارتقى مترنيخ من خلال المناصب الدبلوماسية الرئيسية، بما في ذلك مناصب السفراء في مملكة ساكسونيا ومملكة بروسيا وفرنسا. وقاد الوفد النمساوي في مؤتمر فيينا الذي قسم أوروبا ما بعد نابليون بين القوى الكبرى. من أجل خدمته للإمبراطورية النمساوية، حصل على لقب أمير في أكتوبر 1813. وتحت إشرافه، استمر "نظام المؤتمرات الدولية"، شغل مترنيخ منصب مستشار الدولة من عام 1821 حتى عام 1848 في عهد كل من فرانسيس الأول وابنه فرديناند الأول. بعد نفي قصير في لندن وبرايون وبروكسل استمر حتى عام 1851، عاد إلى فيينا، هذه المرة لتقديم المشورة فقط لخليفة فرديناند، فرانز جوزيف. بعد أن عاش جيله من السياسيين، توفي مترنيخ في يوم 11 جوان عام 1859 عن عمر يناهز 86 عاما. للتفاصيل ينظر:

https://en.wikipedia.org/wiki/Klemens_von_Metternich تاريخ الزيارة في: 12 اوت 2020

2. عبد المجيد الأول بن محمود الثاني بن عبد الحميد الأول، من مواليد اسطنبول في 25 افريل 1823، جاء الحكم عقب وفاة والده عام 1839، وهو السلطان رقم (31) في الدولة العثمانية، من ابرز اعماله استحداث (الباب العالي) الذي تولى مقاليد السلطة، وكان الغرض منها مساعدته في حكم البلاد. شهد عهده صراعا مسلحا مع محمد علي وتوقيع معاهدة كوتاهية، كما زاد تدخل الدول الكبرى في شؤون الدولة. توفي في يوم 25 جوان 1861 في العاصمة اسطنبول. للتفاصيل ينظر: محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 455-499.

3. أنينل الكسندروفنا دولينا، المرجع السابق، ص 106-107

وكان اللورد اوكلاند (Lord Oakland) ⁽¹⁾ الحاكم العام للهند (1836 – 1842) قد ذكر لبارمرستون في جانفي عام 1840 من بأن الحكومة البريطانية هي التي عليها أن تقرر السياسة التي تسير عليها حكومة بومباي إزاء الجيش المصري في منطقة الخليج العربي، وان الحكومة البريطانية لم تزود حكومة بومباي بتعليمات محددة بشأن ذلك الموضوع، وكان اللورد اوكلاند يرى انه من الأفضل تجنب إي صدام مع المصريين، لاسيما أن محمد علي باشا نفسه كان يفضل الوسائل السلمية، على أن تحفظ بريطانيا في الوقت نفسه بتصميمها على التصدي لخورشيد باشا، وذلك عن طريق القيام بعملية استعراض القوة البحرية في الخليج العربي ⁽²⁾، فألى جانب المعارضة الشديدة من الحكومة البريطانية لخطط الحكومة المصرية وطموحاتها التوسعية، واجه المصريون صعوبات كثيرة من أهل البلاد التي احتلوها، فبدأت قوتهم حركة تراجع، وأطلق بعض العرب في الهفوف النار على الحاكم المصري في الإحساء فقتلوه، وبدأت خطوط المواصلات تصبح مهددة بالأخطار، بل حتى مقر القائد المصري لم تكن تصله الإمدادات الا بحراسة شديدة ⁽³⁾، وعندما كانت البحرية البريطانية تحاصر في ماي عام 1840 القوات المصرية في القطيف و سيماب وصلت الأخبار بانسحاب الجزء الأكبر من القوات المصرية في نجد، التي كانت من المفروض ان تظل بعد ذلك خاضعة عن طريق خالد بن سعود للحكم المصري في المدينة، ولتمكين الموظف المصري من تعزيز سيطرته، تركت قوة قوامها ثمانمائة رجل ثلثها من المشاة ⁽⁴⁾.

وقد كان محمد علي باشا في حاجة إلى جيشه للدفاع به عن سوريا ومصر، وفي أواخر جوان من العام نفسه كانت الفرق الثلاثة عشر المصرية من الجيش النظامي في طريقها إلى القاهرة، كما أن إبراهيم باشا قد انسحب هو الآخر من اليمن، بينما انسحب خورشيد باشا من نجد، وعاد إبراهيم باشا وفرقتان من الجيش إلى القاهرة في مطلع أوت عام 1840 ثم أعقبه

1. جورج إيدن (ايرل أوكلاند الأول): سياسي انكليزي ومسؤول استعماري ذا توجه يميني. من مواليد بيكنهام في مقاطعة كنت البريطانية في 25 أوت 1784، وهو من عائلة ارسقراطية نبيلة. درس المحاماة وعمل في السياسة ضمن حزب سياسي يميني. وفي 4 مارس عام 1836، عين حاكما عاما للهند، وفي عهده استولت بريطانيا على عدن عام 1836، والحرب الانكلو أفغانية الأولى (1839-1842). وفي 28 فيفري 1842 أقيل اللورد من منصبه في بسبب المذبحة التي تعرض لها الجيش الانكليزي. وتوفي اللورد أوكلاند في يوم رأس السنة الجديدة 1849، بعد إصابته بنوبة قلبية. وكان عمره 64 عاما. للتفاصيل ينظر: https://en.wikipedia.org/wiki/George_Eden,_1st_Earl_of_Auckland. تاريخ الزيارة في: 25 أوت 2020.

2. جون ب. كيلبي، المصدر السابق، ص 538

3. ج.ج. لوريمر، دليل الخليج، ج.3، ص.1644-1645.

4. المصدر نفسه، ص.1645.

خورشيد باشا، أما مكة والمدينة فقد ترك أمرهما للجيش النظامي، تحت إشراف محمد بن عون شريف مكة، الذي عينه علي باشا حاكما على الحجاز. خلفا لأحمد باشا⁽¹⁾، أما الإحساء فقد اسند حكمها إلى احمد بن مبارك من قبائل بني خالد⁽²⁾.

وبعد انسحاب المصريين من وسط وشرق الجزيرة العربية، لم تعد هناك حاجة إلى الإجراءات التي كان هوميهاوس (HOYHOUSE) وبالمرستون قد قررا اتخاذها، وتلقى هانيل في منتصف جويلية عام 1840 امرا بوقف العمل بالتعليمات التي سبق ان تلقاها لحصار موانئ الإحساء⁽³⁾.

وقد تمكنت الدبلوماسية البريطانية من إقناع الروس بالتخلي عن مكاسبهم التي حصلوا عليها بمقتضى معاهدة هنيكار سكله يسي، وعلى وضع نظام جديد للمضايق، وللتعاون مع الدول الأوروبية الأخرى، لإرغام محمد علي باشا على الانسحاب من سوريا وشبه الجزيرة العربية بالقوة إذا تطلب الأمر. بغض النظر عن مشاركة فرنسا في تلك الإجراءات إذا ما رفضت الأخيرة المشاركة، وكانت موافقة روسيا بالتخلي عن تفوقها في الشرق حافزا لإقامة تحالف ضد فرنسا⁽⁴⁾، وأبان المفاوضات التي جرت بين الدول الأوروبية في لندن عام 1840، أثارت الخلافات الإقليمية بين السلطان و محمد علي باشا، خلافات أخرى بين الدول الأوروبية، التي راحت تماطل في إصدار قرار نهائي، إذ كانت سوريا محل جدل بين بريطانيا و فرنسا، فبينما سعت بريطانيا لإعادة بلاد الشام إلى السلطان، ظلت فرنسا تسعى لإبقائها ضمن ممتلكات محمد علي باشا وقد اقترح بالمرستون أثناء سير المفاوضات معها، على الرغم من الاختلافات بينهما أن يعمل معا ضد روسيا، وقد وافقت فرنسا، إذ أن ذلك يمنحها الفرصة لعرقلة خطط روسيا، و يوفر في الوقت نفسه مناخا ملائما لمحمد علي باشا لحل مشكلاته، وبدورها سعت روسيا لاستغلال الخلافات البريطانية الفرنسية، لعزل فرنسا وعقد اتفاقية بينها وبين بريطانيا، بعد أن تبين لها انه من غير الممكن العمل بمفردها، الا أن ذلك أدى بها إلى الدخول في حرب ضد الدول الأوروبية المتحالفة، ولما أصبح حل الصراع بأيدي الفرنسيين عن طريق الاتفاق المشترك، بذلت بريطانيا كل ما في وسعها لتصبح أكثر الدول تشجيعا للسلطان، أما فرنسا التي بلغت في تقديرها لقوة محمد علي

1. جون ب. كيلى، المصدر السابق، ص 540.

2. بدر الدين عباس الخصوصي، المرجع السابق، ص 177.

3. جون ب. كيلى، المصدر السابق، ص 540.

4. محمد عبدالله العزاوي و جهاد صالح العمر، المصدر السابق، ص 38.

باشا العسكرية ، فقد أظهرت صلابة في آرائها أبان المفاوضات واستندت إلى أن محمد علي باشا سوف يتمكن بقوته العسكرية تحقيق مطالبه الإقليمية⁽¹⁾ .

وقد وقعت بريطانيا و النمسا وروسيا وبروسيا و الدولة العثمانية في 15 جويلية عام 1840 ، على اتفاقية لندن⁽²⁾ ، التي كانت نصرا كبيرا للدبلوماسية البريطانية، اذ قيدت النشاطات الروسية، وعزلت فرنسا عزلا كليا، وقررت مصير محمد علي باشا وممتلكاته⁽³⁾ ، وقد منى الجيش المصري فيما بين سبتمبر ونوفمبر من العام نفسه بهزيمة ساحقة على يد القوات المشتركة للدولة العثمانية وبريطانيا والنمسا، وبذلك وضع حدا نهائيا لمخططات محمد علي باشا التوسعية وتطلعاته في إنشاء دولة مصرية تمتد من النيل إلى الفرات، وبمقتضى اتفاق الإسكندرية المعقود في نوفمبر و ديسمبر عام 1840، وافق محمد علي باشا على التخلي عن سوريا وأذنه و كريت وشبه الجزيرة العربية، وأعاد الأسطول العثماني إلى السلطان العثماني ، وبذلك القرار فقد محمد علي باشا المناطق التي احتلها خورشيد باشا، وهي القاسم و نجد والإحساء، كما ضاعت منه الحجاز- والأماكن المقدسة- واليمن، أما خالد بن سعود الذي عينه خورشيد باشا أميرا لنجد و الإحساء صنيعة للمصريين، فلم يتمكن من المضي في تحقيق أطماع خورشيد باشا في البحرين و عمان، وعلى الرغم من ذلك فقد قرر اوكلاند تكليف حكومة بومباي بإيعاز من هانيل في نهاية فيفري عام 1841 بتوجيه تحذير إلى خالد بن سعود ، بأنه اذا حاول توسيع رقعة نفوذه إلى منطقة جنوب شرقي الجزيرة العربية، بإرسال قوات مسلحة من الإحساء عن طريق البحر إلى ساحل (القراصنة) الساحل المهادن ، بأنه سوف يلقي مقاومة من السفن الحربية البريطانية، وفي جوان من العام نفسه علم إن خالد بن سعود قد اعترف بسلطة الباب العالي وتم تعيينه واليا على نجد⁽⁴⁾ ، وفي شهر سبتمبر عام 1841 كتب إلى المقيم هانيل – في بوشهر- معربا عن رغبته في إنشاء علاقات ودية مع الحكومة البريطانية⁽⁵⁾ .

وبعد تحطيم الجيش والأسطول المصري، أضعفت الدول الأوروبية محمد علي باشا وقضت على برنامج استقلاله عن الدولة العثمانية، وعلى طموحه في بناء الدولة الحديثة، فضلا عن ذلك وبإلحاح من بريطانيا لم تجدد معاهدة هنيكار سكله يسي، التي كان قد انتهى مفعولها عام 1841 وعضوا عنها وقعت خمس دول أوروبية والدولة العثمانية في 13 جويلية من العام نفسه

1. نينل الكسندروفنا دولينا، المصدر السابق، ص 108-109

2. للاطلاع على اتفاقية 15 جويلية عام 1840 ينظر نصها في : عبد العزيز الشناوي ، جلال يحيى، وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، 1969، ص 558-559

3. لوتسكي، المصدر السابق، ص 141

4. جون ب. كيلبي، المصدر السابق، ص 542.

5. المصدر نفسه، ص 544.

في لندن، على اتفاقية جديدة بشأن المضائق، اقبل بمقتضاها البسفور والدردينيل بوجه السفن الحربية الأجنبية بما فيها الروسية⁽¹⁾، وقد صدر فرمان من السلطان في جوان من العام نفسه، بحق الوراثة لمحمد علي باشا في حكم مصر⁽²⁾.

خلاصة القول، نستطيع القول من أن الانكليز نجحوا هذه المرة في استثمار جميع الوسائل في إبعاد خصم كاد أن يكون ثقيلا عليهم في منطقة الخليج العربي. واستطاعوا من تأليب كافة القوى الكبرى – الصديقة والمنافسة لها- للوقوف في وجه طموحات محمد علي، ليس في منطقة الخليج العربي فحسب، وإنما في المشرق العربي بعمومه.

ومن خلال هذا الفصل، نجد أن الانكليز تمكنوا من إنهاء جميع القوى المحلية والإقليمية العربية التي كان لها وجود وتأثير في الخليج العربي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي. وأصبح الانكليز يتمتعوا بكل حرية للعمل من اجل تثبيت أقدامهم في المنطقة. ولهذا انشغلوا بعد ذلك، في تقوية وجودهم السياسي والاقتصادي، إيذانا لبدء مرحلة جديدة من الهيمنة والاستغلال، وبذلك نجد إن الاستعمار الانكليزي لذي اخذ صورا وأشكالا عدة حقق غاياته في السيطرة على منطقة الخليج العربي، وإبعاد جميع منافسيه خلال هذه المرحلة.

1. لوتسكي، المرجع السابق، ص 144-145.

2. للاطلاع على نص فرمان ينظر: عبد العزيز محمد الشناوي، جلال يحيى، المرجع السابق، ص 562-565.

الخاتمة

من خلال دراستنا لموضوع (تطور أشكال و صور الاستعمار البريطاني في الخليج العربي: نشاطات شركة الهند الشرقية (1750-1850)) تمكنا من الخروج بالعديد من النتائج التي يمكن ذكرها كمايلي:

1. اظهر البحث إن جغرافية الخليج العربي وطبيعته المناخية ساهمت في أن يكون امتدادا لمحيطه العربي في الجزيرة العربية والعراق، وعكس ما يدعي الفرس من انه خليجا (فارسيا). لان كل الدلائل الديموغرافية والجغرافية تقول هذا. والذي تكاد أسماكه تنطق العربية، ومياهه لا تعرف غير لغة الضاد، والذي يسكن العرب معظم ضفافه منذ مئات السنين.
2. تميز الخليج العربي قبل اكتشاف طريق الرجاء الصالح في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، بموقعه الجغرافي ومركزه التجاري المتوسطين بين الشرق والغرب، حيث ازدهرت الملاحة العربية بين موانئ الخليج العربي وموانئ المحيط الهندي.
3. كان الخليج العربي موضع أطماع في جميع الأوقات لما له من أهمية تجارية واقتصادية، وإستراتيجية عسكرية، ولكن هذه الأطماع برزت بشكل لافت بعد هزيمة الصليبيين على يد العرب بعد الحرب التي شنها على العالم الإسلامي، تلك الانتصارات التي أرجعها رجال الفكر والسياسة الأوربيين إلى قوة العرب الاقتصادية القائمة أساسا على التجارة وتحكمهم فيها.
4. أن نجاح البرتغاليين في اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح والوصول إلى سواحل الهند، ثم اتجاههم إلى احتكار تجارة الشرق بالسيطرة على منافذ البحرية التي كانت تعبر منها في البحر الأحمر والخليج العربي في طريقها إلى أوربا، عبر موانئ البحر الأبيض المتوسط، يشكل نهاية عهد قديم وبداية عهد جديد يختلف اختلافا كلي عن العصر الذي سبقه، ذلك أن منطقة الخليج التي كانت تعيش عصرا ذهبيا في الملاحة والتجارة خلال الفترة التي سبقت مجيء البرتغاليين إلى بحار الشرق لم تلبث أن فقدت أهميتها التجارية لتحول التجارة إلى الطريق البحري المباشر حول أفريقيا إلى موانئ الأطلسي في غرب أوربا. وانتقلت منطقة الخليج العربي إلى مرحلة التدهور منذ ذلك الحين، رغم جهود القوى الإسلامية والعربية للتخلص من النفوذ البرتغالي واحتكارهم التجاري أيضا. وقد بدأ العثمانيين الذين تصدوا لزعامة العالم الإسلامي منذ السنوات الأولى للقرن السادس عشر، صراعهم ضد البرتغاليين، فكان التفوق البرتغالي لا مفر منه، لتفوقه في موازين القوى البحرية والعسكرية، كما يمكن إضافة عوامل أخرى

أدت إلى إحراز البرتغاليين لذلك التفوق ، لاسيما الصراع المذهبي والمصلحي بين العثمانيين و الصفويين في بلاد فارس.

5. رؤية التجار الأوربيين- لاسيما الانكليز- نمو وازدهار ثروات البرتغاليين بشكل سريع مدهش بفضل اكتشاف بلدان جديدة و البحث عن أسواق تجارية، جرت عدة محاولات إنكليزية للتجار مع الشرق والوصول إلى الهند مباشرة، وقد تشجعت سائر الدول الأوروبية البحرية في تحدي السيطرة البرتغالية، وتأتي هولندا و انكلترا وفرنسا في مقدمة البلدان الأوروبية التي سعت إلى كسر الاحتكار البرتغالي، خاصة بعد تحطم الأسطول الاسباني الارمادا أمام البحرية الانكليزية .

6. كان تأسيس شركة الهند الشرقية نتيجة طبيعية لمتطلبات التجارة الخارجية الانكليزية فيما وراء البحار، متوجة محاولاتها العديدة في هذا مجال الكشف والاستعمار، لمزاولة التجارة في الأصقاع الشرقية والغربية، فمنح مرسوم تأسيس الشركة بهدف الحصول على البضائع الشرقية بأي طريق وبأي طريقة، وجنبا الى جنب مع السعي وراء الربح التجاري نص مرسوم التأسيس على ضرورة تحقيق الأهداف العامة لسياسة بريطانيا، وإيجاد موقع لائق لانكلترا في العمل التجاري المربح ، وكان ذلك يعني في حالة شركة الهند الشرقية أن تضمن الدولة نصيبا من التجارة الآسيوية المربحة . لقد كانت الشركة ، كما قال أحد المعلقين "هدفا قوميا". وكان أعضاؤها ملزمين بالحفاظ على المصالح العامة جينا إلى جنب مع مصالحهم الخاصة. فالحصول على واردات بأسعار أقل في الأسواق البريطانية يعني رخاء اجتماعي و تحسين لميزانية النفقات الخارجية فاستقرار سياسي يدعم الملكية كنظام في بريطانيا.

7. صادف مع بداية ظهور الانكليز في الخليج العربي مع اشتداد الصراع المذهبي السني الشيعي، المرتبط بأسباب مصلحية وسياسية ليس أكثر، فالعثمانيون و الصفويون كل له مصفوفة الموجهات الثقافية التي تعمل بها هذه الأنظمة تحت ضغط الاكتشافات الأوروبية، ولد شحنات من الصراع ومحاولات فرض رؤيتها الثقافية في الفضاء الأوسع الذي تعمل فيه .فتنافس تلك الأنظمة في منح امتيازات لشركة الهند الشرقية الانكليزية شكل بالنسبة لها استقواء بالأجنبي وضعفها الضمني، فكان بساط النفاذ للتغلغل الانكليزي في منطقة الخليج العربي. فعندما أخذت العلاقات تتوثق بين الفرس و الإنكليز لاسيما بعد امتيازات الشاه عباس الأول لشركة الهند الشرقية، لتوحيد الجهود ضد البرتغاليين ولرغبة الشاه في إضعاف العثمانيين.

8. أصبح البرتغاليون يواجهون خصماً من نوع آخر يختلف عن الأفارقة والأسويون الضعاف التسليح، فقد ظهر الإنكليز والهولنديون على المسرح لينازعوا البرتغال في السيطرة على البحار ولينافسوهم تجارياً ، ثم يقوموا في النهاية بتمزيق أوصال إمبراطوريتهم في الشرق، وقد حدثت اشتباكات كثيرة ودامية بين هذه القوى الثلاث غير إن القوة البرتغالية كانت قد بدأت بالفعل تتقلص ولم تعد قادرة على التصدي للتنافس غير المتكافئ.

9. حدث الصدام الأول بين الإنكليز والبرتغاليين سنة 1620 في معركة جاسك البحرية التي انتصر فيها الإنكليز، ونتيجة لتلك المعركة أصبح الإنكليز المسيطرين على جاسك بعد الانتصارات الأولية الإنكليزية ، أخذ الأسطول الإنكليزي القيام بعمليات تهدف إلى عرقلة النشاط التجاري للبرتغال والقيام بمناوشات ضدهم، وفي سنة 1622 حدث الاشتباك المسلح الحاسم في هرمز، حيث كانت هرمز هدفاً للتجار الإنكليز، لأنها كانت سوقاً تجارية زاخرة بالمال والثروة، وأسفرت معركة هرمز عن اندحار البرتغاليين على الرغم من دفاعهم الشديد، وهرب من نجا من حاميتهم نحو الجنوب ، واستولى الإنكليز على الجزيرة في نشوة الظفر ، وانتهت بذلك ملحمة من الملاحم الشهيرة في تاريخ الاستعمار.

10. لقد كان سقوط هرمز ضربة قاضية للنفوذ البرتغالي في الخليج العربي، لكنه لم يضع حداً نهائياً له، وتعد سنة 1622 بداية العلاقات السياسية لإنكلترا مع الخليج العربي، عندما أخذت شركة الهند الشرقية على عاتقها تخصيص سفينتين حربيتين بصورة مستمرة لهم في بندر عباس، الذي بني في محل القرية الصغيرة جمبرون (بندر عباس) على الساحل الشرقي، حيث أنشأوا وكالة للحريز وحصل تجارهم على أذن من الشاه بشراء الحرير ونقله جنوباً إلى أصفهان دون دفع رسوم جمركية على ذلك. وبالتالي استهدفت الشركة الحصول على احتكارات تجارية الهامة في المنطقة .

11. من جهة أخرى غيرت مهام الشركة الإنكليزية في أواخر القرن السابع عشر الميلادي من طابعها التجاري، بتدخل الدولة في شؤونها حيث منحها امتيازات عدة بمرسوم ملكي عام 1661، بإعلان الحرب و عقد اتفاقيات، لتهيئتها لأداء ادوار تنفيذية لمقتضيات السياسة الاستعمارية البريطانية في منطقة الخليج .

12. انهارت سيادة البرتغاليين البحرية واحتكارهم لتجارة الشرق شيئاً فشيئاً أمام الضربات المتوالية التي تلقوها من القوى البحرية الأوروبية وعلى الأخص هولندا وانجلترا، ومنذ تحطيم قوتها البحرية في أواخر القرن السادس عشر وحتى

منتصف القرن السابع عشر حل الهولنديون محل البرتغاليين في مهمة استيراد السلع الشرقية إلى أوروبا. ولم يتم بإزاحة البرتغاليين وكسر سيادتهم البحرية واختراق أسرارهم الملاحية أفراد من المغامرين والتجار فقط، بل قام بذلك التحدي والاستمرار فيه بكل جد، شركات تدفعها الدول الأم، أنشأتها لأغراض التجارة والكشف والاستعمار في البلدان وراء البحار الشرقية لاسيما منطقة الخليج العربي.

13. إن الصبغة الاستعمارية وبسط السيطرة الأوروبية كانت هي الأخرى واضحة تمام الوضوح في المراسيم التي تأسست بموجها الشركات الأوروبية الاستعمارية وفي مقدمتها شركة الهند الشرقية الانكليزية، إذ على الرغم من تظاهر الشركات بالتجارة أمام الحكام المحليين في بدايات قدومهم إلى الهند وسائر البلدان الشرقية، كانت مراسيم التأسيس تنص على منح هذه الشركات الصلاحية في إعلان الحرب وعقد المعاهدات وفتح ما تشاء من الأراضي وإقامة الحصون الحصون والقلاع، وامتلاك الجيوش والأساطيل الحربية، في حين لم تشهد المياه الخليج قبل قدوم الأوروبيين التجارة المسلحة، بل كانت التجارة مظهرا من مظاهر علاقات الود والسلم والتكامل الاقتصادي بين مختلف الشعوب والأقطار التي كانت تتعامل مع منطقة الخليج في التبادل التجاري.

14. إن تكوين الشركات الاستعمارية الأوروبية الكبيرة صاحبة الجيوش والأساطيل الحربية ورأس المال الكبير لتمويل مشاريع التجارة والكشف والاستعمار فيما وراء البحار، جاء في إطار عملية التزاوج والاندماج بين الشركات والمجموعات التجارية الصغيرة لتتحول إلى مجموعات تجارية كبيرة ثم إلى مؤسسات احتكارية شاملة بدعم من دولها، حيث وفرت لها الإطار القانوني، ولقد زاد هذا الإجراء من قوة هذه الشركات حيث وفرت لها كثيرا من الأموال لتمويل المشروعات الاستعمارية، كما وفرت لها الجهد والخبراء والتجنب من أن تقف الشركات التابعة لدولة واحدة ضد بعضها البعض، إلا انه أدى إلى تعقيدات دولية وحروب سافرة بين الشركات الأوروبية الاستعمارية المتصارعة.

15. على الرغم من انه كانت للدول الثلاث: هولندا وإنكلترا، وفرنسا رغبة مشتركة في الصراع ضد البرتغال وإسبانيا، وهي القضاء على سيطرتها الاستعمارية والتجارية في أي مكان من العالم، إلا انه كانت فيما بين هذه الدول الثلاث خلافات جديرة وخطيرة؛ إذ أخذت كل منها تقف على طريق التوسع الاستعماري، وتتطلع

للاستيلاء على كل ما أمكن من المناطق التي انسحب منها المستعمرون السابقون بعد مزاحمة المنافسين لهم .

16. كانت شركات الهند الشرقية الأوروبية، تعتبر التجارة مع البلدان الشرقية حقها الشرعي محتكر عليها دون غيرها، و أن أي اقتراح بالمشاركة في تجارتها فهو يرمي حتما إلى انقراضها وتدميرها، وبالتالي فإن أي شركة أوروبية حصلت على مرسوم تأسيسها يعطيها إذن الدخول في المغامرات التجارية، بذلت قصارى جهدها في طرد كل المشاركين الآخرين في تلك القناة التجارية وكانت تعتبر تجارتها رابحة إلا إذا نجحت في إزالة جميع عقبات التنافس في هذا المجال، ومن هنا توالى الصراعات الدامية بين الشركات الأوروبية المتصارعة من أجل الاستئثار بالتجارة فيما وراء البحار والتفرد بامتلاك مفاتيح مسارات في تلك التجارة.

17. في القرن السابع عشر الميلادي، جرى هناك تنافس تجاري وسياسي ثلاثي للاستئثار بالتجارة فيما وراء البحار ولاسيما الهندية منها، بين الهولنديين والإنكليز من جهة والفرنسيين من جهة أخرى، واخذ الصراع بعد ثنائيا فيما بعد- بعد طرد الهولنديين- الذي بعد منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، إلا أن ذلك الصراع فاق جميع أنواع التنافس الاستعماري الذي حصل بين القوى الأوروبية للتحكم في التجارة فيما وراء البحار، ولكن في نهاية المطاف انتصرت شركة الهند الشرقية الإنكليزية على جميع منافساتها الأوربيات، وانفردت بالثروات الشرقية- بما فيها الخليج العربي-، وكان سقوط جزيرة مدغشقر في أيدي الإنكليز في عام 1810، نقطة بداية استئثار الإنكليز بنفوذهم في بحار الشرق بصفة عامة ومنطقة الخليج العربي بصفة خاصة.

18. كان ميزان القوة في التنافس الأنكلو-هولندي في منطقة الخليج يميل لصالح هولندا في بداية الأمر، حيث كان الإنكليز متخلفين عن الهولنديين سواء من حيث مساحة المستعمرات، أو في مجال تداول السلع فانعكس هذا كله على التطورات الحاصلة في منطقة الخليج ، فهناك عدة عوامل أدت إلى تفوق واضح لشركة الهند الشرقية الهولندية على الشركة الإنكليزية طوال القرن السابع عشر الميلادي تقريبا. لعل تعرض شركة الهند الشرقية الإنكليزية لمنافسة التجار الإنكليز الأحرار كان له اثر بالغ في حصول الشركة الإنكليزية على الموارد الكافية للقيام برحلات البحث والكشف عن مستعمرات في البلدان الشرقية لاسيما منطقة الخليج

19. لقد كان الشاه الفارسي يسعى للتوسع على حساب جيرانه، فبعد حصوله على جزيرة هرمز وطرد البرتغاليين بمساعدة الانكليز توقع الشاه الفارسي استمرار المساعدات العسكرية البريطانية من أجل تحقيق أهدافه التوسعية ضد العثمانيين (البصرة)، والعمانيين (مسقط)، لكن البريطانيون رفضوا التدخل في النزاعات الداخلية التي لم يحين وقتها بعد، بينما اخذ الهولنديون امتيازات كثيرة وتزايدت استثماراتهم في تجارة فارس بحجم يفوق استثمارات الشركة الانكليزية، ولم يستطيع البريطانيون تصريف بضائعهم لمنافسة الهولنديين الشديدة لهم. كما ظهرت خلافات عديدة بين شركة الهند الشرقية البريطانية وفارس بشأن إعفاء شركة الهند الشرقية الهولندية من الرسوم الجمركية والذي استفاد منها الهولنديون استفادة كبيرة في زيادة دخل حساباتهم التجارية، فاحتج البريطانيون على هذا الإعفاء، وأصروا على أن يدفع الهولنديون نصيبهم من الجمارك.

20. خاض الهولنديون والانكليز حرب مشتركة ضد الفرنسيين في أوروبا عام 1688 إلا أن ذلك لم يمنع المنافسة التجارية بينهما في الخليج، والتي استمرت على أشدها عندما حاول الهولنديون الاحتفاظ باحتكار المنتوجات الهندية والفارسية والحصول على حق تصدير الصوف الكرمانى دون غيرهم . وكانت قوة الأسطول الهولندي مقارنة بالانكليز أثرها في ميلان الكفة في صالحهم خلال مراحل الصراع الأولى.

21. تفوق العمانيين – اليعاربة والبوسعيد- في البحرية وأسطولهم القوي الذي كان الاوربيون يخشونه بعدما نجح في الحاق الهزائم بالأسطول البرتغالي في المحيط الهندي ،

22. ظهور قوة بحرية في مدخل الخليج العربي خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي – وهي القواسم- شكل تهديدا مخيفا للمصالح البريطانية في الخليج العربي، واجبرهم على العمل المستمر من اجل اثناء هذه القوة والقضاء عليها تماما بعد الحملة العسكرية في عام 1820.

23. وفي تعاملها مع حاكم عمان وشيوخ الشمال طبقت بريطانيا سياسة التحكم وإملاء الشروط بشكل واضح. وربطت هؤلاء الحكام بمجموعة معاهدات جائزة انتقلت فيها وظائف الشيوخ بشكل تدريجي الى المقيمين البريطانيين. وحتى منتصف القرن التاسع عشر، أصبح الساحل الجنوبي للخليج العربي وخليج عمان في حقيقة الأمر من ممتلكات بريطانيا. واستحوذت بريطانيا عملياً على السلطة العليا في الخليج، وأصبح مصير القبائل المحلية مرتبطا بقرار المقيم

البريطاني الرئيسي، الذي اتخذ من بوشهر مكاناً له، واخذ الأسطول البريطاني دورا الشرطي في الخليج العربي، وأصبحت التجارة والملاحة مركزة بأيدي الإنكليز او بأيدي من هم في تبعية لبريطاني من تجار وأصحاب سفن.

24. تميز السياسة البريطانية في الخليج العربي في هذه المرحلة تحولاتها الجذرية الموجهة لهدف واحد، هو إزاحة المنافسين وتعزيز مواقع الإنكليز في هذه المنطقة. وبالقدر الذي تراجعت فيه هولندا، اتسعت المنافسة الانكلو-فرنسية واستمرت طويلا ففاقت كل النزاعات الدولية السابقة لأجل احتكار التجارة الشرقية .

25. نظرا للرجبة التوسعية الاقليمية للحكام في منطقة الخليج وغياب رؤية استراتيجية لهؤلاء الكيانات السياسية التي اصابها الوهن، فأضطر المتنازعون فيما لا يخدم مصالحهم تماما الى أن يلجأوا الى المتنافسين الاوربيين لتصفية الحسابات، فاذا استنجدت احدى دول المنطقة بالشركة الفرنسية، استنجدت الاخرى بالشركة الانكليزية . وشجعت هذه الاوضاع الشركتين الى عدم التدخل في شؤونهم الداخلية وانتهاج سياسة "دعه يتعفن" لكي تتحول انظمة تلك الدول الى انظمة غير مستقرة، بل الى دول فاشلة سياسيا و اقتصاديا وفي مختلف أقاليمها الشرقية والغربية، واستغلت الشركتان الانكليزية والفرنسية تلك الاوضاع لصالح مخططاتها الاستعمارية وبسط نفوذها كلما وجدت في ذلك سبيلا. ليتطور الوضع الى نزاع استعماري بين الشركتين المذكورتين في الساحة الخليجية .

26. كانت المصلحة الاولى لبريطانيا في الشرق تقتضي تأمين سيادة بريطانيا في الهند والطرق الموصلة اليها، بينما كانت سياسة فرنسا تهدف الى رآب النفوذ البريطاني عن طريق صداقة فرنسا للأمرء الخليج و قد تتعدى تلك الصداقة الى حكام الدول المجاورة. وكانت العلاقة بين الشركتين الانكليزية والفرنسية في الهند تتاثر سلما او حربا بالعلاقات بين الدولتين الانكليزية والفرنسية في اوربا، وكلما توترت العلاقات بين الدولتين وتقاتلتا في الساحة الاوربية انتقل الصراع المسلح بينهما الى الهند وما جاورها من مناطق ولاسيما منطقة الخليج، ليضع الشركتين المذكورتين في مواجهة بعضهما البعض ولينضم كل طرف في هذا الصراع الى جانب الشركة التي تحالف معها، وفي نهاية حرب السنين السبع التي انتقلت الى الهند و منطقة الخليج أيضا، انتصرت الشركة الانكليزية على الشركة الفرنسية وأصبح الإنكليز في الهند دون منافس أوربي. وعلى الرغم من أن الفرنسيين حاولوا من وقت لآخر أن يسترجعوا مكانتهم في الهند وفي الخليج العربي، إلا أن محاولاتهم

جاءت في أوقات متأخرة دون ان يكتب لها النجاح، مما اضر بموقف بعض الحكام الوطنيين الذين تحالفوا معهم .

27. عززت الشركة الانكليزية موقفها في الخليج العربي بتواجد القوات البحرية- والبرية في بعض الأحيان- بغية فرض هيبتها ومكانتها واثار الرعب في قلوب منافسيها، ولم تتوان في استخدام تلك القوة لتدمير اعدائها، كما حدث في التعامل مع تنامي قومة القواسم في المنطقة. واخذ هذا الوجود الاستعماري العسكري ينمو ويستقر بشكل دائم في الخليج العربي على شكل قواعد عسكرية واساطيل بحرية.

28. ساهمت (البعثات الدبلوماسية) تقوية مركز الانكليز في منطقة الخليج بهدف الضغط على القوى المحلية وتدجينها في صالح مشاريعها الاستعمارية في المنطقة. حيث شكلت هذه البعثات بداية لتغلغل الإنكليز المباشر في العمق وتحقيق قصب السبق مقارنة بكل القوى الاوربية التي اجتمعت في الخليج العربي.

29. لم تكن بريطانيا لم تكن القوة الوحيدة والعامل المطلق في المآلات التي تشكلت بعد ذلك في الخليج، لقد لعبت الحروب الاسرية الحاكمة وانحيازات القوى الإقليمية خصوصا فارس والدولة السعودية الاولى(الوهابيين). أدوارا لا يمكن أن يتم غض البصر عنها في الصياغات النهائية لخريطة المنطقة .

30. ان قيام محمد علي باشا بالقضاء على الدولة السعودية الاولى يمثل فاتحة لمرحلة مهمة، ليس بالنسبة لشبه الجزيرة العربية فحسب ، بل بالنسبة لتاريخ الخليج العربي كله، و قد مر النشاط المصري في شبه الجزيرة العربية و الخليج العربي بمرحلتين ، نتج عنه موقفين مختلفين من السلطات البريطانية ، ففي المرحلة الأولى الممتدة بين عامي 1811-1819 كانت السلطات البريطانية تميل إلى التعاون مع الجيش المصري، الذي بسط سيطرته على شبه الجزيرة العربية ووصل إلى الإحساء في الخليج العربي ، للقضاء على خطر القواسم في ساحل عمان الذين كانوا يهاجمون السفن البريطانية ، وقد حاول البريطانيون إغراء محمد علي باشا بالتنازل له عن رأس الخيمة في حالة اشتراكه معهم في ضرب القواسم، وكان البريطانيون قد اكتسبوا حقوقا إقليمية في الخليج العربي، فيتنازلون عن رأس الخيمة وسواها لمن يساندهم في تنفيذ مشروعاتهم فيه، الا ان ذلك لم يتحقق لعدم موافقة محمد علي باشا ، ولان الجيش المصري كان قد انسحب من الاحساء في عام 1819 باتجاه قلب الجزيرة العربية ، لكن موقف السلطات البريطانية تغير في المرحلة الثانية الممتدة بين عامي 1838-1840، فقد سيطر البريطانيون على مقدرات الخليج العربي بعد

القضاء على خطر القواسم وفرض معاهدة عام 1820 عليه من فضلا عن خوف البريطانيين على مصالحهم بعد انتصار محمد علي باشا على الدولة العثمانية وسيطرته على بلاد الشام و شبه الجزيرة العربية ووصول جيشه إلى الخليج العربي، وطموحه في بناء دولة قوية حديثة تسيطر على طريقي مصر، والشام -العراق، المؤديين إلى مستعمراتهم في الهند، ومعنى ذلك إن الانكليز أصبحوا تحت رحمة محمد علي باشا، لذلك كانت بريطانيا من اشد الدول الأوروبية حرصا في القضاء على مشروعاته في بناء دولة فتية التي تمتد من النيل إلى الفرات، واضطر محمد علي باشا بإمضاء معاهدة لندن عام 1840 إلى الجلاء التام عن سوريا و شبه الجزيرة العربية والإحساء في الخليج العربي، لقاء تأمين حقوق سلالته الوراثية في حكم مصر، فحال الموقف المتشدد من البريطانيين من دون تثبيت إقدام المصريين في شبه الجزيرة العربية والخليج العربي، الذي كانت تعده بريطانيا بحرا مغلقا يقع في دائرة نفوذها فقط ولن تسمح لأية قوة إقليمية أم أجنبية أن تشاركها السيادة فيه.

31. كانت كل الدلائل تشير انه خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، ان الجهود والنشاط الدبلوماسي والسياسي والعسكري الذي قام به الانكليز سينتج باستعمار منطقة الخليج العربي. وفي غضون ذلك أعارت بريطانيا اهتمامها لبلاد فارس بالدرجة الأولى. وكانت المخططات العامة للتوغل في منطقة الخليج العربي قد تم وضعها من قبل الإنكليز منذ نهاية القرن السادس عشر الميلادي. وبحسب هذه المخططات عمل المقيمون والوكلاء السياسيون الانكليز. تكريس وجودهم على ارض بشكل واضح ومباشر، وكان هدفهم ينصب في الاستيلاء على كل ما يمكن ان يسهل البقاء الانكليزي إلى أطول فترة ممكنة. وإلى جانب إنشاء الوكالات التجارية، والمراكز السياسية، وصولا إلى القواعد العسكرية التي أقامتها.

32. استمر النظام الاستعماري البريطاني الذي كلفته بريطانيا حسب ظروف الخليج العربي إلى يومنا هذا، وتحولت بعض الدول إلى محميات بريطانية يتمتع بموجها حكماها من التفاوض أو إبرام معاهدات مع أي دولة أخرى دون موافقة الحكومة البريطانية.

الملاحق

ملحق رقم (1)

نص معاهدة بين كل من صقر والجنرال كير⁽¹⁾

بسم الله الرحمن الرحيم

ليعلم جميع الناس ان سلطان بن صقر كان عند حضرة
الجنرال السير وليام كراننت كير وقد تم الاتفاق بينهما على
النصوص التالية:

المادة 1: يقوم سلطان بن صقر بتسليم كافة القلاع

والسفن والمدافع الموجودة في الشارقة وعجمان

المادة 2: يسلم سلطان بن صقر جميع السجناء الهنود إذا
كان أحد منهم عنده.

المادة 3: لن يسمح الجنرال للجيش (للقطاعات) ان تدخل
المدن لنهبها وتخريبها.

المادة 4: بعد تنفيذ هذه الالتزامات فان سلطان بن
صقر سينضم ويدخل في اتفاق السلام.

وبهذه الشروط فان حالة العداء تكون قد انتهت بين
الجنرال وبين سلطان بن صقر وأتباعه، و لكن ستبقى مراكبهم
محظورا عليها دخول البحر.

تم في رأس الخيمة في يوم 6 جانفي 1820

توقيع

سلطان بن صقر

توقيع

جنرال و.كراننت كير

1. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 324.

ملحق رقم (2)

نص معاهدة بين كل من حسن بن رحمه والجنرال كير⁽²⁾

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله الذي جعل السلام بركة على الناس، وبناء على ذلك يتفق الطرفان على توطيد السلم بين الحكومة البريطانية والقبائل العربية الموقعة على هذا العقد، وذلك على الشروط الآتية:

المادة 1: يجب الامتناع عن جميع أعمال النهب والقرصنة على البر وفي البحر من جانب العرب الموقعين على هذا الاتفاق الى الابد.

المادة 2: مفهوم النهب و القرصنة بانها: أي عمل من أعمال العنف التي تقترف في اوقات السلم من جانب أي دولة، وأن كل من يرتكب عملا كهذا قد اهدر حياته وحقوقه

المادة 3: يسلم حسن بن رحمه السجناء الهنود إذا كان أي منهم عنده.

المادة 4 : بعد تنفيذ هذه الالتزامات فسيسمح له بالانضمام إلى معاهدة السلم العام مع بقية العرب الأصدقاء المسلمين.

تم في رأس الخيمة قبل ظهر السبت 8 جانفي 1820

توقيع

حسن بن رحمه

توقيع

جنرال و.كرانت كير

2. جون ب. كيلى، المصدر السابق، ص 258.

ملحق رقم (3)

نص معاهدة بين كل من محمد بن هزاع بن زعل والجنرال كير⁽³⁾

بسم الله الرحمن الرحيم

ليعلم جميع الناس إن محمد بن هزاع بن زعل _ القاصر _
ومعه أحمد بن فطيس كانا في حضرة الجنرال السير وليام كران
كير وهناك تم الاتفاق على النصوص التالية:

المادة 1: يسلم أهالي دبي إلى الجنرال السفن التي في دبي
وتوابعها والمدافع الموجودة في الأبراج وسيترك الجنرال
مراكب صيد اللؤلؤ ومراكب صيد السمك.

المادة 2: يسلم أهالي دبي كافة الأسرى الهنود إذا كان لديهم
أحد منهم.

المادة 3: لن يسمح الجنرال لقطاعاته الدخول إلى بلد لنهيا
وسوف لن يدمر الحصون والأبراج.

المادة 4: إذا تم تنفيذ هذه النصوص فليسوف يسمح لمحمد بن
هزاع بن زعل وأتباعه بالانضمام إلى معاهدة السلم
العامه أسوة بسائر العرب الأصدقاء المسلمين.

وبهذه الشروط سوف تتوقف حالة العداء بين بريطانيا و بين
محمد بن هزاع وأتباعه باستثناء سريان الحظر على مراكيمهم في
البحر.

تم في رأس الخيمة قبل ظهر السبت 9 جانفي 1820

توقيع

محمد بن هزاع بن زعل

توقيع

جنرال و.كرانت كير

3. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 324.

ملحق رقم (4)

نص معاهدة بين كل من شخبوط آل نهيان والجنرال كير⁽⁴⁾

بسم الله الرحمن الرحيم

ليعلم جميع الناس ان الشيخ شخبوط بن ذياب بن عيسى آل نهيان كان في حضرة الجنرال السير وليام كرانت كير و قد تم الاتفاق بينهما على النصوص التالية:

المادة 1: إذا وجدت في ابوظبي أو أي مكان آخر تابع للشيخ شخبوط أي من السفن (القراصنة) التي صادفها أو قد يصادفها الجنرال في الحرب الحالية فيجب عليه ان يسلمها إلى الجنرال.

المادة 2: سيسمح للشيخ شخبوط بالانضمام إلى المعاهدة العامة للمسلم مع الأصدقاء العرب.

تم في رأس الخيمة 11 يناير 1820

توقيع

شخبوط بن ذياب آل نهيان

توقيع

جنرال و.كرانت كير

4. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 324.

ملحق رقم (5)

نص معاهدة بين كل من حسن بن علي والجنرال كير⁽⁵⁾

بسم الله الرحمن الرحيم

ليعلم جميع الناس ان حسن بن علي في حضرة الجنرال السير وليام كرانت كير و قد تم الاتفاق بينهما على النصوص التالية.

المادة 1: يجب تسليم كافة السفن العائدة لحسن بن علي والموجودة في الشارقة أو أم القيوين أو عجمان أو ابوظبي أو أي مكان تذهب إليه قوات الجنرال فان مثل هذه السفن تسلم للجنرال و سيترك الجنرال تلك التي تصيد اللؤلؤ و مراكب صيد السمك.

المادة 2: يسلم حسن بن علي جميع السجناء و الهنود إذا كان أي منهم لا يزال لديه .

المادة 3: إذا تم تنفيذ هذا الاتفاق فسيسمح لحسن بن علي للانضمام و دخول في معاهدة السلم العام

تم في رأس الخيمة 1 15 جانفي 1820

توقيع
حسن بن علي

توقيع
جنرال و.كرانت كير

5. صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص 324.

ملحق رقم (6)

نص المعاهدة العامة لعام 1820⁽⁶⁾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل السلام نعمة لمخلوقاته

تم الاتفاق على أن يقوم السلام الدائم بين الحكومة البريطانية والقبائل العربية، التي هي أطراف في هذا الاتفاق، وعلى حسب الشروط التالية:

المادة 1: يتوقف النهب و القرصنة في البحر والبر من جانب العرب الذين هم اطراف في هذا الاتفاق الى الابد.

المادة 2: إذا هاجم أي فرد من العرب الموقعين على هذا الاتفاق ما يمر في البحر او البر لاية امة كانت بقصد النهب و القرصنة ، لا عملا من اعمال الحرب المعترف بها، يعد عدوا للبشر جميعا، ويعتبر كأنما ابيح دمه وماله، والحرب المعترف بها هي التي يتم اعلانها جهارا وتشنها على حكومة اخرى.وان قتل الافراد واخذ الاموال دون اعلان واقرار من الحكومة هو نهب وقرصنة.

المادة 3: يحمل العرب المتصالحون في البر و البحر علما احمر يضم حاشيه بيضاء و يكون عرض الأبيض في الحاشية مساويا للعرض الأحمر ولهم الخيار ان يحمل هذا العلم شيئا من الكتابة أولا و يألف مجموع الأبيض و الأحمر المعروف لدى البحرية البريطانية باسم بياضا تخترقه حمرة وهذا سيكون علم العرب المتصالحين دون غيره.

المادة 4: تستمر القبائل العربية المتصالحة في علاقاتها مع بعضها البعض، الا أنها ستكون في سلام مع الحكومة البريطانية. و لا يقاتل بعضها بعضا، والعلم سيكون رمزا على هذا لا اكثر.

المادة 5: ان سفن العرب المتصالحين جميعا ستحمل معها ورقه (سجلا) تحمل توقيع الشيخ و تحتوي على اسم السفينة و طولها و عرضها و حمولتها و كذلك ستكون عندها وثيقة أخرى (من سلطة الميناء) تحتوي على توقيع الشيخ وعلى اسم المالك و اسم الريان وعدد الرجال والسلاح ومن أين ابجرت ووقت إبحارها والميناء المتوجه إليه وإذا واجهت هذه السفينة سفينة بريطانية قدمت لها السجل و الرخصة.

6. ج.ج. لوريمر ، المصدر السابق، ص 1024-1025؛ سلطان بن محمد القاسمي، القواسم والعدوان البريطاني، ص 444-450، محمد مرسي عبد الله، المرجع السابق، ص 284-293

المادة 6: من الممكن للعرب المتصالحين إذا أرادوا إرسال مندوب إلى دار المقيم السياسي في الخليج و مع ما يلزم من الوسائل و يبقى هنالك للقيام بأعماله مع دار المقيم السياسي و للحكومة البريطانية إذا شاءت إرسال مندوب عنها إليهم على نفس المنوال، وسيضيف المندوب توقيععه إلى توقيع الشيخ في الورقة (السجل) التي لسفنههم والتي تحتوي على طول السفينة و عرضها وحمولتها بالأطنان و يجب أن يجدد توقيع المندوب سنويا. وسيكون جميع هؤلاء المندوبين على نفقه الطرف الذي ينتمون إليه.

المادة 7: إذا لم تتوقف أي قبيلة أو جماعة عن النهب و القرصنة فان جميع العرب المتصالحين سيعملون ضدهم حسب طاقاتهم و ظروفهم وسيجري اتفاق بهذا الخصوص بين العرب المتصالحين و البريطانيين عندما يحدث مثل هذا النهب و القرصنة.

المادة 8: إن إعدام الناس بعد تسليم أسلحتهم هو عمل من أعمال القرصنة و ليس أعمال الحرب المعترف بها، فإذا أقدمت على ذلك العمل قبيلة أو جماعة ما سواء كانوا مسلحين أو غير مسلحين بعد أن يكونوا قد سلموا أسلحتهم فستعتبر هذه القبيلة قد خرقت الأمن و سيشارك العرب المتصالحون في العمل ضدها مع الإنكليز، وان شاء الله فان الحرب ضدها لن تتوقف حتى يعاقب أولئك الذين ارتكبوا تلك الفعلة و الذين أمروا بها.

المادة 9: أن حمل الرقيق سواء كانوا رجالا أم نساء أم أطفالا من سواحل أفريقيا أو غيرها و تقلهم في السفن هو نهب و قرصنة، وأن العرب المتصالحين لن يقوموا بعمل من هذا القبيل.

المادة 10: لسفن العرب المتصالحين التي تحمل العلم الأنف الذكر أن تدخل موانئ بريطانيين موانئ حلفاء بريطانيين مادامت تستطيع الدخول و لها ان تبيع و تشتري هناك، فاذا هاجمها مهاجم فان الحكومة البريطانية ستهتم في هذا الأمر.

المادة 11: تكون الشروط السابقة عامة لكل القبائل والأشخاص الذين يلتزمون بها فيما بعد، كما هي عامة لمن يلتزمون بها في الوقت الحاضر.

حررت في راس الخيمة من ثلاثة نسخ ظهر السبت 22 ربيع الاول 1235هـ / 8 جانفي 1820، وعليها وقع المتعاهدون في الأماكن و التواريخ التالية:

- وقعت في راس الخيمة عند تحريرها، من قبل :

- الجنرال وليام كراننت كيرقائد الحملة
الكابتن ت.برينت تومسون أحد ضباط الحملة البريطانية و مترجم الحملة و
كاتب اتفاقية 1820 باللغة العربية.
- حسن بن رحمه القاسمي شيخ خت و الفيلة و سابقا رأس الخيمة
قضيب بن احمد الزعابي شيخ الجزيرة الحمراء(جزيرة زعاب)
- وقعت في رأس الخيمة يوم الثلاثاء 11 جانفي 1820: شيخ أبوظبي شخبوط بن
ذياب بن عيسى آل نهيان
 - وقعت في رأس الخيمة يوم السبت 15 جانفي 1820 : شيخ الرمس - ضايه -
حسن بن علي القاسمي
 - وقعت في الشارقة ظهر الجمعة 28 جانفي 1820: شيخ الشارقة سلطان بن صقر
القاسمي
 - وقعت في الشارقة يوم الجمعة 28 جانفي 1820: زايد بن سيف بن محمد نيابة
عن الشيخ محمد بن هزاع.
 - وقعت في الشارقة الجمعة 5 فيفري 1820 من قبل: الوكيل النائب السيد عبد
الجليل بن السيد ياس عن الشيخ سلمان بن احمد وعبد الله بن احمد ،
بصفته وكيلا عن الشيخين المذكورين.
 - وقعت في البحرين في 23 فيفري 1820 من قبل: سلمان بن احمد ال خليفة
 - وقعها في الفيلة الأربعاء 15 مارس 1820 : شيخ عجمان راشد بن حميد
 - وفي الفيلة نفس اليوم وقعها: شيخ ام القيوين عبد الله بن راشد

ملحق رقم (7)

اسماء الحكام العامون الانكليزي في الهند⁽⁷⁾

اسم	فترة الحكم
وارن هاستنجز	1773 – 1785
جون مكفرسون (بالتبابة)	1785-1786
اللورد تشارلز كورنواليس	1786 – 1793
السير جون شور	1793 – 1798
ريتشارد ولزلي	1798 – 1805
اللورد شارلز كورنواليس (فترة ثانية)	30 جويلية 1805 – 5 أكتوبر 1805
السير جورج هيلاريو بارلو	1805 – 1807
اللورد مينتو	1807 – 1813
الماركيز هاستنجز	1813 – 1823
اللورد أيمرست	1823 – 1828
وليام بينتين	1828 – 1835
اللورد جون أوكلاند	1836 – 1842
اللورد إلان بورو	1842 – 1844
اللورد هنري هاردنگ	1844 – 1848
الماركيز دالهاوزي	1848 – 1856
اللورد تشارلز كانينگ	1856 – 1858

7. نصير احمد نور احمد ، المرجع السابق، ص 538.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب العربية والمعربة:

1. المصادر:

- ارنولد ت. ويلسون، تاريخ الخليج العربي، تر: محمد امين عبد الله، وزارة التراث والثقافة، مسقط، 2016، ط4.
- إسماعيل سرهنك، حقايق الأخبار عن دول البحار، ج2، المطبعة الميرية، القاهرة، 1314هـ.
- ب. ج. سلوت، عرب الخليج في ضوء مصادر شركة الهند الشرقية الهولندية 1602-1784، تر: عايذة خوري، مر: محمد مرسي عبد الله، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1993، ط1.
- ج. فورستر سادلير، مذكرات عن رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام 1819، تر: انس الرفاعي، تق: عباس منصور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2013.
- ج. ج. لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، ج1، تر: قسم الترجمة في ديوان أمير قطر، مطابع علي بن علي، الدوحة، 1972،
- ج. ج. لوريمر، دليل الخليج العربي: القسم التاريخ، ج2، تر: قسم الترجمة في مكتب أمير قطر، مطابع علي بن علي، الدوحة، 1972.
- جون ب. كيلبي، بريطانيا والخليج العربي 1795-1870، ج1، تر: محمد امين عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، د.ت.ن.
- حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1935، ط1.
- روبرت هاي، دول الخليج الفارسي، تر: يوسف الشاروني، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، 2004، ط1.
- س. ب. مايلز، الخليج العربي بلدانه وقبائله، تر: محمد أمين عبدا لله، المطبعة المركزية، عمان، 1986، ط3
- عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الجزء الرابع، تح: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، عن مطبعة بولاق، القاهرة، 1988.
- محمد أمين البغدادي السويدي، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، بلا معلومات اخرى.

2. المراجع:

- أ.ل. راوس، التاريخ الانكليزي، تر: محمد مصطفى زيادة، د.م.ن، القاهرة، 1946.
- أحمد حمود العمري، عمان وشرق افريقية، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1980.
- أحمد حمود المعمرى، عمان وشرق افريقيا ، تر: محمد امين عبد الله ، وزارة التراث القومي والثقافة، القاهرة، 1980.
- أحمد زكريا الشلق. العرب و الدولة العثمانية من الخضوع الى المواجهة 1516-1916 ، مصر العربية للنشر والتوزيع ، كلية الاداب – جامعة عين الشمس، (د.ت).
- أحمد مصطفى ابو حكمة، محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة، (د.ن)، القاهرة ، 1968
- اسماعيل احمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997، ط1،
- اسماعيل احمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997، ط1،
- امانى بنت جعفر بن صالح الغازي، دور الانكشارية في اضعاف الدولة العثمانية (الجيش الجديد)، دارالقاهرة، القاهرة، 2007، ط1.
- انطوان متي، الخليج العربي من الاستعمار البريطاني حتى الثورة الايرانية 1798-1979، دارالجيل، بيروت، 1993، ط1،
- انطوان متي، الخليج العربي من الاستعمار البريطاني حتى الثورة الإيرانية 1798-1978، بيروت، 1993، ط3
- أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، عالم المعرفة، الكويت ، 1978
- أنينل الكسندروفنا دولينا، الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية في ثلاثينات واربعينات القرن التاسع عشر، تر: أنور محمد إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1999.
- بانيكار، ك، م، آسيا والسيطرة الغربية، تر: عبد العزيز توفيق جاويد، د.م.ن، القاهرة ، 1962،
- بدر الدين عباس الخصوصي دراسات في تاريخ الخليج العربي والمعاصر، ج1، مؤسسة ذات السلاسل، الكويت، 1984، ط2.
- بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج1، ذات السلاسل، الكويت، 1984، ط3،

- بديع جمعة ، تاريخ الصفويين وحضارتهم ، ج1، د. م.ن، القاهرة،
- برنارد لو مونتجمري، الحرب عبر التاريخ، تر: فتحي عبد الله النمر ، د.م.ن، القاهرة 1971
- بول كيندي، القوى العظمى التغيرات الاقتصادية والصراع العسكري 1500-2000، تر: عبد الوهاب علوب، دار سعاد الصباح، الكويت، الكويت، 1993، ط1،
- تشارلز بلجريف، ساحل القراصنة، ترجمة: عيسى أمين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.ت.ن.
- جعفر عباس حمدي وآخرون: تاريخ الخليج العربية الحديث والمعاصر، (د.م.ن)، بغداد، 1199.
- جلال يحيى، العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1982.
- جلال يحيى، أوروبا في العصور الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1981.
- جمال زكريا قاسم، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، مج 1: الإمارات العربية في عصر التوسع الأول الأوربي 1507-1840 ، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996،
- جمال زكريا قاسم، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، مج 2: تطور نفوذ البريطاني في إمارات الخليج العربي والمنافسات الإقليمية 1840-1914 ، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996
- جورج لوفران، تاريخ التجارة منذ فجر التاريخ حتى العصر الحديث، تر: هاشم الحسيني، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت.ن
- جوزيف برجر، مكتشفوا العالم، تر: السيد يوسف نصير، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت.ن،
- جون إ. ويلز جونيور، العالم من 1450 الى 1700، تر: خلود الخطيب، مر: احمد خريس، هيئة ابوظبي للسياحة والثقافة، ابوظبي، 2013، ط1،.
- حسن ابراهيم المنسي، شيوخ القواسم في راس الخيمة ودروهم في الأحداث السياسية من بداية تواجدهم الخليج العربي عام 1820-1948، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2014، ط1 69.
- حسن الجاف، الوجيز في تاريخ ايران، ج3، دار الأصيل، بغداد، 2005،

- حسن كريم الجاف، موسوعة تاريخ ايران السياسي من بداية الدولة الصفوية الى نهاية الاسرة القاجارية، مج3، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2008، ط1.
- حمد العناني، جذور الحاضر الخليجي، المطبعة الوطنية الدوحة، 1982
- خالد العزي، الخليج العربي في ماضيه وحاضره، مطبعة الجاحظ، بغداد، 1972.
- خلدون النقيب ، المجتمع والدولة في الجزيرة العربية (من منظور مختلف)، مركز الدراسات الوحدة العربية، الكويت، 1987، ط5 ،
- خلفان بن علي بن خلفان القاسمي، الفيصل القاسم في اصل القواسم، مراجعة: خلفان بن خلفان القاسمي، 2013، بلا معلومات اخرى،
- ر.ف. كليكوفسكي وف.أ. لوتسكييفيتس، الامارات العربية المتحدة، ترجمة: حسان اسحق، شركة قولي، د.م.ن، 1985، ط1
- رضا زادة شفيق، نادر شاه افشار مؤسس الدولة الافشارية في نظر المستشرقين، تر وفق وتغ: احمد الخولي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010، ط1.
- رياض زاهر، استعمار إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965.
- رينية قطاوي بك وجورج قطاوي، محمد علي واوروبا، تر: الفريد يلوز، دار المعارف، القاهرة، د.ت.ن.
- زكي صالح، موجز تاريخ العراق منشأ النفوذ البريطاني في بلاد ما بين النهرين، بغداد 1949، ط1..
- زينب عصمت راشد تاريخ أوروبا الحديث، ج1، القاهرة، دار الفكر العربي، 1986.
- سلطان بن محمد القاسمي، القواسم والعدوان البريطاني 1797-1820، منشورات القاسمي، الشارقة، 2012.
- سلطان بن محمد القاسمي، صراع القوى والتجارة في الخليج 1620-1820، منشورات القاسمي، الشارقة، 2016.
- سليم طه التكريتي، الصراع على الخليج العربي، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، 1966.
- سليم طه التكريتي، المقاومة العربية في الخليج العربي، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، 1966.
- سونيا ي .هاو: في طلب التوابل ، تر: محمد عزيز رفعت، د.م.ن، القاهرة، 1957.
- سيار كوكب علي الجميل، تكوين العرب الحديث 1516-1916، جامعة الموصل، الموصل، 1991، ط1.

- السيد رجب حراز، افريقية الشرقية والاستعمار الأوربي، د.م.ن، القاهرة، 1968
- السير ريدر بولارد، بريطانيا والشرق الأوسط من أقدم العصور حتى 1952، تر: حسن احمد السلطان، مطبعة الرابطة، بغداد، 1956.
- صالح محمد العابد، دور القواسم في الخليج العربي 1747-1820، مطبعة العاني، بغداد، 1976،
- صالح محمد العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي 1798-1800، مطبعة العاني، بغداد، 1979.
- صلاح العقاد، الاستعمار في الخليج العربي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، د.ت.ن،
- صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1965
- طارق نافع الحمداني، الخليج و الجزيرة العربية من القرن السادس عشر إلى القرن العشرين، شركة الوراق للنشر المحدودة، بغداد، 2011، ط1.
- ظافر محمد العجمي، أمن الخليج العربي تطوره وإشكالياته من منظور العلاقات الإقليمية والدولية، بيروت، 2006، ط1،
- عبد الأمير محمد الأمين، دراسات في النشاط التجاري والسياسي الأوربي في آسيا 1600-1800، د.م.ن، عمان، 1987،
- عبد الأمير محمد أمين ومحمد توفيق حسين، التاريخ الأوربي في العصور الوسطى، جامعة بغداد، بغداد، 1978.
- عبد الأمير محمد أمين، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر، مطبعة أسعد، بغداد، 1966،
- عبد الأمير محمد أمين، المصالح البريطانية في الخليج العربي 1747-1778، تر: هاشم لازم كاظم، مكتبة المثني، بغداد، 1977.
- عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.ن.
- عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.ن،
- عبد الرزاق محمد صديق، صهوة الفارس في تاريخ عرب فارس، مطبعة المعارف، الشارقة، 1993، ط1،

- عبد العزيز الشناوي وجلال يحيى ،وثائق و نصوص التاريخ الحديث و المعاصر، القاهرة، 1969.
- عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوربي الحديث في عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999.
- عبد العزيز سليمان نوار، التاريخ الحديث للشعوب الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، 1973.
- عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث ،ج1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1971
- عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا والي العراق، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ، 1976.
- عبد العزيز طريح شرف، الموجز في تاريخ الكشف الجغرافي ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1993
- عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، بريطانيا و الساحل العماني: دراسة في العلاقات التعاهدية، د.م.ن، بغداد، 1978.
- عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، حكومة الهند البريطانية والادارة في الخليج العربي: دراسة وثائقية، دار المريخ للنشر، الرياض، 1981، ط1،
- عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، علاقة ساحل عمان ببريطانيا، دار الملك عبد العزيز، الرياض، 1982،
- عبد العزيز عوض، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، دار الجيل ، بيروت، 1991، ط1،
- عبد العظيم رمضان، تاريخ أوروبا والعالم، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997،
- عبد الفتاح إبراهيم ، على طريق الهند ،مطبعة الأهالي، بغداد، 1935
- عبد الفتاح حسن ابوعلية، تاريخ الدولة السعودية الثانية 1256-1309/1840-1891، دار المريخ للنشر، الرياض، 1991، ط4.
- عبد الفتاح حسن ابوعلية، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى 1157-1233هـ/1744-1818، بلا معلومات اخرى.
- عبد القادر حمود القحطاني، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة، 2008، ط1،

- عبد الله محمد الطائي، تاريخ عمان السياسي، مكتبة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، 2008، ط1،
- عبد المنعم النمر، تاريخ الاسلام في الهند، دار العهد الجديد للطباعة، القاهرة، 1960
- علاء الدين نورس، السياسة الايرانية في الخليج العربي ابان عهد كريم خان (1757-1779)، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1982،
- علاء موسى كاظم نورس وعماد عبد السلام رؤوف، إمارة كعب العربية في القرن الثامن عشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد.
- علي العبيدي، صفحات من التاريخ الأوربي: النهضة الأوربية، رضا التميمي للطباعة والنشر، بغداد، 2018.
- علي عبد الله فارس، شركة الهند الشرقية البريطانية ودورها في تاريخ الخليج (1600-1858)، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، 2001
- عمر طوسون، صفحة من تاريخ مصر في عهد محمد علي: الجيش المصري البري والبحري، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990.
- عهد عباس احمد، كريم خان الزند، مقال منشور في : مجلة دراسات تاريخية، ع 6، السنة 2009، البصرة،
- فاروق عثمان اباطة، عدن و السياسة البريطانية في البحر الأحمر 1839-1918، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987
- فاروق عمر فوزي، تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى، الدار العربية، بغداد، 1986، ط 2،
- قدري قلعي، الخليج العربي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1992، ط2،
- كات فليت، التجارة بين أوروبا والبلدان الإسلامية في ظل الدولة العثمانية، تر: ايمن الامنازي، مكتبة العبيكان، الرياض، 2004، ط1،
- كارول جي توماس، عالم الاسكندر الأكبر، تر: خالد غريب علي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2007،
- كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، مطبعة اركان، بغداد، 1985
- لطيفة محمد سالم، الحكم المصري في الشام 1831-1841، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990، ط2.
- لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية الحديث دار الفارابي، بيروت، 2007، ط9.

- ماتيو اندرسون، تاريخ القرن السابع عشر في أوربة، ترجمة: نور الدين حاطوم، دار الفكر، دمشق، 1977، ط1،
- مارك فيرو، الكتاب الأسود للاستعمار من الإبادة إلى التوبة، تر: محمد احمد صبح، ج2، شركة القدس للنشر والتوزيع، بيروت، 2009،
- محمد السعيد إدريس، النظام الإقليمي للخليج العربي، بيروت، 2000،
- محمد حسن العيدروس، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، مؤسسة عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1998، ط2.
- محمد حميد سلمان، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة ما بين 1507-1525، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، 2000،
- محمد رفعت، تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة، ج1: من سنة 1798 إلى 1841، مطبعة الشعب، القاهرة، د.ت.ن، ط1.
- محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية (في إيران)، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2009،
- محمد عبد الله سلمان، الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية 1238-1309هـ/1823-1891، د.م.ن، الرياض، 1999، ط2.
- محمد عدنان مراد، صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي: جذوره التاريخية وإبعاده، تق: شاكرا الفحام، مر: شهيرة مراد، دار دمشق للنشر والتوزيع، دمشق، 1984،
- محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: أحسان حقي، دار النفائس، بيروت، 1981، ط1.
- محمد فؤاد شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر 1801-1811، ج3، القاهرة، 1958.
- محمود بهجت سنان، امارة الشارقة، وزارة الثقافة والارشاد، بغداد، 1967.
- محمود شاكرا، موسوعة تاريخ الخليج العربي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2005
- مديحة احمد درويش، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الاول من القرن العشرين، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، 1980، ط1.
- مصطفى عقيل الخطيب، التنافس الدولي في الخليج العربي 1622-1763، المكتبة العصرية، بيروت، دت،

- مصطفى عقيل الخطيب، التنافس الدولي في الخليج العربي 1622-1763، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.ن،
- معين الظاهر، جغرافية الوطن العربي، عمان، 2007،
- منير العجلاني، تاريخ البلاد العربية السعودية (الدولة السعودية الأولى)، ج:3، عهد الامام سعود الكبير، دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة، الرياض، 1993، ط2،
- ميخين فيكتور ليونوفيتش، حلف القواسم وسياسة بريطانيا في الخليج العربي في القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر، تر: سمير نجم الدين سطاس، مركز جمعة بن ماجد للثقافة والتراث، دبي، 2009، ط1،
- ميلاد أ. المقرحي، تاريخ أوروبا الحديث 1453-1848، جامعة قاريونس، بنغازي، 1996، ط1،
- نتاليا نيكولايفنا تومانوفيتش، الدول الأوروبية في الخليج العربي: من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، تر: سمير نجم الدين سطاس، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، 2006،
- نصر الله فلسفي، إيران وعلاقتها الخارجية في العصر الصفوي 906-1148/1500-1736، تر: محمد فتحي يوسف الرئيس، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1989،
- نصير أحمد نور أحمد، شركة الهند الشرقية الانجليزية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية/ جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1991
- نك روبينز، الشركة التي غيرت العالم، تر: كمال المصري، تق: احمد بهاء الدين شعبان، مكتبة الشروق الوطنية، القاهرة، 2009، ط1،
- هادي طعمة، الخليج العربي في الاستراتيجيات الاستعمارية والبريطانية خاصة، وزارة الإعلام، بغداد، 1971،
- هيرت فيشر، أصول التاريخ الأوربي الحديث: من عصر النهضة الى الثورة الفرنسية، تر: زينب عصمت هاشم واحمد عبد الرحيم مصطفى، مر: احمد عزت عبد الكريم، دار المعارف، القاهرة، د.ت.ن، ط3،
- هنري فوستر، نشأة العراق الحديث، تر: عبد المسيح جويده، مطبعة الأهالي، بغداد، 1934 .
- هيا علي جاسم آل ثاني، الخليج العربي في عصور ما قبل التاريخ، المكتبة العالمية، القاهرة، 1997، ط1.

- هيفاء عبد العزيز الربيعي، غزاة في الخليج: الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية... دراسة تاريخية، جامعة الموصل، الموصل، 1989.
- وندل فيليبس، تاريخ عمان، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1974.
- الويس موسيل، آل سعود: دراسة في تاريخ الدولة السعودية، تروتغ: سعيد بن فايز ابراهيم السعيد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2003، ط1.
- الياس الايوي، محمد علي سيرته وأعماله وآثاره، مؤسسة هنداي، القاهرة، 2014، ط1.
- يقظان سعدون العامر، نشاط شركة الهند الشرقية الانكليزية في البصرة، د.م.ن، بغداد، 1990.
- يلماز اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، مر وتغ: محمود الأنصاري، مج1، مؤسسة فيصل للتمويل، اسطنبول، 1988، ط1.
- يوسف حسين عمر، سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية 1839-1909، ط2، دار النور للنشر، جامعة الاقصى، غزة، 2016.
- يوسف حسين عمر، سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية 1838 - 1909، دار نور للنشر، غزة، 2005، ط2.
- يوسف عز الدين، داود باشا ونهاية حكم المماليك في العراق، دار البصري، بغداد، 1967.

ثانيا: الكتب الاجنبية:

1. المصادر:

- A. Newton, The British Empire to 1783, 1st ed. , London 1935.
- Arnold Wright, Early English Adventurers in the East, London 1914.
- Arthur D.Innes,a, History of England and the British Empire,Vol.111, London, 1913.
- J.G. Lorimer, Gazetter of the Gulf, Oman, Central Arabia, Vol.I, Historical, Part I, Calcutta, 1915.
- John Bruce, Annals of the Honorable East India Company from Their Establishment by the . 8Charter of Queen Elizabeth 1600, to the Union of the London and English East India Companies, Vol.1, London, 1810.

- Jordan Ryley, Ralph Fitch English Pioneer to India and Burma, London 1899.
- Roymand Beazley, Voyages and Travels Mainly During the 16th and 17th Centuries, Vol.I, Westminster 1903.
- Theodore Bent, Southern Arabia, London, 1905 .
- Birdwood ,Sir George .Report On The Old Records Of India Office London 1891.
- J.W.Kaye ,The life and the correspondence of :Major –General Sir John Malcolm .Vol. I, London.1865.
- J.W . Kaye, The life and the correspondence of Sir John Malcolm ,Vol. 2 , London, 1865.

2. المراجع:

- A.R. Myers, England in the Late Middle Ages (1307-1536), Revised ed., London 1963,
- A.V Jackson, History of India, vol.VI, New York Ams Press, New York, 1975.
- Boies Penrose, Travel and Discovery in the Renaissance 1420-1620, 5th ed., Harvard University Press 1967
- Charles Belgrave The Pirate Coast London .Oxford University Press ; 1966.
- Danvers,F.C.Report On the India Office Records Relating to Persia And The
- E. Lisbon, Op. Cit., p.7; Marie Doas Hall, "Science", in : The New Cambridge Modern History, Vol.III, Cambridge University Press 1971 .
- E. Lisbon, The Economic History of England, Vol. III, London, 1962,
- George Macaulay Trevelyan, History of England, London 1944.
- John Harris and (Others), A Complete collection Voyages and Travels, London 1745,
- John Steven, Manual de faria Sousa The Portuguese Asia, Vol II.
- K.N. Chaudhuri, The English East India Company the Study of An Early Joint-Stock Company 1600-1640, London 1965,
- R. Picard and (Others), Les Companies des Indes Route de la Porcelain, France 1966,
- Richard Hakluyt, the Principal Navigations Voyages Traffiques & Discoveries of the English Nation, Vol.II, Glasgow Mc Mall
- Richard Hakluyt, the Principal Navigations Voyages Traffiques & Discoveries of the English Nation, Vol.V, Glasgow Mc Mall,
- Richard Hough, A History of Fighting Ships, London 1975,

- Robert Orme, Historical Fragments of the Mogul Empire of the Morattoes, and of the English Concerns in Indostan from the year M. DC. Lix (1659) , New Delhi 1974,
- S,A. Skillter, "the Organization of the First English Embassy in Istanbul in 1582", In : Asian Affairs, Vol.X, Part II , June 1979,
- Wood, Alfred C.A, History Of The Levant Company, London , 1964 .
- Ramkrishna Mukherjee, The Rise and Fall of the East India Company a Sociological Appraisal, 2nd ed., Berlin 1958.
- Hamilton,C.J,The Trade Relation Between England And India 1600-1896 Delhi 1975 ,
- Hawley ,Donald.The Trucial States London ,1970
- Ashley Maurice, England in the seventeenth century, penguin books, London,1975
- Majumdar ,R.C.,An Advanced History of India .London. 1950.,
- Robert.P.E.,History of British India Under the company And The Grown ,1952,
- V. Smith ,The oxford History of india ,oxford , 1957
- Gardner.B,The East India Company...A History,London,1971
- Clark .D.M.,And David Eldredge.India yesteday and today ,London,1970
- Ergang ,Robert :Europe since waterllo , Boston ,1954
- J.S Buckingham, TRAVELS in Assyria, Media, and Persia ,Vol.2, Henry Colburn .13 and Richard Bentley,London,1830.,
- J.S Buckingham, TRAVELS in Assyria, Media, and Persia ,Vol.2, Henry Colburn and Richard Bentley,London,1830.

ثالثا: المقالات:

- إسماعيل احمد ياغي، العلاقات البريطانية العمانية في القرن التاسع عشر ، مقال منشور في: مجلة الدارة، ع 10، السنة 1981، الرياض.
- ثامر عزام حمد، الغزو البرتغالي للخليج العربي دراسة في الأسباب والنتائج، مقال منشور في: مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، ع 2، السنة 2009، تكريت،
- ثامر عزام محمد وابتسام، الثورة الجلييلة 1688 وأثرها على الأوضاع السياسية والاقتصادية في بريطانيا، مقال منشور في مجلة: سامراء، ع15، مج 5، 2009، سامراء،
- حارث عبد الرحمن التكريتي وليث محمد الجنابي، انكلترا في سنوات حرب الوردتين، مقال منشور في مجلة: آداب الفراهيدي، ع 17، السنة 2013، تكريت،

- حسين وحيد عزيز الكعبي، الموقع الجغرافي لمضيق هرمز واثره في رسم السياسات الدولية، مقال منشور في: مجلة كلية التربية الأساسية، ع 88، مج 21، السنة 2015، الناصرية.
- حيدر صبري شاكر الخيقاني، حروب بريطانيا الخارجية وأثرها على توسعها الاستعماري، مقال منشور في: مجلة الباحث، ع 30، السنة 2019، كربلاء.
- حيدر لازم عزيز، السياسة البرتغالية تجاه البصرة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، مقال منشور في: مجلة الخليج العربي، ع 3-4، مج 46، السنة 2018، البصرة.
- خلود عبد اللطيف عبد الوهاب وسفيان عبد الفتاح، التدخل الأوربي في سريلانكا منذ 1505 وحتى الاستقلال 1948، مقال منشور في: مجلة دراسات تاريخية، ع 15، السنة 2013، البصرة.
- رضوان عطية وردى، الهند تحت حكم الإمبراطور المغولي جلال الدين محمد اكبر (1556-1652)، مقال منشور في: مجلة آداب الفراهيدي، ع 46، مج 12، السنة 2020، تكريت.
- ستار علك عبد الكاظم، المقاومة الوطنية لقبائل ضد الغزو البريطاني منطقة الخليج العربي 1778-1820. مقال منشور في: مجلة العلوم الإنسانية، ع 15، مج 1، السنة 2013.
- عادل محمد حسن العليان وأيمن عبد الكريم محمود، الصراع الفرنسي البريطاني في أوروبا 1796-1800، مقال منشور في: مجلة آداب الفراهيدي، ع 30، السنة 2017، تكريت، ص 252.
- عادل محمد حسين، الصراع البرتغالي الهولندي في المحيط الهندي، بحث منشور في: مجلة سامراء، ع 3، مج 2، السنة 2006، سامراء.
- عبد الأمير محمد أمين، الشركات التجارية الاحتكارية الانكليزية في منطقة الخليج العربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، مقال منشور في: مجلة المؤرخ العربي، ع 12، السنة 1980، بغداد.
- عبد الباسط مصطفى مجيد الرفاعي، أضواء جديدة في نسب شيوخ القواسم، مقال منشور في مجلة: الدراسات التاريخية والحضارية، ع 24، مج 8، السنة 2016..
- عبد الرؤوف سنو، اتفاقات بريطانيا ومعاهداتها مع أمارات الخليج العربي (1798-1916): فصول من الهيمنة والتفتيت، مقال منشور في مجلة العرب والعالم، ع 174-176، السنة 1998، بيروت.

- عبد العزيز سليمان نوار، مصر والخليج العربي خلال القرن التاسع عشر، مقال منشور في : مجلة الهلال، ع 11، السنة 72، نوفمبر 1964، القاهرة.
- عبد اللطيف الحميدان، التاريخ السياسي لإمارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية، مقال منشور في: مجلة كلية الآداب، ع 16، السنة 1980، البصرة
- عبيد بن بطي، جوانب من جغرافية الخليج العربي، مقال منشور في مجلة: آفاق الثقافة والتراث، العدد 3، السنة 1993، ابوظبي،
- عدنان محسن صالح، إمارة افراسياب ودورها السياسي في البصرة(1596-1668)، مقال منشور في مجلة: الكلية الإسلامية الجامعة، ع 35، السنة 2015، الكوفة،
- عدي محسن غافل، صلح وستفاليا وأثره في إنهاء الصراع الديني في أوربا عام 1648، مقال منشور في: مجلة ال البيت، ع 18، السنة 2010، عمان..
- عصام محمد علي عدوان، الصراع العثماني البرتغالي البحري في القرن السادس عشر ، مقال منشور في: مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية ، العدد 51، ديسمبر 2019، القدس،
- علي خضير عباس المشايخي، قيام الأسرة القاجارية في إيران بقيادة اغا محمد خان 1794-1797، مقال منشور في: مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، ع 2، مج 19، السنة 2012، تكريت،
- محمد عبد الله العزاوي و جهاد صالح العمر، موقف بريطانيا من التقدم المصري نحو الخليج العربي 1837-1840، مقال منشور في: مجلة الخليج العربي، ع 6، مج 22، السنة الثامنة عشرة، 1990، البصرة.
- محمود علي الداود ، تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي 1630-1760 ، مقال منشور في: مجلة كلية الآداب، ع 3 ، السنة 1961، بغداد.
- مرتضى عبد الحسين مفتن، تدهور العلاقات الخارجية الإيرانية البريطانية في عهد كريم خان الزند 1763-1776، مقال منشور في : مجلة جامعة ذي قار، ع 1، مج 13، السنة 2018، الناصرية،
- مصطفى عبد القادر النجار، العلاقات الدولية لروسيا والاتحاد السوفيتي بالخليج العربي، مقال منشور في مجلة: الخليج العربي، ع 2، السنة 1975، البصرة.
- نجاح محمد، من معطيات المسألة الشرقية (مثال التآمر البريطاني العثماني على الوجود المصري في شبة جزيرة العرب 1811-1840)، مقال منشور في: مجلة دراسات تاريخية ، ع 71-72، السنة 11، 2000، القاهرة.

- هدى محمد عبده عثمان، الإدارة البريطانية في الخليج العربي 1947-1971، مقال منشور في :مجلة حوليات المؤرخ المصري، ع 10، السنة 2015، القاهرة،
- يوسف حسين عمر، الدبلوماسية الفرنسية تجاه المسألة المصرية من بداية الأزمة وحتى معاهدة هونكار اسكله سي 1833-1931، مقال منشور في: المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، ع 2، مج 11، السنة 2017، عمان.

رابعاً: مواقع الشبكة العالمية للمعلومات (الانترنت):

- <https://ar.wikipedia.org/wik>.
- <https://ar.wikipedia.org/wiki>.
- <https://ar.wikipedia.org/wiki> .
- <https://ar.wikipedia.org/wiki> ،
- https://en.wikipedia.org/wiki/Charles_Belgrave
- https://en.wikipedia.org/wiki/Edict_of_Nantes
- https://en.wikipedia.org/wiki/Francis_Augustus_Collier.
- https://en.wikipedia.org/wiki/Francis_RawdonHastings,_1st_Marquess_of_Hastings.
- <https://en.wikipedia.org/wiki/Franciscans>
- https://en.wikipedia.org/wiki/Gilbert_Elliot-Murray_Kynynmound,_1st_Earl_of_Minto.
- https://en.wikipedia.org/wiki/Henry_John_Temple,_3rd_Viscount_Palmerston
- https://en.wikipedia.org/wiki/John_Ponsonby,_1st_Viscount_Ponsonby.
- https://en.wikipedia.org/wiki/Francis_Augustus_Collier.
- https://en.wikipedia.org/wiki/Mountstuart_Elphinstone
- [https://en.wikipedia.org/wiki/Patrick_Campbell_\(British_Army_officer,_born_1779](https://en.wikipedia.org/wiki/Patrick_Campbell_(British_Army_officer,_born_1779))
- https://en.wikipedia.org/wiki/Ralph_Fitch.
- https://en.wikipedia.org/wiki/Sir_Lionel_Smith,_1st_Baronet ,
- https://en.wikipedia.org/wiki/Thomas_Perronet_Thompson.
- https://en.wikipedia.org/wiki/William_Keir_Grant.
- https://fr.wikipedia.org/wiki/Afonso_de_Albuquerque.
- https://fr.wikipedia.org/wiki/Armand_Jean_du_Plessis_de_Richelieu.
- [https://fr.wikipedia.org/wiki/Henri_IV_\(roi_de_France\)](https://fr.wikipedia.org/wiki/Henri_IV_(roi_de_France))
- <https://fr.wikipedia.org/wiki/Huguenot>
- https://fr.wikipedia.org/wiki/Jean-Baptiste_Colbert.

- https://fr.wikipedia.org/wiki/John_Malcolm.
- https://fr.wikipedia.org/wiki/Vasco_de_Gama .
- <https://www.arageek.com/bio/elizabeth>.
- <https://www.lebarmy.gov.lb/ar/taxonomy/term/187>.
- https://en.wikipedia.org/wiki/Afonso_VI_of_Portugal.
- https://en.wikipedia.org/wiki/Henry_VII_of_England.
- https://en.wikipedia.org/wiki/Elizabeth_I.
- [https://fr.wikipedia.org/wiki/Henri_IV_\(roi_de_France\)](https://fr.wikipedia.org/wiki/Henri_IV_(roi_de_France)).

خامسا: الرسائل والأطروحات:

1. العربية:

- عبد الحميد الأرقط، أوضاع الدولة الصفوية وعلاقتها الخارجية في عهد الشاه عباس الأول 996-1038 / 1588-1629، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية/ جامعة الوادي، 2015.
- نصير أحمد نور أحمد، شركة الهند الشرقية الانجليزية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية/ جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1991.

2. الاجنبية:

- Mubarak Al-otabi, The Qawasim and British Contral of the Arabian Gulf, Thesis presented for the degree of Doctor of philosophy, University of salford, Inter nationql Studies Unit, 1989.

سادسا: الموسوعات:

- Encyclopedia Britannica , Vol.2, Chicago, 1970.
- Encyclopedia Britannica, Vol.15, Chicago 1970.

قائمة المحتويات

الصفحات	الموضوع
أ	الآية القرآنية
ب	فذلكة
ج	الإهداء
د-هـ	شكر وتقدير
و	المختصرات
20-1	المقدمة
47-21	الفصل التمهيدي: الخليج العربي والظهور الاستعماري الأوربي
32-23	المبحث الأول: الموقع الجغرافي و التسمية
25-23	أولاً: الوصف الجغرافي
28-26	ثانياً: التكوين الجيولوجي
30-29	ثالثاً: الأهمية الإستراتيجية للخليج العربي
32-30	رابعاً: تسمية الخليج العربي
47-33	المبحث الثاني: الظهور الاستعماري الأوربي
36-33	أولاً : الوضع السياسي في الخليج العربي قبيل الغزو الأوربي
47-36	ثانياً: الغزو البرتغالي للخليج العربي
91-48	الفصل الاول : شركة الهند الشرقية الانكليزية: واجهة المشروع الاستعماري في الخليج العربي
67-50	المبحث الأول: الجهود البريطانية في ميدان الاستكشافات الجغرافية
56-52	أولاً : النشاط الاستكشافي الانكليزي في العالم الجديد والشرق.
59-56	ثانياً: بداية الظهور البريطاني على الساحة الدولية
67-59	ثالثاً: تنامي النشاط التجاري الانكليزي
82-68	المبحث الثاني : تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية
74-68	اولاً: ظروف ودوافع التأسيس
77-74	ثانياً: الهند بوصلة النشاط الانكليزي
82-78	ثالثاً: الاهتمام الانكليزي في الخليج العربي
91-83	المبحث الثالث: الانغماس الانكليزي في نهاية الوجود البرتغالي
86-84	أولاً: معركة جاسك

89-86	ثانيا: معركة هرمز
91-89	ثالثا: الثبات الانكليزي في الخليج العربي
136-92	الفصل الثاني : التنافس الهولندي الانكليزي في الخليج العربي: القوة والسياسة
115-94	المبحث الأول: الدخول الهولندي في الخليج العربي
106-94	أولا: تأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية
108-106	ثانيا: الهولنديين والتواجد في الخليج العربي
115-109	ثالثا: تفوق النشاط التجاري الهولندي في منطقة الخليج
136-116	المبحث الثاني: الاسترجاع الانكليزي ونهاية الهولنديين في الخليج العربي
126-117	أولا: عودة الانكليز وتنامي نفوذهم في منطقة الخليج
133-126	ثانيا: الضغط الانكليزي وبداية الانهيار الهولندي
136-133	ثالثا: نهاية الوجود الهولندي
179-37	الفصل الثالث: التفوق الانكليزي في مواجهة الرغبة الفرنسية في الخليج العربي
145-139	المبحث الأول: تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية
141-139	أولا: فرنسا والرغبة الشرقية
144-141	ثانيا: الخطوات التمهيدية لتأسيس الشركة الفرنسية
145-144	ثالثا: تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية
155-146	المبحث الثاني: التنافس الانكليزي الفرنسي من أوروبا حتى الخليج العربي
148-146	أولا: وصول الشركة الفرنسية لمياه المشرق
155-148	ثانيا: تصاعد وتيرة الصراع الأوربي في المحيط الهندي
179-156	المبحث الثالث: الصراع الانكلو فرنسي في الخليج العربي
168-156	اولا: التنافس في عمان.
179-168	ثانيا: التنافس في بلاد فارس
227-180	الفصل الرابع: المواجهة بين الانكليز واتحاد القواسم في الخليج العربي: تحدي وإنهاء
196-182	المبحث الأول: القواسم: بناء الاتحاد وريادة البحر
187-182	أولا: أصل القواسم وتواجدهم
191-187	ثانيا: تأسيس اتحاد القواسم
196-192	ثالثا: النشاط البحري للقواسم
227-197	المبحث الثاني: المواجهة بين الانكليز واتحاد القواسم

200-197	أولاً: تنامي قوة القواسم البحرية
227-200	ثانياً: الإجراءات الانكليزية في مواجهة تهديد القواسم
272-228	الفصل الخامس: الانكليز وتحقيق الرسوخ والاستقرار في الخليج العربي
242-230	المبحث الأول: الانكليز وتشكيل الساحل المهادن
233-230	أولاً: المعاهدات التمهيدية للمعاهدة العامة 1820
242-234	ثانياً: المعاهدة العامة 1820
272-243	المبحث الثاني: الانكليز والموقف من النشاط المصري في الخليج العربي
248-245	أولاً: دوافع الاهتمام المصري بالجزيرة العربية.
254-248	ثانياً: المرحلة الأولى من الوجود المصري في الجزيرة العربية والخليج
258-254	ثالثاً: موقف الانكليز من الوصول المصري لساحل الخليج العربي
272-259	رابعاً: المرحلة الثانية من الوجود المصري في الجزيرة العربية
282-273	الخاتمة
292-283	الملاحق
309-293	قائمة المصادر والمراجع
313-310	قائمة المحتويات